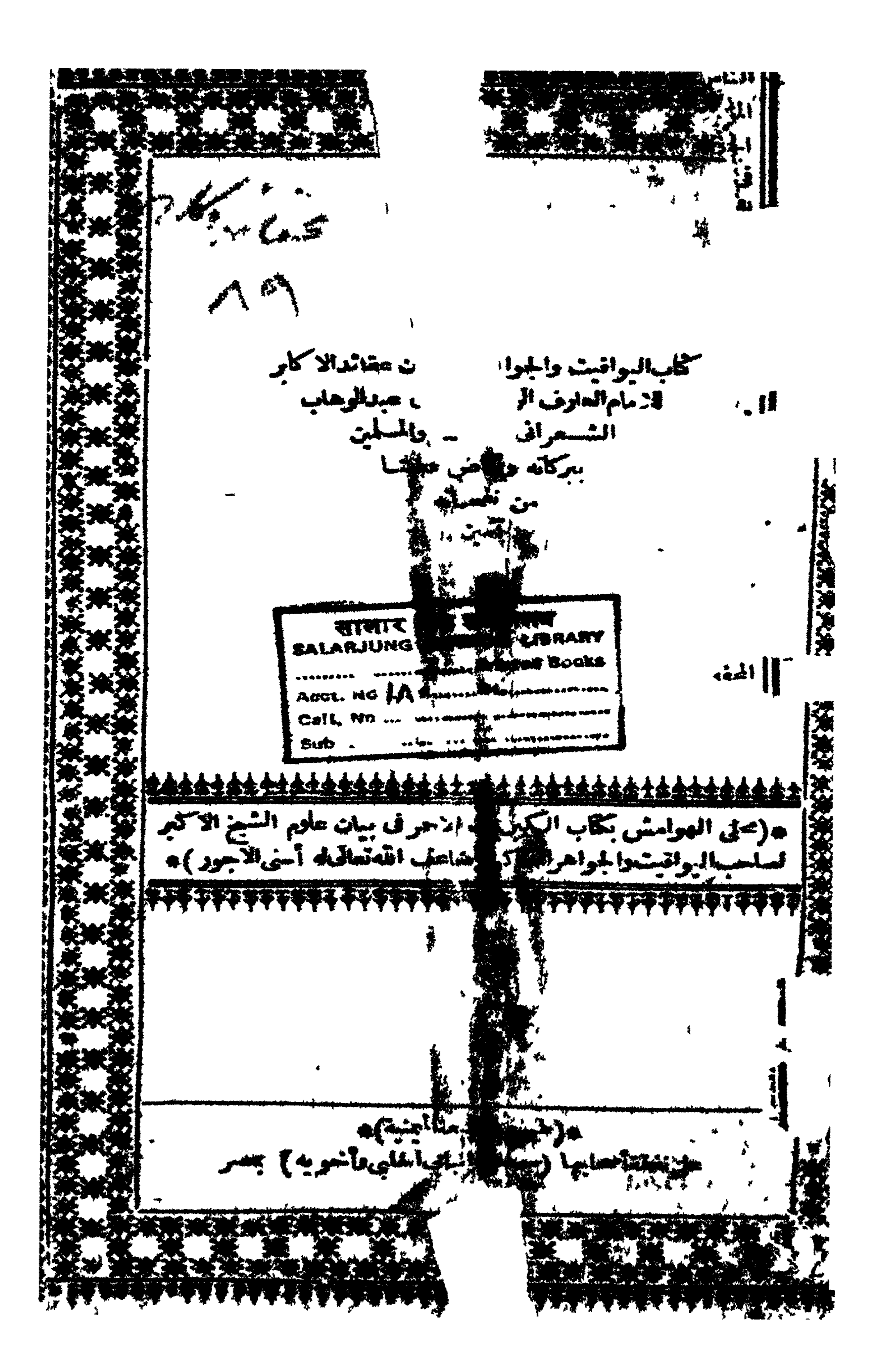


كتاب اليواقيت والجوا[illegible]ن عقائد الأكابر

للإمام العارف الر[illegible] عبد الوهاب

الشعراني [illegible] والمسلمين

ببركاته [illegible]

من نفحاته

(على الهوامش كتاب الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر لصاحب اليواقيت والجواهر [illegible] ضاعف الله تعالى له أسنى الأجور)

(الطبعة [illegible]ية)

على نفقة أصحابها ([illegible] الحلبي وأخويه) بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وسائر الانبياء والمرسلين أجمعين *(أما بعد)* فيقول العبد الفقير الى عفو الله ومغفرته عبد الوهاب بن أحمد بن ع[illegible] عفا الله عنه هذا كتاب ألفته فى علم العقائد سميته باليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الا[illegible] المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر حسب طاقتى وذلك لان المدار فى العقا[illegible] الطائفتين اذ الخلق كلهم قسمان اما أهل نظر واستدلال واما أهل كشف وعيان وقد ألف كل كتب الاهل دائرته فربما طن من لا غوص له فى الشر يعة ان كلام احدى الدائرتين مخالف للا[illegible] فى هذا الكتاب بيان وجه الجمع بينهما ليتايد كلام أهل كل دائرة بالاخرى وهذا أمر لم أر أ[illegible] فرحم الله تعالى من عذرنى فى العجز عن الوفاء بما اولته والتزمته فان منازع الكلام دقيقة الامام الشافعى رضى الله عنه لابى اسحق المزنى عليك بالفقه واياك وعلم الكلام فلأن يقال لك من أن يقال كفرت وأنا أسأل بالله العظيم كل من نظر فى هذا الكتاب من العلماء ان يصلح كل الخطأ والتحريف أو يضرب عليه ان لم يفتح له بجواب نصيحة للمسلمين واعلم أنى لا آذن لاحد [illegible] هذا الكتاب نسخة الا بعد أن يطلع عليه علماء الاسلام السالمين من الحسد ويجيزوه ويضعوا [illegible] فان عمرى الآن قد ضاق عن كمال تحريره وأوصى كل من عجز عن الوصول الى تعقل كلام [illegible] أن يقف مع ظاهر كلام المتكلمين ولا يتعداه قال تعالى فان لم يصبها وابل فطل وذ[illegible] أهل الكشف مبنية على أمور تشهد وعقائد غيرهم مبنية على أمور يؤمنون بها هذا ميزانهم [illegible] مالم يرد فيه نص قاطع والنفس تجد القوة فى اعتقاد ما عليه الجمهور دون ما عليه أهل الكشف سالكى طريقهم * ثم اعلم يا أخى انى طالعت من [illegible] أهل الكشف مالا يحصى من الرسائل وما رأ[illegible] عبارتهم أوسع من عبارة الشيخ الكامل المحقق مرب[illegible] العارفين الشيخ محيي الدين بن العر[بي] فلذلك شيدت هذا الكتاب بكلامه من الفتوحات وغ[يرها] دون كلام غيره من الصوفية لكنى [illegible] [illegible] لم أفهمها فذكرتها لينظر فيها علما[ء] [الك]لام ويحققوا الجواب [illegible]

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله رب العالمين والصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين (وبعد) فهذا كتاب نفيس [illegible] من كتابى المسمى [ب]لانوار القدسية [illegible]ت اختصرته من [illegible]ت المكية خاص [illegible] علماء الاكابر وليس [illegible]منه الا الظاهر وقد [illegible] على علوم وأسرار [illegible] لا يكاد يخطر علمها [illegible]اطر فيه قبل [illegible]رقد (سميته) [بال]كبريت الاحمر فى بيان [ع]لوم الشيخ الاكبر ومرادى بالكبريت الاحمر اكسير الذهب ومرادى بالشيخ الاكبر محيي الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه أعنى أن مرتبة علوم هذا الكتاب [ب]النسبة لغيره من كلام [ا]لصوفية كمرتبة اكسير الذهب بالنسبة للطلو الذهب [و]سنشير الى ذلك بما نقلناه [عن] الشيخ رحمه الله فى أبواب [الفتو]حاته والكبريت [illegible]تحدث به ولا ترى [illegible]) يا أخى أننى [illegible]حب القوم [illegible]حدث [illegible]

فلاتظن يا أخى أنى ذكرتم الكونى أعتقد صحتها وأرضاها فى عقيدتى كما يقع فيه المتهورون فى أعراض الناس فيقولون لولا انه ارتضى ذلك الكلام واعتقد صحته ما ذكره فى مؤلفه معاذ الله ان أخالف جمهور المتكلمين وأعتقد صحة كلام من خالفهم من بعض أهل الكشف الغير المعصوم فان فى الحديث يد الله مع الجماعة ولذلك أقول غالبا عقب كلام أهل الكشف انتهى فليتأمل ويحرر ونحو ذلك اظهارا للتوقف فى فهمه على مصطلح أهل الكلام وكان شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصارى رحمه الله يقول لا يخلو كلام الأئمة عن ثلاثة أحوال لانه اما أن يوافق صريح الكتاب والسنة فهذا يجب اعتقاده جزما واما أن يخالف صريح الكتاب والسنة فهذا يحرم اعتقاده جزما واما أن لا يظهر لنا موافقته ولا مخالفته فأحسن أحواله الوقف انتهى * وقد أخبرنى العارف بالله تعالى الشيخ أبو طاهر المزنى الشاذلى رضى الله عنه أن جميع ما فى كتب الشيخ محيي الدين مما يخالف ظاهر الشرع بعضه مدسوس عليه قال لانه رجل كامل باجماع المحققين والكامل لا يصح فى حقه شطح عن ظاهر الكتاب والسنة لان الشارع أمنه على شريعته انتهى فلهذا تتبعت المسائل التى أشاعها الحسدة عنه وأجبت عنها لان كتبه المروية لنا عنه بالسند الصحيح ليس فيها ذلك ولم أجب عنه بالفهم والصدر كما يفعل غيرى من العلماء فمن شك فى قول أضفته اليه وعجز عن فهمه وتأويله فلينظر فى محله من الاصل الذى أضفته اليه فربما يكون ذلك تحريفا منى واعلم يا أخى ان المراد بأهل السنة والجماعة فى عرف الناس اليوم الشيخ أبو الحسن الاشعرى ومن سبقه بالزمان كالشيخ أبى منصور الماتريدى وغيره رضى الله تعالى عنهم وقد كان الماتريدى اماما عظيما فى السنة كالشيخ أبى الحسن الأشعرى ولكن لما غلب أصحاب الشيخ أبى الحسن الاشعرى على أصحاب الماتريدى كان الماتريدى أقل شهرة فان أتباع الماتريدى ما وراء نهر سيحون فقط وأما اتباع الشيخ أبى الحسن الاشعرى فهم منتشرون فى أكثر بلاد الاسلام كخراسان والعراق والشام ومصر وغيرها من البلاد فلذلك صار الناس يقولون فلان عقيدته صحيحة أشعرية وليس مرادهم نفى صحة عقيدة غير الاشعرى مطلقا كما أشار الى ذلك فى شرح المقاصد وليس بين المحققين من كل من الاشعرية والماتريدية اختلاف محقق بحيث ينسب كل واحد صاحبه الى البدعة والضلال وانما ذلك اختلاف فى بعض المسائل كمسئلة الايمان بالله تعالى نحو قول الانسان أنا مؤمن ان شاء الله تعالى ونحو ذلك انتهى وكان سفيان الثورى يقول أهل السنة والجماعة هم من كان على الحق ولو واحدا وكذلك كان يقول اذا سئل عن السواد الاعظم من هم وكذلك كان يقول الامام البيهقى * ثم اعلم يا أخى ان من كان تابعا لأهل السنة والجماعة يجب أن يكون قلبه ممتلئا أنسا باتباعهم وبالضد من خالفهم فيمتلئ قلبه غماوضيقا والحمد لله رب العالمين وقد حبب لى أن أقدم بين يدى هذا الكتاب مقدمة نفيسة تعين على من يريد مطالعته مشتملة على بيان عقيدة الشيخ محيي الدين الصغرى التى صدر بها فى الفتوحات المكية ليرجع اليها من تاه فى شئ من عقائد الكتاب فان الكتاب كله كالشرح لهذه العقيدة وتشتمل أيضا على أربعة فصول

(الفصل الاول) فى ذكر نبذة من أحوال الشيخ محيي الدين بن العربى رضى الله عنه وبيان أن ما وجد فى كتبه مخالفا الظاهر كلام العلماء مدسوس عليه أو مؤول وفى بيان من مدحه وأثنى عليه من العلماء واعترف له بالفضل وذلك لان غالب هذا الكتاب يرجع الى عبارته رضى الله عنه

*(الفصل الثانى) فى تأويل بعض كلمات نسبت الى الشيخ بتقدير ثبوتها عنه جهل أكثر الناس معانيها وفى ذكر شئ مما ابتلى به أهل الله سلفا وخلفا فى كل عصر من الانكار عليهم امتحانا لهم وتمحيصا لذنوبهم أو تنفيرا لهم عن الركون الى الناس وذلك لان الله تعالى لا يصطفى عبدا قط وهو يركن الى سواه الا باذنه

(الفصل الثالث) فى بيان اقامة العذر لاهل الطريق فى تعبيرهم بالعبارات المغلقة على من ليس منهم وحاصله ان ذلك كله خوف أن يرمى أولياء الله بالزور والبهتان فجعلوا لهم رموزا يتعارفونها فيما بينهم لا يفهمها الدخيل بينهم الا بتوقيف منهم غيرة على أسرار الله تعالى أن تفشى بين المحجوبين كما أشار الى ذلك القشيرى فى رسالته

من أسرار الشريعة وبيان منازع المجتهدين التى استنبطوا منها أقوالهم فان نظر فيه مجتهد فى الشريعة ازداد علما الى علمه واطلع على أسرار فى وجوه الاستنباط وعلى تعليلات صحيحة لم تكن عنده وان نظر فيه مفسر القرآن فكذلك أو شارح للاحاديث النبوية فكذلك أو متكلم فكذلك أو محدث فكذلك أو لغوى فكذلك أو مقرئ فكذلك أو معبر للمنامات فكذلك أو عالم بالطبيعة وصنعة الطب فكذلك أو عالم بالهندسة فكذلك أو نحوى فكذلك أو منطقى فكذلك أو صوفى فكذلك أو عالم بعلم حضرات الاسماء الالهية فكذلك أو عالم بعلم الحرف فكذلك فهو كتاب يفيد أصحاب هذه العلوم وغيرها علوما لم تخطر لهم قط على بال وقد أشرنا لنحو ثلاثة آلاف علم منها فى كتابنا المسمى بتنبيه الاغبياء على قطرة من بحر علم علوم الاولياء فان علوم الشيخ كلها مبنية على الكشف والتعريف مطهرة من الشكوك والتصريف كما أشار رضى الله تعالى عنه الى ذلك فى الباب السابع والستين وثلثمائة من الفتوحات بقوله وليس عندنا بحمد الله تعالى

(الفصل الرابع في بيان [illegible]
على ذلك فأقول وبالله التوفيق

(بيان عقيدة الشيخ المختصرة [illegible])

اعلم رحمك الله يا أخي أنه ينبغي لكل مؤمن أن يصرح بعقيدته ينادي بها على رؤس الأشهاد فإنها كانت
صحيحة شهدوا بها عند الله تعالى وإن كانت غير ذلك بينوا له فسادها ليتوب منها وقد أشهد هود عليه
السلام قومه مع كونهم مشركين بأنه تعالى على نفسه بالبراءة من الشرك بالله والاقرار له بالوحدانية فيا علم
عليه السلام أن العالم كلهم يوقفهم الله تعالى بين يديه ويسألهم في ذلك الموقف العظيم الأهوال حتى يؤدي كل
شاهد شهادته وكل أمين أمانته والمؤذن يشهد له كل من سمعه حتى الكفار وإذا أدبر الشيطان إذا سمع
الأذان وله ضراط حتى لا يسمع أذان المؤذن فيلزمه أن يشهد له فيكون من جملة من يسعى في سعادته وهو لعنه
الله عدو محض ليس له البتة تأثير إذا كان العدو لا بد أن يشهد لك كما أشهدته على نفسك لأن المشهد
الحق يعطي ذلك بحقيقته فأحرى أن يشهد لك وليك وحبيبك ومن هو على دينك وأحرى أن تشهد أنت في
الدار الدنيا على نفسك بالوحدانية والإيمان فيا إخواني ويا أحبابي رضي الله عنا وعنكم أشهدكم أني
أشهد الله تعالى وأشهد ملائكته وأنبياءه ومن حضر من الروحانيين أو سمع أني أقوله وأعتقد جازما بقلبي أن الله
تعالى إله واحد لا ثاني له منزه عن الصاحبة والولد مالك لا شريك له ملك لا وزير له صانع لا مدبر معه موجود
بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده بل كل موجود مفتقر إليه في وجوده فالعالم كله موجود به وهو
تعالى موجود بنفسه لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه بل وجود مطلق قائم بنفسه ليس بجوهر فيقدر له
المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء مقدس عن الجهات والأقطار مرئي
بالقلوب والأبصار استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذي أراده كما أن العرش وما حواه به استوى وله
الآخرة والأولى ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول لا يحده زمان ولا يقله مكان بل كان ولا مكان
وهو الآن على ما عليه كان لأنه خلق المتمكن والمكان وأنشأ الزمان وقال أنا الواحد الحي الذي لا يؤوده حفظ
المخلوقات ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صفة المصنوعات تعالى الله أن تحله الحوادث أو يحلها أو
تكون قبله أو يكون بعدها بل يقال كان ولا شيء معه إذ القبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه فهو
القيوم الذي لا ينام والقهار الذي لا يرام ليس كمثله شيء وهو السميع البصير خلق العرش وجعله حد
الاستواء وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرض والسماء اخترع اللوح والقلم الأعلى وأجراه كاتبا بعلمه
في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء أبدع العالم كله على غير مثال سبق وخلق الخلق وأخلق الذي خلق
أنزل الأرواح في الأشباح أمناء وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء وسخر لهم ما في
السموات وما في الأرض جميعا منه فلا تتحرك ذرة إلا إليه وعنه خلق الكل من غير حاجة إليه ولا موجب أوجب
ذلك عليه لكن علمه سبق فلا بد أن يخلق ما خلق فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شيء
قدير أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا يعلم السر وأخفى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وكيف
لا يعلم شيئا هو خلقه ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير علم الأشياء قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما علمها
فلم يزل عالما بالأشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الإنشاء بعلمه أتقن الأشياء وأحكمها وبه حكم عليها من شاء
وحكمها علم الكليات على الإطلاق كما علم الجزئيات بإجماع من أهل النظر والاتفاق فهو عالم الغيب
والشهادة فتعالى عما يشركون فعال لما يريد فهو المريد للكائنات في عالم الأرض والسموات لم تتعلق قدرته
تعالى بإيجاد شيء حتى أراده كما أنه لم يرده حتى علمه إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم أو يفعل المختار المتمكن
من ترك ذلك الفعل ما لا يريده كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حي كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات
بغير ذات موصوفة بها فما في الوجود طاعة ولا عصيان ولا ربح ولا خسران ولا عبد ولا حر ولا برد ولا حر ولا حياة
ولا موت ولا حصول ولا فوت ولا نهار ولا ليل ولا اعتدال ولا ميل ولا بر ولا بحر ولا شفع ولا وتر ولا جوهر ولا

[illegible] ومخرج من الكتاب والسنة فتنبه
وبقوله في الباب الخامس والستين وثلثمائة واعلم أن
جميع ما أتكلم فيه في مجالسي وتصانيفي إنما هو
من حضرة القرآن وخزائنه فإني أعطيت مفاتيح الفهم
فيه والإمداد منه كل ذلك حتى لا أخرج عن مجالسة
الحق تعالى ومناجاته بكلامه وبقوله في باب
الأسرار والنفث في الروع من وحي القدوس لكن
ما هو مثل وحي الكلام ولا وحي الإشارة والعبارة
ففرق يا أخي بين وحي الكلام ووحي الإلهام تكن
من أهل ذي الجلال والإكرام وبقوله في
الباب السادس والستين وثلثمائة واعلم أن جميع
ما أكتبه في تأليفي ليس هو من روية وفكر وإنما
هو عن نفث في روعي على يد ملك الإلهام وبقوله في
الباب الثالث والسبعين وثلثمائة جميع ما كتبته
وأكتبه في هذا الكتاب إنما هو من إملاء إلهي
والقاء رباني أو نفث روحاني في روعي كل كل
ذلك بحكم الإرث للأنبياء والتبعية لهم لا بحكم
الاستقلال وبقوله في الباب التاسع والثمانين من
الفتوحات والباب الثامن والأربعين وثلثمائة منها
واعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن من اختيار ولا عن نظر فكري وإنما الحق تعالى يملي لنا على لسان

[illegible] ولا فرح ولا ترح ولا روح ولا جسد ولا ظلام ولا ضياء ولا أرض ولا سماء ولا تركيب
ولا تحليل ولا كثير ولا قليل ولا غداة ولا أصيل ولا بياض ولا سواد ولا سهاد ولا رقاد ولا ظاهر ولا باطن ولا
متحرك ولا ساكن ولا يابس ولا رطب ولا قشر ولا لب ولا شئ من المتضادات والمختلفات والمتماثلات الا وهو
مراد للحق تعالى وكيف لا يكون مرادا له وهو أوجده فكيف يوجد المختار ما لا يريد لا راد لامره ولا معقب
لحكمه يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدى من يشاء ويضل
من يشاء ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيأ لم يرده الله تعالى لهم
أن يريدوه ما أرادوه أو أن يفعلوا شيأ لم يرد الله ايجاده وأرادوه ما فعلوه ولا استطاعوا ذلك ولا أقدرهم عليه
فالكفر والايمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وارادته ولم يزل سبحانه وتعالى موصوفا بهذه
الارادة أزلا والعالم معدوم ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل فيعطيه التدبر والتفكر علم ما جهل
جل وعلا عن ذلك بل أوجده عن العلم السابق وتعيين الارادة المنزهة الازلية القاضية على العالم بما أوجده عليه
من زمان ومكان وأكوان وألوان فلا مريد فى الوجود على الحقيقة سواه اذ هو القائل سبحانه وما تشاؤن الا
أن يشاء الله وانه تعالى كما علم فأحكم وأراد فخصص وقدر فأوجد كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن أو نطق فى
الورى من العالم الاسفل والاعلى لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد يسمع
كلام النفس فى النفس وصوت المماسة الخفية عند اللمس يرى سبحانه السواد فى الظلماء والماء فى الماء
لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور وهو السميع البصير تكلم سبحانه وتعالى لا عن صمت متقدم ولا
سكوت متوهم بكلام قديم أزلى كسائر صفاته من علمه وارادته وقدرته كلم به موسى عليه السلام سماه
التنزيل والزبور والتوراة والانجيل والفرقان من غير تشبيه ولا تكييف فكلامه سبحانه وتعالى من غير لهاة
ولا لسان كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان كما أن بصره من غير حدقة ولا أجفان كما أن ارادته من غير قلب ولا
جنان كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر فى برهان كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج
الاركان كما أن ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان فسبحانه سبحانه من بعيد دان عظيم السلطان عميم الاحسان
جسيم الامتنان كل ما سواه فهو عن جوده فائض وفضله وجوده وعدله الباسط له والقابض أكمل صنع
العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه لا شريك له فى ملكه ولا مدبر معه فيه ان أنعم فذلك فضله وان أبلى
فعذب فذلك عدله لم يتصرف فى ملك غيره فينسب الى الجور والحيف ولا يتوجه عليه لسواه حكم فيتصف
بالجزع لذلك والخوف كل ما سواه فهو تحت سلطان قهره ومتصرف عن ارادته وأمره فهو الملهم نفوس
المكلفين التقوى والفجور وهو المتجاوز عن سيئات من شاء هنا وفى يوم النشور لا يحكم عدله فى فضله ولا فضله
فى عدله أخرج العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين فقال هؤلاء للجنة ولا أبالى وهؤلاء للنار ولا أبالى ولم يعترض
عليه معترض هنالك اذ لا موجود كان ثم سواه فالكل تحت تصريف أسمائه فقبضة تحت أسماء بلائه وقبضة
تحت أسماء آلائه ولو أراد الله سبحانه أن يكون العالم كله سعيدا لكان أو شقيا لما كان فى ذلك من شان
لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد فمنهم الشقى والسعيد هنا وفى يوم المعاد فلا سبيل الى تبديل ما حكم عليه وقال
الصلاة هى خمس وهى خمسون ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد لتصرفى فى ملكى وانفاذ مشيئتى فى
ملكى وذلك لحقيقة عميت عنها البصائر ولا تعثر عليها الافكار ولا الضمائر الا بوهب الهى وجود رحمانى لمن
اعتنى الله تعالى به من عباده وسبق له ذلك فى حضرة اشهاده فعلم حين أعلم أن الالوهية أعطت هذا التقسيم
وأنها من دقائق القديم فسبحان من لا فاعل سواه ولا موجود بذاته الا اياه والله خلقكم وما تعملون ولا يسئل
عما يفعل وهم يسألون فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين * وكما أشهدت الله وملائكته وجميع
خلقه واياكم على نفسى بتوحيده فكذلك أشهده تعالى وملائكته وجميع خلقه واياكم على نفسى
بالايمان بمن اصطفاه واختاره واجتباه من خلقه وهو سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذى أرسله
الى جميع الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فبلغ صلى الله عليه وسلم ما أنزل من ربه

[illegible] حافظوا على الصلوات
والصلاة الوسطى بينها آية
طلاق ونكاح وحضرة
تقدمها وتأخرها وبقوله
فى الباب الثانى من
الفتوحات اعلم ان العارفين
انما كانوا لا يتقيدون
بالكلام على ما يريدونه
فقط لانهم جمعوا همهم عاكفة
على باب الحضرة الالهية
مراقبة لما يبرز منها فمهما
برز لها أمر بادرت لامتثاله
والقته على حسب ما حد لها
فقد تلقى الشئ الى ما ليس
من جنسه امتثالا لامر ربها
وبقوله فى الباب السابع
والاربعين اعلم ان علومنا
وعلوم أصحابنا ليست من
طريق الفكر وانما هى
من الفيض الالهى
انتهى والله أعلم وأنا أسأل
بالله العظيم كل ناظر فى
هذا الكتاب أن يصلح
ما رآه فيه من الزيغ
والتحريف لاجل قوله صلى
الله عليه وسلم والله فى عون
العبد ما كان العبد فى عون
أخيه اذا علمت ذلك فاقول
وبالله التوفيق (قال)
الشيخ رحمه الله فى الباب
الثالث من الفتوحات فى
قوله تعالى وما علمناه الشعر
وما ينبغى له ان الشعر محل
الاجمال والتفسير والرمز
والتورية أى ما رمزنا لمحمد
صلى الله عليه وسلم ولا لغزنا
ولا خاطبناه بشئ ونحن
نريد شيئا آخر ولا أجملنا له
[illegible]

اليه وأدى أمانته ونصح أمته ووقف في حجة الوداع على من حضره من الاتباع فخطب وذكر وخوف وحذر ووعد وأوعد وأمطر وأرعد وما خص بذلك التذكير أحدا دون أحد عن اذن الواحد الصمد ثم قال ألا هل بلغت قالوا بلغت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وأني مؤمن بما جاء به صلى الله عليه وسلم مما علمت به ومما لم أعلم فمما جاء به وقرر الموت عن أجل مسمى عند الله اذا جاء لا يؤخر فأنا مؤمن بهذا ايمانا لا ريب فيه ولا شك كما آمنت وأقررت ان سؤال فاتني القبر حق والعرض على الله حق والحوض حق وعذاب القبر حق ونصب الميزان حق وتطاير الصحف حق والصراط والجنة حق والنار حق وفريقا في الجنة وفريقا في السعير وكرب ذلك اليوم على طائفة حق وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الاكبر حق وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين وشفاعة أرحم الراحمين حق وجماعة من أهل الكبائر من المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة حق والتأبيد للمؤمنين في النعيم المقيم والتأبيد للكافرين والمنافقين في العذاب الأليم حق وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله علم أو جهل حق فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كل من وصلت اليه يؤديها اذا سئلها حيثما كان نفعنا الله واياكم بهذا الايمان وثبتنا عليه عند الانتقال الى الدار الحيوان وأحلنا دار الكرامة والرضوان وحال بيننا وبين دار سرابيل أهلها قطران وجعلنا من العصابة التي أخذت الكتب بالايمان وممن انقلب من الحوض وهو ريان وثقل له الميزان وثبت منه على الصراط القدمان انه المنعم المحسان آمين آمين انتهت العقيدة ولنشرع في الاربعة فصول فنقول وبالله التوفيق

(الفصل الاول) في بيان نبذة من أحوال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه * كان رضي الله عنه أولا من الموقعين عند بعض ملوك المغرب ثم انه طرقه طارق من الله عز وجل فخرج في البراري على وجهه الى أن نزل في قبر فمكث فيه مدة ثم خرج من القبر يتكلم بهذه العلوم التي نقلت عنه ولم يزل سائحا في الارض يقيم في كل بلد بحسب الاذن ثم يرحل منها ويخلف ما ألفه من الكتب فيها وكان آخر اقامته بالشام وبها مات سنة ثمان وثلاثين وستمائة رضي الله عنه * وكان رضي الله عنه متقيدا بالكتاب والسنة ويقول كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك وسيأتي قوله وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك وهذا اعتقاد الجماعة الى قيام الساعة وجميع ما لم يفهمه الناس من كلامه انما هو لعلو مراقيه وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه كما أخبرني بذلك سيدي الشيخ أبو الطاهر المغربي نزيل مكة المشرفة ثم أخرج لي نسخة الفتوحات التي قابلها على نسخة الشيخ التي بخطه في مدينة قونية فلم أر فيها شيأ مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت الفتوحات * وقد دس الزنادقة تحت وسادة الامام أحمد بن حنبل في مرض موته عقائد زائغة ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته * وكذلك دسوا على شيخ الاسلام مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس كتابا في الرد على أبي حنيفة وتكفيره ودفعوه الى أبي بكر الخياط اليمني البغوي فأرسل يلوم الشيخ مجد الدين على ذلك فكتب اليه الشيخ مجد الدين ان كان بلغك هذا الكتاب فاحرقه فانه افتراء من الاعداء وأنا من أعظم المعتقدين في الامام أبي حنيفة وذكرت مناقبه في مجلد * وكذلك دسوا على الامام الغزالي عدة مسائل في كتاب الاحياء وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النسخ فأمر باحراقها * وكذلك دسوا على أنا في كتابي المسمى بالبحر المورود جملة من العقائد الزائغة وأشاعوا تلك العقائد في مصر ومكة نحو ثلاث سنين وأنا بريء منها كما بينت ذلك في خطبة الكتاب لما غيرتها وكان العلماء كتبوا عليه وأجازوه فما سكنت الفتنة حتى أرسلت اليهم النسخة التي عليها خطوطهم * وكان ممن انتدب لنصرتي الشيخ الامام ناصر الدين اللقاني المالكي رضي الله تعالى عنه ثم ان بعض الحسدة أشاع في مصر ومكة ان علماء مصر رجعوا عن كتابتهم على مؤلفات فلان كلها فشك بعض الناس في ذلك فأرسلت النسخة للعلماء ثالث مرة فكتبوا تحت خطوطهم كذب والله من ينسب الينا انا رجعنا عن كتابتنا على هذا الكتاب وغيره من مؤلفاته

وماعدا هذين المقامين فرتان *وقال فيه انه لا يصح عندنا ولا في طريقنا ان الكمل ينظرون كل شئ بعينه ومن هنا قالوا الكامل يبكى باى العيون (وقال) في قوله تعالى لا تدركه الابصار أي الابصار المحجوبة وهو اللطيف الخبير أي لطيف بعباده حيث تجلى لهم على قدر طاقتهم وضعفهم عن حمل تجليه الاقدس على ما تعطيه الالوهية *وقال في قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى القرآن مجملا قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور فقيل له ولا تعجل بالقرآن الذى عندك قبل جبريل فتلقيه على الامة مجملا فلا يفهمه أحد عنك لعدم تفصيله وقل رب زدني علما أي بتفصيل ما أجمل من المعاني في التوحيد والاحكام لا زدني أحكاما كما توهمه بعضهم فقد كان صلى الله عليه وسلم يقول اتركوني ما تركتكم فاعلم ذلك (وقال) أيضا في الباب الثاني منها اعلم يا أخي أنه لو كانت علوم الوهب نتيجة عن فكر أو نظر لانحصرت في أقرب مدة ولكنها موارد تتوالى من الحق على خاطر العبد والحق تعالى وهاب على الدوام فياض على الاستمرار والمحل قابل على الدوام فاما يقبل الجهل ولما يقبل العلم بحسب جلاء مرآة قلبه وصدئها واذا صفا القلب حصل من العلم في اللحظة الواحدة ما لا يقدر على كتابته

فلان

فلان * وعبارة سيدنا ومولانا الشيخ ناصر الدين المالكي فسح الله تعالى في أجله بعد الحمد لله وبعد فما نسب الى العبد من الرجوع عما كتبته بخطي على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات فلان باطل باطل باطل والله ما رجعت عن ذلك ولا عزمت عليه ولا اعتقدت في مؤلفاته شيأ من الباطل وأنا معتقد صحة مقالته باق على ذلك وادين الله تعالى بالاعتقاد في صحة كلامه وولايته فلا ينبغي أن يصدق في شئ مما ينسب الى على ألسنة الذين لا يخشون الله تعالى هذا لفظه في آخر نسخة العهود وعقب اجازته التي كتبها أولا وكتب نحو ذلك أيضا الامام المحقق الشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي رحمه الله تعالى * اذا علمت ذلك فيحتمل ان الحسدة دسوا على الشيخ في كتبه كما دسوا في كتبي أنا فانه أمر قد شاهدته عن أهل عصري في حقي فالله يغفر لنا ولهم آمين * وأما من أثنى على الشيخ من العلماء ومدح مؤلفاته فقد كان الشيخ مجد الدين الفيروزابادي صاحب كتاب القاموس في اللغة يقول لم يبلغنا عن أحد من القوم انه بلغ في علم الشريعة والحقيقة ما بلغ الشيخ محيي الدين أبدا وكان يعتقده غاية الاعتقاد وينكر على من أنكر عليه ويقول لم تزل الناس منكبين على الاعتقاد في الشيخ وعلى كتابة مؤلفاته بماء الذهب في حياته وبعد وفاته الى أن أراد الله ما أراد من انتصاب شخص من اليمن اسمه جمال الدين بن الخياط فكتب مسائل في درج وأرسلها الى العلماء ببلاد الاسلام وقال هذه عقائد الشيخ محيي الدين بن العربي وذكر فيها عقائد زائغة ومسائل خارقة لاجماع المسلمين فكتب العلماء على ذلك بحسب السؤال وشنعوا على من يعتقد ذلك من غير تثبت والشيخ عن ذلك كله بمعزل * قال الفيروزابادي فلا أدري أوجد ابن الخياط تلك المسائل في كتاب مدسوس على الشيخ أو فهمها هو من كلام الشيخ محيي الدين على خلاف مراده * قال والذي أقوله وأتحققه وادين الله تعالى به ان الشيخ محيي الدين كان شيخ الطريقة حالا وعلما وامام التحقيق حقيقة ورسما ومحيي علوم العارفين فعلا واسما اذا تغلغل فكر المرء في طرف من مجده غرقت فيه خواطره لانه بحر لا تكدره الدلاء وسحاب لا تتقاصى عنه الانواء كانت دعواته تخرق السبع الطباق وتفترق بركاته فتملأ الآفاق وهو يقينا فوق ما وصفته وناطق بما كتبته وغالب ظني أنني ما أنصفته

وما على اذا ما قلت معتقدي * دع الجهول يظن الجهل عدوانا
والله والله والله العظيم ومن * أقامه حجة للدين برهانا
ان الذي قلت بعض من مناقبه * ما زدت الا لعلي زدت نقصانا

قال وأما كتبه رضي الله عنه فهي البحار الزواخر التي ما وضع الواضعون مثلها ومن خصائصها ما واظب أحد على مطالعتها الا وتصدر لحل المشكلات في الدين ومعضلات مسائله وهذا الشأن لا يوجد في كتب غيره أبدا * قال وأما قول بعض المنكرين ان كتب الشيخ لا تحل قراءتها ولا اقراؤها فكفر * قال وقد قدم والى مرة سؤالا صورته ما تقول في الكتب المنسوبة الى الشيخ محيي الدين بن العربي كالفصوص والفتوحات هل يحل قراءتها واقراؤها وهل هي من الكتب المسموعة المقروءة أم لا * فاجبت نعم هي من الكتب المسموعة المقروءة وقد قرأها عليه الحافظ البرزلي وغيره * ورأيت اجازته بخط الشيخ محيي الدين على حواشي الفتوحات المكية بمدينة قونية وكتابة طبقة بعد طبقة من العلماء والمحدثين فمطالعة كتب الشيخ قربة الى الله تعالى ومن قال غير ذلك فهو جاهل زائغ عن طريق الحق فلقد كان الشيخ والله في زمنه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما نعتقد وندين الله تعالى به خلاف ما عليه جماعة ممن مقتهم الله تعالى فحرموا فوائده وقعوا في عرضه بهتانا وزورا وحاشا جنابه الكريم أن يخالف كلام نبيه الذي استأمنه على شرعه ومن أنكر عليه وقع في أخطر الامور

على نحت القوافي من معادنها * وما على اذا لم تفهم البقر

انتهى كلام الشيخ مجد الدين رحمه الله تعالى * وكان الشيخ سراج الدين المخزومي شيخ الاسلام بالشام يقول اياكم والانكار على شئ من كلام الشيخ محيي الدين فان لحوم الاولياء مسمومة وهلاك أديان مبغضهم معلومة

في أزمنة متطاولة لاتساع ذلك الفلك المعقول وضيق هذا الفلك المحسوس فكيف يتحقق ما لا يتصور له نهاية ولذلك قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم وقل رب زدني علما وأطال في ذلك * وقال في الباب الخامس اعلم ان آدم عليه السلام حامل للاسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم حامل لمعاني تلك الاسماء التي حملها آدم وهي المراد بحديث أوتيت جوامع الكلم * وقال من أثنى على نفسه فهو أمكن وأتم ممن أثنى عليه الا أن يكون المثني هو الله عز وجل كيحيى وعيسى في قول الله في حق يحيى عليه السلام وسلام عليه وقول عيسى عليه السلام والسلام على فعلم أن من حصل الذات فالاسماء تحت حكمه وليس كل من حصل الاسماء يكون المسمى محصلا عنده ولذلك فضلت الصحابة علينا لانهم حصلوا الذات وحصلنا نحن الاسم ولما راعينا الاسم مراعاتهم الذات ضوعف لنا الاجر وأيضا فلحضرة الغيبة التي لم تكن لهم فكان لنا التضعيف فنحن الاخوان وهم الاصحاب وهو صلى الله عليه وسلم الينا بالاشواق والعامل منا أيضا أجر خمسين ممن يعمل بعملهم لكن من أمثالهم لا من أعيانهم فافهم (وقال) في الباب السادس أكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجماد انه لا يعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك فاذا جاءهم عن نبي أو ولي ان حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه الحياة في ذلك الوقت والامر عندنا ليس

[illegible]

ومما أنشده [illegible]
القونوي يقول من [illegible]
عليه من موت الحلقة * وكان أبو زرابة الخشني يقول لذا الخلق الخلق الأعراض [illegible]
أوليائه * وقال الشيخ مجد الدين الشيرازي الفيروزابادي وقد رأيت [illegible] الشيخ [illegible]
صاحب حلب ورأيت فيها آخرها [illegible] جميع مؤلفاته من جملتها كتابا [illegible]
صنفها وأربعمائة [illegible] تفسيره الكبير في [illegible] وستين مجلدا وصل فيه الى قوله تعالى وعلمناه من لدنا
علما فاستأثر الله بحضرته ومنها تفسيره الصغير في ثمانية أسفار على طريقة المتقين من المفسرين [illegible]
كتاب الرياض الفردوسية في بيان الأحاديث القدسية فهل يحل لمسلم أن يقول لا يجوز مطالعة كتب
الشيخ محيي الدين مطلقا ما ذاك إلا كفر وتعصب وعناد * وممن أثنى عليه أيضا الشيخ كمال الدين الزملكاني
رحمه الله وكان من أجل علماء الشام وكذلك الشيخ قطب الدين الحموي وقيل له لما رجع من الشام الى بلاده
كيف وجدت الشيخ محيي الدين فقال وجدته في العلم والزهد والمعارف بحرا زاخرا لا ساحل له قال وقد أنشدني
الشيخ بلفظه من جملة أبيات

تركنا البحار الزاخرات وراءنا * فمن أين يدري الناس أين توجهنا

* وممن أثنى عليه الشيخ صلاح الدين الصفدي في تاريخ علماء مصر وقال من أراد أن ينظر الى كلام أهل
العلوم اللدنية فلينظر في كتب الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله * وسئل الحافظ أبو عبد الله الذهبي عن
قول الشيخ محيي الدين في كتابه الفصوص أنه ما صنفه إلا بإذن من الحضرة النبوية فقال الحافظ ما أظن أن
مثل هذا الشيخ محيي الدين يكذب أصلا مع أن الحافظ الذهبي كان من أشد المنكرين على الشيخ وعلى طائفته
الصوفية هو وابن تيمية * وممن أثنى عليه أيضا الشيخ قطب الدين الشيرازي وكان يقول ان الشيخ محيي الدين
كان كاملا في العلوم الشرعية والحقيقية ولا يقدح فيه إلا من لم يفهم كلامه ولم يؤمن به كما لا يقدح في كمال
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نسبتهم الى الجنون والسحر على لسان من لم يؤمن بهم * وكان الشيخ مؤيد
الدين الجندي يقول ما سمعنا بأحد من أهل الطريق اطلع على ما اطلع عليه الشيخ محيي الدين وكذلك كان
يقول الشيخ شهاب الدين السهروردي والشيخ كمال الدين الكاشي وقال فيه انه الكامل المحقق صاحب
الكمالات والكرامات مع أن هؤلاء الأشياخ كانوا من أشد الناس انكارا على من يخالف ظاهر الشريعة
* وممن أثنى عليه أيضا الشيخ فخر الدين الرازي وقال كان الشيخ محيي الدين وليا عظيما * وسئل الإمام
محيي الدين النووي عن الشيخ محيي الدين بن العربي فقال تلك أمة قد خلت ولكن الذي عندنا أنه يحرم
على كل عاقل أن يسيء الظن بأحد من أولياء الله عز وجل ويجب عليه أن يؤول أقوالهم وأفعالهم ما دام
لم يلحق بدرجتهم ولا يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق قال في شرح المهذب ثم إذا أول فليؤول كلامهم الى
سبعين وجها ولا نقبل عنه تأويلا واحدا ما ذاك إلا تعنت انتهى * وممن أثنى عليه أيضا الإمام ابن أسعد
اليافعي وصرح بولايته العظمى كما نقل ذلك عن شيخ الإسلام زكريا في شرح الروض وكان اليافعي يحب
رؤية كتب الشيخ محيي الدين ويقول ان تحكم انكار هؤلاء الجهلة على أهل الطريق [illegible]
على جبل يريد إزالته من مكانه بنفخته [illegible] ومن عادى أولياء الله فكأنما عادى الله [illegible]
التكفير الموجب للخلود في النار انتهى * وممن أثنى عليه أيضا شيخ مشايخنا [illegible] الشاذلي [illegible]
السيوطي وترجمه بأنه مربي العارفين كما كان الجنيد مربي المريدين وقال ان الشيخ محيي الدين [illegible]
التنزلات [illegible] الوجود [illegible] الشهود [illegible]
وأعلى في الوجود ذكرا انتهى * قلت وقد صنف الشيخ سراج الدين [illegible]
الدين وقال كيف [illegible] الانكار على [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] ومن استنباط [illegible] نظر
[illegible] * وقال في
الباب السابع اعلم أن
الانسان آخر جنس
موجود من العالم
الكبير وآخر صنف من
المتولدات قال وأنشأ الله
تعالى خلق المولدات من
الجمادات والنباتات
والحيوانات بعد انتهاء
خلق العالم الطبيعي بإحدى
وسبعين ألف سنة ثم خلق
الله تعالى الدنيا بعد أن
انتهى من مدة خلق العالم
الطبيعي بأربع وخمسين
ألف سنة ثم خلق الآخرة
أعني الجنة والنار بعد الدنيا
بتسعة آلاف سنة ولهذا
سميت آخرة لتأخر خلقها
عن خلق الدنيا هذه المدة
وسميت الدنيا الأولى لأنها
خلقت قبلها ولم يجعل الله
تعالى الجنة والنار أمدا
ينتهي اليه بقاؤهما وأهلهما
الدوام قال وخلق الله تعالى
طينة آدم بعد أن مضى من
عمر الدنيا سبع عشرة
ألف سنة ومن عمر الآخرة
التي لا نهاية لها في الدوام
ثمانية آلاف سنة وأطال
في ذلك * وقال في الباب
التاسع كان الجان في
الأرض قبل آدم بستين ألف
سنة [illegible]
الجن شيئا [illegible]
[illegible]

الشافعية وغيرهم منهم الشيخ بدر الدين بن جماعة وشاعت كتبه في الأمصار وقرئت مناثرها في غالب البلاد ورويناها بالقراءة الظاهرة في الجامع الأموي وغيره بالاسناد وتعالى الناس قد عاد حديثا في شرائها ونسخها وتبركوا بها وبزيارته لما كان عليه من الزهد والعلم ومحاسن الاخلاق * وكان أئمة عصره من علماء الشام ومكة كلهم يعتقدونه ويأخذون عنه ويعدون أنفسهم في بحر علمه كلا شيء وهل ينكر على الشيخ الا جاهل أو معاند * وقال الفيروزابادي رحمه الله بعد أن ذكر مناقب الشيخ محيي الدين ثم ان الشيخ محيي الدين كان مسكنه الشام وقد أخرج هذه العلوم بالشام ولم ينكر عليه أحد من علمائها * قال وقد كان قاضي القضاة الشيخ شمس الدين الخوئي الشافعي يخدمه خدمة العبيد وأما قاضي القضاة المالكي فهبت عليه نظرة من الشيخ فزوجه ابنته وترك القضاء وتبع طريقة الشيخ وأطال الفيروزابادي في ذكر مناقب الشيخ ثم قال وبالجملة فما أنكر على الشيخ الا بعض الفقهاء القشريين الذين لا حظ لهم في شرب المحققين وأما جمهور العلماء والصوفية فقد أقروا بأنه امام أهل التحقيق والتوحيد وانه في العلوم الظاهرة فريد وحيد * وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول ماوقع انكار من بعضهم على الشيخ الا رفقا بضعفاء الفقهاء الذين ليس لهم نصيب تام من أحوال الفقراء خوفا أن يفهموا من كلام الشيخ أمرا لا يوافق الشرع فيضلوا ولو أنهم صحبوا الفقراء لعرفوا اصطلاحهم وأمنوا من مخالفة الشريعة * قال شيخ الاسلام المخزومي وقد كان الشيخ محيي الدين بالشام وجميع علمائها تتردد اليه ويعترفون له بجلالة المقدار وانه أستاذ المحققين من غير انكار وقد أقام بين أظهرهم نحوا من ثلاثين سنة يكتبون مؤلفات الشيخ ويتداولونها بينهم انتهى * وقال الفيروزابادي قد كان الشيخ محيي الدين بحرا لا ساحل له ولما جاور بمكة شرفها الله تعالى كان البلد اذ ذاك مجمع العلماء والمحدثين وكان الشيخ هو المشار اليه بينهم في كل علم تكلموا فيه وكانوا كلهم يتسارعون الى مجلسه ويتبركون بالحضور بين يديه ويقرؤن عليه تصانيفه قال ومصنفاته بخزائن مكة الى الآن أصدق شاهد على ما قلناه وكان أكثر اشتغاله بمكة بسماع الحديث واسماعه وصنف فيها الفتوحات المكية كتبها من ظهر قلب جوابا لسؤال سأله عنه تلميذه بدر الحبشي ولما فرغ منها وضعها في سطح الكعبة المعظمة فأقامت فيه سنة ثم أنزلها فوجدها كما وضعها لم يبتل منها ورقة ولا لعبت بها الرياح مع كثرة أمطار مكة ورياحها وما أذن للناس في كتابتها وقراءتها الا بعد ذلك * قال وأما ما أشاعه بعض المنكرين عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وعن شيخنا الشيخ سراج الدين البلقيني انهما أمرا باحراق كتب الشيخ محيي الدين فكذب وزور ولو أنهما أحرقت لم يبق منها الآن بمصر والشام نسخة ولا كان أحد نسخها بعد كلام هذين الشيخين وحاشاهما من ذلك ولو أن ذلك وقع لم يخف لانه من الامور العظام التي تسير بها الركبان في الآفاق ولتعرض لها أصحاب التواريخ * وقال الشيخ سراج الدين المخزومي كان شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني وكذلك الشيخ تقي الدين السبكي ينكران على الشيخ في بداية أمرهما ثم رجعا عن ذلك حين تحققا كلامه وتأويل مراده وندما على تفريطهما في حقه في البداية وسلما له الحال فيما أشكل عليهما عند النهاية * فمن جملة ما ترجمه به الامام السبكي كان الشيخ محيي الدين آية من آيات الله تعالى وان الفضل في زمانه رمى بمقاليده اليه وقال لا أعرف الا اياه * ومن جملة ما قاله الشيخ سراج الدين البلقيني فيه حين سئل عنه اياكم والانكار على شيء من كلام الشيخ محيي الدين فانه رحمه الله لما خاض في بحار المعرفة وتحقيق الحقائق عبر في أواخر عمره في الفصوص والفتوحات والتنزلات الموصلة وفي غيرها بما لا يخفى على من هو في درجته من أهل الاشارات ثم انه جاء من بعده قوم عمي عن طريقه فغلطوه في ذلك بل كفروه بتلك العبارات ولم يكن عندهم معرفة باصطلاحه ولا سألوا من يسلك بهم الى ايضاحه وذلك ان كلام الشيخ رضي الله عنه مختصر ورموز وروابط واشارات وضوابط وحذف مضافات هي في علمه وعلم أمثاله معلومة وعند غيرهم من الجهال مجهولة ولو أنهم نظروا الى كلماته بدلائلها وتعليقاتها وعرفوا نتائجها ومقدماتها لنالوا الثمرات المرادة ولم يبادروا الى انتقادهم اعتقاده * قال ولقد كذبوا عليه وافترى

... [illegible] بالأثر الأول على الأهرام انها بنيت والنسر (٩) الطائر الأسد وهو الآن بالجدي بعيق على أيام الشيخ محيي الدين فاحسب ما بينهما تعرف تاريخ عمارتها انتهى ومعلوم ان النسر الطائر لا ينتقل من برج الى غيره الا بعد مضي ثلاثين ألف سنة قال الشيخ عبد الكريم الجيلي وهو اليوم في الدلو فقد قطع نحو عشرة أبراج ولا يتأتى ذلك الا بعد ثلثمائة ألف سنة انتهى (قلت) وسيأتي في الباب التسعين والثلثمائة قول الشيخ ولقد ذكر لنا في التاريخ المتقدم ان تاريخ اهرام مصر بنيت والنسر في الاسد وهو اليوم عندنا في الجدي فاعمل حساب ذلك تقرب ممن علم تاريخ الاهرام فلم يدر بانيها ولم يدر أمرها على أن بانيها من الناس بالقطع فاذا كان هذا عمر الاهرام فكيف أنت يا أخي بعمر الدنيا والله أعلم * وقال في الباب الثالث عشر لم يتقدم خلق العرش من الملائكة أحد سوى الملائكة المهيمين في جلال الله تعالى وبعدهم القلم الاعلى فالملائكة المهيمون أول مظهر ظهر في العماء والقلم أول ملائكة التدوين والتسطير وأطال في ذكر المخلوقات الاول على الترتيب * وقال في الباب الرابع عشر جملة الاقطاب المكملين في الامم السابقة من عهد آدم عليه السلام الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرون قطبا أشهدنيهم الحق تعالى في مشهد أقدس في

تحضرة برزخية وأنا بعد ينتقر طبقة وهم المفرق ومداوى الكلوم والبكاء والمرتفع والشقا والماحق والعاقب والمفوز وشجر

من نسبه الى القول بالحلول والاتحاد ولم أزل أتتبع كلامه فى العقائد وغيرها وأكثر من النظر فى اسرار كلامه ورو ابطه حتى تحققت بمعرفة ماهو عليه من الحق ووافقت الجم الغفير المعتقدين له من الخلق وحمدت الله عز وجل اذلم أكتب فى ديوان الغافلين عن مقامه الجاحدين لكراماته وأحواله انتهى كلام الشيخ سراج الدين البلقيني قال تلميذه شيخ الاسلام المخزومى رحمه الله تعالى ولما وردت القاهرة عام توفى شيخنا سراج الدين البلقينى وذلك فى عام أربع وثمانمائة ذكرت له ما سمعت من بعض أهل الشام فى حق الشيخ محيي الدين من أنه يقول بالحلول والاتحاد فقال الشيخ معاذ الله وحاشاه من ذلك انما هو من أعظم الائمة وممن سبح فى بحار علوم الكتاب والسنة وله اليد العظيمة عند الله وعند القوم وقدم صدق عنده * قال المخزومى فقوى بذلك نفسى وكثر اعتقادى فى الشيخ من تلك الساعة وعلمت انه من رؤس أهل السنة والجماعة قال المخزومى ولقد بلغنا ان الشيخ تقى الدين السبكى تكلم فى شرحه للمنهاج فى حق الشيخ محيي الدين بكلمة ثم استغفر بعد ذلك وضرب عليها فان وجدها فى بعض النسخ فليضرب عليها كما هو فى نسخة المؤلف قال مع ان السبكى قد صنف كتابا فى الرد على المجسمة والرافضة وكتب الاجوبة العلية فى الرد على ابن تيمية ولم يصنف قط شيأ فى الرد على الشيخ محيي الدين مع شهرة كلامه بالشام وقراءة كتبه فى الجامع الاموى وغيره بل كان يقول ليس الرد على الصوفية مذهبي لعلو مراتبهم * وكذلك كان يقول الشيخ تاج الدين الفركاح وأطال المخزومى فى الثناء على الشيخ محيي الدين * ثم قال فمن نقل عن الشيخ تقى الدين السبكى أو عن الشيخ سراج الدين البلقينى أنهما بقيا على انكارهما على الشيخ محيي الدين الى ان ماتا فهو مخطئ انتهى * قال ولما بلغ شيخنا السراج البلقينى ان الشيخ بدر الدين السبكى شيخ الاسلام بالشام رد على الشيخ فى موضعين من كتاب الفصوص أرسل له كتابا من جملته يا قاضى القضاة الحذر ثم الحذر من الانكار على أولياء الله وان كنت ولا بد رادا فرد كلام من رد على الشيخ والا فدع * وسئل العماد بن كثير رحمه الله عمن يخطئ الشيخ محيي الدين فقال أخشى أن يكون من يخطؤه هو المخطئ وقد أنكر قوم عليه فوقعوا فى المهالك * وكذلك سئل الشيخ بدر الدين بن جماعة عن الشيخ محيي الدين فقال مالكم ولرجل قد أجمع الناس على جلالته انتهى قال شيخ الاسلام المخزومى وأما ما نقله بعضهم عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه كان يقول ابن عربى زنديق فكذب وزور فقد روينا عن الشيخ صلاح الدين القلانسى صاحب الفوائد عن جماعة من مشايخه عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال كنا فى درس الشيخ عز الدين فى باب الردة فذكر القارئ لفظة الزنديق فقال بعضهم هذه اللفظة عربية أو عجمية فقال بعض العلماء فارسية معربة أصلها زن دين وهو الذى يضمر الكفر ويظهر الايمان فقال شخص من الطلبة مثل من فقال شخص بجانب الشيخ عز الدين بن عبد السلام مثل محيي الدين بن العربى ولم ينطق الشيخ عز الدين بشئ قال الخادم فلما قدمت له عشاءه وكان صائما سألته عن القطب من هو فقال لا أرى القطب فى زماننا هذا الا الشيخ محيي الدين بن العربى وهو متبسم فأطرقت مليا متحيرا فقال مالك فقلت ذلك مجلس الفقهاء ما وسعنى فيه غير السكوت قال المخزومى فهذا هو الذى رويناه عن الشيخ عز الدين بالسند الصحيح انتهى ذكر ذلك كله الشيخ المخزومى فى كتابه المسمى بكشف الغطاء عن أسرار كلام الشيخ محيي الدين *(قلت)* وقد صنف شيخنا الجلال السيوطى كتابا فى الرد عن الشيخ محيي الدين سماه تنبيه الغبي فى تبرئة ابن العربى وكتابا آخر سماه قمع المعارض فى نصرة ابن الفارض لما وقعت فتنة الشيخ برهان الدين البقاعى بمصر فراجعهما

(الفصل الثانى) فى تأويل كلمات أضيفت الى الشيخ محيي الدين وذكر جماعة ابتلوا بالانكار عليهم ليكون للشيخ اسوة بهم * اعلم رحمك الله انه لا يجوز الانكار على القوم الا بعد معرفة مصطلحهم فى ألفاظهم ثم اذا رأينا بعد ذلك كلامهم يخالف الشريعة رميناه به وقال الشيخ مجد الدين الفيروزابادى صاحب كتاب القاموس فى اللغة لا يجوز لأحد أن ينكر على القوم ببادى الرأى لعلو مراتبهم فى الفهم والكشف قال ولم يبلغنا عن أحد منهم انه أمر بشئ يهدم الدين ولا نهى أحدا عن الوضوء ولا عن الصلاة ولا غيرهما من فروض.

الماء وعنصر الحياة والشريد والراجع والصائغ والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحى والرائى والواسع والبحر والملصق والهادى والمصلح والباقى انتهى قال وأما القطب الواحد فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم الممد لجميع الانبياء والرسل والاقطاب من حين النشء الانسانى الى يوم القيامة والله أعلم * وقال فان الوحى المتضمن للتشريع قد أغلق بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا كان عيسى عليه السلام اذا نزل يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون وحى جديد فعلم أنه ما بقى للاولياء الا وحى الالهام على لسان ملك مغيب لا يشاهد فيعلمهم بصحة حديث قيل بتضعيفه أو عكسه من طريق الالهام من غير شهود للملك اذ لا يجمع بين شهود الملك وسماع خطابه الا الانبياء وأما الولى فان سمع صوتا لا يرى صاحبه وان رأى الملك لا يسمع له كلاما اذ لا تشريع فوحى الاولياء فافهم وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثانى والعشرين والله أعلم * وقال فى الباب الخامس عشر الابدال السبعة للاقاليم السبعة انما هم مستمدون من روحانية الانبياء الكائنين فى السموات وهم ابراهيم الخليل يليه موسى يليه هرون يليه ادريس يليه يوسف يليه عيسى يليه آدم عليهم

الاسلام ومعصيانه انما يتكلمون بكلام يدق عن الافهام وكان يقول قد يبلغ القوم في المقامات ودرجات العلوم الى المقامات المجهولة والعلوم المجهولة التي لم يصرح بها في كتاب ولا سنة ولكن أكابر العلماء العاملين قد يردون ذلك الى الكتاب والسنة بطريق دقيق لحسن استنباطهم وحسن ظنهم بالصالحين ولكن ما كل أحد يتربص اذا سمع كلاما لا يفهم بل يبادر الى الانكار على صاحبه وخلق الانسان عجولا قال وناهيك بأبي العباس بن سريج في العلم والفهم تذكر مرة ثم حضر مجلس أبي القاسم الجنيد ليسمع منه شيأ مما يشاع عن الصوفية فلما انصرف قالوا له ماوجدت قال لم أفهم من كلامهم شيأ الا ان صولة الكلام ليست بصولة مبطل انتهى وكان شيخ الاسلام مجد الدين الفيروزابادي يقول كما أعطى الله تعالى الكرامات للاولياء التي هي فرع المعجزات فلا بدع أن يعطيهم من العبارات ما يعجز عن فهمه فحول العلماء * وكان شيخ الاسلام المخزومي يقول لا يجوز لاحد من العلماء الانكار على الصوفية الا ان يسلك طريقهم ويرى أفعالهم وأقوالهم مخالفة للكتاب والسنة وأما الاشاعة عنهم فلا يجوز الانكار عليهم ولا سيما وأطال في ذلك ثم قال وبالجملة فأقل ما يحق على المنكر حتى يسوغ له الهم بالانكار ان يعرف سبعين أمرا ثم بعد ذلك يسوغ له الانكار منها خوضه في معرفة معجزات الرسل على اختلاف طبقاتهم وكرامات الاولياء على اختلاف طبقاتهم ويؤمن بها ويعتقد أن الاولياء يرثون الانبياء في جميع معجزاتهم الا ما استثنى ومنها اطلاعه على كتب التفسير والتأويل وشرائطه ويتبحر في معرفة لغات العرب في مجازاتها واستعاراتها حتى يبلغ الغاية ومنها كثرة الاطلاع على مقامات السلف والخلف في معنى آيات الصفات وأخبارها ومن أخذ بالظاهر ومن أول ومن دليله أرجح من الآخر ومنها تبحره في علم الاصوليين ومعرفة منازع أئمة الكلام ومنها وهو أهمها معرفة اصطلاح القوم فيما عبروا عنه من التجلي الذاتي والصوري وما هو ابدات وذات الذات ومعرفة حضرات الاسماء والصفات والفرق بين الحضرات وبين الاحدية والوحدانية والواحدية ومعرفة الظهور والبطون والازل والابد وعالم الغيب والكون والشهادة والشؤن وعلم الماهية والهوية والسكر والمحبة ومن هو الصادق في السكر حتى يسامح ومن هو الكاذب حتى يؤاخذ وغير ذلك فمن لم يعرف مرادهم كيف يحل كلامهم أو ينكر عليهم بما ليس من مرادهم انتهى وقد شرح الحافظ ابن حجر بعض أبيات من تائية ابن الفارض رضي الله عنه وقدمها الى سيدي الشيخ مدين ليكتب له عليها اجازة فكتب له على ظاهرها ما أحسن ما قال بعضهم

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

ثم أرسلها الى الحافظ فتنبه لامر كان عنه غافلا ثم أذعن لاهل الطريق وصحب سيدي مدين الى أن مات * وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول مما يدلك على أن أهل الطريق قعدوا على قواعد الشريعة دون غيرهم ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع شيء من ذلك على يد أحد ولو بلغ في العلم ما بلغ الا ان سلك طريقهم انتهى * وكان الشيخ مجد الدين الفيروزابادي يقول لا ينبغي لاحد من أهل الفكر والنظر الاعتراض على أهل العطايا والمنح فان علوم هؤلاء فرع علوم أهل النظر * وكان الشيخ محيي الدين من أكابر أهل العطايا الذين كشف لهم الحق عن جمال وجهه الباقي فتلألأت سبحاته بالانوار الساطعة الى يوم التلاقي ومن تعرض لتخطئته مثله أو تكفيره فانما هو لجهله وحرمانه أو لعدم فهمه وضعف ايمانه وعدم مبالاته بفوات لسانه انتهى وقد نقل الامام الغزالي في الباب الثامن من كتاب العلم من الاحياء عن بعض العارفين أنه كان يقول من لم يكن له نصيب من علم القوم يخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق والتسليم لاهله كما أن من لم يتغافل في علم الشريعة يخاف عليه الزيغ اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق مما أنكره المتعصبون على الشيخ بحسب الاشاعة قولهم ان الشيخ محيي الدين يقول بفساد قول لا اله الا الله وذلك كفر والجواب بتقدير صحة ذلك عنه ان المراد أن الحق تعالى ثابت في ألوهيته قبل اثبات المثبت ومن كان ثابتا لا يحتاج الى اثبات اذ ما ثم من تثبت ألوهيته من الخلق حتى ينفي وانما تعبد المؤمن بذلك على سبيل التلاوة ليأجره الله على ذلك وحاشى الشيخ أن يصرح بفساد قول لا اله الا الله هذا لا يقوله عاقل لان ما

الصلاة والسلام قال وأما يحيى فله تردد بين عيسى وهرون فقد كل بدل يتنزل من حقيقة نبي من هؤلاء الانبياء وكذلك تتنزل العلوم عليهم في أيام الاسبوع لكل يوم علم يتنزل من رقائق نبي من هؤلاء * وقال في الباب السادس عشر ما دخل التلبيس على السوفسطائية الا من تشكيك ابليس لهم في الحواس وادخال الغلط عليهم فيها وهي التي يستند اليها أهل النظر في صحة أدلتهم فلما أظهر لهم ابليس الغلط في ذلك قالوا ما ثم علم أصلا يوثق به فان قيل لهم فهذا علم بانه ما ثم علم فما مستندكم وأنتم غير قائلين به قالوا وكذلك نقول ان قولنا هذا ليس بعلم هو من جملة الاغاليط قال الشيخ رحمه الله تعالى وهذا من جملة ما أدخل عليهم ابليس من الشبه وأما نحن فقد حفظنا الله من ذلك فلم نجعل للحس غلطا جملة واحدة وانما الحاكم على الحس هو الذي يغلط كصاحب المرة الصفراء يجد طعم العسل مرا وليس هو بمر في نفسه بدليل ذوق غيره العسل ووجد انه الحلاوة ولو أن صاحب المرة صاب لعرف العلة فلم يحكم على السكر بالمرارة وعرف ان الحس الذي هو الشاهد مصيب على كل حال وأن القاضي على الحس يخطئ ويصيب وذكر الشيخ ذلك أيضا في الباب الرابع والثلاثين فراجعه * وقال في قوله تعالى ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم انما لم يذكر العلو والسفل لان هذه الجهات الاربع المذكورة

من القرآن العظيم فافهم * ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول في كتبه ما ثم الا موجود الا الله * فالجواب ان معنى ذلك بتقدير صحته عنه انه لا موجود قائم بنفسه الا هو تعالى وما سواه قائم بغيره كما أشار اليه حديث * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * ومن كانت حقيقته كذلك فهو الى العدم أقرب اذ هو وجود مسبوق بعدم وفي حال وجوده متردد بين وجود وعدم لا تخلص لاحد الطرفين فان صح ان الشيخ قال لا موجود الا الله فانما قال ذلك عندما تلاشت عنده الكائنات حين شهوده الحق تعالى بقلبه كما قال أبو القاسم الجنيد من شهد الحق لم ير الخلق انتهى * ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ رحمه الله يجعل الحق والخلق واحدا في قوله في بعض نظمه فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده والجواب بتقدير صحة ذلك عنه ان معنى يحمدني انه يشكرني اذا أطعته كما في قوله تعالى اذكروني أذكركم وأما في قوله فيعبدني وأعبده أي يطيعني باجابته دعائي كما قال تعالى لا تعبدوا الشيطان أي لا تطيعوه والا فليس أحد يعبد الشيطان كما يعبد الله فافهم * وقد ذكر الشيخ في الباب السابع والخمسين وخمسمائة من الفتوحات المكية بعد كلام طويل ما نصه وهذا يدلك صريحا على ان العالم ما هو عين الحق تعالى اذ لو كان عين الحق تعالى ما صح كون الحق تعالى بديعا انتهى * ومن دعوى المنكر أن الشيخ يقول بقبول ايمان فرعون وذلك كذب وافتراء على الشيخ فقد صرح الشيخ في الباب الثاني والستين من الفتوحات بان فرعون من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين والفتوحات من أواخر مؤلفاته فانه فرغ منها قبل موته بنحو ثلاث سنين * قال شيخ الاسلام الخالدي رحمه الله والشيخ محيي الدين بتقدير صدور ذلك عنه لم ينفرد به بل ذهب جمع كثير من السلف الى قبول ايمانه لما حكى الله عنه أنه قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين وكان ذلك آخر عهده بالدنيا وقال أبو بكر الباقلاني قبول ايمانه هو الاقوى من حيث الاستدلال ولم يرد لنا نص صريح أنه مات على كفره انتهى ودليل جمهور السلف والخلف على كفره أنه آمن عند اليأس وايمان أهل اليأس لا يقبل والله أعلم * ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ رحمه الله يقول بجواز اباحة المكث للجنب في المسجد فان صح ذلك عن الشيخ فهو موافق فيه لمولانا عبد الله بن عباس والامام أحمد بن حنبل وهو مذهب الامام المزني وجماعة من التابعين والفقهاء فقول المنكر ان الشيخ محيي الدين خالف في ذلك الشريعة وأقوال الائمة مردود * ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول الولي أفضل من الرسول * والجواب أن الشيخ لم يقل ذلك وانما قال اختلف الناس في رسالة النبي وولايته أيهما أفضل والذي أقول به ان ولايته أفضل لشرف المتعلق ودوامها في الدنيا والآخرة بخلاف الرسالة فانها تتعلق بالخلق وتنقضي بانقضاء التكليف انتهى ووافقه على ذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام فالكلام في رسالة النبي مع ولايته لا في رسالته ونبوته مع ولاية غيره فافهم وبقي مسائل كثيرة نسبت للشيخ وسيأتي بيان انها افتراء وكذب على الشيخ منثورة في مباحثها ان شاء الله تعالى وفي المثل السائر * وبها المداري في طريق المخالف * والله أعلم وقد قال تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون * وقد نقل الجلال السيوطي رحمه الله في كتابه التحدث بالنعمة ما صورته ومما أنعم الله به على ان أقام لي عدوا يؤذيني ويمزق في عرضي ليكون لي اسوة بالانبياء والاولياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء ثم العلماء ثم الصالحون رواه الحاكم في مستدركه وأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام لا يفقدني حرمته الا في بلده * وروى البيهقي ان كعب الاحبار قال لابي موسى الخولاني كيف تجد قومك قال مكرمين مطيعين قال ما صدقتني التوراة اذن وايم الله ما كان رجل حليم في قوم قط الا بغوا عليه وحسدوه وأخرج ابن عساكر مرفوعا أزهد الناس في الانبياء وأشدهم عليهم الاقربون وذلك فيما أنزل الله عز وجل وأنذر عشيرتك الاقربين وكان أبو الدرداء يقول أزهد الناس في العالم أهله وجيرانه ان كان في حسبه شيء عيروه وان كان عمل في عمره ذنبا عيروه انتهى قال الجلال السيوطي رحمه الله واعلم انه ما كان كبير في عصر قط الا كان له عدو من السفلة اذ الاشراف لم تزل تبتلى بالاطراف فكان لآدم عليه السلام ابليس وكان لنوح حام وغيره وكان

هي التي يأتي الشيطان منها الى الانسان فان جاءك من بين يديك فاطرده بالكشف والبرهان ... خلفك فاطرده بالصدق وترك الشهوات وان جاءك من يمينك الذي هو الجهة الموصوفة بالقوة ليضعف يقينك وايمانك بالقاء الشبه في أدلتك فكن موسوي المقام وتذكر قصته مع السحرة حتى آمنوا وان جاءك من جهة الشمال فاطرده بدلائل التوحيد وعلم النظر فان الخلف للمعطلة أو المشركين كما ان اليمين للضعف والامام للتشكيك في الحواس ومن هنا دخل اللبس على السوفسطائية كما مر وسيأتي بسطه قريبا * وقال في الباب السابع عشر ليس في نظر الله تعالى الا وجود زمان لا ماض ولا مستقبل بل الامور كلها معلومة له متعددة في مراتبها بتعداد صورها فيها ومراتبها لا توصف بالتناهي ولا بالحصر هكذا ادراك الحق العالم وجميع الممكنات في حال عدمها ووجودها فتنوعت الاحوال في خيالها الا في علمها فاستفادت من كشفها ذلك علما لم يكن عنده الا انه لم تكن عليها فانما أوجد الله الاعيان الالهية لانها لا تتهيأ على حالتها بأماكنها وأزمانها في العلم الالهي وأما الاعيان فيكشف لها من أحوالها شيأ فشيأ على التوالي والتتابع الى ما لا يتناهى قال فتحقق بهذه المسئلة فان قليلا من عثر عليها ... انها اشتملة تيسير القدرة وقال في الباب الثامن عشر لا يعنى ... الى آخره

المجتهد ونحوهما الثابتة على أصحابه كل ليلة الأمر كانت بغير اذنه كلمة … فان كانت بغير الأشياء فهي كلمة

لما ودخلوا بيت واضربه وكانت له بما ت مصر وكان لعيسى في حياته الاولى بختنصر وفي الثانية الهيطال وكان لابراهيم النمرود وكان لموسى فرعون وهكذا الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان له أبو جهل وكان لابن عمر عدو يهتشه كلما مر عليه ونسبوا عبد الله بن الزبير الى الرياء والنفاق في صلاته نصبوا على رأسه ماء حميما فزلع وجهه ورأسه وهو لا يشعر فلما سلم من صلاته قال ما شأني فذكروا له القصة فقال حسبنا الله ونعم الوكيل ومكث زمانا يتألم من رأسه ووجهه وكان لابن عباس رضي الله عنهما نافع بن الازرق كان يؤذيه أشد الاذى ويقول انه يفسر القرآن بغير علم وكان لسعد بن أبي وقاص جهلة من جهال الكوفة يؤذونه مع أنه مشهود له بالجنة وشكوه الى عمر بن الخطاب وقالوا انه لا يحسن ان يصلي * وأما الائمة المجتهدون فلا يخفى ما قاساه الامام أبو حنيفة مع الخلفاء وما قاساه الامام مالك واستخفاؤه خمسا وعشرين سنة لا يخرج لجمعة ولا جماعة وكذلك ما قاساه الامام الشافعي من أهل العراق ومن أهل مصر وكذلك لا يخفى ما قاساه الامام أحمد بن حنبل من الضرب والحبس وما قاساه البخاري حين أخرجوه من بخارى الى خرتنك وقد نقل الثقات منهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي وأحمد بن خلكان والشيخ عبد الغفار القوصي وغيرهم انهم نفوا أبا يزيد البسطامي سبع مرات من بسطام بواسطة جماعة من علمائها وشيعوا ذا النون المصري من مصر الى بغداد مقيدا مغلولا وسافر معه أهل مصر يشهدون عليه بالزندقة ورموا سمنون المحب أحد رجال القشيري بالعظائم وأرشوا امرأة من البغايا فادعت عليه انه يأتيها هو وأصحابه واختفى بسبب ذلك سنة وأخرجوا سهل بن عبد الله التستري من بلده الى البصرة ونسبوه الى قبائح وكفروه مع امامته وجلالته ولم يزل بالبصرة الى ان مات بها ورموا أبا سعيد الخراز بالعظائم وأفتى العلماء بكفره بألفاظ وجدوها في كتبه وشهدوا على الجنيد بالكفر مرارا حين كان يتكلم في علم التوحيد على رؤس الاشهاد فصار يقرره في قعر بيته الى ان مات وكان من أشد المنكرين عليه وعلى رويم وعلى سمنون وعلى ابن عطاء ومشايخ العراق ابن دانيال كان يحط عليهم أشد الحط وكان اذا سمع أحدا يذكرهم تغيظ وتغير لونه وأخرجوا محمد بن الفضل البلخي من بلخ لكون مذهبه كان مذهب أهل الحديث من اجراء آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها بلا تأويل والايمان بها على علم الله فيها ولما أرادوا اخراجه قال لا أخرج الا ان جعلتم في عنقي حبلا ومررتم بي في أسواق البلد وقلتم هذا مبتدع نريد أن نخرجه من بلدنا ففعلوا ذلك وأخرجوه فالتفت اليهم وقال يا أهل بلخ نزع الله من قلوبكم معرفته قال الاشياخ فلم يخرج بعد دعوته عليهم تلك من بلخ صوفي أبدا مع انها كانت أكثر بلاد الله صوفية وأخرجوا الامام يوسف ابن الحسين الرازي وقام عليه زهاد الري وصوفيوها وأخرجوا أبا عثمان المغربي من مكة مع كثرة مجاهدته وتمام علمه وحاله وضربوه ضربا مبرحا وطافوا به على جمل فأقام ببغداد الى ان مات بها وشهدوا على الشبلي بالكفر مرارا مع تمام علمه وكثرة مجاهداته وأدخله أصحابه البيمارستان ليرجع الناس عنه مدة طويلة وأخرجوا الامام أبا بكر النابلسي ٣ مع فضله وكثرة علمه واستقامته في طريقه من الغرب الى مصر وشهدوا عليه بالزندقة عند سلطان مصر فأمر بسلخه منكوسا فصار يقرأ القرآن وهم يسلخونه بتدبر وخشوع حتى قطع قلوب الناس وكادوا ان يفتتنوا به وكذلك سلخوا التسيمي بحلب وعملوا له حيلة حين كان يقطعهم بالحجج وذلك أنهم كتبوا سورة الاخلاص وأرشوا من يخيط النعال وقالوا هذه ورقة مجربة وقبول فضعها النافي أطباق النعل ثم أخذوا ذلك النعل وأهدوه للشيخ من طريق بعيد فلبسه وهو لا يشعر ثم طلعوا الى السلطان وقالوا له بلغنا من طريق صحيحة أن التسيمي كتب قل هو الله أحد وجعلها في طباق نعله وان لم تصدقنا فأرسل وراءه وانظر ذلك النعل فاستخرجوا الورقة فسلم الشيخ لله تعالى ولم يجب عن نفسه وعلم أنه لا بد أن يقتل على تلك الصورة وأخبرني بعض تلامذة تلامذته انه صار ينشد موشحات في التوحيد وهم يسلخونه حتى عمل خمسمائة بيت وكان ينظر الى الذي يسلخه ويتبسم ورموا الشيخ أبا مدين بالزندقة وأخرجوه من بجاية الى تلمسان فمات بها وكذلك أخرجوا الشيخ أبا الحسن الشاذلي من الغرب الى مصر وشهدوا عليه بالزندقة ونجاه الله من كيدهم ورموا الشيخ عز الدين بن عبد السلام بالكفر وعقدوا له مجلسا في كلمة قالها في عقيدته وحرشوا السلطان عليه

فان كانت بغير الأشياء فهي كلمة من نوافله فان استغرقت الفرائض النوافل لم يبق للمتهجد نافلة وليس هو بمتهجد فاعلم ذلك * وقال في الباب العشرين حظ أهل النار من النعيم عدم توقع العذاب وحظهم من العذاب في حال عدم توقعه فلا أمان لهم بطريق الاخبار من الله تعالى بقوله لا يفتر عنهم وأطال في ذلك * وقال في الباب الثاني والعشرين في قوله وكل شيء أحصيناه في امام مبين اعلم أن قوله أحصيناه يدل على انه تعالى ما أودع فيه الا علوما متناهية مع كونها خارجة عن الحصر لنا قال وقد سألت بعض العلماء بالله تعالى هل يصح لاحد حصر أمهات هذه العلوم فقال نعم هي مائة ألف نوع وتسعة وعشرون ألف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوي على علوم لا يعلمها الا الله تعالى * وقال في الباب الرابع والعشرين أول من اصطلح على تسمية سؤال العبد ربه دعاء لا أمرا محمد بن علي الترمذي الحكيم رضي الله تعالى عنه وكان من الاوتاد وما سمعنا بهذا الاصطلاح عن أحد سواه وهو أدب عظيم وان كان هو في الحقيقة أمرا الا ان الحد شمله فليتأمل * وقال في الباب الخامس والعشرين كنت لا أقول

ذلك من الزندقة التي يقول بها الصوفية حتى ابتهامن يد الخضر عليه السلام فجاء بابها الكعبة (قلت) ذكر الحافظ ابن حجر أن حديث لبس

ثم حصل له اللطف ذكره ابن أيمن في رسالته ورموا الشيخ تاج الدين السبكي بالكفر وشهدوا عليه انه يقول باباحة الخمر واللواط وأنه يلبس في الليل الغيار والزنار وأتوا به مغلولا مقيدا من الشام الى مصر وخرج الشيخ جمال الدين الاسنوي فتلقاه من الطريق وحكم بحقن دمه وأنكروا على سيدي ابراهيم الجعبري وسيدي حسين الجاكي ومنعوهما أن يجلسا على كرسي الوعظ وغير ذلك مما ذكرناه في مقدمة كتاب الطبقات وانما ذكرنا لك يا أخي محن هذه الائمة من المتقدمين والمتأخرين تأنيسا لك لتقبل على مطالعة كتب الصوفية لاسيما الشيخ محيي الدين لان هؤلاء الائمة ثناؤهم عندنا كالمسك الاذفر فكما لا يقدح في كمالهم ما قيل فيهم كذلك لا يقدح ما قيل في كمال الشيخ محيي الدين والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الثالث) في بيان اقامة العذر لاهل الطريق في تكلمهم في العبارات المغلقة على غيرهم رضي الله عنهم * اعلم رحمك الله ان أصل دليل القوم في رمزهم الامور ما روي في بعض الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لابي بكر الصديق أتدري يوم يوم فقال أبو بكر نعم يا رسول الله لقد سألتني عن يوم المقادير * وروي أيضا أنه قال له يوما يا أبا بكر أتدري ما أريد أن أقول فقال نعم هو ذاك هو ذاك حكاه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في بعض كتبه وذكر الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والخمسين من الفتوحات ما نصه اعلم ان أهل الله لم يضعوا الاشارات التي اصطلحوا عليها فيما بينهم لانفسهم فانهم يعلمون الحق الصريح في ذلك وانما وضعوها منعا للدخيل بينهم حتى لا يعرف ما هم فيه شفقة عليه أن يسمع شيأ لم يصل اليه فينكره على أهل الله فيعاقب على حرمانه فلا يناله بعد ذلك أبدا قال ومن أعجب الاشياء في هذه الطريق بل لا يوجد الا فيها انه ما من طائفة تحمل علما من المنطقيين والنحاة وأهل الهندسة والحساب والمتكلمين والفلاسفة الا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم الا بتوقيف منهم لا بد من ذلك الا أهل هذه الطريق خاصة فان المريد الصادق اذا دخل طريقهم وما عنده خبر بما اصطلحوا عليه وجلس معهم وسمع منهم ما يتكلمون به من الاشارات فهم جميع ما تكلموا به حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح ويشاركهم في الخوض في ذلك العلم ولا يستغرب هو ذلك من نفسه بل يجد علم ذلك ضروريا لا يقدر على دفعه فكأنه ما زال يعلمه ولا يدري كيف حصل له ذلك هذا شأن المريد الصادق وأما الكاذب فلا يعرف ذلك الا بتوقيف ولا يسمح له قبل اخلاصه في الارادة وطلبه لها أحد من القوم ولم يزل علماء الظاهر في كل عصر يتوقفون في فهم كلام القوم وناهيك بالامام أحمد بن سريج حضر يوما مجلس الجنيد فقيل له ما فهمت من كلامه فقال لا أدري ما يقول ولكن أجد لكلامه صولة في القلب ظاهرة تدل على عمل في الباطن واخلاص في الضمير وليس كلامه كلام مبطل انتهى ثم ان القوم لا يتكلمون بالاشارة الا عند حضور من ليس منهم أو في تأليفهم لا غير ثم قال ولا يخفى ان أصل الانكار من الاعداء المبطلين انما ينشأ من الحسد ولو ان أولئك المنكرين تركوا الحسد وسلكوا طريق أهل الله لم يظهر منهم انكار ولا حسد وازدادوا علما الى علمهم ولكن هكذا كان الامر فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وأطال في ذلك ثم قال وأشد الناس عداوة لاصحاب علوم الوهب الالهي في كل زمان أهل الجدال بلا أدب فهم لهم من أشد المنكرين ولما علم العارفون ذلك عدلوا الى الاشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الافك والالحاد الى الاشارة فلكل آية أو حديث عندهم وجهان وجه يرونه في نفوسهم ووجه يرونه فيما خرج عنهم قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم فيسمون ما يرونه في نفوسهم اشارة ليأنس المنكرون عليهم ولا يقولوا ان ذلك تفسير لتلك الآية أو الحديث وقاية لشرهم ورميهم لهم بالكفر جهلا من الرامين معرفتهم مواقع خطاب الحق تعالى واقتدوا في ذلك بسنن من قبلهم وان الله تعالى كان قادرا أن ينص ما تأوله أهل الله وغيرهم في كتابه كآيات المتشابهات والحروف أوائل السور ومع ذلك فما فعل بل أدرج في تلك الكلمات الالهية والحروف علوما اختصاصية لا يعلمها الا عباده الخاص ولو ان المنكرين كانوا ينصفون لاعتبروا في نفوسهم اذا رأوا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم فيرون انهم يتفاضلون في ذلك ويعلوا بعضهم على بعض في الكلام والفهم في معنى تلك الآية ويقر القاصر منهم بفضل غير القاصر عليه

أوضحت ذلك في مختصر الفتوحات والله أعلم * وقال في الباب السابع والعشرين انما أمر انطر فتمتصل ور وانه ثقات كما صلى الله عليه وسلم بلباس النعلين في الصلاة حين نزل قوله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكان في ذلك تنبيه لهم على أن المصلي من شأنه أن يكون ماشيا في صلاته بمناجاته ربه في الآيات التي يقرؤها فان لكل آية منزلا ينزله القارئ والقاعد لا يلبس النعلين قال وانما أمر موسى عليه السلام بخلع النعلين لان الله تعالى كلمه بلا واسطة بخلاف المصلي مناجاته في حجاب عن دخول الحضرة التي دخل اليها موسى عليه السلام فلو صلح له دخولها الامر كذلك بخلع النعلين فان حكم من دخل حضرة الملك وانتهى غير مخلع نعليه أدبا فبانت رتبة المصلي بالنعلين وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي والثلاثين في قوله تعالى حكاية عن الخضر عليه السلام فاردنا أن يبدلهما ربهما بنون الجمع انما قال أردنا لان تحت هذا اللفظ أمرين أمر الى الخير وأمر الى غيره في نظر موسى عليه السلام وفي مستقر العادة فما كان من خير في هذا الفعل فهو لله تعالى من حيث ضمير النون وما كان من نكر في ظاهر الامر في نظر موسى ذلك الوقت كان للخضر من حيث ضمير النون فعلم أن نون الجمع فهاهنا وجهان لما فيها من الجمع وجه الى الخير به أضاف الامر الى الله و وجه الى العبد به أضاف

وكلهم فى مجرى واحد ومع هذا التفاضل المشهور فيما بينهم ينكرون على أهل الله تعالى اذا جاؤا بشئ يغمض عن ادراكهم قال وكل ذلك لكونهم لا يعتقدون فى أهل الله تعالى انهم يعلمون الشريعة وانما ينسبونهم الى الجهل والعامية لاسيما ان لم يقرؤا على أحد من علماء الظاهر وكثيرا ما يقولون من أين أتى هؤلاء العلم لاعتقادهم ان أحدا لا ينال علما الا على يد معلم وصدقوا فى ذلك فان القوم لما علموا لو ما علموا أعطاهم الله تعالى علما من لدنه باعلام ربانى أنزله فى قلوبهم مطابقة لما جاءت به الشريعة لا يخرج عنها ذرة قال تعالى خلق الانسان علمه البيان وقال علم الانسان مالم يعلم وقال فى عبده الخضر وعلمناه من لدنا علما فصدق المنكرون فيما قالوا ان العلم لا يكون الا بواسطة معلم وأخطؤا فى اعتقادهم ان الله تعالى لا يعلم من ليس بنبى ولا رسول قال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء والحكمة هى العلم وجاء بمن وهى نكرة ولكن هؤلاء المنكرون لما تركوا الزهد فى الدنيا وآثروها على الآخرة وعلى ما يقرب الى الله تعالى وتعودوا أخذ العلم من الكتب ومن أفواه الرجال حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن لله عبادا تولى تعليمهم فى سرائرهم اذ هو المعلم الحقيقى للوجود كله وعلمه هو العلم الصحيح الذى لا يشك مؤمن ولا غير مؤمن فى كماله فان الذين قالوا أولا ان علم الحق تعالى لا يتعلق بالجزئيات لم يريدوا نفى علمه تعالى بها وانما قصدوا بذلك ان الحق تعالى يعلم جميع الاشياء كليات وجزئيات علما واحدا فلا يحتاج فى علمه بالجزئيات الى تفصيلها كما هو شأن علم خلقه تعالى الله عن ذلك فقصدوا تنزيهه عن توقف علمه على التفصيل فاخطؤا فى التعبير فعلم أن من كان معلمه الله تعالى كان أحق بالاتباع ممن كان معلمه فكره ولكن أين الانصاف وأطال فى ذلك ثم قال فصان الله نفوسهم بتسميتهم الحقائق اشارات لكون المنكرين لا يردون الاشارات وأين تكذيب هؤلاء المنكرين لاهل الله فى دعواهم العلم من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه لو تكلمت لكم فى تفسير سورة الفاتحة لحملت لكم منها سبعين وقرا فهل ذلك الا من العلم اللدنى الذى آتاه الله تعالى له من طريق الالهام اذ الفكر لا يصل الى ذلك * وقد كان الشيخ أبو يزيد البسطامى يقول لعلماء زمانه أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علومنا عن الحى الذى لا يموت * وكان الشيخ أبو مدين اذا سمع أحدا من أصحابه يقول فى حكاية أخبرنى بها فلان بن فلان يقول لا تطعمونا القديد يريد بذلك رفع همة أصحابه يعنى لا تحدثوا الا بفتوحكم الجديد الذى فتح الله تعالى به على قلوبكم فى كلام الله تعالى أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم فان الواهب للعلم الالهى حى لا يموت وليس له محل فى كل عصر الا قلوب الرجال انتهى وسيأتى بسط ذلك أيضا فى آخر المبحث السابع والاربعين * قال شيخ الاسلام سراج الدين المخزومى رضى الله عنه فى رمز الاشياخ علومهم ثلاثة أمور محققة أحدها حجب من يريد التسلق على طريق القوم بغير أدب ولا دخول من بابهم عن افشاء أسرار الربوبية من غير ذوق فيقع فى افشائه أو يكفر أهل الله بفهمه السقيم الثانى أن فى ذلك اشارة لطالب هذا الفن أن يكون متبحرا فى العلوم مداوما على آداب طريق القوم حتى تنكشف له الحجب ويطلع على العلم والمعلوم مشاهدة وذوقا الثالث أن علم القوم من سالف الزمان لا يخوض فيه الا كل جواد فى العلوم صنديد فى علوم المتكلمين حتى كان الفخر الرازى يقول ما أذن لى فى تدريس علم الكلام حتى حفظت منه اثنتى عشرة ألف ورقة هذا مع أن علم الكلام أهون من علم التوحيد الذى يخوض فيه القوم * وقد قال الامام الشافعى للربيع الجيزى اياك وعلم الكلام وعليك بالاشتغال بعلم الفقه والحديث فلأن يقال لك أخطأت خير من أن يقال لك كفرت انتهى وسئل الاستاذ على بن وفا رضى الله عنه من بعض العارفين على لسان بعض المعترضين لم دون هؤلاء العارفون معارفهم وأسرارهم التى تضر بالقاصرين من الفقهاء وغيرهم أما كان عندهم من الحكمة وحسن الظن والنظر والرحمة بالخلق ما يمنعهم عن تدوينها فان كان عندهم ذلك فمحض الغتهم له نقص وان لم يكن عندهم حكمة ولا حسن ظن فكفاهم ذلك نقصا فأجاب بقوله يقال لهذا السائل أليس الذى أطلع شمس الظهيرة ونشر ناصع شعاعها مع اضراره بأبصار الخفافيش ونحوها من أصحاب الامزجة الضعيفة عليم حكيم فلا يسعه الا أن

العيب الى نفسه قال ولو أن الخطيب الذى قال ومن يعصهما فقد غوى يعنى الله ورسوله كان يعرف هذين الوجهين اللذين قررناهما كما كان الخضر يعرفهما لم يقل له النبى صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب أنت فقل ومن يعص الله ورسوله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع نفسه مع ربه فى ضمير واحد فقال فى خطبة رويناها عنه ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وما ينطق عن الهوى فافهم * وقال فى قوله تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار انما لم يقل تعالى وبالنهار ليحقق لنا انه يريد اننا فى منام فى حال يقظتنا المعتادة أى أنتم فى منام مادمتم فى هذه الدار يقظة ومناما بالنسبة لما امامكم فهذا سبب عدم ذكر الباء فى قوله والنهار واكتفى بالليل (وقال) فى قوله تعالى ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار هو من العبور لا من الاعتبار فمعنى الآية لا تقفوا على ظاهر الصور بل اعبروا من ظاهر تلك الصورة الى باطنها المراد منها كما أن الذى يراه الانسان فى حال نومه ما هو مراد لنفسه وانما هو مراد لغيره فيعبر من تلك الصورة المرئية فى حال النوم الى معناها المراد بها فى عالم اليقظة اذا استيقظ من نومه وكذلك حال الانسان فى الدنيا ما هو مطلوب للدنيا فكل ما يراه من حال وقول وعمل انما هو مطلوب للآخرة فهنالك يعبر ويظهر له فى الدنيا حالة اليقظة وأطال فى ذلك

يقول ثم هو تعالى عليم حكيم فإن قال صحيح ذلك ولكن جاز من أهل الفصائل أخر تربوا على هذه المفاسد قلت وكذلك الجواب عن مسئلتك فكما أن الحق تعالى لم يترك اظهار أنوار شمس الظهيرة مراعاة للابصار من ضعف بصره فكذلك العارفون لا ينبغي لهم أن يراعوا أفهام هؤلاء المحجوبين عن طريقهم بل الزاهدين فيها بل المنكرين عليها وأطال في ذلك ثم قال وحسبك جوابا أن من دون المعارف والاسرار لم يدونها للجمهور بل لو رأى من يطالع فيها ممن ليس هو بأهلها لنهاه عنها * وكان بعض العارفين يقول نحن قوم يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن من أهل طريقنا وكذلك لا يجوز لاحد أن ينقل كلامنا الالمن يؤمن به فمن نقله الى من لا يؤمن به دخل هو والمنقول اليه جهنم الانكار وقد صرح بذلك أهل الله تعالى على رؤس الاشهاد وقالوا من باح بالسر استحق القتل ومع ذلك فلم يسمع أهل الغفلة والحجاب بل تعدوا حد القوم وأظهروا كلامهم لغير أهله فكانوا كمن نقل المصحف الى أرض العدو الذي لا يؤمن به مع ان الله تعالى نهاه عن ذلك فكنوا أعداء الله تعالى من قراءته بقلوب زائغة وألسنة معوجة فطائفة تستهزئ به وطائفة تتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فزادوا بتمكينهم منه في الضلال والطغيان والانكار على أهل الاسلام وأطال في ذلك * ثم قال وهل دون المجتهدون رضى الله تعالى عنهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ما استنبطوه من الكتاب والسنة ليستعان به على هوى النفس وحب الرياسة وكسب الدنيا به والمزاحمة به على التقرب من الملوك والامراء لا والله ما كان ذلك قصدهم ولكن كان أمر الله قدرا مقدورا فكما ان المجتهدين لم يمنعوا من تدوين العلم الذي يكتسب الناس به بعض الدنيا بل جعل الشارع لهم أجر نيتهم الصالحة وان لم يعمل بذلك الناس فكذلك العارفون لهم أجر نيتهم وقصدهم الصالح من نفع المريدين بما وضعوه من الحقائق الكاشفة لمشكلات علم التوحيد وأمراض القلوب ومن فوائد تدوينهم تلقيح قلوب الناظرين في رسائلهم من بعدهم فيظفروا من تلك المعاني بما يرقيهم ويبعث سحائب الرحمة على قلوبهم وعلى ألسنتهم وتشرق أرض قلوبهم بنور رشدهم وتحيا بأزهار نياتهم فنابت عنهم رسائلهم بعد موتهم في نصح المريدين وكان تدوين معارفهم وأسرارهم من أحق الحقوق عليهم لكون غيرهم لا يقوم مقامهم في تدوين دواء أمراض القلوب وآداب حضرات الحق تعالى في جميع الامور المشروعة فان لكل مقام حضورا وأدبا يخصه * فان قيل لو كان علم هؤلاء الصوفية مطلوبا لدون فيه الائمة المجتهدون كتبا ولا نرى لهم في ذلك كتابا واحدا * فالجواب انهم لم يضعوا في أمراض القلوب كتبا لانها لم تكن ظاهرة على أهل زمانهم ولو أنها كانت ظهرت في زمانهم لتأكد عليهم بيان طريق علاجها برسائل مستقلة كما فعل من بعدهم من أئمة طريق أهل الله تعالى لانها من الكبائر بخلاف الزمن الذي بعدهم ظهر فيه الرياء والحسد والكبر والغل والحقد فلذلك دون الناس فيه الرسائل المستقلة وأيضا فانما لم يدون المجتهدون في طريق القوم كتبا لانهم كانوا مشتغلين بما هو أهم من ذلك وهو جمع أدلة الشريعة وبيان ناسخها ومنسوخها ومفصلها ومجملها وتمهيد قواعدها ليرجع الناس الى ذلك اذا حصل لهم زيغ فلولا قواعد الشريعة التي مهدها المجتهدون ما عرف أحد موازين الاعمال الظاهرة والباطنة فكان اشتغال الائمة المجتهدين بذلك أهم من اشتغالهم بتأليف بعض رسائل خاصة ببعض أقوام قلائل بالنسبة لبقية الامة فافهم فعلم أن لائمة الشريعة المنة على سائر الناس من الصوفية وغيرهم فجزى الله الجميع خيرا فيما صنفوه فانه كما كان في الكلام في علم الظاهر بقاء روح الاجتهاد الظني الموجب للعمل واشراقه في مظاهر المرشدين فكذلك كان من باب أولى كلام العارفين فيه بقاء روح اليقين واشراقها في مظاهر الهادين بالحق * فان قيل فلم لم يقتصر هؤلاء الصوفية على المشي على ظاهر الكتاب والسنة فقط أليس ذلك كان يكفيهم كما كفى غيرهم * فالجواب بهذا الاعتراض بعينه اعتراض على الائمة المجتهدين ومقلديهم فانهم لم يقفوا على ظاهر النصوص ولا اقتصروا عليه بل استنبطوا من النصوص ما لا يحصى من الاحكام والوقائع كما هو مشاهد فان رددت يا أخي استنباط العارفين لزمك ان ترد استنباط المجتهدين ولا قائل بذلك فكما لا يجوز الاعتراض على كلام الائمة المجتهدين لكونهم

وأحسنته وتختلف بالمتعلق وهو المنوى فتكون النتيجة بحسب المتعلق به لا بحسبها فان حقيقة النية انما هو القصد للفعل أو تركه وكون الفعل حسنا أو قبيحا أو خيرا أو شرا ما هو من أثر النية فهو أمر عارض عرض بميزه الشارع وعينه للمكلف فليس للنية أثر البتة من هذا الوجه خاصة كالماء فان منزلته أنه ينزل ويسيح في الارض وكون الارض الميتة تحيا به أو ينهدم بيت العجوز الفقيرة بنزوله ليس ذلك له فيخرج الزهرة الطيبة الريح والمنتنة والثمرة الطيبة والخبيثة من حيث مزاج البقعة أو طيبها أو خبث البزرة أو طيبها قال تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فان نوى المكلف خيرا أثمر خيرا وان نوى شرا أثمر شرا انتهى وسيأتي في الباب الثامن والستين ماله تعلق بالنية والله أعلم * وقال فيه العارف يأكل في هذه الدار الحلوى والعسل والكامل المحقق يأكل فيها الحنظل لا يلتذ فيها بنعمة لاشتغاله بما كلفه الله تعالى به من الشكر عليها وغير ذلك من تحمل هموم الناس * وقال في قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة ونحو قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقوله وعلى الله قصد السبيل الحق تعالى ينزه عن أن يدخل تحت حد الواجب الشرعي وانما المراد أن العلم الالهي اذا تعلق أزلا بما فيه سعادتنا

أمورا من شعائر الشريعة فكذلك لا يجوز لنا الاعتراض على العارفين المتقيدين بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحكام الظاهرة والباطنة فكما أوجب المجتهدون وحرموا وكرهوا واستحبوا أمورا لم تصرح بها الشريعة في دولة الظاهر فكذلك العارفون أوجبوا أمورا وحرموا وكرهوا واستحبوا أمورا في دولة الأعمال الباطنة فالاجتهاد واقع في الدولتين ولا غنى بأحد القسمين عن الآخر فحقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة يعني ناقصة * فإن قيل فلم رمز القوم كلامهم في طريقهم بالاصطلاح الذي لا يعرفه غيرهم الا بتوقيفهم كما مر ولم يظهروا معارفهم للناس ان كانت حقا كما يزعمون ويتكلمون بها على رؤس الأشهاد كما يفعل علماء الشريعة في دروسهم فان في اخفاء العارفين معارفهم عن كل الناس ريبة وفتحا لباب رمي الناس لهم بسوء العقيدة وخبث الطوية * فالجواب انما رمز واذلك رفقا بالخلق ورحمتهم وشفقة عليهم كما مر في كلام الشيخ محيي الدين أوائل الفصل وقد كان الحسن البصري وكذلك الجنيد والشبلي وغيرهم لا يقررون علم التوحيد الا في قعور بيوتهم بعد غلق أبوابهم وجعل مفاتيحها تحت وركهم ويقولون أتحبون أن ترمى الصحابة والتابعون الذين أخذنا عنهم هذا العلم بالزندقة بهتانا وظلما انتهى وما ذلك الا لقصد ادراكهم حين صفت قلوبهم وخلصت من شوائب الكدورات الحاصلة بارتكاب الشهوات والآثام ولا يجوز لأحد ان يعتقد في هذه السادة انهم ما يخفون كلامهم الا لكونهم فيه على ضلال حاشاهم من ذلك فهذا سبب رمز من جاء بعدهم للعبارات التي دونت وكان من حقها ان لا تذكر الا مشافهة ولا توضع في الطروس لكن لما كان العلم يموت بموت أهله ان لم يدونوا دونوا علمهم ورمزوه مصلحة للناس وغيرة على أسرار الله أن تذاع بين المحجوبين وأنشدوا في ذلك

ألا ان الرموز دليل صدق * على المعنى المغيب في الفؤاد
وكل العارفين لها رموز * وألغاز تدق على الاعادي
ولولا اللغز كان القول كفرا * وأدى العالمين الى الفساد

أي كفرهم عند من لا يعرف اصطلاحهم وكان الامام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه يقول ثم ما فعل القوم من الرموز فانهم انما فعلوا ذلك غيرة على طريق أهل الله عز وجل ان تظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصواب فيضلوا في أنفسهم ويضلوا غيرهم ولذلك نهوا المريدان يطالع في رسائل القوم لنفسه من غير قراءة على شيخ انتهى وكان سيدي علي بن وفا رضي الله عنه اذا سئل لم رمز القوم كلامهم يقول افهموا هذا المثال تعلموا سبب رمزهم وذلك ان الدنيا غابة ونفوس المحجوبين عن حقائق الحق المبين من أهلها كالسباع والوحوش الكواسر والعارف بينهم كانسان دخل ليلا الى تلك الغابة وهو حسن القراءة والصوت فلما أحس بما فيها من السباع الكواسر اختفى في بطن شجرة ولم يجهر بالقرآن يتغنى به هنالك حذرا منهم أليس يدل اختفاؤه عنهم وعدم رفع صوته بالقرآن على انه عليم حكيم أو هو بضد ذلك لا والله بل هو عليم حكيم اذ لو تراءى لهم أو أسمعهم صوته وقراءته لم يهتدوا به ولم يفهموا عنه وسارعوا الى تمزيق جسده وأكل لحمه وكان هو الملقي بنفسه الى التهلكة وذلك حرام فافهموا هذا المثال وقولوا لمن يعترض على العارفين في رمزهم لكلامهم قد أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فواتح سور كثيرة من القرآن مرموزة وقال تعالى ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك ولا تخافت بها فأمره ان لا يجهر بالقرآن بحيث يسمعه الجهلة المنكرون فيسبون بجهلهم من لا يجوز سبه ولا يعرفه من يؤمن به فكما لم يدل اخفاء النبي صلى الله عليه وسلم قراءته عن الجاهلين المنكرين على بطلان قراءته ولا قدح في صحتها كذلك لا يدل اخفاء العارفين كلامهم عن الجاهلين بغير علم على بطلانه ومخالفته الشريعة فافهم لكن ان هيأ الله تعالى للعارف أسباب ظهور شأنه وقهر المنكرين عليه بالحال أو بالخاص أقوالهم بالحجج الواضحة حتى صاروا يقرونه بالفضل طوعا وكرها فله حينئذ اظهار معارفه على رؤس الأشهاد كما أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءته بالقرآن على رؤس الكفار حين تهيأت أسباب الظهور وتمكن في أمره وصارت أنصار يحفظونه من الأذى فعلم ان

تلك الطريق في الوصلة الى ذلك الأمر الذي تعلق به العلم مع كونه تعالى مختارا في ذلك * وقال فيه سبب اضطجاع الأنبياء على ظهورهم عند نزول الوحي عليهم أن الوارد الالهي الذي هو صفة القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانساني عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالارض وأطال في ذلك * وقال فيه انما كان الحيوان الذي يمشي على بطنه أضعف من غيره لقربه من أصله الذي عنه تكون وكل حيوان بعد عن أصله نقص من معرفته بأصله بقدر ما ارتفع عنه ألا ترى المريض لما رد الى عجزه وضعف كيف تراه ضعيفا مسكينا لان أصله حكم عليه لما قرب منه ثم اذا شفي واستوى قائما وبعد عن أصله تفرعن وتجبر وادعى القوة فالرجل من كان مع الله في حال صحته كحاله في مرضه ومسكنته وعجزه والله أعلم * وقال في الباب الرابع والثلاثين اعلم ان لله عبادا خرق لهم العادة في ادراكهم العلوم من غير طريق الحواس من سمع وبصر وغيرهما وذلك كالضرب والحركة أو السكون كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب بيده بين كتفي فوجدت بردأناملها بين ثديي

فعلم منه علم الاولين والآخرين فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوى الحسية أو المعنوية وهذا لا يبعد

العارفين في ذلك الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختفى الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أيام الفتنة ثلاثة أيام ثم خرج فقيل له انهم الى الآن في طلبك فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختف في الغار أكثر من ثلاثة أيام فقد بان لك أنه ليس للانسان مقابلة الوحوش والسباع الكواسر والظهور لهم الا ان علم قدرته على دفع أذيتهم له بتهيئ أسباب القهر لهم بالقوة والمكنة والانصار * فان قيل فلم يترك هذا العارف اظهار معارفه وأسراره بالكلية ويدخل فيما فيه الجمهور حتى يتمكن ويقوى فيكون ذلك أسلم له * فالجواب أن العارفين ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يخالفون هديه فحيثما سلك سلكوا كما مر عن الامام أحمد بن حنبل آنفا فكما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معه من الحق المبين وكتمه عن الجهلة المنكرين حتى أتاه الامر من الله تعالى باظهار ما معه من الحق فكذلك ورثته قال سيدي على بن وفا ويقال لهذا المعترض أيضا على القوم في رمزهم معارفهم أرأيت لو أنكر المجانين على رجل عاقل مخالفته لامرهم وجنونهم أينبغي له أن يوافقهم على جنونهم فيجن مثلهم ويترك عقله حتى يألفوه وهو يمكنه الفرار بعقله أو أرأيت الانسان الكائن بين الذئاب الضواري اذا لم يرضوه أن يقيم بينهم الا أن يمشي على يديه ورجليه مكبا على وجهه أو حتى يعوي كعيهم أينبغي له أن يفعل ذلك ليقيم بينهم ويألفوه مع أنه يمكنه الفرار منهم والاقامة على طريقة الانسانية لا والله لا ينبغي للقادر على الخير أن ينسلخ منه ليرضي أهل الشر فالله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين فنعوذ بالله أن نرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله * وكان بعض العارفين رحمه الله يقول ألسنة جميع المحبين أعجمية على غيرهم وهي لاصحابهم عربية هذا كله في حق المتمكنين من الاولياء أما من غلب عليه حاله فمن أدب أهل الطريق التسليم له لانه يتكلم بلسان العشق لا بلسان العلم الصحيح * وقد بلغنا ان عصفورا راود عصفورة في قبة سليمان بن داود فأبت عليه فقال لها تدلين علي من حبك مالو قلت لي اقلب هذه القبة على سليمان وجنده لقلبتها فحملت الريح كلامه الى سليمان فأرسل خلفه وقال ما حملك أن تقول ما لم تقدر عليه فقال مهلا يا نبي الله اني عاشق والعشاق انما يتكلمون بلسان المحبة والعشق لا بلسان العلم والتحقيق فأعجب ذلك سليمان انتهى وفي ذلك عذر عظيم للعشاق في طريق أهل الله عز وجل كسيدي عمر بن الفارض واضرابه رضي الله عنهم أجمعين وفي قصة موسى مع الخضر عليهما السلام باب عذر عظيم لعلماء الشريعة وعلماء الحقيقة وان كان الذي وقع من موسى انما هو عن نسيان لشرط الخضر عليه فان في هذه القصة اقامة عذر لمن أنكر وان أنكر عليه لكن من شأن أهل الطريق أن لا يقيموا الحجج على من أنكر عليهم لعلمهم بحجابه عن طريقهم وانما يقولون له كما قال الخضر هذا فراق بيني وبينك ولو أن أهل الله أقاموا الحجة على المنكرين عليهم لقدروا على ذلك لما هم عليه من النور المبين فلا تظن يا أخي أنهم عاجزون عن اقامة الحجة وتنسبهم الى العامية * وايضاح قصة موسى مع الخضر كما قاله سيدي على بن وفا في كتابه الوصايا ان في القصة تعليم موسى عليه السلام أن يسلم للاولياء باطنا فيما يذكرونه من العلوم اللدنية ثم بعد ذلك التسليم ان اقتضى الشرع منك انكار شيء من كلامهم أو من أحوالهم فلك انكاره ظاهرا لكن على وجه الاستعلام والاستفهام لا غير خوفا ان يتشبه بهم في ذلك من ليس هو في مقامهم والا فلموسى عليه السلام كف عن الخضر بتلك المعاني التي أبداها الخضر فان مثلها لا يسقط به المطالبة في ظاهر الشرع فمن خرق سفينة قوم بغير اذنهم وقال خرقتها كي لا يغصبها ظالم لم تسقط عنه المطالبة بذلك ظاهرا ومن قتل صبيا وقال خشيت ان يرهق أبويه طغيانا وكفرا لم تسقط عنه المطالبة به في ظاهر الشرع أيضا فالقول قول الولي وما فعلته عن أمري ليس مسوغا لمثل هذه الاعمال في الحكم الظاهر ولو تحققت ولايته لكونه غير رسول فعلم أن الانكار ما وقع من موسى أولا الا حفظا لنظام الشرع الظاهر خوفا ان يتبع الخضر على ذلك لا غير ثم انه كف عن الانكار آخرا حفظا لرعاية أمر الله عز وجل في خواص أوليائه وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وعلم موسى عند ذلك ان لله تعالى عبادا أقامهم لبيان العلوم الموهوبة وانه ليس لاحدهما أن يعترض على الآخر ولا أن ينازعه فيما أقيم فيه وان كان المعترض أعلى درجة فافهم ولا يخفى ان جملة

أن يقع مثله للاولياء بطريق الارث * وقال انما أنزل القرآن كله في ليلة القدر اشارة الى أنه به تعرف مقادير الاشياء وأوزانها قال وكان نزوله في الثلث الآخر منها * وقال في الباب السادس والثلاثين في قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء اعلم أن المخاطب بهذا علماء الامة لقوله ورثة الانبياء وما قال ورثة نبي خاص فكل من عمل الآن بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فقد عمل بجميع شرائع الانبياء فله مثل ثواب من عمل بشرائع الكل لكن فيما قررته شريعتنا من شرائعهم لا فيما نسخته منها والله أعلم * وقال في الباب الاربعين انما لم تقف السحرة على قولهم آمنا برب العالمين دون قولهم رب موسى وهرون لانهم لو وقفوا على العالمين لقال فرعون أنا رب العالمين اياي عنوا فزادوا رب موسى وهرون أي الذي يدعو اليه موسى وهرون فارتفع الاشكال قال وكان في خوف موسى من عصاه حين ظهرت في صورة حية اعلام للسحرة أن ذلك منه عليه السلام ليس بسحر لان أحد الايخاف من فعله هو لعلمه بانه لا حقيقة له من خارج قال وكان صورة تلقف عصا موسى انها تلقفت صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم حتى بدت للناس حبالا وعصيا كما هي في نفس الامر كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه فيظهر بطلانها ولو كان تلقفها انعدام الحبال والعصي كما توهمه بعضهم لدخل على السحرة الشبهة

العلوم ثلاثة علم العقل وعلم الاحوال وعلم الاسرار * فعلم العقل هو كل علم ضروري بديهي أو حاصل عقب نظر في دليل بشرطه العثور على وجه ذلك الدليل وعلامة هذا العلم أنك كلما بسطت عبارته حسن وفهم معناه وعذب عند السامع الفهيم * وأما علم الاحوال فلا سبيل اليه الا بالذوق ولا يقدر عاقل على وجدانه ومعرفته البتة كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع ونحو ذلك وهذا العلم متوسط بين علم الاسرار وعلم العقل وأكثر من يؤمن به أهل التجارب وهو الى علم الاسرار أقرب منه الى علم العقل النظري فلا يلتذ به اذا جاء من غير معصوم الا أصحاب الاذواق السليمة وعلامة العلم المكتسب أن يدخل في ميزان العقول وعلامة العلم الوهبي ان لا يقبله ميزان العقول من حيث افكارها بل تمجه غالبا * وأما علم الاسرار فهو العلم الذي فوق طور العقل ولذلك يتسارع الى صاحبه الانكار لانه حاصل من طريق الالهام الذي يختص به النبي والولي وعلامته أنه اذا أخذته العبارة سمج وبعد عن الافهام دركه وربما عارضت به العقول الضعيفة أو المتعصبة التي لم توف النظر والبحث حقه ومن هنا كان من يريد تفهيم العلم لغيره لا يقدر ان يوصل ذلك العلم الى الافهام الضعيفة الا بضرب الامثلة والمخاطبات الشعرية وأكثر علوم الكمل من هذا القبيل * وكان الشيخ محيي الدين بن العربي يقول من شأن العارفين أنهم ان كانوا في سلطان الحال أجابوا بالنصوص وان كانوا في المقام أجابوك بظواهر الادلة فهم بحسب أوقاتهم فقد بان لك ان علوم الاسرار لا تنال بالفكر وانما تنال بالمشاهدة أو الالهام الصحيح وما شاكل هذه الطرق ومن هنا تعلم الفائدة في قوله صلى الله عليه وسلم ان يكن من أمتي محدثون فهو عمر ذكره الشيخ محيي الدين في رسالته التي كتبها الى الشيخ فخر الدين الرازي وهي نحو ثلاثة كراريس ثم لو قدر ان الانكار لم يقع في الوجود على أهل الله تعالى وكان الناس كلهم أصحاب عقول سليمة لم يفد قول أبي هريرة حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فاما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم يعني مجرى الطعام وكذلك لم يفد قول ابن عباس لو أني ذكرت لكم ما أعلم من تفسير قوله تعالى يتنزل الامر بينهن لرجمتموني أو لقلتم اني كافر * ونقل الامام الغزالي في الاحياء وغيره عن الامام زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه أنه كان يقول

يا رب جوهر علم لو أبوح به * لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي * يرون أقبح ما يأتونه حسنا

قال الغزالي والمراد بهذا العلم الذي يستحلون به دمه هو العلم اللدني الذي هو علم الاسرار لا من يتولى من الخلفاء ومن يعزل كما قاله بعضهم لان ذلك لا يستحل علماء الشريعة دم صاحبه ولا يقولون له أنت ممن يعبد الوثن انتهى فتأمل في هذا الفصل فانه نافع لك والله يتولى هداك

* (الفصل الرابع) * في بيان جملة من القواعد والضوابط التي يحتاج اليها من يريد التبحر في علم الكلام

* اعلم رحمك الله ان علماء الاسلام ما صنفوا كتب العقائد ليثبتوا في أنفسهم العلم بالله تعالى وانما وضعوا ذلك ردعا للخصوم الذين جحدوا الاله أو الصفات أو الرسالة أو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالخصوص أو الاعادة في هذه الاجسام بعد الموت ونحو ذلك مما لا يصدر الا من كافر فطلب علماء الاسلام اقامة الادلة على هؤلاء ليرجعوا الى اعتقاد وجوب الايمان بذلك لا غير وانما لم يبادروا الى قتلهم بالسيف رحمة بهم ورجاء رجوعهم الى طريق الحق فكان البرهان عندهم كالمعجزة التي ينساقون بها الى دين الاسلام ومعلوم أن الراجع بالبرهان أصح ايمانا من الراجع بالسيف اذ الخوف قد يحمل صاحبه على النفاق وصاحب البرهان ليس كذلك فلذلك وضعوا علم الجوهر والعرض وبسطوا الكلام في ذلك ويكفي في المصر الواحد واحد من هؤلاء وأطال الشيخ محيي الدين في صدر الفتوحات من الكلام في ذلك * ثم قال ولا يخفى ان الشخص اذا كان مؤمنا بالقرآن قاطعا بأنه كلام الله تعالى فالواجب عليه أن يأخذ عقيدته منه من غير تأويل ولا عدول الى أدلة العقول مجردة عن الشرع فان القرآن دليل قطعي سمعي عقلي فقد أثبت سبحانه وتعالى انه منزه عن أن يشبه شئ من المخلوقات أو يشبهه شيأ منها بقوله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع

في عصا موسى والتبس عليهم الامر فكانوا لم يؤمنوا والله تعالى يقول تلقف ما صنعوا وهم ما صنعوا الحبال والعصى بسحرهم وانما صنعوا في أعين الناظرين صور الحيات وهي التي تلقفتها عصا موسى عليه السلام ولو كان الامر على ما توهمه بعضهم لقال تعالى تلقف عصيهم وحبالهم قال فكانت الآية عند السحرة خوف موسى وأخذ صور الحيات من الحبال والعصى وحاصل ما توهمه بعضهم ان الذي جاء به موسى حينئذ من قبيل ما جاءت به السحرة الا أنه أقوى منهم سحرا وأطال في ذلك ثم قال والسحر مأخوذ من السحر وهو ما بين الفجر الاول والفجر الثاني وحقيقته اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس للابصار فكذلك ما فعله السحرة ما هو باطل محقق فيكون له عدم فان العين أدركت أمرا لا تشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه فانه ليس هو في نفسه كما تشهد العين ويظنه الرائي انتهى وأشار الى ذلك أيضا في الباب السادس عشر من الاصل (قلت) وهو كلام نفيس ما سمعنا بمثله قط * وقال في الباب الحادي والاربعين يقول الله عز وجل في بعض الهواتف الربانية يا عبدي الليل لي لا القرآن يتلى ان لك في النهار سبحا طويلا فاجعل الليل كله لي وما طلبتك اذا تلوت القرآن بالليل لتقف مع معانيه فان معانيه تفرقك عن المشاهد فما به تذهب بك الى جنتي وما أعددت فيها

البصير وبقوله تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون ونحوها من الآيات وأثبت رؤيته تعالى للمؤمنين في الآخرة بقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وبمفهوم قوله تعالى في الكفار كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فدل على ان المؤمنين يرونه ولا يحجبون عنه وأثبت نفي الاحاطة بقوله تعالى لا تدركه الابصار وبقوله تعالى انه بكل شئ محيط وأثبت كونه تعالى قادرا بقوله تعالى وهو على كل شئ قدير وأثبت كونه تعالى عالما بقوله تعالى أحاط بكل شئ علما وأثبت كونه مريدا للخير والشر بقوله تعالى فعال لما يريد وبقوله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأثبت كونه تعالى سميعا لخلقه بقوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وأثبت كونه تعالى بصيرا بأعمال عباده بقوله تعالى والله بما تعملون بصير وبقوله ألم يعلم بان الله يرى وأثبت كونه تعالى متكلما بقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما وأثبت كونه حيا بقوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم وأثبت رسالة الرسل بقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى وأثبت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله محمد رسول الله وأثبت أنه صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء بعثا بقوله تعالى وخاتم النبيين وأثبت ان كل ما سواه مخلوقه بقوله تعالى الله خالق كل شئ وأثبت الجن بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وأثبت ان الجن يدخلون الجنة بقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وأثبت حشر الاجساد بقوله تعالى اذا بعثر ما في القبور والى أمثال ذلك مما هو مذكور من الأدلة الصحيحة في كتب العقائد كوجوب الايمان بالقضاء والقدر والميزان والحوض والصراط والحساب وتطاير الصحف وخلق الجنة والنار قال الله تبارك وتعالى ما فرطنا في الكتاب من شئ وأثبت المعجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى في كتابه العزيز قل فأتوا بسورة مثله فان القرآن كله معجزة له صلى الله عليه وسلم * قال الشيخ محيي الدين فعلم أنه لا ينبغي لمؤمن أن ينسى حدود ربه التي كلفه بها في هذه الدار ويستغرق غالب عمره في الاشتغال برد خصوم لم يوجد لهم عين في بلاده ويدفع شبه يمكن أن لا تكون ثم يتقدر وجودها فسيف الشريعة أقطع وأردع وفي الحديث الصحيح أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وحتى يؤمنوا بي وبما جئت به ولم يدفعنا صلى الله عليه وسلم الى مخاصمتهم اذا حضروا انما هو الجهاد بالسيف ان عاندوا في الحق قال وهذا هو جل اشتغال الناس اليوم فقطعوا اعمارهم في الاشتغال برد خصوم متوهمة أو خصوم موجودة لكن بلازم المذهب وذلك ليس بمذهب على الراجح ويتخيل لصاحب الكلام في مثل ذلك أنه يتكلم مع غيره والحال انه انما يتكلم مع نفسه فعلم ان السلف رضي الله تعالى عنهم ما وضعوا كتب الكلام الا ردعا للخصوم الذين كانوا في عصرهم كما مر فالله تعالى ينفعهم بقصدهم قال فالعاقل من اشتغل اليوم بالعلوم الشرعية فان فيها غنية عن علم الكلام لقيام الدين بها ولو ان الانسان مات وهو لم يعرف الكلام على الجوهر والعرض لم يسأله الله تعالى عن ذلك يوم القيامة ثم ان احتاج انسان الى رد خصم حدث في بلاده ينكر الشرائع مثلا وجب علينا تجريد النظر في رد مذهبه لكن بالأمور العقلية دون الاستدلال عليه بالشرع كالبرهمي مثلا فانه لا يقبل دليل الشرع على ابطال ما انتحله من المذهب الغريب الذي يقدح في الشريعة فان الشرع هو محل النزاع بيننا وبينه فلا يثبته فلذلك قلنا ليس له دواء الا رده بالنظر العقلي فنداويه بنحو قولنا مثلا انظر بعقلك في هذه المسئلة وحقق النظر انتهى وقد بان لك مما ذكرناه ان من أراد حفظ عقيدته من الشبه والضلالات فليأخذها من القرآن العظيم كما مر فانه متواتر قطعي معصوم بخلاف من يأخذ عقيدته من طريق الفكر والنظر من غير أن يعضده شرع أو كشف وانظر يا أخي الى نبينا صلى الله عليه وسلم لما قال له اليهود انسب لنا ربك كيف تلا عليهم سورة قل هو الله أحد ولم يقم لهم من أدلة النظر دليلا واحدا فقوله تعالى الله أحد أثبت الوجود الأحد ونفى العدد وأثبت الوحدانية لله تعالى وحده لا شريك له الله الصمد نفي الجسمية لم يلد ولم يولد نفي الوالد والولد ولم يكن له كفوا أحد نفي الصاحبة والشريك أفيطلب صاحب الدليل العقلي البرهان على صحة هذه المعاني بالعقل بعد ثبوتها بالدليل القطعي ان ذلك من الجهل العظيم ويا ليت شعري من يطلب مرتبة فوق

أنواع العذاب فأين أنا اذا كنت مشغولا بعانيها وآية تذهب بك الى قصة آدم أو نوح أو هود أو صالح أو موسى أو عيسى عليهما الصلاة والسلام وهكذا وما أمرتك بالتدبر الا لتجتمع بقلبك علي وأما استنباط الاحكام فلها وقت آخر وثم مقام رفيع وأرفع وألطف ذلك * وقال في الباب الثالث والاربعين في حديث استفت قلبك وان أفتاك المفتون في هذا الحديث ستر لمقام المتورعين فانهم اذا بحثوا عنه عرفوا به كما اشتهرت أخت بشر الحافي لما سألت الامام أحمد عن الغزل على ضوء مشاعل الولاة اذا مرت في الليل وقال لها الامام أحمد من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلي فيه اولو علمت معنى حديث استفت قلبك ماسألت عن ذلك حين رأيتها فكانت تدع ذلك الغزل من غير سؤال وتستر مقامها ولا يثنى عليها بذلك فانه صلى الله عليه وسلم انما أعطانا ذلك الميزان في قلوبنا ليكون مقامنا مستورا عن الناس ناصحا لصالا يعلمه الا الله اللهم الا أن يكون أحدنا ممن يقتدى به فله أن يظهر ورعه ليتبع * وقال في الباب الخامس والاربعين الكامل من الرجال من جمع بين الدعوة الى الله وبين ستر المقام فيدعو الى الله بقراءة كتب الحديث والرقائق وحكايات الصالحين ... العامة ... تكلموا ...

تعالى من حيث العقل ويكفر من لا ينظر فيه كيف كان تعبد قبل التطرق الى النظر هل هو مؤمن أم لا وهل كان يحتج بما اشتغل به من وجود ان محمدا عبده ورسوله أم لا وهل كان يصلي ويصوم أم لا فان كان معتقدا الهنا كما هو مذهب سائر العوام فليتركهم على ماهم عليه ولا يكفر أحدا منهم وان كان لا يعتقد هذا الامر والا بعد النظر في علم الكلام والاشتغال به فنعوذ بالله تعالى من هذا المذهب حيث أداه سوء النظر الى الخروج من الايمان وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول ليس من شأن أهل الله تعالى أن يتصدوا للرد على أحد من أهل الفرق الاسلامية الا ان خالفوا النصوص أو خرقوا الاجماع فمن تصدى للرد على أحد منهم فلا يأمن أنه ينكر عليهم أمرا هو حق في نفس الامر فان أهل الاسلام ما داموا في دائرة الاسلام لا يعتقدون الا حقا أو ما فيه شبهة حق بخلاف من خرج من الاسلام انتهى (وقال) في الباب الثلاثين من الفتوحات من شأن أهل الله تعالى انهم لا يجرحون عقائد أحد من المسلمين وانما شأنهم البحث عن منازع الاعتقادات ليعرفوا من أين انتحلها أهلها وما الذي تجلى لها حتى اعتقدت ما اعتقدت وهل يؤثر ذلك في سعادتها أم لا هذا حظهم من البحث في علم الكلام فعلم ان عقائد العوام باجماع كل متشرع صحيحة سليمة من الشبه التي تطرق المتكلمين وهم على قواعد دين الاسلام وان لم يطالعوا كتب الكلام لان الله سبحانه وتعالى قد أبقاهم على صحة العقيدة بالفطرة الاسلامية التي فطر الله الموحدين عليها اما بتلقين الوالد المتشرع واما بالالهام الصحيح وهم من معرفة الحق تعالى وتنزيهه على حكم المعرفة والتنزيه الوارد في ظاهر الكتاب والسنة وأقوال الائمة وهم على صواب في عقائدهم ما لم يتطرق أحدهم الى التأويل فان التأويل قد لا يكون مراد الشارع وان تطرق أحدهم الى التأويل للآيات والاخبار فقد خرج عن حكم العامة في ذلك والتحق بأهل النظر والتأويل وهو على حسب تأويله وعلمه يلقى الله سبحانه وتعالى فاما مصيب واما مخطئ بالنظر الى ما يناقض ظواهر أدلة الشريعة المطهرة فتأمل في ذلك فانه نفيس * وكان شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن الهمام رحمه الله يقول تصور التقليد في مسائل الايمان عسر جدا فقل أن ترى واحدا مقلدا في الايمان بالله تعالى من غير دليل حتى آحاد العوام فان كلامهم في الاسواق محشو بالاستدلال بالحوادث على وجود الحق تعالى وصفاته وصورة التقليد هو ان يسمع الناس يقولون ان الخلق ربا خلقهم وخلق كل شئ يستحق العبادة عليهم وحده لا شريك له فيجزم السامع بذلك لجزمه بصحة ادراك هؤلاء تحسينا لظنه بهم وتكبيرا لشأنهم عن الخطأ فاذا حصل له عند ذلك جزم لا يجوز معه كون الواقع النقيض فقد قام بالواجب من الايمان ومقصود الاستدلال هو حصول ذلك الجزم فاذن قد حصل ما هو المقصود منه من قيامه بالواجب وقال شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ومقتضى هذا التعليل أن لا يكون عاصيا بعدم الاستدلال لان وجوبه انما كان لتحصيل ذلك فاذا حصل مقطا هو غير ان التقليد معرض لوقوع التردد بعروض الشبه بخلاف الاستدلال فان فيه حفظه عن ذلك انتهى ونقل الشيخ أبو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول عن أحمد بن زاهر السرخسي أجل أصحاب الشيخ أبي الحسن الاشعري رحمه الله قال لما حضرت الشيخ أبا الحسن الاشعري الوفاة في داري ببغداد قال لي اجمع أصحابي فجمعتهم فقال لنا اشهدوا علي اني لا أقول بتكفير أحد من عوام أهل القبلة لاني رأيتهم كلهم يشيرون الى المعبود والاسلام يشملهم ويعمهم انتهى قال الشيخ أبو طاهر فانظر كيف سماهم مسلمين وكان الامام أبو القاسم القشيري رحمه الله يقول من نقل عن الشيخ أبي الحسن الاشعري أنه كان يقول لا يصح ايمان المقلد فقد كذب لان مثل هذا الامام العظيم يبعد منه أن يجرح غالب عقائد المسلمين بما يكفرون به ولا يصح لهم معه ايمان انتهى * وقال الشيخ تاج الدين بن السبكي في التحقيق الدافع للتشنيع على الاشعري في هذه المسئلة ان المقلد ان كان آخذا لقول الغير بغير حجة مع احتمال شك أو وهم فلا يكفي ايمان هذا المقلد لعدم الجزم به اذ لا ايمان مع أدنى تردد وان كان المقلد آخذا لقول الغير بغير حجة لكن جزما فيكفي ايمان المقلد عند الاشعري وغيره وقال الجلال المحلي وهذا هو المعتمد انتهى وقال الشيخ سعد الدين التفتازاني وغيره التحقيق في مسئلة ذم

ليلة القدر رضي الله تعالى عنهم وقال فيه كما تعبد الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بشريعة ابراهيم عليه السلام قبل نبوته عناية من الله تعالى به حتى فجأه الوحي وجاءته الرسالة فكذلك الولي الكامل يجب عليه معانقة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله تعالى له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يرده الله تعالى بعد ذلك الى ارشاد الخلق كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أرسل والله اعلم * وقال في الباب السابع والاربعين ينبغي للمحقق أن لا يذكر الله تعالى الا بالاذكار الواردة في القرآن حتى يكون في ذكره تاليا فيجمع بين الذكر والتلاوة معا في لفظ واحد فيحصل على أجر التالين والذاكرين فلو أتى بالذكر من غير قصد التلاوة كان له أجر الذكر دون التلاوة فنقص من الفضيلة بقدر ما نقص من القصد وأطال في ذلك ثم قال في حديث الصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه اعلم أنه لما كان الصوم سببا للقاء الرب كان أتم من الصلاة من هذا الوجه لكونه أنتج لقاء الله الذي هو مشاهدته والصلاة مناجاة لا مشاهدة فالحجاب يصحب الصلاة ولا يصحب الصوم الاتراه قال ... والصوم لا ... فانهم ... الملائكة الترقي في العلم

لا في العمل فلا يترقون بالاعمال ٣ كما لا يترقى في العلم والعمل ولو أن الملائكة كانت ترقى في العلم ما قبلت الى باد ثمن

الخوض في علم الكلام أن النظر في ذلك على طريق المتكلمين من تحرير الأدلة وتدقيقها ودفع الشكوك والشبه عنها فرض كفاية في حق المتأهلين له فيكفي قيام بعضهم به وأما غير المتأهلين مما يخشى عليه من الخوض فيه الوقوع في الشبه المضلة فليس له الخوض فيه قال الجلال المحلي وهذا محمل نهي الامام الشافعي وغيره من السلف عن الاشتغال بعلم الكلام انتهى وكان الشيخ محيي الدين بن العربي يقول محل النهي عن الخوض في علم الكلام انما هو في حق من يتكلم فيه بالنظر والفكر اذ الفكر كثير الخطأ في الالهيات أما من يتكلم في التوحيد ولوازمه من طريق الكشف فلا يدخل في نهي السلف لان صاحب الكشف من شأنه أن يتكلم على الأمور من حيث ما هي عليه في نفسها فلا يخطئ انتهى (قلت) ومن هنا خصصت تشييد هذه العقائد بكلام أهل الكشف دون النظر الفكري لا سيما ما كان من كلام الشيخ محيي الدين رضي الله عنه فقد قال في الباب السادس والستين والثلثمائة من الفتوحات المكية جميع ما أتكلم به في مجالسي وتآليفي انما هو من حضرة القرآن العظيم فاني أعطيت مفاتيح العلم فيه فلا أستمد قط في علم من العلوم الا منه كل ذلك حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى في مناجاته بكلامه أو بما تضمنه كلامه * وقال في الكلام على الاذان من الفتوحات اعلم اني لم أقرر بحمد الله تعالى في كتبي هذا ولا غيره قط أمرا غير مشروع وما خرجت عن الكتاب والسنة في شيء من تصانيفي * وقال في الباب السادس والستين وثلثمائة جميع ما كتبته في تصانيفي ليس هو عن فكر ولا روية وانما هو عن نفث في روعي من ملك الالهام وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة ليس عندي بحمد الله تقليد لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلومنا كلها محفوظة من الخطأ * وقال في الباب العاشر من الفتوحات نحن بحمد الله لا نعتمد في جميع ما نقوله الا على ما يلقيه الله تعالى في قلوبنا لا على ما تحتمله الالفاظ * وقال في الباب الثالث والسبعين وثلثمائة جميع ما كتبته وأكتبه انما هو عن املاء الهي والقاء رباني أو نفث روحاني في روعي كياني كل ذلك بحكم الارث لا بحكم الاستقلال فان النفث في الروع منحط عن رتبة وحي الكلام ووحي الاشارة والعبارة ففرق يا أخي بين وحي الكلام ووحي الالهام تكن من العلماء الاعلام * وقال في الباب السابع والاربعين من الفتوحات اعلم ان علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر وانما هي من الفيض الالهي * وقال في الباب السادس والاربعين ومائتين منها جميع علومنا من علوم الذوق لا من العلم بلا ذوق فان علوم الذوق لا تكون الا عن تجل الهي والعلم قد يحصل لنا بنقل الخبر الصادق وبالنظر الصحيح * وقال في الباب التاسع والثمانين منها والباب الثامن والاربعين وثلثمائة اعلم ان ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار مني ولا عن نظر فكري وانما الحق تعالى يملي لنا على لسان ملك الالهام جميع ما نسطره وقد نذكر كلاما بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده كما في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة تتقدمها وتتأخر عنها انتهى وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن من الفتوحات اعلم ان العارفين رضي الله تعالى عنهم لا يتقيدون في تصانيفهم بالكلام فيما يبوبون عليه فقط وذلك لان قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الالهية مراقبة لما يبرز لهم منها فمهما برز لهم كلام بادروا لالقائه على حسب ما حد لهم فقد يلقون الشيء الى ما ليس من جنسه امتثالا لامر ربهم وهو تعالى يعلم حكمة ذلك انتهى فهذه النقول تدل على أن كلام الكمل لا يقبل الخطأ من حيث هو والله أعلم * وقال الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والسبعين اعلم ان العلوم الضرورية مقدمة على العلوم النظرية اذ العلم النظري لا يحصل الا أن يكون الدليل ضروريا أو متولدا من ضروري على قرب أو بعد وان لم يكن كذلك فليس بدليل قطعي ولا برهان * وقال في الباب الثامن والستين من الفتوحات اعلم ان العقائد الصحيحة هي كل ما كان عن كشف وشهود وأما من ربط عقيدته بأمر مربوط مقيد بوجه دون آخر فلا يبعد أنه ينكر الحق اذا جاءه من غير ذلك الوجه الذي تقيد به فاذن الكامل من بحث عن منازع الاعتقاد ونظر في كل قول من أين انتحله قائله وأطال في ذلك * ثم قال واعلم ان الانسان اذا أخذ عقيدته من أبويه أو من مربيه تقليدا ثم انه بعد ذلك عقل الامر ورجع الى نفسه

آدم حين علمها الاسماء كلها فانه زادهم علما بالاسماء لم يكن عندهم فتأمل ذلك (وقال) في الباب الثامن والاربعين في قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول أي أطيعوا الله فيما أمركم به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مما قال فيه صلى الله عليه وسلم ان الله يأمركم ثم قال وأطيعوا الرسول ففصل أمر طاعة الله من طاعة رسوله ولو كان المراد بطاعة رسول الله ما بلغ الينا من أمر الله لم يكن ثم فائدة زائدة وانما المراد بطاعتنا له صلى الله عليه وسلم أن نطيعه فيما أمر به ونهى عنه مما لم يقل هو من عند الله فيكون كالقرآن قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الا انا جعلناه أن يأمر وينهى زائدا على تبليغ أمرنا ونهينا الى عبادنا وأطال في تفسير الآية * ثم قال ومعنى طاعة أولي الامر أي فيما اذا أمرونا بما هو مباح فاذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه فأطعناهم أجرنا في ذلك أجر من أطاع الله فيما أوجبه علينا وليس لاولي الامر أن يشرعوا شريعة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لم يقل في أولي الامر أطيعوا مثل ما قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتأمل * وقال فيه انما أمر الله الخلق بالسجود وجعله مقام قرب بقوله واسجد واقترب وبحديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد اعلاما لنا بأن الحق تعالى واستقل

واستقل بالنظر فللعلماء في ذلك خلاف فمنهم من قال يبقى على عقيدته تلك ومنهم من قال ينظر في الدليل حتى يعرف الحق ولكل منهما وجه انتهى * وقال في الباب السادس والسبعين وأربعمائة ثم علوم بالله تعالى تعلم ولا يجوز اعتقادها ولا النطق بها ولا تجري على لسان عبد مخصوص الا عند غلبة حاله فيعصمه حاله و يعذر كالسكران واذا صحا ذهبت الحماية * وقال في الباب الحادي والاربعين وثلثمائة لا يجوز النظر في كتب الملل الباطلة والنحل الزائغة لاحد من القاصرين وأما مثل صاحب الكشف فله النظر فيها ليعرف من أي وجه قالوها وهو آمن من موافقتهم في ذلك الاعتقاد الباطل لما هو عليه من الكشف الصحيح انتهى * وقال في الباب الخامس والسبعين ومائتين من الفتوحات يجب على كل عارف ستر ما تعطف الحق تعالى به على قلبه من علوم الاسرار ولا يظهره للعامة فيقع عليه النكير ومن هنا قال أبو القاسم الجنيد سيد هذه الطائفة لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بانه زنديق وذلك لانه اذا نطق بعلوم الاسرار لا يسع الصديقين الا أن ينكروا عليه غيرة على ظاهر الشريعة المطهرة * قال الشيخ محيي الدين ولقد وقع لنا وللعارفين أمور ونحن بواسطة اظهارنا المعارف والاسرار وشهدوا فينا بالزندقة وآذونا أشد الاذى وصرنا كرسول كذبه قومه وما آمن معه الا قليل واعدى عدو لنا المقلدون لافكارهم وأما الفلاسفة فيقولون عنا هؤلاء قوم أهل هوس قد فسدت خزانة خيالهم فضعفت عقولهم ويا ليتهم اذ لم يصدقونا جعلونا كاهل الكتاب لا يكذبونا فيما لم يخالف شرعنا مع انا لا يضرنا بحمد الله انكارهم علينا لجهلهم انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة انما كان الناس ينكرون على أهل الله تعالى علومهم لانها جاءت أصحابها من طرق غريبة غير مألوفة وهي طرق الكشف وأكثر علوم الناس انما جاءتهم من طريق الفكر فلذلك كانوا ينكرون كل ما جاءهم من غير هذا الطريق وما كل أحد يقدر على جلاء مرآة قلبه بالمجاهدة والرياضة حتى يصير يفهم كلام أهل الله و يدخل دائرتهم ولكن لله في ذلك حكم وأسرار انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة من أراد فهم المعاني الغامضة من كلام الله عز وجل وكلام رسله وأوليائه فليزهد في الدنيا حتى يصير ينقبض خاطره من دخولها عليه و يفرح لزوالها من يده وأما مع ميله الى الدنيا فلا سبيل له الى فهم الغوامض أبدا انتهى * وقال في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة من الفتوحات من أراد الدخول الى فهم غوامض الشريعة وحل مشكلات علوم التوحيد فليترك كل ما يحكم به عقله ورأيه و يقدم بين يديه شرع ربه و يقول لعقله ان نازعه انما أنت عبد مثلي فكيف أترك ما نسبه الحق تعالى الى نفسه من آيات الصفات مثلا لعزلك أنت عن تعقله مع انك قاصر عن معرفة نفسك فكيف بمعرفة ربك ولو انك ألزمت نفسك الانصاف لالزمت حكم الايمان والتلقي وجعلت النظر والاستدلال في غير ما أخبر به ربك عز وجل وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والاربعين ومائتين من الفتوحات اياك ان ترمي ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي بل بادر الى العمل بكل ما حكم به وان فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك و بين مضاء ظاهر الحكم به فلا تعول عليه فانه مكر الهي بصورة علم الهي من حيث لا تشعر وأطال في ذلك * ثم قال واعلم ان تقديم الكشف على النص ليس بشيء عندنا لكثرة اللبس على أهله والا فالكشف الصحيح لا يأتي قط الا موافقا لظاهر الشريعة فمن قدم كشفه على النص فقد خرج عن الانتظام في سلك أهل الله ولحق بالاخسرين أعمالا انتهى * وقال في الباب الخامس والثمانين ومائة من الفتوحات اعلم ان ميزان الشرع الموضوعة في الارض هي ما بايدي العلماء من الشريعة فمهما خرج ولي عن ميزان الشرع المذكورة مع وجود عقل التكليف وجب الانكار عليه فان غلب عليه حاله سلمنا له حاله ولا ننكر عليه لعدم من يتبعه على ذلك من أهل العقول فان ظهر بامر يوجب حدا في ظاهر الشرع ثابت عند الحاكم أقيم عليه الحد ولا بد ولا يعصمه من اقامة الحد عليه قوله انا كاهل بدر اذ المؤاخذة لم تسقط عن أهل بدر في الدنيا وانما سقطت عنهم في الدار الآخرة على ان العبد لو قيل له افعل ما شئت فقد غفرت لك فهو عاص في الشرع اذ المغفرة لا تكون الا عن ذنب ولذلك قال فقد غفرت لك ولم يقل أسقطت عنك الحدود فالحاكم

في نسبة الفوقية اليه من قوله وهو القاهر فوق عباده و بقوله يخافون ربهم من فوقهم كنسبة التحتية اليه سواء فان الساجد يطلب السفل بوجهه كما أن القائم يطلب العلو اذا رفع وجهه في حال الدعاء و يديه وقد جعل الله السجود حال قرب من الله اليه فلم يقيده سبحانه الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق لانه خالق الفوق والتحت كما لم يقيده الاستواء على العرش عن النزول الى سماء الدنيا فهو معنا أينما كنا في حال كونه في العماء في حال كونه مستويا على عرشه في حال كونه في السماء في حال كونه في الارض في حال كونه أقرب الى أحدنا من حبل الوريد انتهى والله أعلم * وقال في الباب التاسع والاربعين اعلم أن السبب الموجب لتكبر الثقلين دون غيرهما من سائر المخلوقات أن المتوجه على ايجادهم أسماء اللطف والحنان والرأفة والرحمة والتنزل الالهي فعندما خرجوا لم يروا عظمة ولا عزا ولا كبرياء الا في نفوسهم فلذلك تكبروا وأما غيرهم من الخلق فكان المتوجه على ايجادهم من الاسماء الالهية أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والقهر فلذلك خرجوا اذلاء تحت هذا القهر الالهي فلم يمكن لهم أن يعرفوا الكبرياء طمعا وأطال في ذلك * وقال فيه انما جاءت بسم الله الرحمن الرحيم أول كل سورة لان السور تحتوي على أمور مخوفة تطلب أسماء العظمة والاقتدار فلذلك قدم

الذى يقيم عليه هذا الطور التجزيز ما يجوز ... فلا ... ان ... من
العقود فتيس عليه مثلا فلا يستطيع ان يحركها صوا انتهى * وقال فى الباب الثالث والستين وماتين
اعلم ان علم الشريعة هى عين الحقيقة اذ الشريعة لها دائرتان عليا وسفلى فالعليا لاهل الكشف والسفلى
لاهل الفكر فلما فتش أهل الفكر على ما قاله أهل الكشف لم يجدوه فى دائرة فكرهم قالوا هذا خارج
عن الشريعة فاهل الفكر ينكرون على أهل الكشف وأهل الكشف لا ينكرون على أهل الفكر
فمن كان ذا كشف وفكر فهو حكيم الزمان فكما ان علوم الفكر أحد طرق الشريعة فكذلك علوم أهل
الكشف فهما متلازمان ولكن لما كان الجامع بين الطريقين عزيزا فرق أهل الظاهر بينهما وإلا فما
لموسى كف عن الخضر آخر الامر فلولا ان موسى فهم ان الخضر على حق لانكر عليه آخرا كما انكر عليه
أولا انتهى * وقال فى الباب الاحد وعشرين وخمسمائة من الفتوحات اعلم ان قطاع الطريق فى سفر
المعقولات هى الشبه التى تطرق الناظر بعقله وقطاع طريق السفر فى المشروعات هى التأويلات ولا يخلو
المسافر من ان يكون فى احدى هذين الطريقين فان وصل المسافر الى محل ليس فيه تأويل ولا شبهة فقد
انتهى سيره انتهى * وقال فى الباب الثانى والسبعين اعلم ان موازين الاولياء المكملين لا تخطئ
الشريعة أبدا فهم محفوظون من مخالفة الشريعة وان كانت العامة تنسبهم الى المخالفة فما هى مخالفة فى
نفس الامر وانما هى مخالفة بالنظر الى موازين غيرهم ممن هو دونهم فى الدرجة ثم ان ذلك لا يقدح فى علم
أهل الله تعالى وأطال فى ذلك ثم قال والموازين ثلاث ميزان الاجماع وميزان الكشف وميزان الاجتهاد
المطلق وما عدا هؤلاء الثلاثة فهى آراء لا يعول أهل الله تعالى عليها * وقال فى الباب السادس
والستين وماتين اياك ان تجد مسئلة استدل لها صاحبها بآية من القرآن فتقول هذه الآية لا يصح بها
الاستدلال لهذه المسئلة ببادئ الرأى بل تربص فى ذلك فان مرتبة كلام الله تعالى ان يقبل جميع ما فسره به
المفسرون من أئمة الهدى لوسعه ولا يوجد ذلك فى غيره وأطال فى ذلك * ثم قال لكن لا يخفى ان من شرط من
يفسر القرآن ان لا يخرج عما يحتمله اللفظ والا فقد ورد ان من فسر القرآن برأيه فقد كفر انتهى * وقال
فى مقدمة الفتوحات اياك ان تبادر الى انكار مسئلة قالها فيلسوف أو معتزلى مثلا وتقول هذا مذهب
الفلاسفة أو المعتزلة فان هذا قول من لا تحصيل له اذ ليس كل ما قاله الفيلسوف مثلا يكون باطلا فعسى ان
تكون تلك المسئلة مما عنده من الحق ولا سيما ان كان الشارع صلى الله عليه وسلم صرح بها أو أحد من
علماء الامة من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين * وقد وضع الحكماء من الفلاسفة كتبا كثيرة مشحونة
بالحكم والتبرى من الشهوات ومكايد النفوس وما انطوت عليه من خفايا الضمائر وكل ذلك علم صحيح
موافق للشرائع فلا تبادر يا أخى الى الرد فى مثل ذلك وتمهل وأثبت قول ذلك الفيلسوف حتى تجد النظر
فقد يكون ذلك حقا موافقا للشريعة لكون الشارع قال تلك المسئلة أو واحد من علماء شريعته وأما قولك
ان ذلك العالم سمع تلك المسئلة من فيلسوف أو طالعها فى كتب الفلاسفة فيمنعك ذلك عن كونها من الحق
الذى وافق الشريعة فيه فهو جهل وكذب أما الكذب فقولك ان ذلك العالم سمع تلك المسئلة من الفلاسفة
أو طالعها فى كتبهم وأنت لم تشاهد ذلك منه ولا قامت عندك بذلك بينة عادلة وأما الجهل فكونك لم تفرق
فى تلك المسئلة بين الحق والباطل فقد خرجت باعتراضك هذا عن العلم والصدق وانخرطت فى سلك أهل
الجهل والكذب ونقص العقل وفساد النظر والانحراف عن طريق أهل الحق بالجملة فاعلم ذلك وخذ
يا أخى ما أتاك به الفيلسوف أو المعتزلى مثلا ثم تربص واجتهد على تعقله قليلا قليلا حتى يتضح فهذا أحسن
من أن تقول يوم القيامة يا ليتنا كنا فقهنا من هذا بل كنا ظالمين * وقال فى الباب السادس والعشرين
وماتين من الفتوحات اعلم ان الفلاسفة قد ستر بهذا الاسم واشتغلوا بالنظر فى العلم المتعلق
بالالهيات فان معنى الفيلسوف هو محب الحكمة وسوفا باللسان اليونانى هو الحكمة وكل عاقل بلا شك
محب الحكمة غير ان أهل الافكار خطؤهم فى الالهيات أكثر من اصابتهم ... لنا وفيلسوف ...

سورة مستقلة تحتاج الى بسملة قال ان بسملة سورة النمل مكانها حتى لا ينقص القرآن عن مائة وأربع عشرة بسملة ولذلك جاءت بسملة النمل محذوفة الالف كما جاءت فى أوائل السور ليعلم ان المقصود بها هو المقصود بها أوائل السور بدليل أنهم لم يعملوا بذلك فى باسم الله مجراها ومرساها واقرأ باسم ربك (قلت) وقد ذكر الشيخ أيضا فى الباب الحادى والثلثمائة ما نصه الاوجه عندى ان سورة الانفال وبراءة سورة واحدة ولذلك تركت البسملة بينهما وان كان لتركها وجه وهو عدم المناسبة بين الرحمة والتبرى ولكن ما لهذا الوجه تلك القوة بل هو وجه ضعيف وذلك ان البسملة موجودة فى كل سورة أولها ويل وأين الرحمة من الويل انتهى * وذكر أيضا فى الباب السابع والعشرين وثلثمائة ما نصه انجز لى الوارد والشاهد يشهد بصدقه ... بعد أن جعلنى فى ذلك على بينة من ربى ان اختصاص البسملة فى أول كل سورة انما هو تتويج الرحمة الالهية فى منشور تلك السورة وأن الرحمة تنال كل مذكور فيها من المسلمين فانها علامة الله على كل سورة انه سامنه كعلامة السلطان على مناشيره والحكم للتتويج فانه يجمع القبول له به لم أنه من عنده هذا ... الوارد ...

وكانت من أصناف أهل النظر انتهى * وقال الشيخ محيي الدين في كتاب لواقح الانوار لقد دخلت الخلوة وعملت على الاطلاع على الحقيقة الادريسية فرأيت انحطاطاً اعتاد دخل على الفلاسفة من التأويل وذلك انهم أخذوا العلم عن ادريس عليه السلام فلما رفع الى السماء اختلفوا في فهم شريعته كما اختلف علماء شريعتنا وأهل هذا ما حرم هذا و بالعكس انتهى * وقال في مقدمة الفتوحات مدار صحة العقائد على حصول الجزم بها حتى ان من أخذ ايمانه تقليدا جزما الشارع كان أعصم وأوثق ممن يأخذ ايمانه عن الادلة وذلك لما يتطرق اليها اذا كان صاحبها فطنا من الحيرة والدخيل في أدلته وايراد الشبه عليها فلا يثبت له قدم ولا ساق يعتمد عليها فيخاف عليه الهلاك وأطال في ذلك قال وتأمل كلام العقلاء تجدهم اذا نظروا واستوفوا في نظرهم الاستدلال وعثروا على وجه الدليل أعطاهم ذلك الامر العلم بالمدلول ثم تراهم في زمان آخر يقوم لهم خصم من طائفة كمعتزلي أو أشعري بأمر آخر يناقض دليلهم الذي كانوا يقطعون به و يقدح فيه فيرون ان ذلك الاول كان خطأ وانهم ما استوفوا أركان دليلهم وانهم أخلوا بالميزان في ذلك وأين هذا ممن هو في علمه على بصيرة بتقليده الجازم للشارع فانه كضروريات العقول لا تردد فيه اذ البصيرة للعلماء بالله تعالى كالضروريات للعقول بخلاف كل ما نتج من العقل فانه محمول يقبل الشبه والتردد ومن هنا كان دليل الاشعري يورث شبهة عند المعتزلي ودليل المعتزلي يورث شبهة عند الاشعري وما من مذهب من مذاهب المجتهدين والمتكلمين الا ويدخله الاشكال ثم انهم كلهم يتصفون باسم الاشاعرة أو باسم مذهب معين فترى أبا المعالي يذهب الى خلاف ما ذهب اليه القاضي وترى القاضي يذهب الى خلاف ما ذهب اليه الاستاذ والاستاذ يذهب الى خلاف ما ذهب اليه الشيخ أبو الحسن والكل يدعون انهم أشعرية كما يقع لاهل المذهب الواحد من مذاهب المجتهدين وأطال في ذلك * ثم قال واعلم ان أهل النظر لا يعذرون في مواطن وجوب العلم وأن التقليد معصوم فيما أخبر به ملحق بالعلم وأقوى من علوم النظر كما يدل عليه قبول شهادتنا على الامم السالفة ان أنبياءها بلغوها دعوة الحق تعالى ونحن ما كنا في زمان تبليغهم وانما صدقنا الله عز وجل فيما أخبرنا به في كتابه عن نوح وعاد وثمود وفرعون وغيرهم ولا يقبل ذلك يوم القيامة الا ممن كان في الدنيا على يقين من أمره * وقال الشيخ في الباب الثمانين ومائتين اعلم انه لا يصح من انسان عبادة الا ان كان يعرف ربه على القطع وأما من أقام في نفسه معبودا يعبده على الظن لا على القطع فلا بد أن يخزنه ذلك الظن ولا يغني عنه من الله شيأ انتهى * وقال في صدر الفتوحات من شرط وجوب الاعتقاد في أمر من الامور وجود نص متواتر فيه أو كشف محقق ومن كان عنده الخبر الواحد الصحيح يكفي فليحكم به ولكن فيما يكون متعلقا باحكام الدنيا فان تعلق حكمه بالآخرة فلا ينبغي أن يجعله في عقيدته على التعيين وليقل ان كان هذا صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفس الامر كما وصل الي فأنا مؤمن به و بكل ما صح عن الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مما علمت ومما لم أعلم فلا يصح أن يكون في العقائد الا ما صح من طريق القطع اما بالتواتر واما بالدليل العقلي ما لم يعارضه نص متواتر لا يمكن الجمع بينهما وهنالك يعتقد النص و يترك دليل العقل و يجب على المؤمن ان يدوم عليه لكن من حيث ما هو علم لا من حيث ما هو اعتقاد فقد يكون الامر الوارد على غير الصورة التي يعطيها مقام الايمان * وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله يقول علوم النظار أوهام اذا قرنت بعلوم الالهام * وكان الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه يقول اياك ان تقنع في باب معرفة الله تعالى بدون الكشف كما عليه طائفة النظار والمتكلمين فان المتكلمين يظنون عند نفوسهم انهم ظفروا بمطلوبهم بما نصبوه من العلامات وشاهدوه من الحقائق فتراهم يسكنون الى ما حصل عندهم من الاعتقاد المربوط و يكفرون من خالفهم وذلك قصور في المعرفة ولو اتسع نظرهم لاقروا جميع عقائد الموحدين بحق ذكره في الباب الثالث والسبعين ومائتين والله تعالى أعلم * انتهت المقدمة بفضل الله تعالى ولنشرع في ذكر مباحث علم الكلام مبتدئا بذكر سوابق عقائد الشيخ محيي الدين ولواحقها عكس ما يفعله المنكرون على الشيخ فيذكرون الكلمة الغريبة عن الشيخ منفردة فلا يكاد الشخص يقبلها فان لكل شيء ظاهرا

بالعقل والسمع والنظر وقد الحمد لكن في حضرتين شهود الحق الذي نزلت منه الشرائع ليفرق بين مقام الولاية ومقام الرسالة فافهم (وذكر) أيضا في الباب الثامن والثلاثين وثلثمائة ما نصه اعلم أن الله تعالى جعل البسملة أول كل سورة من القرآن علامة كتبت على كل وعيد فيها لاحد من المسلمين فآل كل موحد الى الرحمة لاجل بسم الله الرحمن الرحيم فهي بشرى عظيمة لزوال كل صفة توجب الشقاء على أحد من عصاة الموحدين وأما سورة التوبة عند من لم يجعلها من سورة الانفال فجعل لها اسم التوبة وهي الرجعة الالهية على العباد بالرحمة والعطف فقام اسم التوبة مقام البسملة فان الرجعة على عباده تعالى لا تكون الا بالرحمة والله أعلم * وقال في الباب الخمسين سبب الحيرة في الله تعالى طلبنا معرفة ذاته تعالى باحد الطريقين اما بطريق الادلة العقلية واما بطريق تسمى المشاهدة فالدليل العقلي يمنع من المشاهدة والدليل السمعي قد أومأ اليها وما صرح وقد منع الدليل العقلي من ادراك حقيقة ذاته تعالى من طريق الصفة الثبوتية النفسية التي هو في نفسه عليها فلم يدرك العقل بنظره الا الصفات السلوب لا غير وقد سموا ذلك معرفة وكلما ازدادت الخبرة ازداد العلم بالله تعالى ولذلك كانت بصيرة أهل الكشف أعظم وقال

يدخل اليه منه * وصدرت مباحث الكتاب بنقول المتكلمين تمهيد الفهم كلام أهل الكشف ثم أعقبته بنقولهم فلا أزال أسأل وأجيب بالنقول في ذلك المبحث حتى يتضح للطالب الاشكالات التي في ذلك المبحث ان شاء الله تعالى اذا علمت ذلك فأقول وبالله تعالى التوفيق

(المبحث الاول في بيان ان الله تعالى واحد أحد منفرد في ملكه لا شريك له)

* اعلم أيدك الله تعالى ان كل من له عقل يعرف ان الله تعالى واحد لا شريك له اذ لو جاز كون الاله اثنين لجاز ان يريد أحدهما شيأ ويريد الآخر ضده كحركة زيد وسكونه فيمتنع وقوع المرادين وعدم وقوعهما لامتناع ارتفاع الضدين المذكورين واجتماعهما كما سيأتي بسطه في آخر مباحث هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فيتعين وقوع أحدهما فيكون مريده هو الاله الحق دون الآخر لعجزه فلا يكون الاله الا واحدا باجماع العقلاء قال جمهور المتكلمين والواحد هو الذي لا ينقسم ولا يشبه بفتح الموحدة المشددة أي لا يكون بينه وبين غيره شبه بوجه من الوجوه فلا يكون لوجوده ابتداء ولا انتهاء اذ لو كان له ابتداء أو انتهاء لكان حادثا والحادث يحتاج الى محدث وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا * وسمعت سيدي عليا المرصفي رحمه الله يقول الآحاد أربعة أقسام * الاول أحد لا يتحيز ولا ينقسم ولا يفتقر الى محل وهو البارى جل وعلا * الثاني أحد يتحيز وينقسم ويفتقر الى محل وهو الجسم * الثالث أحد يتحيز ولا ينقسم ويفتقر الى محل وهو الجوهر * الرابع أحد لا يتحيز ولا ينقسم ويفتقر الى محل وهو العرض انتهى * وهذا هو مجموع الوجود القديم والحادث فتأمله فانه نفيس فهذه عبارة المتكلمين * وأما عبارة الشيخ محيي الدين رحمه الله فقال في باب الاسرار من الفتوحات اعلم ان الله تعالى واحد باجماع ومقام الواحد تعالى ان يحل فيه شيء أو يحل هو في شيء اذ الحقائق لا تتغير عن ذواتها فانها لو تغيرت لتغير الواحد في نفسه وتغير الحق تعالى في نفسه وتغير الحقائق محال انتهى وسيأتي بسط ذلك في مبحث نفي الحلول والاتحاد ان شاء الله تعالى * فان قيل فما وجه كفر من قال ان الله ثالث ثلاثة مع كون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق وهما في الغار حين خاف من المشركين ما ظنك باثنين الله ثالثهما * فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين في باب الاسرار ان وجه كفر من قال ان الله ثالث ثلاثة كونه جعل الحق تعالى واحدا من الثلاثة على الابهام والتساوي في مرتبة واحدة ولو انه قال ان الله تعالى ثالث اثنين لم يكفر كما في الحديث والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الله ثالثهما أي حافظهما في الغار من الكفار والله أعلم * وقال الشيخ أيضا في الباب الحادي والثلاثين ومائتين من الفتوحات المكية وانما لم يكفر من قال ان الله تعالى ثالث اثنين أو رابع ثلاثة لانه لم يجعله من جنس الممكنات بخلاف من قال ان الله ثالث ثلاثة أو رابع أربعة أو خامس خمسة ونحو ذلك فانه يكفر فتأمل فان الله تعالى واحد أبدا الكل كثرة وجماعة ولا يدخل معهم في الجنس لانه اذا جعلناه رابع ثلاثة فهو واحد منفرد أو خامس أربعة فهو واحد منفرد وهكذا بالغا ما بلغ * قال وليس عندنا في العلم الالهي أغمض من هذه المسئلة لان الكثرة حاكمة في عين وجود الواحد بحكم المعية ولا وجود لها فيه اذ لا حلول ولا اتحاد انتهى * وقال في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة من الفتوحات أيضا في قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم الآية اعلم ان الله تعالى مع الخلق أينما كانوا سواء كان عددهم شفعا أو وترا لكن لا يكون الله تعالى واحدا من شفعيتهم ولا واحدا من وتريتهم اذ صفته التي ظهرت المشاهد لا يمكن ان تقف في المرتبة العددية التي وقف فيها الخلق أبدا فمتى انتقلوا الى المرتبة التي كان فيها صفة الحق تعالى انتقلت صفة الحق تعالى الى المرتبة التي تليها قبل انتقالهم * قال وهذا تنزيه عظيم لا يصح للخلق فيه مشاركة مع الحق تعالى أبدا * فان قيل فما أجرأ الخلق على القول بتعدد الآلهة مع ان تعددها لا وجه له عقلا * فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين وثلثمائة ان الذي أجرأهم وأدخل عليهم الكفر والشرك هو وجود التنكير الذي جاء من لفظ اله من قوله تعالى وما من اله الا اله واحد فهذا هو الذي أجرأ المشركين على اتخاذ الآلهة من دون الله قال وانظر الى الاسم العظيم الله لما لم

ولا منازعة الاكابر من العلماء وأولي الامر على أهل الله عز وجل لاتوا بنظير ما جاءت به الانبياء من صفات الله تعالى من تعجب وفرح وضحك ونزول ومحبة ولكن نعم ما فعل العلماء في انكارهم ونعم ما فعل أهل الله في عدم التلفظ بما أطلعهم الله عليه من معرفته وأطال في ذلك (وقال) في الباب الحادي والخمسين من رجال الله من أعطاه الله تعالى علامة يعرف بها الحرام والحلال في المآكل والملابس والمشارب وغير ذلك فاستراح من التعب والتفتيش وسوء الظن بعباد الله تعالى المكتسبين لذلك المال ثم ان هذا الامر لا يكون لهم الا بعد التضييق الشديد في التورع وهنالك جازاهم الله تعالى ونفس عنهم باعطائهم تلك العلامة في المطعوم مثلا فيستعملونه ويظن من لا علم له بذلك أنهم أكلوا حراما وليس كذلك * وقال في الباب الثاني والخمسين اعلم أن نسبة الانسان الى أمه أولى من نسبته الى أبيه وذلك لانه من جهة أبيه ابن فراش ومن جهة أمه ابن حقيقة * وقال في الباب الثالث والخمسين يجب على كل من لم يكن له شيخ أن يعمل هذه التسعة أمور حتى يجد له شيخا وهي الجوع والسهر والصمت والعزلة والصدق والصبر والتوكل والعزيمة واليقين وأطال في بيان كل واحد منها * وقال في الباب السابع والخمسين في قوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها انما قدم الفجور على التقوى في الذكر لينبه تعالى على أن الفجور يدخله

يدخله تنكير كيف لم يصح للكفار ان يسموا ما اتخذوه باسمه تعالى الله لان الله تعالى واحد معروف غير مجهول عندهم كما أقر بذلك عبدة الاوثان فى قولهم عن آلهتهم التى اتخذوها ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فلم يقولوا الا ليقربونا الى اله كبير هو أكبر منها فكان قبول لفظ اله التنكير هو السبب فى ضلال من اتخذ آلهة من دون الله مع الله ومن هنا أنكروا انه اله واحد ولو انهم كانوا أنكروا الله تعالى ما كانوا مشركين وان كانوا كافرين فهم يشركون اذا أنكروا الله تعالى ولذلك قالوا أجعل الآلهة الها واحدا وما قالوا أجعل الآلهة الله فان الله تعالى ليس عند المشركين بالجعل * قال الشيخ محيي الدين وقد عصم الله تعالى الاسم الله ان يطلق على أحد وما عصم اطلاق لفظ اله قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه ولله تعالى فى ذلك سر يعلمه العلماء بالله تعالى لا يسطر فى كتاب لان الكتاب يقع فى يد أهله وغير أهله * فان قيل فما ألطف الاوثان وما أكثفها * فالجواب كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والسبعين ومائتين ان ألطف الاوثان الهوى وأكثفها الحجارة ولهذا قال المشركين لما دعوا الى توحيد الاله فى الالوهية أجعل الآلهة الها واحدا فرد الله عليهم بقوله ان هذا لشئ عجاب فهو من قول الله تعالى عندنا لا من قول الكفار خلاف ما وقع لبعض المفسرين فان التعجب الواقع من جهة الحق تعالى انما وقع من فعل الكفار حين قالوا أجعل الآلهة لها واحدا لما دعوا الى توحيد الاله فى الالوهية وانه اله واحد وهم يعتقدون كثرتها أى فآخر مقالة الكفار هو قولهم الها واحدا وأما قوله ان هذا لشئ عجاب فليس من قولهم * قلت ويؤيد ما نسبه الشيخ لبعض المفسرين ان المتعجب لا يتعجب الا مما ورد عليه من الامور الغريبة التى لا تعمل له فيها والله تعالى منزه عن ذلك * قال الشيخ رحمه الله تعالى عقلا ان الاله لا يكون بجعل جاعل فانه اله لنفسه ولذلك وبخ الخليل عليه السلام قومه لما نحتوا آلهتهم بقوله أتعبدون ما تنحتون لما علم فى ضرورة العقل ان الاله لا يتأثر وقد كان هذا الاله الذى اتخذوه خشبة يلعب بها الصبيان او حجر يستجمر به ثم أخذه هذا المشرك وجعله الها يذل له ويتأله اليه فى الشدائد ويفتقر اليه ويدعوه خوفا وطمعا فمن مثل هذا يقع التعجب مع وجود العقل عندهم فتعجب الحق تعالى من ذلك ورسوله ليعلم المحجوبين ان الامور كلها بيد الله عز وجل وان العقول لا تعقل بنفسها وانما تعقل بما يلقى اليها ربها او الهها ولهذا تتفاوت درجاتها فمن عقل مجعول عليه قفل ومن عقل محبوس فى كن ومن عقل طبع على مرآته صدأ * فعلم أن العقول لو كانت تعقل بنفسها لما أنكرت توحيد موجدها فلهذا جعلنا التعجب ليس من قول الكفار انتهى * فان قيل فهل كون الحق تعالى لم يولد من خصائصه أم يشاركه فى ذلك خلقه * فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة ان عدم الولادة ليس خاصا بالحق تعالى فان آدم عليه الصلاة والسلام أيضا لم يولد ولكن لما كانت الولادة معلومة عند السائلين خوطبوا بما هو معلوم عندهم ونزه الحق تعالى نفسه عن مجانسة خلقه انتهى * قلت فقوله تعالى ان هذا الشئ عجاب يحتمل أن يكون للتعجب وهو المسمى عند علماء الرسوم بالتعجب أى من شأن ذلك الامر أن يتعجب منه السامع وان لم يكن المتكلم متعجبا منه لاستحالة التعجب الحقيقى عليه فيصرف الى السامع من جهة الحق جل وعلا تنزلا للعقول ويحتمل أن يكون من جهة الكفار اما من جهة الحق فهو لكونهم قالوا بتعدد الآلهة واما من جهة الكفار فمن كون الاله واحدا فكلام الشيخ على أحد الاحتمالين * فان قلت فهل وصف الشرك بانه ظلم عظيم راجع الى ظلم العبد نفسه أو الى ظلم غيره من الخلق أو الى ظلم صفات الالوهية فالجواب ما قاله الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن والسبعين من الفتوحات ان الشرك انما هو من مظالم العباد قال تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فيأتى يوم القيامة من أشركوه مع الله تعالى فى الالوهية من كوكب وحيوان ونحو ذلك فيقول يارب خذلى مظلمتى من هذا الذى جعلنى الها ووصفنى بما لا ينبغى لى فيأخذ الله تعالى له مظلمته من المشرك ويخلده فى النار مع شريكه ان كان حجرا أو حيوانا غير انسان أما الانسان فلا يخلد فى النار مع عبدته الا ان رضى بما نسب اليه من الالوهية وأما نحو عيسى والعزير عليهما السلام أو على بن أبى طالب فلا يدخلون النار مع من

هو الغالب على الانسان و يرجع العبد الى ربه فى كونه هو المقدر عليه ذلك فيتوب تعالى عليه قال والالهام بالفجور من باب كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا فالنفس محل قابل لما تلهمه من الفجور والتقوى فتميز الفجور لتجتنبه والتقوى فتسلك طريقها فليست النفس أمارة بالسوء من حيث ذاتها لان مرتبتها المباح الشرعى لا تتعداه وأما قوله ان النفس لأمارة بالسوء فليس هو حكم الله تعالى وانما حكى تعالى ما قالته امرأة العزيز فى مجلس العزيز وهل أصابت فى هذه الاجابة أم لم تصب هذا حكم آخر مسكوت عنه فبطل التمسك بظاهر هذه الآية والدليل اذا دخله الاحتمال سقط الاحتجاج به والله أعلم * وقال فى الباب التاسع والخمسين فى حديث الدجال يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قد توهم بعضهم ان هذا الطول انما هو من شدة الاهوال فى ذلك الزمان وليس كذلك فان تمام الحديث قد رفع الاشكال بقول عائشة رضى الله تعالى عنها فكيف نفعل فى الصلاة فى ذلك اليوم قال أقدروا له فلولا أن الامر فى حركات الافلاك باق على ما هو عليه لم يختل ما صح أن يقدر لذلك بالساعات التى يعلم بها الاوقات فى أيام الغيم اذ لا ظهور فى ذلك اليوم للشمس فانه فى أول خروج الدجال تكثر الغيوم وتتوالى بحيث انه يستوى فى رأى العين وجود الليل والنهار قال وهو من الاشكال الغريبة التى تحدث

عبدهم لان هؤلاء ممن سبقت لهم من الله تعالى الحسنى انتهى * فان قيل فهل لقوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به مفهوم * فالجواب كما قاله فى الفتوحات فى الباب الثامن والتسعين ومائتين أنه لا مفهوم له لان الاجتهاد فى الاصول ممنوع عند المحققين فيأثم من أخطأ فيه * فان قيل فما وجه تنكير قوله تعالى الها فى هذه الآية * فالجواب انه انما نكره لانه لم يكن موجودا ثم اذ لو كان موجودا لتعين ولو تعين لم يصح تنكيره فدل على ان من يدع مع الله الها آخر قد نفخ فى غير ضرم واستسمن ذا ورم وليس له متعلق يتعين ولا حق يتضح ويتبين وكان مدلول دعائه العدم المحض ولم يبق الا من له الوجود المحض اذ كل شئ يتخيل فيه انه شئ فهو هالك فى عين شيئيته عن نسبة الالوهية اليه لا عن شيئيته فى نفسه فان وجه الحق تعالى فيه باق اذ هو معلوم علم الله تعالى فالله تعالى هو المعلوم المجهول انتهى * فان قلت لفظة التوحيد توهم أن العبد هو الذى وحد ربه وفى ذلك رائحة الافتقار وتعالى الله عن ذلك * فالجواب ما قاله فى الفتوحات فى الباب الثالث والسبعين ان الحق تعالى غنى عن توحيد عباده له فانه الواحد لنفسه ووحدانيته ما هى بتوحيد موحد وذلك لئلا يكون الحق تعالى الذى هو المقدس أثرا لهذا العمل فتفطنوا أيها الاخوان لهذه النكتة فانها دقيقة جدا * قال الشيخ واغناه تعالى عن توحيد عباده قال شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم فاخبر تعالى انه الموحد نفسه بنفسه وعباده انما هم شهداء على شهادته لنفسه على سبيل التصديق والاعتراف والاذعان * فان قيل عطف الملائكة وأولوا العلم على شهادته لنفسه بالواو وقد توهم الاشتراك فى الوقت ولا اشتراك هنا لان شهادة الحق لنفسه لا افتتاح لها والملائكة وأولوا العلم محدثون بلا شك * فالجواب أنه لا اشتراك الا فى الشهادة قطعا وأما الوقت فلا يصح فيه اشتراك لكون شهادة الحق تعالى كانت قبل خلق الزمان ووقت شهادة عباده له انما هى حين أظهرهم فافهم * فان قيل فلم خص فى الآية أولى العلم بالشهادة دون أولى الايمان * فالجواب أنه تعالى انما خص أولى العلم بالشهادة لان شهادتهم ليست عن علم من طريق الايمان وانما هى عن تجل الهى لقلوبهم أفادهم العلم الضرورى بتلك الشهادة لان شهادته تعالى لنفسه بالتوحيد ما هى عن اخبار عن غيره حتى تكون ايمانا فان متعلق الايمان انما هو الخبر عن وقوع أمر فيسمعه السامع فيؤمن له به واخبار الله تعالى عن نفسه ليس كذلك وقد استفدنا من اضافتهم الى العلم دون الايمان الاعلام من الله تعالى لنا بأن المراد باولى العلم أهل التوحيد الذين حصل لهم التوحيد بالطريق المتقدم وقد يلحق بهم من حصل له التوحيد من طريق العلم النظرى وليس المراد بهم من حصل له ذلك من طريق الخبر وكأنه تعالى يقول وشهد الملائكة بتوحيدى بالعلم الضرورى الذى استفادوه من التجلى لقلوبهم وقام لهم مقام النظر الصحيح فى الادلة فشهدت لى يعنى الملائكة بالتوحيد كما شهدت لنفسى وشهد بذلك أيضا أولوا العلم بالنظر العقلى الذى جعلته لهم انتهى * قلت ويؤيد ما قرره الشيخ قوله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة لانه صلى الله عليه وسلم لم يقل يؤمن ولا يقول بل قال يعلم وأفرد العلم وذلك لان الايمان متوقف وجوده على وجود الخبر كما مر وذلك متوقف على مجىء الرسل والرسول لا يثبت حتى يعلم الناظر العاقل أن ليس ثم الا اله واحد ثم يقول ذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له قل لا اله الا الله لقول الله له قل ذلك وحينئذ يسمى مؤمنا فان الرسول أوجب عليه أن يقوله لو كان عالما هو بها فى نفسه من غير واسطة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله أى آمنوا بمحمد ولو كنتم مؤمنين من جهة شرع بعث موسى وعيسى اذ الحكم انما هو لشرع بعث محمد الآن وكذلك الحكم فى أهل الفترات يؤمرون كذلك بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا أدركوا زمن رسالته ولو كانوا موحدين قبل ذلك بالنور الذى قذفه الله فى قلوبهم كقس بن ساعدة وسيف بن ذى يزن واضرابهما فعم صلى الله عليه وسلم بقوله من مات وهو يعلم جميع أنواع التوحيد من طريق الخبر أو العلم الضرورى وانما جعل صلى الله عليه وسلم صاحب هذا التوحيد العلمى سعيدا او يدخل الجنة وان لم يتصف بالايمان لان النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها أبدا بأى طريق كان توحيده * فان قيل فلم لم يقل صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث السابق ويعلم ان محمدا رسول الله مع أنه لا بد من ذلك فى طريق

وتجارى النجوم فيقدرون بها الليل والنهار وساعات الصلاة بلا شك قال ولو كان ذلك اليوم الذى هو كسنة يوما واحدا لم يلزمنا أن نقدر الصلاة بل كما ننتظر زوال الشمس فما لم تزل الشمس لا نصلى الظهر المشروع ولو أقامت بلا زوال مقدار عشرين سنة أو أكثر لم يكلفنا الله غير ذلك قال وقد اختلف الناس فى معقول لفظة الزمان ومدلولها فاكثر الحكماء على أنه مدة متوهمة تقطعها حركات الافلاك والمتكلمون على أنه مقارنة حادث بحادث يسأل عنه بمتى والعرب يريدون به الليل والنهار قال وهو مطلوبنا فى هذا الباب والله اعلم * وقال فى الباب الثامن والستين انما شرط بعضهم القصد الذى هو النية فى التراب دون الماء لان الماء سر الحياة فهو يعطى الحياة بذاته سواء قصد أو لم يقصد بخلاف التراب لانه كثيف لا يجرى على العضو ولا يسرى فى وجه القصد فافتقر للقصد الخاص بخلاف الماء فانه تعالى قال اغسلوا ولم يقل تيمموا ماء طيبا مثل ما قال فى التراب صعيدا طيبا قال فان قالوا انما الاعمال بالنيات وهو القصد والوضوء عمل قلنا سلمنا ما تقولون ونحن نقول به ولكن النية هنا متعلقها العمل لا الماء والماء ما هو العمل والقصد هنا للصعيد فيفتقر الوضوء لهذا الحديث للنية من حيث ما هو عمل عبادة للماء تأمل

سعادة المؤمن * فالجواب كما قاله القصري في شرح شعب الايمان انه انما لم يأت بم اى الحديث لتضمن الشهادة بالتوحيد الشهادة بالرسالة في حق من قالها امتثالا للشارع صلى الله عليه وسلم فان القائل لا اله الا الله لا يكون مؤمنا الا اذا قالها بالقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم له قل فاذا قالها بقوله له قل فهو عين اثبات رسالته فلما تضمنت هذه الكلمة الخاصة الشهادة بالرسالة لم يقل في الحديث ويعلم ان محمدا رسول الله على انها قد جاءت في رواية أخرى انتهى ويحتمل أن يكون الحق تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالكف عمن قال لا اله الا الله فتدور دعنه أن من مات عليها دخل الجنة ثم ان الله تعالى أمره بان يكلفهم بالايمان بالرسول آخر الامر لما نسخ عنهم الحسد الذى كان عندهم أوائل البعثة وأذاه واله كما هو سنة الله تعالى في تكليفه لعباده بالاحكام شيأ فشيأ ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم انما سكت عن لفظة وأن محمدا رسول الله ليدخل أهل الفترات ومن لم يبلغهم الرسالة والله تعالى أعلم * فان قيل فاى التوحيد أعلى توحيد من ينظر في الادلة أو توحيد من لا ينظر من الحيوانات والجمادات * فالجواب كما قاله سيدى على الخواص ان توحيد من لا ينظر في الادلة أعلى ا. اكان توحيده كشفا فان كان تقليدا فتوحيد من ينظر في الادلة أعلى منه والله أعلم بل سمعته يقول من توقف في توحيده لله عز وجل على دليل فهو جاهل لان كل مخلوق يعلم أن الله واحد بالفطرة وغاية الانسان اذا نظر في الادلة ان ينتهى أمره الى الحيرة في الله تعالى من حيث كنهه وذلك هو حال البهائم لانهم مفطورون على الحيرة والانسان لما خلقه الله تعالى على صورة الكمال يريد الخروج عن الحيرة وما علم ان ذلك لا يصح له * فان قيل فهل يصح لعبد ان يترقى في تنزيه الحق تعالى عما وجده في نفسه من صفات المحدث أم لا يصح له الترقى عن ذلك * فالجواب ما قاله في الفتوحات في الباب العشرين وثلثمائة أنه لا يصح لعبد أن يترقى في تنزيه الحق تعالى عما يعلمه من نفسه أبدا فكل عبد ينزهه عن كل ما هو عليه اذ كل ما هو عليه العبد محدث والحق لا ينزه الا عن قيام الحوادث به ولهذا كان التنزيه يختلف باختلاف المنزهين فالعرض يقول سبحان من لم يفتقر في وجوده الى محل يكون به ظهوره والجوهر يقول سبحان من لم يفتقر في وجوده الى أداة تمسكه والجسم يقول سبحان من لم يفتقر في وجوده الى موجد يوجده قال وفى هذا حصر التنزيه من حيث الامهات فانه ما ثم الا جسم أو جوهر أو عرض والكامل يسبح الله تعالى بجميع تسبيح العالم كله لانطواء العالم فيه انتهى * فان قيل فهل عبادة الخلق للحق تعالى من طريق أحديته أو من طريق واحديته فان قلتم انها من طريق الاحدية فكيف صح ذلك مع امتناع التجلى فيها فان الاحد لا يقبل وجود غيره معه بخلاف الواحدية * فالجواب ما قاله في الفتوحات في الباب الثانى والسبعين ومائتين انه لا يصح لعبد أن يعبد الله تعالى من حيث أحديته وذلك لان الاحدية تمحق وجود العابد فكانه تعالى يقول لا تعبدونى الا من حيث ربوبيتى فان الربوبية هى التى تعرفونها لكونها أوجدتكم فما صح لاحد تعلق الا بها ولا تذلل الا لها فمن تعبد لحضرة الاحدية فقد تعبد نفسه لغير معروف وطمع في غير مطمع لان الاحدية من خصائص الذات التى تمحق الاغيار فعلم ان ما سوى الله لا أحدية له مطلقا وان المراد بقوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدا المجاز لا الحقيقة لانه خلاف ما يفهمه أهل الله تعالى في تقدير هم المعانى وان كانت لفظة الاحدية جاءت ثابتة الاطلاق على ما سواه تعالى كما في هذه الآية ويؤيد ما قررناه قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد أى لا يشاركه أحد في صفة الاحدية * قال الشيخ محيى الدين وأما الواحد فقد نظرنا في القرآن فلم نجده أطلقه على غيره كما أطلق الاحد يقوما تاما منه على يقين فان كان لم يطلقه فهو أخص من الاحد فهو يكون اسما للذات علما لا صفة كالاحدية اذ الصفة محل الاشتراك ولهذا أطلقت على ما سوى الله كما مر انتهى * فان قيل قد أجمعوا على ان كل صادق ناج ومعلوم ان المشرك صادق في انه مشرك فلم لا ينفعه صدقه * فالجواب ما قاله الشيخ في الباب الخامس والخمسين وثلثمائة من الفتوحات ان الصدق لا ينجى صاحبه الا ان وافق الحق فان النميمة والغيبة قد يكونان صدقا ومع ذلك فهما محرمتان ولذلك قال تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم يعنى هل أمرهم الحق بذلك الصدق أم نهاهم عنه فكل حق صدق

الفعل والعمل عن المقصود بالنية ... الطيب والعمل به تبرع (٢٩) النية الشرعية عند الشروع في الفعل كما يفتقر العمل بالماء في الوضوء والغسل وجميع الاعمال المشروعة الى الاخلاص المأمور به وهو النية وأطال في ذلك وقد تقدم ما له تعلق بالنية أيضا في الباب الثالث والثلاثين فراجعه فيه * وقال فيه أجمع أهل العلم في كل ملة ونحلة على أن الزهد في الدنيا وترك جميع حطامها والخروج عما بيده منها أولى عند كل عاقل واما المال الذى فيه شبهة تقدح فيه فليس له امساكه وهذا هو الورع ما هو الزهد وأطال في ذلك * وقال فيه انما كان الاستجمار بثلاثة أحجار فما فوقها من الاوتار لان الجمرة هى الجماعة والوتر هو الله فلا يزال الوتر الذى هو الحق مشهود الخلق ولو في حال الاستجمار وأطال في ذلك ثم قال أواخر الباب الذى أقول به ان الاستجمار بحجر واحد لا يجزى لان ذلك ينقض ما سمى به الاستجمار فان الجمرة هى الجماعة وأقل الجماعة اثنان والثالث يوتره * وقال في الكلام على الرمى من كتاب الحج اعلم أنه لا يستنجى لمن يرى الاستجمار بالحجر الواحد اذا كان له ثلاثة حروف فان العرب لا تقول في الحجر الواحد انه جمرة انه فتأمله وحرره والله أعلم * وقال فيه مما يدل على أن المراد ... التى هى في حقيقتها الاتيان

وليس كل صدق حقا فعلم ان المشرك صادق في انه مشرك وما هو صادق في ان الشركة في الالوهية صحيحة وقد بحث هو بالادلة الشرعية والعقلية فلم يجد لما ادعاه عينا في الصدق انتهى * فان قيل فهل يصح ان يتبرأ الحق تعالى من الشريك من حيث انه عدم لا وجود له في نفس الامر * فالجواب ما قاله الشيخ في الباب الحادي وثلثمائة انه لا يصح أن يتبرأ الحق تعالى من الشريك لانه عدم وانما يتبرأ من المشرك من حيث انه اتخذ آلهة من دون الله بغير سلطان أتاه ثم المراد بتبريه تعالى من المشرك ذمه وبغضه والا فلو تبرأ منه حقيقة فمن كان يحفظ عليه وجوده فحكم البراءة منسحكم صفة تنزه الحق عنها لان متعلق البراءة عدم انتهى * وقال في الباب الخامس والاربعين وثلثمائة لا تصح الشركة بالله أبدا لان شرط صحتها عدم تمييز الانصباء والامور كلها معينة عند الله تعالى في هذا الشئ المسمى مشتركا * وقال في الباب الثاني والسبعين لا تصح الشركة في الوجود لانه كله فعل واحد فالشركة صدر تصدر عنه فتحقق يا أخي هذا التنبيه في الشركة فانه بعيد أن تسمعه من غيري وان كان يعرفه فانه يغلب عليه الجبن الذي فطر عليه فيفزع من حيث كون الحق تعالى أثبت الشركة وصفا في المخلوق وأنه يشرك به وما شعر هذا بقوله أنا أغنى الشركاء عن الشرك فلم يقل ان الشركة صحيحة ولان الشريك موجود فالعبد هو الذي أشرك وما في نفس الامر شركة لان الامر من واحد هذا هو الحق الذي ان قلته لا تعلب وما سوى ذلك فهو مثال يضرب مثل فرض المحال وجوده موجودا انتهى وأطال في ذلك (فان قيل) فهل كل كافر مشرك كما ان كل مشرك كافر أم لا (فالجواب) ما قاله في الباب الخامس والسبعين ومائتين أن كل مشرك كافر وليس كل كافر مشركا فأما كفر المشرك فلعدوله عن أحدية الاله وأما شركه فلانه نسب الالوهية الى غير الله مع الله وجعل لها نسبتين فاشرك وأما وجه كونه لا يلزم أن يكون كل كافر مشركا فهو ان الكافر هو الذي يقول ان الاله واحد غير انه أخطأ في تعيين الاله كما قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال لقد أشرك الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم فكفره من حيث انه جعل ناسوت عيسى الها كما انه يكفر أيضا بكفره بالرسول أو ببعض كتابه وكفر هذا على وجهين (الاول) أن يكون كفره بما جاء من عند الله مثل كفر المشرك في توحيد الله (الثاني) ان يكون عالما برسول الله وبما جاء من عند الله أنه من عند الله ثم ستر ذلك عن العامة والمقلدة من أتباعه كما وقع لقيصر ملك الروم وأطال في ذلك (فان قيل) من أين جاء الناس اعتقاد الشريك مع الله تعالى مع انهم كلهم أجابوا بالاقرار بالربوبية وحده يوم ألست بربكم (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الخامس والثلثمائة انهم ما ادعوا الشريك مع الله تعالى حتى حجبوا عن ذلك المشهد فلما حجبوا حكمت عليهم الاوهام بوجود الشريك مع أنه عدم في نفس الامر فانه لو صح شريك الحق ما صح من العباد الاقرار بالربوبية لله تعالى عند أخذ الميثاق ولو صح وجود شريك له فيهم ما صح اقرارهم بالملك له وحده هنالك فان ذلك الموطن كان موطن حق من أجل الشهادة فنفس اطلاقهم الملك له بانه تعالى ربهم هو عين نفي الشريك قال الشيخ وانما قلنا ذلك من طريق الاستنباط لانه لم يجر هنا للتوحيد لفظ أصلا وانما المعنى يعطيه فعلم أن الشريك منفي من الاصل والسلام (فان قيل) فاذن المشرك جاهل بالله تعالى على الاطلاق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين ومائتين نعم اذ الشركة لا تصح بوجه من الوجوه ولا يكون الايجاد بالشركة قط قال الشيخ ولهذا لم تلحق المعتزلة بالمشركين لانهم انما وجدوا أفعال العباد للعباد فما جعلوهم شركاء لله تعالى وانما أضافوا الفعل اليهم عقلا وصدقهم الشرع على ذلك كما ان الاشعرية وجدوا أفعال الممكنات كلها لله تعالى من غير تقسيم عقلا وساعدهم الشرع على ذلك أيضا لكن ببعض محتملات وجوه ذلك الخطاب ولم يجعلهم من المشركين بل قالوا ان الله تعالى خالق كل شئ * قال ولكن لا يخفى أن ما ذهبت اليه الاشاعرة أقوى عند أهل الكشف مع ان كلا من الطائفتين اصحاب توحيد شرعي انتهى * وقال في الباب الثالث والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به أي لان الشريك عدم لا وجود له كما يبقى المؤمن بايمانه واذا كان عدما فلا يغفره الله اذ الغفر والستر لا يكون

المراد وجه الشئ الذي يكنى عنه بحسب الذنب فانه لا يخفى كما صرحت به الأحاديث وليس المراد به وجهه تعالى كما توهم فان ذلك لا يحتاج الى التنبيه عليه والله تعالى أعلم * قلت وسيأتي في الباب الحادي والثمانين وثلثمائة ان شاء الله تعالى في قوله صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي أي لانه صلى الله عليه وسلم لما انقلب الى عالم الخيال ورأى صورته هنالك وهو قد نام على طهارة ولم يرأن تلك الصورة أحدثت ما يوجب الوضوء فعلم أن جسده المحسوس ما طرأ عليه ما ينقض وضوءه الذي نام عليه ولهذا يقول ان النوم سبب الحدث ما هو حدث قال ومن حصل له هذا المقام لم ينقض وضوءه بالنوم كالشيخ أبي الربيع المالقي شيخ أبي عبد الله القرشي بمصر لكن كان له هذا المقام يوم الاثنين خاصة اه والله أعلم وقال فيه انما أمر العبد بالاستنشاق بالماء في الانف لان الانف في عرف العرب محل العزة والكبرياء ولهذا تقول العرب في دعائها أرغم الله أنفه فقد فعل كذا وكذا على رغم أنفه والرغام هو التراب أي أنزلك الله من كبريائك وعزك الى مقام الذل والصغر فكنى عن ذلك بالتراب فان الارض قد سماها الله ذلولا على المبالغة وأذل الاذلاء من وطئه الذليل ثم ان الكبرياء

الالمن له وجود والشريك عدم فما ثم من يستتر فهي كلمة تحقيق فمعنى قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به اى لانه لا وجود للشريك وان كان له وجود لكانت المغفرة عين تتعلق به واطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة اعلم ان الشرع قد يتبع العرف فى بعض المواضع كما فى قوله تعالى ولم يكن له شريك فى الملك فنفى الشريك مع أنه لا وجود له فى الشرع ولكن لما ثبت اسم الشريك فى العرف العام تبعه الشرع فى ذلك ليفهم عنه الحكم فانه صلى الله عليه وسلم جاء بلسان قومه وهو ما تواطؤا عليه انتهى (فان قيل) فهل فى الجن المخلدين فى النار من يشرك كالانس (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب التاسع والستين وثلثمائة انه ليس فى الجن من يجهل الحق تعالى ولا من يشرك به فهم ملحقون بالكفار لا بالمشركين وان كانوا هم الذين يوسوسون بالشرك للناس ولذلك قال تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فليتأمل (فان قيل) فاذا كان مذهب الاشعرية لا بد فيه من اضافة الفعل للعبد فكيف يصح التوحيد الخالص لله تعالى (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة وهو أنه يجب على الانسان أن ينزه به عن الشريك لا عن الشركة فى الفعل والملك لاجل صحة التكليف فان العبد فى الفعل والملك شركة لكن من خلف حجاب الاسباب كالنجار تضاف اليه الصنعة وهو لم يعمل التابوت بيده فقط وانما فعله بآلات متعددة من حديد وخشب فهذه أسباب النجارة ولم يضف عمل التابوت الى شىء منها انتهى (فان قيل) فما الفرق بين من يقول بالاسباب وبين من قال عن الاوثان ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهلا كان يكفر من وقف مع الاسباب كما يكفر من عبد الاوثان (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الثانى والسبعين فى الكلام على الحج اعلم ان عباد الاوثان قد اجتمعوا معنا فى كوننا ما عبدنا الذات لكونهم اذا نابل لكونهم الهاوانما الغوا فى الاسم فما وضعوا الاسم على حقيقة مسماه ونسبنا ما ينبغى لمن ينبغى فهو الله حقا لا اله الا هو وأولئك وضعوا الاسم على غير مسماه فاخطؤا وسمينا نحن علماء سعداء وأولئك سموا جهلاء أشقياء فنحن عباد المسمى والاسم مندرج فيه وهم عباد الاسم لا المسمى كما قال ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها فالمؤمن يسجد لله طوعا والمشرك يسجد لله كرها لانه عبد الوثن فتبرأ الوثن منه فوقعت عبادته لله تعالى كرها على رغم انفه * وقال فى الباب السبعين من الفتوحات انما لم يقبل توحيد المشركين شرعا فى قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى لان الدليل يضاد المدلول والتوحيد المدلول والدليل مغاير له فلا توحيد انتهى (فان قيل) فهل لنا علة أخرى فى برهان التمانع غير الفساد فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والسبعين ان علة منع وجود الهين كون الحق تعالى لا مثل له ولو صح ان يكون فى الوجود الهان لصح ان يكون له تعالى مثل وذلك محال لان الله تعالى نفى ان يكون له مثل بخلاف الاسماء فانه يصح اجتماعها فى عين واحدة لعدم التشبيه بالكون قال وانظر الى التفاحة مثلا كيف خلقها الله تعالى تحمل لونا وطعما ورائحة فى جوهر واحد ويستحيل وجود لونين او طعمين او ريحين فى ذلك الحيز قال ومن هنا يفهم معنى كون الحق تعالى يسمى بالظاهر والباطن دون الظاهرين او الباطنين انتهى * وقال فى الباب الاحد والثمانين ومائة انما كان المريد لا يفلح قط بين شيخين قياسا على عدم وجود العالم بين الهين وعلى عدم وجود المكلف بين رسولين وعلى عدم وجود امرأة بين رجلين انتهى * وقد قيل للشيخ محيى الدين رحمه الله ان الاله الذى جاء بوصفه ونعته الشارع لا يدرك كنهه لمباينته لخلقه فهل هو غير الاله الذى ادركه العقل واحاط به علما ام هو عينه ولكن قصر العقل عن الاحاطة به * فاجاب الشيخ فى الباب السابع والستين من الفتوحات بما نصه ان الاله الذى أدركه العقل ليس هو عين الاله المنزه المقدس لان الاله الذى جاء بوصفه ونعته الشارع لا يقبل اقتران محدث به وقد قرن بهذا الاله محمد رسول الله فى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فعلم ان التوحيد من حيث ما يعلمه الله ما هو التوحيد الذى أدركه النظر العقلى اذ الاله الذى دعا الشرع الى عبادته لا يعقل كنهه لمخالفته لسائر الحقائق وأطال فى ذلك فليتأمل ثم قال ومن عرف

لا يندفع من الباطن الا باستعمال أحكام العبيد ومن هنا شرع الاستنثار فى الاستنشاق فقيل له اجعل الماء فى انفك ثم انتثره والمعنى هنا هو علمك بعبوديتك فاذا استعملته فى محل كبريائك خرج الكبرياء من محله وهو الاستنثار * وقال انما أمر العبد أن يستر عورته فى الخلوة وان كان الحق تعالى لا يحجبه شىء لان حكمه تعالى فى أفعال عبيده من حيث ما هم مكلفون هكذا تبع الشرع فيه العرف * وقال الطهارة الباطنة للاذنين تكون باستماع القول الاحسن فانه ثم حسن فأحسن فأعلاه حسنا ذكر الله فى القرآن فيجمع بين الحسنين فليس أعلى من سماع ذكر الله بالقرآن مثل كل آية لا يكون مدلولها الا ذكر الله فانه ما كل آى القرآن يتضمن ذكر الله فانه فيه حكاية الاحكام المشروعة وقصص الفراعنة وحكايات أقوالهم وكفرهم وان كان فى ذلك الاجر العظيم من حيث ما هو قرآن بالاصغاء الى القارئ اذا قرأ من نفسه أو غيره فعلم أن ذكر الله اذا سمع فى القرآن أتم من سماع قول الكافرين فى الله ما لا ينبغى * وقال فيه أصل مسح الرأس طلب الوصلة لله ولا تكون الوصلة الا مع شهود الذل والانكسار ولهذا لم يشرع مسح الرأس فى التيمم لان وضع التراب على الرأس من علامة الفراق وهو المصيبة العظمى اذ كان الفاقد حبيبه بالموت يضع التراب على رأسه وسيأتى زيادة على ذلك وأطال فى ذلك * وقال فيه اعلم أن الاستدلال على الاكتفاء بالمسح على العمامة

ماقررناه علم أن الاله الذى أدركه العقل لا يحتاج الى تأويل شئ من صفاته التى أدركها بعقوله ولو تنزل الحق تعالى فيها لعقولنا فيصح وصفه بالاستواء والنزول والمعية والتردد ونحو ذلك من غير تأويل انتهى * قلت فما احتاج الى تأويل الا من ظن أن الاله الذى كلفنا الله بمعرفته ليس هو صاحب الصفات المقدسة التى لا تعقل وذلك أن الحق تعالى له مرتبتان مرتبة هو عليها فى ذاته ومرتبة تنزل منها لعقول عباده فما عرف الخلق منه الا رتبة التنزل لا غير لان الله تعالى لم يكلف الخلق أن يعرفوه تعالى كما يعرف نفسه أبدا ولو كلفهم بذلك لادى الى الاحاطة به كما يحيط هو بنفسه وذلك محال لتساوى علم العبد وعلم الرب حينئذ انتهى * وقد قال الشيخ أيضا فى الباب الثانى والسبعين ان التنزيه سمع فى الشرع ولم يوجد فى العقل انتهى * وقد أنشد سيدى محمد وفا رضى الله تعالى عنه فى هذا المعنى

عقال عقلك بالاوهام معقول * قد قلب القلب منك القال والقيل

نحت بالفكر معبودا وقلت به * وصنت عقدا بكف الحق محلول

قد عشت قبلك دهرا فى مكابدة * ولى فؤاد بهذا الداء معلول

انتهى * فعلم أنه ما ترقى عن الاوهام الا الانبياء وكمل ورثتهم من الاولياء والعلماء فهؤلاء هم الذين خرجوا عن الاوهام فى الله عز وجل ولذلك لم ينقل عنهم تأويل صفات الله لانفسهم وانما أولوها لاتباعهم لقصور عقولهم فكان من جملة رحمة الله تعالى بعامة عباده التنزل لعقولهم بضرب من التشبيه الخيالى ومخاطبتنا منه لنتعقل عن أمره ونهيه فاذا تعقلنا ما خاطبنا به ذهبت المثل المتخيلات كانها ما جاءت وبقى معنا العلم وهذا نظير ما نزل الينا من كلامه القديم المنزه عن الحروف والاصوات فانا لا نتعقله الا ان كان بصوت وحرف ولو أنه كشف عنا الغطاء لوجدناه بغير صوت ولا حرف كما ان الحق تعالى اذا تجلى يوم القيامة يراه بعض الناس فى صورة ولو أنه حقق النظر لم يجد الحق صورة ونظير ذلك أيضا السراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ * وقد ذكر الشيخ فى الباب الثانى والسبعين ان الحق أن يناقش الموحدين ويقول لهم فبماذا وحدتمونى ولماذا وحدتمونى وما الذى اقتضى لكم توحيدى فان كنتم توحدونى فى المظاهر فأنتم القائلون بالحلول والقائلون بالحلول غير موحدين لانهم أثبتوا أمرين حالا ومحلا وان كنتم وحدتمونى فى الذات دون الصفات والافعال فما وحدتمونى لان العقول لا تبلغ اليها والخبر لم يجئكم امن عندى وان كنتم وحدتمونى فى الالوهية بما تحمله من الصفات الفعلية والذاتية مع اختلاف النسب فبم وحدتمونى هل بعقولكم أو بى فكيفما كان ما وحدتمونى لان وحدانيتى ما هى بتوحيد موحد لا بعقولكم ولا بى فان توحيدكم اياى بى هو توحيدى وتوحيدكم بعقولكم هباء منثور وكيف تحكمون على بحكم من خلقته ونصبته وان كان الذى اقتضى توحيدى هو وجودكم فأنتم تحت حكم ما اقتضاه منكم فقد خرجتم عنى فأين التوحيد وان قلتم ان الذى اقتضى توحيدكم هو أمرى فأمرى ما هو غيرى فعلى يدى من وصل اليكم وان قلتم انه هو ما رأيتموه منى فمن ذا الذى رآه منكم وان لم تروه منى فأين التوحيد وأنتم تشهدون الكثرة انتهى * وقال فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الجامع اعلم ان التوحيد المطلوب منا معقول غير موجود والجمع موجود معقول ولو أنه تعالى أراد منا التوحيد الخالص الذى ليس معه فيه سواه لما أوجد العالم لكن لما سبق علمه أنه اذا أوجد العالم كان بعض الناس يشرك به وقع ذلك على حكم ما سبق به العلم وما ثم شئ خارج عن حكمه وارادته وأطال فى ذلك * ثم قال وهذا هو وجه استناد وجود الشرك فى العالم وقد كان تعالى ولا شئ معه يتصف بالوجود لا الشريك ولا المشرك فنشأ الشرك من وجود العالم معه تعالى فاخفى العالم عينه على نفسه الا وهو موجود مع الحق تعالى فلذلك كان ليس له فى التوحيد الخالص ذوق فلما قيل له وحدنا الحق لم يفهم هذا الخطاب ففكر وعليه القول فقال لا أدرى ولا أعقل التوحيد الا بين اثنين موحد بكسر الحاء وموحد بفتحها وأطال فى ذلك * ثم قال فى باب الوصايا من الفتوحات اعلم انه لا يعرف التوحيد الذى يستحقه الحق الا الحق وأما نحن فاذا وحدناه فانما نوحده بتوحيد الرضا ولسانه

والعملة معا فقد تم الماء الشعر وحصل حكم الاصل لمذهب من يقول بمسح البعض * وقال فيه مسح الرجلين بالكتاب وغسلهما بالسنة المبينة للكتاب قال والآية تحتمل العدول عن الظاهر الا على مذهب من يرى أو ينقل عن العرب أن المسح لغة فى الغسل فيكون من الالفاظ المترادفة قال ومذهبنا أن الفتح فى لام أرجلكم لا يخرجها عن الممسوح فان هذه الواو قد تكون واو المعية تنصب تقول قام زيد وعمرا وأطال فى ذلك (قلت) قوله ومذهبنا أى من حيث النحو لا من حيث الاحكام والله أعلم * وقال فيه ليس فى مقدور البشر مراقبة الله تعالى فى السر والعلن مع الانفاس فان ذلك من خصائص الملا الاعلى وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان له هذه الرتبة لكونه مشرعا فى جميع أحواله فلا يوجد الا فى واجب أو مندوب أو مباح فهو ذاكر الله بالمباح فافهم واليه الاشارة بقول عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وقال فيه اذا وقع فى القلب خاطر غريب يقدح فى الشرع وجب على الانسان أن يجرد النظر فى ذلك بالعقل دون الاستدلال بالشرع كالبرهمى الذى ينكر الشريعة فانه لا يقبل الدليل الشرعى على ابطال هذا القول فان

[illegible]

[illegible] الاسم [illegible] الكلام [illegible]

[illegible] الانسان بان الله الذى أوجده واحد لا شريك له فى

[illegible] الوحدانية فهى قيام الوحدة بالواحد

من [illegible] بالواحد وان كانت [illegible] التنزيه فهذا هو معنى التوحيد فما حصل فى نفس

[illegible] أطال فى ذلك * (خاتمة) * قال الشيخ فى باب الوصايا من الفتوحات

[illegible] أهل لا إله إلا الله فانهم من الله الولاية العامة فهم أولياء الله ولو أخطؤا او جاؤا بقراب الارض

خطايا لا يشركون بالله شيأ فان الله يلقى جميعهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته وما اغتابنا لناهجر

[illegible] الذاكرين الله لظاهر الشرع من غير أن تؤذيه أو تزدريه وأطال فى ذلك ثم قال واذا عمل أحدكم

[illegible] توعد الله عليه بالنار فليصحبه التوحيد فان التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة لا بد من ذلك والله

تعالى أعلم فتأمل فى هذا المبحث وأمعن النظر فيه فانك لا تجده فى كتاب والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله

رب العالمين

(المبحث الثانى فى حدوث العالم)

اعلم ان مسئلة حدوث العالم من معضلات المسائل لقوة شبهة الخلاف فيها بين أهل السنة والفلاسفة وقد انعقد

الاجماع من سائر الملل على حدوثه كما سيأتى ايضاحه ان شاء الله تعالى ولنبدأ بنقول محققى المتكلمين فى هذه

المسئلة ثم بنقول محققى الصوفية رضى الله تعالى عنهم فاقول وبالله التوفيق قال الجلال المحلى محقق أهل

الاصول انما كان العالم محدثا لانه يعرض له التغير والاستحالة وكل متغير محدث ولا بد للمحدث بفتح الدال

من محدث بكسرها ولا بد ان يكون واحدا ضرورة * قال شيخ الاسلام الشيخ كمال الدين بن أبى شريف

ومعنى قول الجلال المحلى فى علة الحدث أنه يعرض له التغير أى على الوجه الذى يشاهد فانا نشاهد تغير الحركة

بطريان السكون وتغير الظلمة بطريان النور وبالعكس وليس مراده أن مستند كل تغير المشاهدة فان

كثيرا من أجزاء العالم لا نشاهده كما فى باطن الارضين وما فى السموات فالحكم بالتغير فيه مستند الى دليل العقل

قال وتمام التقرير لعلة الحدوث المذكور ان يقال العالم أعيان وأعراض فالاعراض يدرك تغير بعضها

بالمشاهدة فى نفس الامر كانقلاب النطفة علقة ثم مضغة ثم لحما ودما وفى الآفاق كالحركة بعد السكون والضوء

بعد الظلمة وسائر ما يشاهد من أحوال الافلاك والعناصر والحيوان والنبات والمعادن وبعضها بالدليل وهو

طريان العدم فان العدم ينافى القدم وأما الاعيان فانها لا تخلو عن الحوادث وكل ما لا يخلو عن الحوادث

فهو حادث انتهى (وأما كلام أهل الطريق) فمن أكثرهم فى هذه المسئلة اطنابا سيدى الشيخ محيى

الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه وها أنا أجلى عليك عرائس كلامه رضى الله تعالى عنه * فقال فى

أول خطبة الفتوحات الحمد لله الذى خلق الوجود من عدم وأعدمه انتهى أى لان عدم العدم وجود

لانه موجود فى العلم الالهى ومعلوم العلم قديم من هذه الحيثية وأما من حيث ظهوره للخلق فهو حادث

بالاجماع فمن قال انه قديم مطلقا فقد أخطأ أو حادث مطلقا فقد أخطأ وسيأتى بسط ذلك فى المبحث الثانى عشر ان

شاء الله تعالى فتأمل وتقرأ ابن الشيخ رحمه الله (فان قيل) فما شبهة من قال بقدم العالم من الفلاسفة

(فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الثالث والتسعين وثلثمائة ان شبهتهم وجود الارتباط المعنوى بين الرب

والمربوب والخالق والمخلوق فان الرب يطلب المربوب والخالق يطلب المخلوق وبالعكس ولا يعقل كل

[illegible] الآخر (فان قيل) فهل وجد العالم للدلالة على الحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ

[illegible] انه لم يوجد للدلالة على الحق تعالى لانه لو وجد للدلالة [illegible] الحق تعالى

[illegible] الدليل [illegible] لا ينتقل عن مرتبة [illegible]

[illegible] العالمين انتهى * وقال فى

[illegible] قال [illegible]

[illegible] الكتاب [illegible] أقول انه

يخرج الوضوء من أكل

لحوم الابل لكن تجديدا

[illegible] مستقلا مع

كونه لم ينتقض طهارة

الاكل فتصح صلاته

بالوضوء المتقدم على الاكل

وهو عالم أنه لم يتوضأ من

لحوم الابل وقال وهذا

القول ما أعلم أن أحدا

قاله قبلى فالدوام فى رفع

هذا الوضوء رفع المانع فهو

أحوط قال ودليل من قال

أن أكل لحوم الابل ينقض

الطهارة ما ورد أنها شياطين

والشياطين بعداء عن الله

تعالى والصلاة قربة

ومناجاة فنقضوا الطهارة

به * وقال فيه الذى أقول

به منع التطهير بالنبيذ

لعدم صحة الخبر المروى

فيه ولو أن الحديث صح لم

يكن نصا فى الوضوء به فانه

صلى الله عليه وسلم قال ثمرة

طيبة وماء طهور أى قبل

الامتزاج والتغير عن وصف

الماء وذلك لان الله تعالى

ما شرع لنا الطهارة عند

فقد الماء الا بالتيمم بالتراب

خاصة * وقال فيه الاوجه

عندى أن الخف اذا تخرق

جميع عليه ما لم ينطلق عليه

اسم الخف وأن تفاحش

خرقه قال ولا نص فى هذه

المسئلة من صاحب كتاب

ولا سنة واذا تخرق الخف

على قولنا هذا الظاهر من

الرجل شئ مسح على

[illegible]

[illegible]

الباب الحادى والسبعين وثلثمائة انما سمى العالم عالما من العلامة لانه الدليل على المرجح انتهى فليتامل مع ماقبله (فان قيل) فهل تصح المنافرة عند من يقول بقدم العالم بينه وبين الحق من سائر الوجوه (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين أنه لا تصح المنافرة بين الحق والعالم من سائر الوجوه فان العالم مرتبط بالحق تعالى من حيث استمداده فى وجوده منه فهذا هو الباب الذى دخل منه من قال بقدم العالم على أنه لا يلزم من وجود هذا الارتباط الاتحاد فى نوع ولا شخص ولا جنس فان الله تعالى هو الخالق وله رتبة الفاعلية فى الوجود وأطال فى ذلك * ثم قال فعلم ان المنافرة بين الحق والخلق لا تشمل الوجود العلى الازلى لارتباط الوجود بالحق تعالى ارتباط عبودية بسيادة حتى فى حال عدم العالم فان الاعيان الثابتة فى العلم الازلى لم تزل تنظر الى الحق تعالى بالافتقار أزلا ليخلع عليها اسم الوجود ولم يزل تعالى ينظر اليها لاستدعائها بعين الرحمة فلم يزل سبحانه وتعالى رب بالماقى حال عدمنا وفى حال وجودنا على حد سواء فالامكان لنا كالوجوب له وأطال فى ذلك ثم قال ومن لم يعتقد هذا الارتباط الذى ذكرناه زلت به قدم الغرور فى مهواة من التلف أى لان الوجود اذا خلا من هذا الارتباط صار قائما بنفسه وذلك محال أما الارتباط الجسمانى فلا يصح بين العبد والرب لانه تعالى ليس كمثله شئ فلا يصح به ارتباط من هذا الوجه أبدا لان الذات له الغنى عن العالمين بخلاف الارتباط المعنوى كما مر فانه من جهة مرتبة الالوهية وهذا واقع بلا شك لتوجه الالوهية على ايجاد جميع العالم باحكامها ونسبتها واضافتها وهى التى استدعت الآثار فان قاهرا بلا مقهور وقادرا بلا مقدور وخالقا بلا مخلوق وراحما بلا مرحوم صلاحية ووجودا وقوة وفعلا لا محال ولو زال سر هذا الارتباط لبطلت أحكام الالوهية لعدم وجود من يتأثر فالعالم يطلب الالوهية وهى تطلبه والذات المقدس غنى عن هذا كله * قال الشيخ ومن هذا المبحث ظهر القائلون بقدم العالم لظنهم ارتباط الذات بالعالم كارتباط الالوهية التى هى مرتبة للذات لا عين الذات وظهر أيضا من هذا المبحث القائلون بحدوث العالم مع الاجماع من الطائفتين بان العالم ممكن وان كل جزء منه حادث وانه ليس له مرتبة واجب الوجود لنفسه وانما هو واجب الوجود بغيره اذ الخالق مثلا يطلب مخلوقا ولابد انتهى (وقال) فى هذا الباب فى قول الامام الغزالى رحمه الله ليس فى الامكان أبدع مما كان هذا كلام فى غاية التحقيق لانه ما ثم لنا الا رتبتان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والمخلوق له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث فلا يقال هل يقدر الحق تعالى أن يخلق قديما مثله لانه سؤال مهمل لاستحالته انتهى (قلت) ويحتمل أن يكون مراده أنه ليس فى الامكان شئ يقبل الزيادة والنقص على خلاف ما سبق فى العلم أبدا * وقال أيضا فى باب الاسرار الحق تعالى مع العالم مرتبط ارتباط عبودية بسيادة فان مالكا بلا مملوك وقاهرا بلا مقهور لا يصح انتهى * وقال فى لواقح الانوار أيضا اعلم ان كل أمر يطلب الكون فهو من كونه سبحانه وتعالى الها وكل أمر يطلب الكون فهو من كونه تعالى ذاتا فهما ما أتاك من كلام أهل التوحيد فزنه بهذا الميزان يتحقق لك الامر فيه ان شاء الله تعالى انتهى * وقال فيه أيضا ان قيل ما قلتموه من كون الالوهية طالبة للذات هو مضاه للعلة والمعلول (فالجواب) ان ذلك ليس بمضاه للعلة والمعلول لان العلة والمعلول أمران وجوديان عندهم وأما الالوهية فهى عندنا نسبة عدمية لا وجودية فاياك والغلط انتهى * وقال فى باب الاسرار من الفتوحات لو كانت العلة مساوية للمعلول فى الوجود لاقتضى وجود العالم لذاته ولم يتأخر عنه شئ من محدثاته والعلة معقولة وما ثم علة الا وهى معلولة ولو كان الحق تعالى علة لارتبط وارتبط لا يصح له تنزيه انتهى وقال فيه أيضا ما قال بالعلل الا القائل بان العالم لم يزل وانى للعالم بالقدم وما له فى الوجود لوجوبى قدم لو ثبت للعالم القدم لاستحال عليه العدم والعدم واقع ومشهود * وقال فى الباب التاسع والستين العالم كله موجود عن عدم ووجوده مستفاد من موجد أوجده وهو الله تعالى فمحال أن يكون العالم أزلى الوجود لان حقيقة الموجد أن يوجد ما لم يكن موصوفا عند نفسه بالوجود وهو المعدوم لانه لو وجد ما كان موجودا أزلا فان ذلك محال فاذن العالم كله قائم بغيره لا بنفسه والسلام * وقال فى موضع آخر من هذا

يتبعها فيأخذ اللسان حظه من الرفع ويأخذ اليه رحظه من النظر واليد حظها من المس قال وهكذا كان يتلو ثلاثة من أشياخنا منهم عبد الله بن المجاهد * وقال فى المضمضة والاستنشاق فى الغسل الذى أقول به أن الغسل لما كان يتضمن الوضوء كان حكمهما الوجوب من حيث انه متوضئ فى اغتساله لا من حيث انه مغتسل فانه ما بلغنا انه صلى الله عليه وسلم تمضمض واستنشق فى غسله الا فى وضوئه فيه وما رأيت أحدا نبه على مثل هذا فى اختلافهم فى وجوبهما أو استحبابهما فالحكم فيهما عندى راجع الى حكم الوضوء والوضوء عندنا وكذا فى الاغتسال من الجنابة وأطال فى ذلك * وقال فيه الكذب لغير علة شرعية حيض النفوس ولعلة شرعية دم استحاضة لا يمنع من الصلاة بخلاف الاول فانه خارج فى حال الصحة فلذلك شدد فيه قال والعناية بدم النفاس أوجه من العناية بدم الحيض من غير نفاس وذلك ان الله ما امسكه بقدرته فى الرحم ثم أرسله الا ليزلق طريق الولد رفقا بامه فكان خروج هذا الدم معينا على خروج الذاكر لله عز وجل من جهة وصف خاص قال واعلم انما تعود أحد الكذب على الناس الا واستدرجه ذلك حتى يكذب على الله ورسوله واعلم ان الكذب لغرض صحيح شرعى لا يقدح فى العدالة بل هو نص فيها وأغلب الكمل من الرجال قال وأما امتناع حبيب العجمى من الكذب لما طلب الحجاج الحسن البصرى ليقتله

الباب

فكان تخوفا من اطلاق اسم الكذب عليه فحبيب كان رجلا ساذجا ولكل مقام رجال وقال والذي أقول فيه أنه لا يجوز لاحد أن

الباب اعلم ان مدلول لفظة الازل عبارة عن نفي الاولية لله تعالى أي لا أول لوجوده بل هو سبحانه عين الاول
لا باولية تحكم عليه فيكون تحت حيطتها ومعلولا عنها كالاوليات المخلوقة وأطال في ذلك * ثم قال فالحق
تعالى يقال في حقه انه مقدر الاشياء أزلا ولا يقال في حقه موجدها أزلا فانه محال من وجهين (الاول)
هو ان كونه موجدا انما هو بان يوجد ولا يوجد تعالى ما هو موجود وانما أوجد ما لم يكن موصوفا لنفسه
بالوجود وهو المعدوم ومحال بان يتصف المعدوم بانه موجود أزلا اذ هو انما صدر عن موجد أوجده فمن
المحال أن يكون العالم أزلي الوجود (الوجه الثاني) من المحال وهو أنه لا يقال في العالم انه موجود
أزلا وذلك لان معقول لفظة الازل نفي الاولية والحق تعالى هو الموصوف بذلك فيستحيل وجود العالم بالازل
لانه يرجع الى قولك العالم المستفيد من الله الوجود غير مستفيد من الله الوجود لان الاولية قد انتفت عنه
تعالى بكون العالم معه أزلا انتهى * وقال في كتابه المسمى بالقصد الحق لا يقال العالم صادر عن الحق تعالى
الا بحكم المجاز لا الحقيقة وذلك لان الشرع لم يرد بهذا اللفظ وجل الله تعالى أن يكون مصدر الاشياء لعدم
المناسبة بين الممكن والواجب و بين من يقبل الاولية و بين من لا يقبلها و بين من يفتقر و بين من لا يقبل
الافتقار وانما يقال انه تعالى أوجد الاشياء موافقة لسبق علمه بها بعد ان لم يكن لها وجود في أعيانها ثم
انها ارتبطت بالموجد لها ارتباط فقير ممكن بغني واجب فلا يعقل لها وجود الا به سبحانه وتعالى لان تقدمه
عليها وجودي ولو كان العدم أمرا يشار اليه لكان الممكن صادرا عن الله تعالى فيكون صادرا من موجود
الى وجود و يكون له عين قائمة في الازل وذلك محال انتهى * وقال في الباب الثاني والتسعين ومائة مما
استند اليه القائلون بقدم العالم قوله تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقالوا انه تعالى
ما أضاف التكوين اليه تعالى وانما أضافه الى الذي تكون فان الحق أمره بالتكوين فامتثل ولو أنه تعالى
أضاف التكوين الى نفسه أو الى القدرة لانتفت الشبهة ثم انهم اضطروا الى أن قالوا ان الحق تعالى تجليا
يقبل القول والكلام بترتيب الحروف * قال والحق الذي نقول به ان العالم كله حادث وان تعلق
به العلم القديم انتهى * فهذه نصوص الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في قوله بحدوث العالم فكذب من
افترى على الشيخ أنه يقول بقدم العالم وقد كرر الشيخ الكلام على حدوث العالم في الفتوحات في نحو ثلثمائة
موضع وكيف يظن بالشيخ مع هذا العلم العظيم أن يقع في مثل هذا الجهل الذي يؤدي الى انكار الصانع جل
وعلا بل أفتى المالكية وغيرهم بكفر من قال بقدم العالم أو ببقائه أو شك في ذلك هذا مع أن مبنى كتب الشيخ
ومصنفاته كلها في الشريعة والحقيقة على معرفة الله تعالى و توحيده وعلى اثبات أسمائه وصفاته وأنبيائه
و رسله وذكر الدارين والعالم الدنيوي والاخروي والنشأتين والبرزخين ومعلوم أن من يقول بقدم
العالم من الفلاسفة لا يثبت شيأ من ذلك بل ولا يؤمن بالبعث والنشور ولا غير ذلك مما هو منقول عن
الفلاسفة فقد تحقق كل عاقل ان الشيخ بريء من هذا كله * وقد قال في الباب الخامس والستين من
الفتوحات اعلم أن سبب غلط منكري النبوة من الحكماء قولهم ان الانسان اذا صفى جوهر نفسه من كدرات
الشهوات وأتى بمكارم الاخلاق العرفية انتقش في نفسه ما في العالم العلوي من الصور بالقوة فنطق بالغيوب
واستغنى عن الوسائط قال الشيخ والامر عندنا وعند أهل الله ليس كذلك وان جاز وقوع ما ذكروه في بعض
الاشخاص وذلك انه لم يبلغنا قط عن أحد من نبي ولا حكيم أنه أحاط علما بما يحتوي عليه حاله في كل نفس الى
حين وفاته أبدا بل يعلم بعضا ويجهل بعضا بل لو سئل اللوح المحفوظ عما خط الحق تعالى فيه من العلوم ما عرف
ذلك الا أن يشاء الله فانظر يا أخي كيف غلط الشيخ رضي الله عنه من ينكر النبوة وكيف يظن بالشيخ أنه
يرد على أحد شيأ و يتدين هو به والله ان هذا البهتان عظيم (فان قيل) ان الحكماء تسمي الذات علة الوجود
والاشعرية تسمي تعلق العلم بكون العالم أزلا علة فما الفرق بين العبارتين (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب
الثامن والاربعين من الفتوحات أنه لا فرق بين العبارتين عند المحققين فان الذي هرب منه الاشعرية وشنعوا
على الحكماء لاجله وهو قولهم بالعلة يلزمهم في سبق العلم بكون المعلوم فان سبق العلم يطلب كون المعلوم بذاته

يصدق فيما يضر الناس الا
أن يكون له حال يحمي من
غلبه ذلك الظالم وعلى ذلك
يحمل حال حبيب العجمي
والله أعلم * وقال فيه ينبغي
لكل عالم أن لا يلقي علمه
الا في محل قابل لذلك العلم
عطشان اليه فان لم يجد من
هو بهذه المثابة فليتربص
حتى يجد أهله حاملا على
هذا الوجه ويحتاج الى
صبر شديد * وقال فيه ينبغي
أن يقيد قول من قال لا تجب
النية في التيمم بمن نشأ في
الاسلام أما الكافر اذا أسلم
فانه لابد له من نية قطعا لانه
لم يكن عنده شيء من القربة
الى الله قبل اسلامه بل كان
يرى ان ذلك كفر والدخول
فيه يبعد عن الله عز وجل
* وقال فيه الذي أقول به
ان الطهارة بالتيمم ليست
بدلا من الوضوء والغسل
وانما هي طهارة مشروعة
مخصوصة بشروط اعتبرها
الشرع ولم يرد لنا شرع أن
التيمم بدل فلا فرق بين
التيمم وبين كل طهارة
مشروعة قال وانما قلنا
مشروعة لانها ليست
بطهارة لغوية فما هي بدل
وانما هي عبادة مشروعة
مخصوصة مبينة لحال
مخصوص شرعها الذي
شرع استعمال الماء لهذه
العبادة المخصوصة وهو الله
و رسوله فهي ناشئة عن
استخراج الحكم في تلك
المسئلة من نص ورد في الكتاب أو السنة يدخل الحكم في هذه المسئلة في محل ذلك الكلام وهو الفقيه في الدين قال ولا يحتاج فيها الى

ولابد ولا يعقل بينهما كون مقدر ولا يلزم كما لا يلزم مساواة المعلول علته في جميع المراتب اذ العلة متقدمة على معلولها بالرتبة بلا شك سواء أكان ذلك سبق العلم أو ذات الحق ولا يعقل بين الواجب الوجود لنفسه و بين الممكن كون زماني ولا تقدير زمان لان كلامنا في وجود أول ممكن والزمان من جملة الممكنات فان كان أمرا وجوديا فالحكم فيه كسائر الحكم في الممكنات وان لم يكن أمرا وجوديا وكان نسبة فالنسبة حدثت بوجود الموجود المعلول حدوثا عقليا لا حدوثا وجوديا واذا لم يعقل بين علم الحق و بين معلومه بون زماني فلم يبق الا الرتبة ولا يصح أبدا أن يكون الخلق في رتبة الحق تعالى كما لا يصح أن يكون المعلول في رتبة العلة من حيث ما هو معلول عنها وأطال في ذلك * ثم قال على ان من أدل دليل على توحيد الحق تعالى كونه تعالى علة للعالم عند الحكماء فانه توحيد ذاتي ينتفي معه الشريك بلا شك لكن اطلاق لفظ العلة في جانب الحق تعالى لم يرد بها عندنا شرع فلا نطلقها عليه سبحانه وتعالى انتهى * وقال في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة اعلم أنه انما سمي العالم عالما من العلامة لانه الدليل على المرجح انتهى وقد مر ذلك أوائل المبحث وسيأتي آخر المبحث الحادي عشر ماله تعلق بهذا المبحث فراجعه والله سبحانه وتعالى أعلم *(خاتمة)* ان قيل هل اطلع أحد من الخواص على معرفة تاريخ مدة العالم على التحديد من طريق العقل أو الكشف أو الادلة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التسعين وثلثمائة انه لم يبلغنا أن أحدا عرف مدة خلق العالم على التحديد وذلك ان أكثر الكواكب قطعا في الفلك الاطلس الذي لا يكون فيه فلك الكواكب الثابتة والاعمار لا تدرك حركتها لظهور رتبوتها للابصار مع انها سابحة سحابطيئا والعمر يعجز عن ادراك حركتها القصيرة فان كل كوكب منها يقطع الدرجة من الفلك الاقصى في مائة سنة الى أن ينتهي اليها فاجمع من السنين فهو يوم تلك الكواكب الثابتة فحسب ثلثمائة وستين درجة كل درجة مائة سنة قال وقد ذكر لنا في التاريخ المتقدم أن اهرام مصر بنيت والنسر في الاسد وفي نسخة الحمل وهو اليوم عندنا في الجدي فاعمل حساب ذلك تقرب من معرفة تاريخ الاهرام فلم يدر بانيها ولم يدر أمرها على أن بانيها من الناس بالقطع قال الشيخ عبد الكريم الجيلي في شرح كلام الشيخ ومعلوم ان النسر الطائر لا ينتقل من برج الى غيره الا بعد ثلاثين ألف سنة قال وهو اليوم عندنا في الدلو فقد قطع عشرة أبراج ولا يتأتى ذلك الا بعد ثلثمائة ألف سنة انتهى فلينظر بين كلام الشيخين ويحرر * قال الشيخ محيي الدين رحمه الله ولقد رأيت وأنا بين النائم واليقظان أني طائف بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فانشدوني بيتين حفظت أحدهما ونسيت الآخر

لقد طفنا كما طفتم سنينا * بهذا البيت طرا أجمعينا

وتكلمت مع واحد منهم فقال لي أما تعرفني فقلت له لا فقال أنا من أجدادك الاول قلت له كم لك منذ مت فقال لي بضع وأربعون ألف سنة فقلت له ليس لآدم بينك آدم عليه الصلاة والسلام هذا القدر من السنين فقال لي عن أي آدم تقول عن هذا الاقرب اليك أم عن غيره فتذكرت حديثا رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى خلق مائتي ألف آدم فقلت في نفسي قد يكون الجد الذي نسبني ذلك الشخص اليه من أولئك قال والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك عندنا انتهى * وقال أيضا في الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت بادريس عليه السلام في واقعة من الوقائع فقلت له اني رأيت شخصا في الطواف فأخبرني انه من أجدادي فسألته عن زمان موته فقال لي أربعون ألف سنة فسألته عن آدم لما تقرر عندنا في التاريخ من مدته فقال عن أي آدم تسأل عن آدم الاقرب أم غيره فقال ادريس عليه السلام صدق هذا الشخص اني نبي الله ولا أعلم للعالم مدة يقف عندها والآجال في المخلوقات بانتهاء المدد لا نتهاء الخلق فان الخلق مع الانفاس يتجدد فلم يزل الحق تعالى خالقا ولا يزال دنيا وآخرة فقلت له يا نبي الله عرفني بشرط من أشراط الساعة فقال وجود أبيكم آدم الاقرب من علاماتها فقلت له كان قبل الدنيا دار غيرها فقال دار الوجود واحدة والدنيا ما كانت دنيا الا بكم انتهى * وقال في الباب السابع من الفتوحات اعلم ان عمر الدنيا لا يحصى بآلاف ألوف * وقال في الباب السابع أيضا قد أكمل

قياس وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر * وقال فيه الذي أقول به أنه لا يشترط الطلب للماء في هذا التيمم بل اذا فقده تيمم وقال جماعة لابد من الطلب وينبني ذلك على أن المقلد هل يلزمه البحث عن دليل من قلده في الاصول أو الفروع فمن قال لا يشترط طلب الماء قال لا يلزم المقلد البحث ومن قال يشترط طلب الماء قال يلزم المقلد أن يسأل المسؤل عن دليل ما أفتاه به من كتاب أو سنة وأطال في ذلك * وقال الذي أقول به أن حديث الضربة الواحدة في التيمم أثبت من حديث الضربتين قلت ذكر الشيخ في الباب السابع والثلاثين وثلثمائة ما نصه اعلم أن من شرف الانسان أن الله تعالى جعل له التطهر بالتراب وقد خلقه الله من تراب فأمره بالتطهر بذاته تشريفا له ولذلك أبقى النص على التطهر بالتراب دون غيره مما له اسم الارض فان كل شئ فارق الارض لا يتطهر به الا ان كان ترابا بخلاف التراب يتطهر به ولو فارق الارض فان الله أبقى اسم الارض عليه مع المفارقة بخلاف الزرنيخ والرخام والمعدن ونحو ذلك وأيضا فان الله ما قال أنه خلق الانسان من حجر ولا زرنيخ وانما قال خلقه من تراب والله أعلم * وقال في الباب التاسع والستين اعلم أن الصلاة مشتقة من المصلي وهو الذي يلي السابق في الحلبة والسابق هنا التوحيد والمصلي الصلاة ويشهد لهذا الترتيب حديث بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله

الله تعالى خلق المولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات عند انتهاء أحد وسبعين ألف سنة من خلق العالم الطبيعي ثم قال لما انتهى خلق العالم الطبيعي وانقضى من مدته أربع وخمسون ألف سنة خلق الله هذه الدنيا فلما انقضى من مدته ثلاث وستون ألف سنة خلق الله الآخرة التى هى الجنة والنار فكان بين خلق الدنيا وخلق الآخرة تسعة آلاف سنة ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا هذه المدة كما سميت الدنيا أولى لانها خلقت قبلها ولم يجعل الله تعالى للآخرة أمدا ينتهى اليه بقاؤها فلها البقاء الدائم قال وخلق الله تعالى آدم بعد ان مضى من عمر الدنيا سبعة عشر ألف سنة ومن عمر الآخرة التى لانهاية لها فى الدوام ثمانية آلاف سنة فخمر الله تعالى طينة آدم اذذاك قال وخلق الله الطير والدواب البرية والبحرية والحشرات من عفونات الأرض ليصفو الهواء من تلك العفونات التى لو خالطت الهواء الذى أودع الله فيه حياة هذا الانسان وعافيته لكان سقيما مريضا معلولا مدة عمره فصفى الله تعالى الجو لطفا منه تعالى بتكوين هذه العفونات حيوانات فاذلك قلت الاسقام والعلل انتهى والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث فى وجوب معرفة الله تعالى على كل عبد بقدر وسعه)

قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * قال ابن عباس الا ليعرفونى فكما تعلقت الرؤية به تعالى فكان مرئيا كذلك تعلقت به المعرفة فكان معروفا لكن ربما يكون معرفة بعض الناس بالله تعالى جهلا بالنسبة لمن هو أعلى منه درجة فلا يصح العلم بالله تعالى من كل وجه ولا الجهل به من كل وجه ولا يخرج الانسان عن الجهل بالحق الا ان عرف الحق تعالى كما يعلم الحق نفسه من غير نقص وذلك محال * وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول من ادعى مقام المعرفة وهو يجرح عقائد أحد من أهل الفرق الاسلامية من كل وجه فهو كاذب فان من شرط العارف بالله تعالى دخول الحضرة الالهية واذا دخلها رأى عقائد جميع المسلمين شارعة اليها ومتصلة بها كاتصال الأصابع بالكف فاقر عقائد جميع المسلمين بحق وكشف ومشاهدة ولو من بعض الوجوه وانما منع الاشياخ المريد من الاجتماع بغيرهم من الاشياخ ليختصروا له الطريق فان حكم طريق كل شيخ كالأصبع المتصلة بالكف فاذا سلك الانسان مقدار عقدة ثم انتقل الى شئ آخر فسلك على يديه مقدار عقدة ثم انتقل الى آخر فسلك على يديه مقدار عقدة فقد أوقف نفسه عن السير ولو انه جعل سلوك تلك العقد كلها على يد شيخ واحد لكان دخل حضرة الكف فان كل أصبع ثلاث عقد فنفد عمره هذا وهو فى أول عقدة من سائر الطرق فهذا سبب منع الاشياخ مريدهم أن يشرك معهم فى السلوك غيرهم انتهى * ثم اعلم أن المعرفة عند أئمة الأصول هى العلم بالله تعالى وصفاته الذاتية والمعنوية فهذا هو المطلوب من معرفة الصانع جل وعلا اذ الذات مجهولة من حيث الاحاطة بها (فان قيل) فما الحق المطلق والصدق المحض (فالجواب) ان الحق المطلق هو الله والصدق المحض هو معرفته تعالى والاقرار بوحدانيته (فان قيل) فما الدليل على كون معرفة الحق تعالى واجبة (فالجواب) ان دليل ذلك كون المعرفة من الامور التى تصل العقول اليها فان الانسان اذا دهاه أمر وضاقت به المسالك فلا بد أن يستند الى اله يتأله اليه ويتضرع نحوه ويلجأ اليه فى كشف بلواه ويسمو قلبه صعودا الى السماء ويشخص ناظره اليها من حيث كونها قبلة دعاء الخلائق أجمعين فيستغيث بخالقه وبارئه طبعا أو جبلة لا تكلفا وحيلة ومثل ذلك قد يوجد فى الوحوش والبهائم أيضا فانها ساطاهرة الخوف والرجاء رافعة رؤسها الى السماء عند فقدان الكلأ والماء واحساسها بالهلاك والفناء وكذلك شاهدنا الاطفال عند البلوى يرفعون مسبحتهم نحو السماء هذا كله مركوز فى جبلة الحيوانات فضلا عن الانسان العاقل وهى الفطرة المذكورة فى القرآن والحديث ولكن أكثر الناس قد ذهلوا عن ذلك فى حالة السراء وانما يردون اليه فى الضراء قال تعالى واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه (وحكى) ان رجلا أنكر الصانع عند جعفر الصادق ففتح له باب الاستدلال فلم يصغ اليه فقال هل ركبت السفينة قط قال نعم انكسرت بنا مرة فطلعت على لوح الى الساحل فانفلت منى اللوح حين طلعت الى الساحل فقال له جعفر لما ذهب عنك اللوح كنت ترجوا السلامة من

الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ولما علم الصحابة بما يدخل الواو من الاحتمال وأن الشارع راعى الترتيب أنكروا على من روى والحج وصوم رمضان وقالوا له قل وصوم رمضان والحج اشارة الى أن الشارع أراد الترتيب فى القواعد والصلاة ثانية فى القواعد قال وانما جعل الزكاة تلى الصلاة لان الزكاة تطهر قال تعالى قد أفلح من زكاها أى طهرها بالطاعات يعنى النفس قال ولما كانت الصلاة المشروعة من شرطها الطهارة جعلت الزكاة الى جانبها لكونها طهارة للاموال التى يكون بها حصول قوتهم وملبسهم وجعل الصوم يلى الزكاة دون الحج لكون زكاة الفطر مشروعة عند قضاء الصوم فلما كان الصوم أقرب نسبة الى الزكاة جعل الى جانبها فلم يبق للحج مرتبة الا المرتبة الخامسة فكان فيها (قلت) وسيأتى فى الكلام على صلاة الجنازة تفسير قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فراجعه *وقال من شأن العارف أن يعبد ربه من حيث أولية ربه فى خلقه المخلوقات لا من حيث أوليته هو عن أوليات كثيرة قبله وأعنى بذلك الاسباب فهذه هى الصلاة لاول الوقت فاذا عبده العارف فى تلك الاولية المنزهة عن أن يتقدمها أولية شئ انسحبت عبادة هذا العارف من هنالك على كل عبادة مخلوق خلقه الله من أول المخلوقات الى حين وجوده ومن جمع بين هذا وبين الصلاة لاول وقتها المعروف فقد حاز الفضيلتين

حين ذهب اعتمادك على الاسباب فسكت الرجل فقال له جعفر الذي يرجوت السلامة منه هو الله الذي خلقك فأسلم الرجل (فان قيل) قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز فيه نهي عن الاستدلال العقلي أم لا (فالجواب) ليس في ذلك النهي عن الاستدلال العقلي وانما هو تنبيه على استصحاب تلك الحالة التي غفل عنها أصحاب السلامة من الاحداث والشبان * ونقل الشيخ أبو طاهر القزويني انه رأى في كتاب ديانات العرب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمران بن حصين كم لك من اله فقال عشرة قال فمن لغمك وكربك والامر العظيم اذا نزل بك ودهاك فقال الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما لك يا ابن حصين من اله الا الله فأسلم * ومن هذا القبيل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين وأيضا فان عامة الناس في جميع أقطار الارض دعت أنفسهم الى الاعتراف بأن لهم خالقا من غير معلم ولا اثبات حجة عندهم ولا اصطلاح وقع بين كافتهم من الاتراك والاكراد وأهل البوادي وأقاصي الهند والصين وأهل الجزائر الذين لم يبلغهم داع الى الاسلام ولا الى الشرك فانهم استغنوا بشهادة أنفسهم على الاعم الاغلب بالخالق لكثرة ما وجدوا من استجابة دعائهم بدعوتهم ودرك المساعي ومفاجأة الفرج في حوادث عظام دهمتهم بعد القنوط عن السلامة وورود بعض أمور من الرؤيا الصادقة والفأل والزجر وبتخلصهم من أيدي الاعداء في مواضع لا ناصر لهم من الخالق فيها وبحدوث نوادر وعجائب شاهدوها في الآفاق وفي أنفسهم فكانت نفوسهم شهدت بالاله الحق جل جلاله وذلك قوله تعالى قالت لهم رسلهم أفي الله شك ورأى اعرابي مرة ثعلبا بال على صنم كان يعبده فقال

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب
برئت من الاصنام والشرك كله * وأيقنت أن الله لا شك غالب

وهذا كله قريب من الضرورات ولذلك قال بعضهم المعرفة ضرورة فالناس كلهم يشيرون الى الصانع جل وعلا وان اختلفت طرائقهم وعللهم ولا يجهلون سوى كنه الذات ولذلك لم يأت الانبياء والرسل ليعلمونا بوجود الصانع وانما أتونا ليدعونا الى التوحيد قال تعالى فاعلم أنه لا اله الا الله والخلق انما أشركوا بعد الاعتراف بالوجود لما اعتقدوه من الشركاء لله تعالى أو لنفي واجب من صفاته أو لاثبات مستحيل منها أو لانكارهم النبوات * ولما فتح السلطان محمود بن سبكتكين رحمه الله بلاد سومنات الهند أتى اليه راهب قد طعن في السن وكان يهمهم ويزمزم بكلمات فسأل السلطان الترجمان عما يقوله فذكر انه يقول الله الله فقال للترجمان قل له وأنتم تعرفون الله تعالى فتكلم بالهندية شيأ فقال الترجمان يقول الخطوط المستقيمة من المحيط الى المركز متساوية ٣ وهذا مثاله على الهامش فعلم ان الانبياء لو جاؤنا ليعلمونا بوجود الصانع ما قال تعالى فاعلم أنه لا اله الا الله وانما كان يقول فاعلم ان لك الها وكذلك القول في قوله تعالى وليعلموا انما هو اله واحد (فان قيل) فلاي شئ سلك أهل الاصول طريق الاستدلال على هذا (فالجواب) انما سلكوا ذلك قطعا للاطماع التي تشرئب الى ذلك كالاستدلال بامكان الممكنات على مرجح ونحو ذلك والا فهم يعلمون ان ما شهدت به الفطرة أقرب الى الخلق وأسرع تعقلا لان الممكن الخارج والحادث الدال على محدث موقوفان على النظر الصحيح وتلك داعية ضرورية من الناظر قال تعالى أم من يجيب المضطر اذا دعاه أم من يبدأ الخلق ثم يعيده أم من جعل الارض قرارا الى غيرها من الآيات التي كلها استفهامات تقرير كأنه تعالى يقرر على عباده شيأ فطرهم على ذلك الشئ ومثله قوله تعالى ألست بربكم وقوله أفي الله شك ولهذا ورد مرفوعا ان الله تعالى خلق العباد على معرفته فاجتالهم الشيطان عنها فما بعث الرسل الا للتذكير بتوحيد الفطرة وتطهيره عن تسويلات الشيطان بالاستدلالات النظرية والدلائل العقلية وبها توجهت التكاليف على العقلاء وكان امام الحرمين رحمه الله يقول اذا سئل عن معرفة الذات هذا أمر تاهت فيه العقول وانما يعلم بالدليل وجوده تعالى وما يجوز عليه وما يجب له وما يستحيل عليه بلا تكييف ولا تمثيل وليس الا وجه العزيز فان الركون الى معتقد محصل تمثيل والعدول عن الاستدلال بالصنع تعطيل وليس الى درك حقيقة الحق تعالى سبيل انتهى قال

(وقال) فيه انما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بان المغرب وتر صلاة النهار قبل أن يزيدنا الله وتر صلاة الليل فانه قال ان الله قد زادكم صلاة الى صلاتكم ذكر صلاة الوتر فشبهها بالفرائض وأمر بها ولهذا جعلها أبو حنيفة واجبة دون الفرض وفوق السنة وأثم من تركها ونعم ما نظر وتفقه رضي الله عنه لانه صلى الله عليه وسلم لم يلحقها بصلاة النافلة بل قال زادكم صلاة الى صلاتكم يعني الفرائض فشرع تعالى لنا وترين لينفرد تعالى بالوترية الواحدة قال تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين فافهم * وقال فيه رأيت قولا غريبا لا أدري من قاله ولا أين رأيته أن وقت صلاة العشاء ما لم تنم ولو سهرت الى وقت الفجر * وقال فيه ما عرفت مستند من كره قول المؤذن حي على خير العمل فانه روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بها يوم حفر الخندق والصلاة خير موضوع كما ورد فما أخطأ من جعلها في الاذان بل اقتدى ان صح هذا الخبر وأطال في ذلك * وقال فيه مذهبنا أن الواعظ أخذ الاجرة على وعظه الناس وهو من أحل ما يأكله وان كان ترك ذلك أفضل وايضاح ذلك أن مقام الدعوة الى الله يقتضي الاجرة فانه ما من نبي دعا الى الله الا قال ان أجري الا على الله فاثبت الاجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله لا من المخلوقين وأطال في ذلك وسيأتي أيضا في الباب السابع عشر وأربعمائة فراجعه * وقال فيه مذهبي أن الاذان قبل الفجر ليس

الامام أبو طاهر القزويني رحمه الله فقول الامام بلا تحييث اشارة الى نفي المكان فلا يقال انه تعالى حيث العرش ولا حيث الكرسي وقوله ولا تمييز أي لان التمييز انما يكون بين الجنسين أحدهما يمتاز عن الآخر بوصف وذات الله تعالى لا جنس لها فلا تتمايز بشئ عن جنسها وانما يتمايز الاشياء عنه تعالى بالحدوث ومعنى قوله معتقد محصل أي محاط به ينتهي الفكر اليه بالاحاطة وفي الحديث مرفوعا كلكم في ذات الله حمقى والله تعالى أعلم * وذكر الانصاري في نكت الادلة ان القاضي أبا بكر الباقلاني أثبت لله تعالى أخص وصف لاسبيل لاحد من الخلق الى ادراكه ثم قال وقد أشار أبو اسحق الاسفرايني الى هذا المعنى وقال امام الحرمين للعقل مزية فلا يبعد ان يكرم الله بعض العقلاء بمزية يدرك بها حقائق الذات اذ قال تعالى وقل رب زدني علما انتهى ولعله يعني بالمزية كمال قوة ونائق في النظر قال صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله تعالى وأخشاكم منه وسيأتي في المباحث الآتية ما يعلم به يقينا عجز الخلق كلهم عن ادراك الذات وما كلف الله العبد الا بتلاوة التوحيد على لسانه بقوله لا اله الا الله وبه عرف الامام مالك وغيره التوحيد فاعلم ذلك فهذه مقالات المتكلمين * وأما مقالات الصوفية فهي واسعة جدا ولكن نذكر منها بعض نكت لان المعرفة المطلوبة عند القوم لا تكون الا بالسلوك على يد شيخ عارف بالله تعالى فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة ما نصه اعلم أنه لا يصح وصف أحد بالعلم والمعرفة الا ان كان يعرف الاشياء بذاته من غير أمر آخر زائد على ذاته وليس ذلك الا الله وحده وكل ما سواه فعلمه بالاشياء انما هو تقليد لامر زائد على ذاته واذا ثبت ذلك فليقلد العبد ربه سبحانه وتعالى في العلم به وايضاح ما قلناه من أن العبد لا يعلم شيأ الا بأمر زائد على ذاته أن الانسان لا يعلم شيأ الا بقوة من قواه التي أعطاها الله تعالى له وهي الحواس والعقل فالانسان لابد ان يقلد حسه فيما يعطيه وقد يغلط وقد يوافق الامر على ما هو عليه في نفسه أو يقلد عقله فيما يعطيه من ضرورة أو نظر والعقل يقلد الفكر ومنه صحيح وفاسد فيكون علمه بالامور بالاتفاق فما ثم الا تقليد واذا كان الامر على ما قلناه فيجب على العاقل اذا طلب معرفة الله تعالى أن يقلده فيما أخبر به عن نفسه على ألسنة رسله ولا يقلد ما تعطيه قواه وليسع بكثرة الطاعات حتى يكون الحق تعالى سمعه وبصره وجميع قواه كما ورد وهنالك يعرف الامور كلها بالله ويعرف الله بالله فلا يدخل عليه بعد ذلك جهل ولا شبهة ولا شك ولا ريب فقد نبهتك يا أخي على أمر ما طرق سمعك أبدا فان العقلاء من أهل النظر يتخيلون أنهم صاروا علماء بالله تعالى بما أعطاهم النظر والحس والعقل وهم في مقام التقليد لقواهم وما من قوة الا ولها غلط قد علموه ومع هذا قد غالطوا أنفسهم وفرقوا بين ما يغلط فيه الحس والفكر والعقل وبين ما لا يغلط فيه وما بيدهم لعل الذي جعلوه غلطا يكون صحيحا فلا يزيل هذا الداء العضال الا أخذ العلم بكل معلوم عن الله عز وجل لا عن غيره وهو تعالى عالم بذاته لا بأمر زائد فلا بد أن يكون عالما بما يعلمه به سبحانه وتعالى لانك قلدت من يعلم ولا يجهل وليس بمقلد في علمه سبحانه وتعالى وكل من قلد غير معصوم دون الله تعالى فهو مقلد لمن يدخله الغلط وتكون اصابته بالاتفاق فاشتغل يا أخي بما أمرك الله تعالى به وبالغ في فعل الطاعات حتى يكون الحق تعالى جميع قواك فتكون على بصيرة من أمرك ولا تطلب معرفته الخاصة بدون ذلك فانك لن تصل الى معرفته ولو كنت على عبادة الثقلين وقد نصحتك فان الحق تعالى قد اخبر عن نفسه بامور تردها الادلة العقلية والافكار الصحيحة مع اقامة أدلتها على تصديق الخبر ولزوم الايمان بها فالكامل من قلد ربه ولم يقلد عقله في تأويل الصفات فان العقل قد أجمع مع صاحبه على التقليد بصحة هذا القول انه من عند الله فالعبد منازع منه يقدح فيما عنده واصرف يا أخي علم حقيقة الصفات الى الله تعالى واعمل بالقربات الشرعية حتى يعطيك الله تعالى من علمه وحينئذ تكون عارفا به فهذه هي المعرفة المطلوبة والعلم الصحيح الذي لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه انتهى (فان قلت) فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الثابت كشفا من عرف نفسه عرف ربه (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة ان المعنى من عرف نفسه بما وصفه الحق به مما وصف

الاذان المشروع أعلاما بدخول وقت الصلاة قال ولهذا ابتدع السلف الصالح للمؤذنين الدعاء والتذكير بآيات القرآن والمواعظ وانشاد الشعر الحاث على قيام الليل وعلى الزهد في الدنيا ليعلموا الناس أن الاذان الاول ما كان الا لغرض الايقاظ للنائمين لا لدخول الوقت * وقال فيه معنى قول المؤذن قد قامت الصلاة انما قال قامت بلفظ الماضي مع أن الصلاة بشرى من الله لعباده لمن جاء الى المسجد ينتظر الصلاة أو كان في الطريق آتيا اليها أو كان في حال الوضوء بسببها أو كان في حال القصد الى الوضوء قبل الشروع فيه ليصلي بذلك الوضوء فيموت في بعض هذه المواطن قبل وقوع الصلاة منه فبشره الله بان الصلاة قد قامت له في هذه المواطن كلها فله أجر من صلاها ان كانت ماوقعت منه فلذلك جاء بلفظ الماضي ليحقق الحصول فاذا حصلت بالفعل أيضا فله أجر الحصول كذلك وقد ورد ان أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة (قلت) وقد ذكر الشيخ أيضا في أواخر كتاب الحج في الكلام على نحر البدن قائمة انما قال صلى الله عليه وسلم قد قامت بلفظ الماضي قبل قيام العبد لها تنبيها على قيام صلاة الله على العبد ليقوم العبد الى الصلاة فيقوم بقيامه نشأتها كما قال تعالى هو الذي يصلي عليكم قال فالقيام معتبر في سائر العبادات

به نفسه من كونه له ذات وصفات وما أعطاه من علمه ومن استخلافه فى الارض ويولى ويعزل ويعفو وينتقم ونحو ذلك ويحتمل أن يكون معناه ان يعرف نفسه بالافتقار وجوده ويحتمل أن يكون المراد المعنيين معا لابد من ذلك (فان قلت) فلم زاد تعالى فى قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ذكر الآفاق ولم يكتف بأنفسهم عن ذكر الآفاق (فالجواب) انما زاد قوله فى الآفاق تحذيرا للمبتدئ ان يتخيل انه بقى فى الآفاق بقية علم بالله لا تعطيه النفس فأحاله تعالى على الآفاق فلما لم يجد شيأ خارجا عما أعطته النفس زال ذلك التخيل اذ النفس جامعة لحقائق العلم كله * فانظر يا أخى كثرة حرص النبى صلى الله عليه وسلم على أمته كيف اختصر لهم الطريق الى معرفة الله تعالى بقوله فى الحديث الثابت كشفا من عرف نفسه عرف ربه ولم يذكر لهم الآفاق صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فما طريق السلامة من كثرة الجهل بالله لمن ليس على بصيرة من أمره (فالجواب) طريق السلامة عدم التأويل وتسليم علم ذلك الى الله تعالى (فان قلت) فهل يصح لاحد ان يعرف الله تعالى من كل طريق للخلق اليها سبيل (فالجواب) نعم يصح له ذلك كما عليه الاكابر من أهل الله تعالى فيعرفون الله تعالى بكل طريق من طرق المعتقدات الاسلامية اذ ما من شئ الا والحق تعالى هو مهده بسره القائم بوجوده وصاحب هذا المشهد هو الذى يخاطب الحق تعالى من سره القائم بها كل الخلق * وقد نقل عن السيد سهل بن عبد الله انه كان يقول لى منذ ثلاثين سنة أكلم الله والناس يظنون انى أكلمهم (فان قلت) فهل يرتفع الخطأ المطلق عند هذا الكامل (فالجواب) نعم لان علمه من علم الله فلا يخطئ لا فى الاصول ولا فى الفروع بخلاف ما علمه من طريق فكره ونظره فقد يخطئ فيه ذكره الشيخ محيى الدين رحمه الله (فان قلت) فهل التجلى الالهى للقلوب دائم بوجود المعارف أم يكون بقلب دون قلب وفى وقت دون وقت (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والسبعين ومائة أن التجلى الالهى لجميع القلوب الاسلامية دائم لا حجاب عليه ولكن لا يعرف انه هو فان الله تعالى لما خلق العالم أسمعه كلامه فى حال عدمه وهو قوله كن فكان مشهودا له سبحانه ولم يكن الحق تعالى مشهودا للعالم لانه كان على أعين جميع الممكنات حجاب العدم فلذلك لم تدرك الوجود وهى معدومة كما تبصر الظلمة من النور ولا بقاء للنور مع وجود الظلمة أصلا وكذلك العدم والوجود فلما أمر الحق الممكنات بالتكوين لامكانها واستعداد قبولها سارعت لترى ما ثم لان فى قوتها الرؤية كما فى قوتها السمع من حيث الثبوت لا من حيث الوجود فلما وجد الممكن انصبغ بالنور فزال العدم ثم فتح عينه فرأى الوجود الخير المحض فلم يعلم ما هو ولا علم انه الذى أمره بالتكوين فأفاده التجلى علما بما رآه لا علما بانه هو الذى أعطاه الوجود فلما انصبغ فى النور التفت الى اليسار فرأى العدم فتحققه فاذا هو ينبعث منه كالظل المنبعث فى الشخص اذا قابله النور فقال ما هذا قال له النور من الجانب الايمن هذا هو أنت فلو كنت أنت النور لما ظهر للظل عين فانا النور وأنا مذهبه ونورك الذى أنت عليه انما هو من حيثما تواجهنى من ذاتك وذلك لتعلم أنك لست أنا فانا النور بلا ظل وأنت النور الممتزج لامكانك فان نسبت الى قبلتك وان نسبت الى العدم قبلك فانت عين الوجود والعدم وأنت بين الخير والشر فان أعرضت عن ظلك فقد أعرضت عن امكانك واذا أعرضت عن امكانك جهلتنى ولم تعرفنى فانه لا دليل لك على انى الهك بك ومو جدك الا امكانك وهو شهودك ظلك فلا تنظر الى نظر نفسك عن ظلك فتدعى انك أنا فتقع فى الجهل ولا تنظر الى ظلك نظرا يغنيك عنى فانه يورثك العمى فتجهل ما خلقتك له فكن تارة وتارة وما خلقت لك عينين الا لتشهدنى بالواحدة وتشهد ظلك بالاخرى وأطال فى ذلك * ثم قال واعلم أن من أجل علوم المعرفة بالله تعالى العلم بالكمال والنقص فى الوجود كما يشهد لذلك حضرات الاسماء الالهية من أسماء الحنان والامتنان وأسماء للقهر والانتقام فلولا العاصى ما ظهر كمال فضل الحق على عباده من حلمه وصفحه وعفوه وغير ذلك فعلم ان من كمال الوجود وجود النقص النسبى فيه قال تعالى فى كمال كل ما سوى الله أعطى كل شئ خلقه فما نقصه شيأ أصلا حتى النقص أعطاه خلقه وفاه اياه وقوله ثم هدى

كالوقوف بعرفة ورمى الجمار وغير ذلك والله أعلم * وقال فيه لولا أن الاجماع سبقنى لم أقل ان التوجه الى الكعبة شرط فى صحة الصلاة لان قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله نزلت بعد قوله وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره فهى آية محكمة غير منسوخة ولكن انعقد الاجماع على هذا وبقى قوله فاينما تولوا فثم وجه الله محكما فى الحائر الذى جهل القبلة فيصلى حيث يغلب على ظنه باجتهاده بلا خلاف انتهى فليتأمل ويحرر والله أعلم * وقال فيه ما معناه اعلم أن قبلتك فى الصلاة انما هو ما استقبلت من الكعبة ولا يضرك استدبارها فى غير جهة وجهك اذا صليت داخلها فان الشارع لم يتعرض للاستدبار انما تعرض للاستقبال فقط فانا انما نحن مع الحق على حكم ما نطق فلا يقتضى الامر بالشئ النهى عن ضده فى كل المواضع فاذا لم تعمل بما أمرك به فقد عصيت أمره ولو كان الامر بالشئ نهيا عن ضده لكان على الانسان خطيئتان أو خطايا كثيرة بقدر ما لذلك المأمور من الاضداد وهذا لا قائل به فلا يؤاخذ الانسان الا بترك ما أمره به الحق لا غير فهو ذو وزر واحد وسيئة واحدة فلا يجزى الا مثلها انتهى وهو كلام نفيس فى نفسه وان نرجح جماعة من أهل الاصول خلافه فليتأمل ويحرر والله اعلم * وقال فيه انما أمرت المرأة بتغطية رأسها فى الصلاة لان الرأس من الرياسة والنفس تحب الظهور فى العالم برياستها

اى

والمرأة مظهر النفس في الاعتبار فأمرت النفس أن تغطي وجميع بأسنها في الصلاة بين يدي ربها اظهار الذلها وانكسارها على أن

أي بين الأمر والتي خرجت عن الكمال بلسان الامر فتقرها على اسم النقص كما أقرها الحق تعالى فافهم
(فان قلت) فهل ظهرت النقائص في شيء غير الانسان أم هي خاصة بالانسان (فالجواب) كما قاله الشيخ
في الباب السابع والسبعين ومائتين ان النقص المعنوي لم يظهر في شيء من العالم كله الا في الانسان فقط وان
كان في الجن فهو معلوم غير ظاهر الا للخواص وذلك لان الانسان مجموع حقائق العالم وهو المختصر الوجيز
والعالم هو المطول البسيط قال واعلم انه لما كان كمال الالوهية ظاهرا بالشرائع وأدلة العقول جاء الشرع
بالتنزيه وغيره وجاء العقل بالتنزيه فقط فهو على النصف من معرفة الله عز وجل فلزم العقل سلب أحكام
كثيرة عن الله جاء بها الشرع اذ الشرع قد أخبر عن الله بثبوت ما سلب العقل عنه وجاء بالامرين معا وهذا
هو الكمال الذي يليق به سبحانه وتعالى غير تعالى العقول ولو أنه تعالى لم يحيرها لكان تحت حكم ما خلق
فان القوى الحسية والخيالية تطلبه بذواتها التي موجدها والعقول تطلبه بذواتها وأدلتها من نفي واثبات
ووجوب وجواز واحالة لتعلم موجدها فخاطب الحواس والخيال بتحديده الذي دلت عليه أدلة العقول
والحواس تسمع فحارت الحواس والخيال وقالوا ما بأيدينا منه شيء وخاطب العقول بتشبيهه الذي دلت عليه
الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالت ما بأيدينا شيء منه فتعالى عن ادراك العقول
والحواس والخيال وانفرد سبحانه بالحيرة في الكمال فما يعلمه سبحانه وتعالى سواه ولا شاهده غيره فلم
يحيطوا به علما ولا رأوه عيانا فتارة تشهد وجناب يقصد ورتبة تحمد واله ينزه ومشبه يعبد فهذا
هو الكمال الالهي وبقي الانسان متوسط الحال بين كمال الحيرة والحد وهو كمال العالم فبالانسان كمل العالم
وما كمل الانسان بالعالم فافهم وبالجملة فقد قال الامام المحاسبي مجموع المعرفة ترجع الى العلم بأربعة
أشياء الله والنفس والدنيا والشيطان * وقال الشيخ محيي الدين والذي نقول به ان المعرفة ليس لها طريق
الا المعرفة بالنفس انتهى والله تعالى أعلم وسيأتي في هذا الكتاب من مسائل المعرفة ما تقربه عينك ان
شاء الله تعالى فان غالب المباحث متعلقة بالله عز وجل فاعلم ذلك والله تعالى أعلم

(خاتمة) في بيان العارف بالله تعالى وصفاته ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين
ومائتين العارف عند طائفة الصوفية هو من أشعر قلبه الهيبة والسكينة وعدم العلاقة الصارفة عن شهود
الحق تعالى واذا ذكر الله واستولى عليه الذكر يغيب عن الاكوان بسماعه كل ناظر وهو مع الله بلا وصل
ولا فعل كثير الحياء في قلبه التعظيم يقدم حق الحق تعالى على حظوظ نفسه بطنه جائع وبدنه عار لا يتأسف
قط على شيء لكونه لا يرى غير الله طيار مدا الدهر تبكي عينه ويضحك قلبه هو كالارض يطؤه البر والفاجر
وكالسحاب يظل كل شيء وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب لا يقضي وطره قط من شيء وذلك لدوام افتقاره
الى الله تعالى ذوقا شأنه الفقر والذل بين يدي الله يفتح له في فراشه كما يفتح له في صلاته وان اختلفت الواردات
بحسب المواطن وأطال في ذلك * ثم قال وأما صفة العارف عندنا وعند غيرنا من المحققين فهو أن يكون قائما
بالحق في جمعيته نافذ الهمة مؤثرا في الوجود على الاطلاق من غير تقييد لكن على الميزان المعلوم عند أهل الله
مجهول النعت والصفة عند جميع العالم من بشر وجن وملك وحيوان لا يعرف مقامه فيحد ولا يفارق العادة
فيتميز خامل الذكر مستور المقام عام الشفقة على خلق الله عارف بارادة الحق تعالى قبل ظهور المراد
فيريد بارادة الحق لا ينازع ولا يقاوم ولا يقع في الوجود ما لا يريده شديد في لين يعلم مكارم الاخلاق من
سفسافها فينزلها منازلها مع أهلها تنزيل حكيم يتبرأ ممن تبرأ الله منه بحسن السمع البراءة منه يشاهد تسبيح
المخلوقات كلها على تنوعات أذكارها لا يظهر الا لعارف مثله وأطال في ذلك ثم قال وقد اختلف أصحابنا في
مقام المعرفة ومقام العلم فقالت طائفة مقام المعرفة رباني ومقام العلم الهي قال وبه أقول ووافقني على
ذلك المحققون كسهل بن عبد الله التستري وأبي يزيد وابن العريف وأبي مدين وطائفة قالت مقام المعرفة
الهي ومقام العلم كذلك وبه أقول أيضا فانهم أرادوا بالعلم ما أردناه بالمعرفة وأرادوا بالمعرفة ما أردناه
بالعلم فالخلاف فيه لفظي وعهدتنا قوله تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع

مذهبي أن عورة المرأة هي
السوأتان فقط قال الله تعالى
فطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة فسوى بين
آدم وحواء في الستر للسوأتين
فليس المراد بالستر في الصلاة
من حيث كونها كلها عورة
وانما ذلك حكم شرعي ورد
بالستر ثم لا يلزم أن يستر
الشيء لكونه عورة اهـ
فليتأمل ويحرر * وقال
مذهبي أن عورة المرأة هي
السوأتان فقط قال الله
تعالى فطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة
فسوى بين آدم وحواء في
ستر العورتين وهما
السوأتان فالمرأة انما
أمرت بالستر في الصلاة
وغيرها فليس هو من كونها
عورة وانما ذلك حكم شرعي
ورد بالستر ولا يلزم من
الامر بالستر لشيء أن يكون
ذلك عورة انتهى فليتأمل
ويحرر * وقال معنى قول
المصلي الله أكبر بلسان
الظاهر الله أكبر أن يقيد
ربي بحال من الاحوال بل
هو تعالى في كل الاحوال
أكبر قال وانما سميت احراما
أي تكبيرة منع اشارة الى
أنه تعالى لا يشاركه في مثل
هذه الكبرياء كون من
الاكوان وأطال في ذلك
*وقال في قوله صلى الله عليه
وسلم اللهم باعد بيني وبين
خطاياي كما باعدت بين
المشرق والمغرب وقد ثبت أنه
كان يقول ذلك بين تكبيرة

 الإحرام وقراءة الفاتحة انما يقل فيه كما باعدت بين السواد والبياض لان اللونية تجمع بينهما فلذلك

مما عرفوا من الحق فسماهم عارفين وعلماء ثم ذكر قولهم فقال يقولون ربنا آمنا ولم يقل يقولون الهنا
آمنا ولا علمنا ولا شهدنا وقد علمت من جميع ما قررناه في هذا المبحث ان طريق المعرفة بالله عند القوم
انما هو الكشف لا الظن المبني على الفكر وتأمل من قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد كأنه
تعالى يقول ما حذرناكم من النظر في ذات الله الا رحمة بكم وشفقة عليكم لما نعلم ما تعطيه القوة المفكرة للعقل
من نفي ما أثبته على ألسنة رسلي من صفاتي فتردونها بادلتكم العقلية فتحرمون الايمان بها فتشقون شقاء
الابد ولذا اختلفت مقالات أهل النظر في الله وتكلم كل بما اقتضاه نظره فنفى واحد عين ما أثبته الآخر
وما اجتمعوا على أمر واحد في الله من حيث النظر في ذاته وعصوا رسوله بما تكلموا به مما نهاهم الله
عنهم من شفقته ورحمته بهم فرغبوا عن رحمة الله وضل سعيهم فاثبت يا أخي على اعتقاد كل ما جاءتك به الشريعة
تسلم فهمته أو لم تفهمه فانه تعالى أعلم بنفسه وأصدق في قوله والله تعالى أعلم

(المبحث الرابع في وجوب اعتقاد ان حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وانها ليست معلومة في الدنيا لاحد)

قال كثير من المتكلمين انها معلومة للناس في الدنيا لان الخلق مكلفون بالعلم بوحدانيته وذلك متوقف
على العلم بحقيقته قال الجلال المحلي وغيره وأجيب بمنع التوقف على العلم به في الحقيقة وانما يتوقف على
العلم به بوجه وهو انه تعالى يعلم بصفاته كما أجاب به موسى عليه الصلاة والسلام فرعون حين قال لموسى وما
رب العالمين الى آخره ثم اختلفوا هل يمكن علمها في الآخرة فقال بعضهم نعم لحصول الرؤية فيها * وقال
بعضهم لا والرؤية لا تفيد الحقيقة ولم يرجح ابن السبكي ولا الجلال المحلي شيأ في هذه المسئلة والتي قبلها
*وقال شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني الصحيح انه لا سبيل للعقول الى علمها *قال الشيخ كمال الدين بن
أبي شريف ثم لا يخفى أن قولهم ليست معلومة الآن يعني في الدنيا انما هو كلام في الوقوع وقولهم واختلفوا
هل يمكن علمها في الآخرة كلام في الجواز العقلي انتهى هذا ما رأيته في هذه المسئلة من كلام محققي
المتكلمين * وأما كلام محققي الصوفية من أهل الكشف فنجلي عليك مقالاتهم فيها حتى يزول عنك
اللبس ان شاء الله تعالى وتعرف أن القوم أبعد الناس عن القول بالجسمية لشدة معرفتهم بالله تعالى لا سيما
الشيخ محيي الدين رحمه الله اذا علمت ذلك فاقول اعلم ان الخلق ما خبطوا وخبطوا عشواء في آيات الصفات وكثر
اختلافهم فيها الا من ذهولهم حال الاختلاف عن شهودهم ان حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق ولو
شهدوا ذلك لم يقفوا في شئ من آيات الصفات وأخبارها ولم يحتج أحد منهم الى تأويل ولم يخف قط من لحوق
نقص في الجناب الالهي كالقول بالجهة والتجسيم مثلا *وايضاح ذلك أن تنظر يا أخي الى صفات الخلق
كلها وتنزه الحق تعالى عنها من حيث الكيف فتقول مثلا من شأن الخلق الجهل من ذواتهم فليس الحق
تعالى بجاهل بل هو عالم بكل شئ ومن شأن الخلق العجز فليس الحق تعالى بعاجز عن انفاذ وقوع شئ مما أراده
بل هو قادر ومن شأن الخلق الجهة فالحق تعالى لا جهة له ومن شأن الخلق الجسمية فالحق تعالى ليس بجسم
وهكذا فلا يصح في جانب الحق تعالى لحوق تشبيه بخلقه أبدا لا في شخص ولا في نوع ولا في جنس كما سيأتي
ايضاحه في نقول العارفين وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والعشرين وثلثمائة ما نصه اعلم انه
لا يجوز لاحد طلب معرفة ماهية الحق تعالى بلفظة ما كما وقع فيه فرعون فاخطأ في السؤال ولهذا عدل موسى
عن جواب سؤاله على المطابقة لان السؤال اذا كان خطأ لا يلزم الجواب عنه وكان المجلس مجلس عامة فلذلك
تكلم موسى بما تكلم به ورأى فرعون أنه ما أجابه على حد سؤاله لتخيله أن سؤاله متوجه وما علم فرعون
ان ذات الحق تعالى لا تدخل تحت مطلب ما وانما تدخل تحت مطلب هل وهو سؤال عن وجود المسؤل عنه
هل هو متحقق أم لا ولما علم فرعون ما وقع منه من الجهل قال اشغالا للحاضرين لئلا يتفطنوا لذلك ان
رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون تنفيرا لهم عن الاصغاء لمقالة موسى خوفا أن يتبعوه * وقال في الباب
الاول من الفتوحات اعلم ان الحق منزه عن ان يحيط به خلق أو يعرفه أحد الا بحسب ما وقع به التجلي له لا غير

ذكر المشرق والمغرب الذين هما ضدان لايجتمعان أبدا قال والسبب في ذلك ان الحق اذا دعا العبد الى مناجاته فقد خصه بمحل القرب منه واذا أشهده خطاياه في مواطن القرب وهي في محل البعد من تلك المكانة كان العبد في محل البعد على طلب الحق منه من القرب فلذلك أمر أن يدعو الله قبل الشروع في المناجاة أن يحول بينه وبين مشاهدة خطاياه أن تعرض له في قلبه في هذا الموطن بتخيل أو تذكر فانظر ما أحكم هذا التعليم وما أخفاه وأدقه حيث تأدب مع الله أن يبعده من خطاياه ولم يطلب اسقاطها عنه لئلا يكون في ذلك الموطن ساعيا في حظ نفسه وأطال في ذلك بكلام نفيس* وقال فيه انما كان لا يجب أن يوافق المأموم امامه في النية لان النية أمر غيبي والائتمام لا يكون الا فيما يشاهد من الافعال ولذلك فصل الشارع ما أجمله في الائتمام فذكر الافعال بقوله فاذا كبر فكبروا الخ ولو ذكر النية فلا ترتبط نية المأموم بنية الامام الا في الصلاة من حيث حركاتها الظاهرة فقط ولكل واحد ما نوى*وقال الذي أقول به ان قوله وجهت وجهي الخ لا ينبغي أن يكون الا في صلاة التهجد لانه لم يبلغنا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك في الفرائض والوقوف عند ما ورد أولى حتى يأتي ما يخالفه انتهى فليتأمل ويحرر فان بعض العلماء ذكر أنه ورد في الفرائض أيضا*وقال من شأن الاديب العالم أن لا يناجى به الا بكلام ما الجامع ولذلك قال لا صلاة الا بام

ألا ترى انه يتجلى يوم القيامة للقوم فى غير العلامة التى يعرفونها فيقول أنا ربكم فينكرون ربوبيته ومنها يتعوذون وبها يتعوذون ولكن لا يشعرون ويقولون لذلك التجلى نعوذ بالله منك وها نحن لربنا منتظرون فحينئذ يتجلى لهم فى العلامة التى لربهم فيقرون له بالربوبية وعلى أنفسهم بالعبودية فهؤلاء ما عبدوه تعالى الا بالعلامة ومن قال منهم انه عبده تعالى عينا فقوله زور وكيف يدعى ذلك وعند ما تجلى له أنكره فما عبده تعالى عينا الا الانبياء وكمل ورثتهم قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعبده وتوكل عليه أى عينا فافهم (فان قلت) فما معنى قولهم العلم حجاب عن الله تعالى مع أن العلم هو الذى يكشف عن حقائق الامور (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى من الفتوحات انه ليس المراد به ذم العلم معاذ الله أن يريد القوم ذلك وانما مرادهم أن أحدا لا يعلم الحق تعالى الا بواسطة العلم فالواسطة هى التى علمت الحق تعالى لا أنت فاعلم الحق تعالى حقيقة الا علمك لا أنت وعلمك انما حاجب لك عن معرفة كنه الحق تعالى ولو رقيت فى العلم به تعالى ما رقيت فلا يصح وقوف تجلى الحق لك حتى تدركه لان كل تجل يقع كلمحة بارق لا يثبت آنين أبدا ومن هنا امتنع للخلق تكييف الحق فافهم فعلم انه ليس مشهود كل أحد من الحق الا علمه فاياك ان جريت على أسلوب الحقائق ان تقول انك علمت المعلوم فانك ما علمت الا بالعلم والعلم هو العالم بالمعلوم الذى هو الحق وبين العلم والمعلوم بحور لا يدرك أحد قعرها فان سر التعلق بينهما مع تباين الحقائق بحر مركبه عسير بل لا مركبه العبارة أصلا ولا الاشارة ولكن يدركه الكشف من خلف حجب كثيرة ولا يحس بها انها على عين بصيرته الا الانبياء وكمل ورثتهم من الاولياء لدقتها وغموضها واذا كانت عسرة المدارك فأحرى من خلقها (فان قلت) قد ثبت عندنا وتقرر ان العلم بامر ما لا يكون الا بمعرفة قد تقدمت قبل هذه المعرفة بامر آخر يكون به بين المعر وفين مناسبة لا بد من ذلك وقد ثبت عندنا وتقرر انه لا مناسبة بين الحق تعالى و بين خلقه بوجه من الوجوه فكيف صحت معرفته تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ أيضا فى الباب الثانى من الفتوحات ان المراد بمعرفتنا له بالآثار وأما الذات فلا تعلم أبدا بعلم سابق وانما تعلم من طريق الكشف لبعض المختصين علما لا يصح التعبير عنه أبدا (فان قلت) فهل يصح استدلال بعضهم بالشاهد على الغائب فى مسئلة العلم الالهى من انه عين أو غير (فالجواب) لا يصح هذا الاستدلال لان الحق تعالى مباين لخلقه فى سائر شؤنه فلا يصح قياسه على خلقه وأصل دخول الشبه على هذا المستدل انه لما رأى الانسان يسلب علمه وذاته كامله لم تنقص قال علم الله غير ذاته ثم من العجب انه يقدسه بعد ذلك مع انه قد حمله على حال نفسه وقاسه عليها (فان قلت) فهل يصح لاحد معرفته به من حيث الدليل العقلى (فالجواب) لا يصح لاحد ذلك لان من المعلوم ان العقل لا يدرك كنهه تعالى من حيث ما هو ناظر و باحث أبدا لان برهانه الذى يستند اليه الحس أو الضرورة أو التجربة والحق تعالى غير مدرك بهذه الاصول باجماع المحققين ولو أن هذا الناظر والباحث نظر بعقله الى المفعولات الصناعية والتكوينية والانبعاثية ورأى جهل كل واحد منها بفاعله لعلم أن الحق تعالى لا يعلم قط بالدليل العقلى وانما غاية علم العقل أن يعلم انه تعالى موجود وان العالم كله مفتقر اليه افتقارا ذاتيا لا محيص له عنه البتة انتهى (فان قلت) فما الحكمة فى تحيير العقول فيه سبحانه وتعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائة ان الحق تعالى انما حير عقول عباده فيه لئلا يدخل تعالى تحت حكم ما خلق وذلك ان القوى الحسية والخيالية تطلبه بذواتها لترى موجدها والعقول تطلبه بذواتها وأدلتها لتعلم موجدها فلذلك خاطب تعالى الحواس والخيال بتجريده الذى دلت عليه أدلة العقول والحواس تسمع فحارت الحواس والخيال وقالوا ما بأيدينا منه شئ وخاطب أيضا العقول بتشبيهه الذى دلت عليه الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالوا ما بأيدينا منه تعالى شئ كما تقدم وتعالى الله عن ادراك العقول والحواس والخيال فلذلك انفرد سبحانه وتعالى بالحيرة فى وصف كماله فما علمه سواه ولا شاهده غيره ولا أحاط أحد به علما وقد تقدم هذا أيضا فى مبحث التوحيد انتهى (فان قلت) فهل اطلاق بعض المتصوفة وجه المناسبة بين الحق والخلق صحيح فى بعض الوجوه (فالجواب) كما قاله الشيخ

القرآن والام هى الجامعة فكان هذا الحديث مفسرا لقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن واذا ورد أمر مجمل من الشارع ثم ذكر الشارع وجها خاصا مما يكون تفسيرا لذلك المجمل كان الاولى عند الادباء من العلماء الوقوف عنده (قلت) فقد ذكر الشيخ فى الباب الثالث والاربعين وثلثمائة ما نصه اعلم أنه لما كانت الصلاة محلا يجمع فيه بين الله والعبد بقراءة الفاتحة تعين القول بفرضيتها على المصلى فى الصلاة فما صلى الصلاة التى قسمها الله بينه وبين عبده فانه ما قال قسمت الفاتحة وانما قال قسمت الصلاة بالالف واللام اللتين للعهد والتعريف فلما فصل الصلاة المعهودة بالتقسيم المذكور فى الحديث جعل محل القسمة قراءة الفاتحة قال وهذا أقوى دليل يوجد فى فرض قراءة الحمد فى الصلاة اه * وذكر الشيخ فى الباب الخامس والتسعين ومائتين ما نصه اعلم أن القاف الغير المعقودة حرف بين حرفين بين الكاف والقاف المعقودة ما هى كاف خالصة ولا قاف خالصة قال ولهذا ينكرها أهل اللسان فاما شيوخنا فى القراءة فانهم لا يعقدون القاف و يزعمون أنهم هكذا أخذوها عن شيوخهم وشيوخهم عن شيوخهم فى الاداء الى أن وصلوا الى العرب الذين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النبى صلى الله عليه وسلم كل ذلك أداء وأما العرب الذين اقبناهم ممن بقى على لسانه ما تغير كبنى فهم فانى رأيتهم يعقدون

فى الباب الثالث من الفتوحات لا يصح ذلك بوجه من الوجوه وان وقع فى مثل ذلك أبو حامد الغزالى فهو بضرب من التكلف و يرمى بعيد من الحقائق فاى نسبة بين المحدث والقديم وكيف يصح تشبيه من لا يقبل المثل بمن يقبل المثل هذا والله محال قال وما طلب الحق تعالى منا الا العلم بوجوده وألوهيته لاغير وأما الحقيقة فلا واذا كان المبدع الاول لا مناسبة بينه و بين ربه فكيف تصح مناسبة من بينه و بين ربه وسائط لاتحصى انتهى (فان قيل) فعلى ماقدرتموه لا يصح لاحد مراقبة ذات الحق تعالى أبدا وقد أمرنا الله تعالى بمراقبته فكيف الحال (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والعشرين ومائة من الفتوحات اننا لم نؤمر بمراقبة عين الذات وانما المراقبة حقيقة للمثل التى تنزل الحق تعالى للعقول تقريبا لها لتقف على مركز ولما اقتضت مرتبة العلماء بالله تعالى أنه ليس كمثله شئ ارتفعت الامثال والاشكال من أوهامهم فلم يتقيد لهم أمر الاله المنزه عن الامثال ولم ينضبط بل جهل الامر وهنالك يعنى عند ارتفاع الامثال يعلمون ان الحق تعالى لم يكن معلوما لهم فى وقت ذلك الاعتقاد وأن علمهم به تعالى انما هو من حيث نسبة معقولة أعطتهم الآثار الموجودة فى الاعيان لاغير واذا كان الامر كذلك فلا كيف ولا أين ولا مثل ولا وضع ولا اضافة ولا عرض ولا جوهر ولا كم وهو المقدار وما ثم الا فاعل مجهول يرى أثره ولا يعرف خبره ولا تعلم عينه ولا يجهل كونه فلمن يراقب العبد وما ثم من يقع عليه عين ولا من يضبطه خيال ولا من يحدده زمان ولا من تعدده صفات وأحكام ولا من يكيفه أحوال ولا من يميزه أوضاع ولا من تظهره اضافة فكيف تصح مراقبة من لا يقبل هذه الصفات ومن شرط العلم أن يرفع حكم الخيال والحادث لا يتعلق الا بالمناسب وهو ماعندك من معرفة الحق فما برحت من حبسك وما عثرت الا على صورة اعتقادك * قال ولهذا اختلفت المقالات فى تأويل صفات الله تعالى فطائفة تقول هو كذا وطائفة تقول ماهو كذا وانما هو كذا وما منهم من أحد أحاط به علما فالكامل من عظمت فيه حيرته ودامت حسرته ولم ينل منه مقصوده وذلك لانه رام مالا يمكن تحصيله وسلك سبيل من لا يعرف سبيله وأطال فى ذلك ثم قال فاذن لم يعرف أحد الحق تعالى كما يعرف تعالى نفسه أبدا والسلام (فان قلت) فعلى ماقدرتموه جميع الامور المعلومة معلولة والكيفية فى حق الله مجهولة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الاسرار نعم لا يخلو علم الخلائق من العلل أبدا فان الحق تعالى هو المنفرد فى علمه بعدم العلل فاصل الابد من الازل وقد خلت المثلات بأهل التفكر والمحدثات اذ لابد من وجه جامع بين الدليل والمدلول فى قضايا العقول والحق تعالى لا يدرك بالدليل فليس الى معرفة كنه ذاته من سبيل وقد دعانا الى معرفته وما دعانا الا لصفته فلابد من صفة تتعلق بها المعرفة وما ثم فى العقل الا صفة تنزيه وقد ضم الشرع معها صفة ظاهرة التشبيه فعلى ماهو المعول الآخر والاول انتهى * وقال فى باب الاسرار أيضا لا تعلم الذات الا مقيدة وان أطلقت هكذا عرفت الاشياء وحققت فالاطلاق تقييد فى حق السادات والعبيد * وقال فيه أيضا الذات مجهولة فما هى علة ولا معلولة ولا هى للدليل مدلولة فان من شأن وجه الدليل ان يربط الدليل بالمدلول والذات لا ترتبط كما لا تختلط انتهى (وقال) فيه أيضا اعلم أن التنزيه وان جلت مراقيه فهو يرجع لتحديد المنزه من حيث انه لابد له من مقابل والتشبيه يرجع الى تثنية المشبه واذا كان التنزيه يرجع الى التشبيه أين المعرفة بالله تعالى فاذا التنزيه انما سمع فى الشرع لم يوجد فى العقل انتهى وقال فيه أيضا لا يصح الانس بالله تعالى لاحد لعدم المجانسة بينه وبين خلقه ومن ادعى الانس بالله تعالى من الخلق فانما أنس بنور أعماله الصالحة وايضاح ذلك ان الانس لا يكون الا بالمشاكل والمشاكل مماثل والمماثل ضد والضدية بعد * وقال الشيخ فى كتاب العبادلة تنتهى همم العارفين بالله تعالى وهم معه على أول قدم فى المعرفة فلم تف لهم أعمارهم بما تعلقت به هممهم من واجب معرفة الله كما يليق بجلاله انتهى * وقال أيضا فى شرحه لترجمان الاشواق كل من الخلق واقف خلف حجاب لعزة الاحمى فعند هذا الحجاب تنتهى علوم العالمين ومعرفة العارفين ولا يصح لاحد ان يتعدى هذا الحجاب ولو كان من أكابر الاحباب * وقال سيدى على بن وفا رحمه الله جلت ذات الحق تعالى ان تدخل تحت احاطة علم أو ادراك انتهى (فان قلت) اذا كانت الذات مجهولة فما مرادهم بقولهم فلان

القاف وهكذا جميع العرب فما أدرى من أين دخل على أصحابنا ببلاد المغرب تركُ عقدها فى القرآن اهـ والله أعلم * قال وانما شرعت المناجاة للحق بكلامه حال القيام دون غيره من أحوال الصلاة للاشتراك فى القيومية قال ولهذا كان من أدب الملوك اذا كلمهم أحد من رعيتهم أن يقوم بين يديهم و يكلمهم ولا يكلمهم جالسا فتبع الشرع فى ذلك العرف وأطال فى ذلك * وقال انما أمرنا الحق أن نقول اياك نعبد واياك نستعين بنون الجمع اشارة الى أن الحق يريد منا أن نعبده بجميع أعضائنا الظاهرة والباطنة ونستعين به بكليتنا كذلك ومتى لم يكن المصلى بهذه المثابة من جمع عالمه كله على عبادة ربه كان كاذبا فى قوله نعبد ونستعين فاذا رآه الحق ملتفتا الى شئ قال له كذبت قال وكذلك قول الحق اذا حمده عبده حمدنى عبدى لا يكون له ذلك الحمد الا ان حضر بكليته فان غاب فما حمد الحق الا لسانه فقط فلا يقول له الحق حمدنى عبدى وانما يقول حمدنى لسان عبدى وذلك لان الله لما فرض على العبد أن يناجيه بكليته فلا تقوم جارحة من جوارحه الا عن نفسها فقط (قلت) وسيأتى فى الباب التاسع والسبعين وثلثمائة ان شاء الله تعالى ان الشارع صلى الله عليه وسلم انما جاء ببعض الاذكار مثلثا أى بان يقول ذلك ثلاث مرات ليحصل بذلك الثواب المحسوس والثواب المتخيل والثواب المعنوى فينعم حسا وخيالا وعقلا كما من

من العلماء بالله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس من الفتوحات ان مرادهم بذلك العلم بوجوده وما هو تعالى عليه من صفات الكمال وليس مرادهم العلم بذاته لان ذلك عندهم ممنوع لا يعلم بدليل ولا ببرهان ولا يأخذه حد ومعرفتنا به سبحانه وتعالى انما هى علمنا بانه ليس كمثله شئ وأما الماهية فلا يمكن لنا علمها ابدا انتهى فان قيل م من قول بعضهم ان معرفة الحق لا تكمل الا بمعرفته تعالى من طريق التنزيه ومن طريق التشبيه أن التشبيه وجود حقيقة فالجواب ان الذى نعتقده أن التشبيه لا وجود له حقيقة وانما ذلك واقع من بعض الخلق لضعف شهودهم وكثافة حجابهم ولو انكشف حجابهم لعلموا علما يقينيا أن الحق تعالى لا يلحقه قط تشبيه بخلقه فى جميع الصفات التى تنزل فيها العقول عباده وتأمل يا أخى السراب يحسبه الظمآن ماء ما دام بعيدا فاذا قرب من محله لم يجده ماء وحكم بفساد حسابه الاول وقس على ذلك أيضا سماع كلام الله بصوت وحرف ورؤيته فى التجلى الاخروى فى صور مختلفة فان ذلك انما هو تنزل للعقول ولو كشف الحق تعالى حجابهم لسمعوا كلامه تعالى من غير صوت ولا حرف ورأوه تعالى فى غير صورة معقولة لكنهم لما حجبوا لم يكونوا يفهموا الكلام بغير صوت ولا حرف ولم يكونوا يعقلونه تعالى الا فى صورة وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول جميع ما منه اليك لا يكيف وجميع ما منك اليه يكيف انتهى (فان قيل فما وجه قول من منع ان الذات تعلم بالكون فالجواب كما قاله الشيخ فى الباب السادس عشر من الفتوحات ان وجهه أن الكون لا تعلق له الا بالمرتبة الطالبة له كالخالق يطلب المخلوق والرازق يطلب المرزوق وهكذا فعلم أن الذات غنى عن العالم لا تعلق له باحد فلذلك كان لا يعرف بالكون انتهى (فان قلت) فاذن ليس للفكر حكم ولا مجال فى ذات الحق تعالى لا عقلا ولا شرعا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والاربعين ومائة نعم بل قد منع الشرع من التفكر فى ذات الله تعالى بقوله و يحذركم الله نفسه أى أن تتفكروا فيها وقد ورد مرفوعا كلكم حمقى فى ذات الله أى فلا تصلوا الى التحقق بمعرفتها (فان قلت) ما سبب المنع من التفكر فى ذات الله (فالجواب) ان سببه ارتفاع المناسبة بين ذاتنا وذات الحق ومن هنا أنف أهل الله أن يجعلوا التفكر من دأبهم لانه حال لا يعطى الحفظ فلا يدرى أيصيب صاحبه أم يخطئ * وقال فى الباب الخامس والاربعين ومائة انما منعوا التفكر لانه لا يتعدى أحد أمرين اما الجولان فى المخلوقات واما الجولان فى الاله وأعلى درجات جولانه فى المخلوقات أن يتخذها دليلا ومعلوم أن الدليل يضاد المدلول فلا يجتمع دليل ومدلول فى حد عند الناظر أبدا وأما جولانه فى الاله ليتخذه دليلا على المخلوقات ففيه من سوء الادب ما لا يخفى لانه طلب الحق لغيره أى ليدله على الكائنات فما طلبه تعالى لعينه وذلك غاية الجهل فانه لا شئ أدل على الشئ من نفسه (فان قيل) فهل يتعدى علم أحد بالله تعالى فوق ما يعطيه نظره أو هل يصح اجتماع اثنين فى العلم بالله على حكم التساوى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والسبعين ومائتين ان علم كل انسان بالله تعالى انما هو على قدر نظره وما هو عليه فى نفسه ولا يصح اجتماع اثنين على علم واحد فى الله تعالى من جميع الجهات أبدا كما انه لا يصح اجتماعهما على مزاج واحد فلا بد فى الاثنين من وجود ما يقع به الامتياز لثبوت عين كل واحد ولو لم يكن الامر كذلك لم يصح أن يكونا اثنين انتهى * وقال فى الباب السادس والتسعين ومائة قد جاء النهى عن التفكر فى ذات الله فزل العقل فى ذلك وتعدى وظلم نفسه وما أمرنا الله تعالى قط ان نعلم كيف ذاته وانما أمرنا ان نعلم انه اله واحد لا اله الا هو لا غير فلم يقف عن ذلك التفكر غالب العقول بل سيح بنظره وفكره الى ما لا حاجة له به حتى انه وقع فى ذلك جماعة انتموا الى أهل الله كابى حامد وغيره انتهى * وقال فى الباب الثامن ومائتين اجهل الطوائف من طلب أن يعلم الله كما يعلم الله نفسه (فان قلت) فما أولى مخاطبة العبد ربه بضمير الغائب أو بضمير الحاضر (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والسبعين ومائتين ان خطاب العبد ربه بضمير الغائب أشرف وأعلى فى التنزيه من مخاطبته بضمير المخاطب نحو اللهم انى أسألك لان الحقائق تعطى انك ما حضرت الا مع ما عرفته أنت من الحق تعالى فما برحت عن نفسك واذا كان الاكابر يقولون سبحانك ما عرفناك حق معرفتك فكيف بغيرهم * وقال فى الباب الثانى

يذكر حساو خيالا وعقلا وأطال فى ذلك والله أعلم * وذكر الشيخ فى الباب الثامن والثمانين وثلثمائة ان من أدب العارف اذا قرأ فى صلاة مطلقة أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة وذلك لانه لا يدرى أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فالعارف بحسب ما يناجيه به من كلامه وبحسب ما يلقى اليه الحق فى خاطره والله اعلم * وقال فى حديث فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه المراد موافقتهم فى الطهارة والتقديس والتلفظ وغير ذلك * وذكر فى الباب الثالث والسبعين فى الجواب الموفى مائة من أسئلة الحكيم الترمذى ما نصه اعلم ان معنى آمين أجب يارب دعاءنا يقال أم فلان جانب فلان اذا قصده وقال تعالى ولا آمين البيت الحرام أى قاصدين قال وانما خففت الميم من آمين تنبيها على السرعة المطلوبة فى الاجابة اذ اللغة تقتضى الاسراع فى الاشياء قال وانما قال غفر له ولم يقل أجيب دعاءه لانه لو أجيب لما غفر له لان المهدى الى الصراط المستقيم ماله ما يغفر (قلت) قد ذكرنا نحو ذلك فى أجوبة شيخنا والله اعلم * قال وأما قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة ليس المراد بها الموافقة الزمانية ويحتمل أن يكون المراد بها ذلك فيجمعهم زمان واحد عند قولهم آمين ثم ان الملائكة لا يخلو قولهم آمين أن يقولوها متجسدين أو غير متجسدين فان قالوها متجسدين فربما يكون المراد الموافقة الزمانية خاصة لان التجسد يحكم عليه

والسبعين من الفتوحات اعلم أن خطاب الله تعالى بضمير المواجهة تحدد وخطابه بضمير الغائب تميز ولا بد للعبد من واحد منهما ولكن الثانى أقوى فى التنزيه * وقال فى الباب التاسع والاربعين ومائة كما لا يجتمع الدليل والمدلول كذلك لا تجتمع أنت وربك فى حد ولا حقيقة فانه الخالق وأنت المخلوق * وقال الشيخ أيضا فى باب الاسرار اعلم أن كل من وقف مع الدليل حرم المدلول فاياك أن تقف مع الحق مع كونه دليلا على نفسه فانك ان وقفت معه على هذا الحد حرمته لان الدليل والمدلول لا يجتمعان قط فى حد * وقال فيه أيضا لا تقل وصلت فما ثم نهاية ولا تقل لم أصل فان ذلك عماية ايس وراء الله مرمى وهنالك يستوى البصير والاعمى * وقال فيه أيضا لو كانت العلة فى الازل لكان المعلوم لم يزل فاياك من ظهور الشبه فى صور الادلة فانها مضلة فما عرفه تعالى سواه * وقال فيه أيضا اعلم أن البراهين لا تخطئ فانها قوية السلطان وانما الخطا راجع الى المبرهن واذا كان المدلول لا يعرف الا بالدليل فليس الى العلم به تعالى سبيل فان من علمت به مغلوبا وجهلته فما علمته لانك ما علمت به * وقال فيه أيضا التنزيه ميل والتشبيه ميل والاعتدال هو ما بين هذين وذلك لا يصح ولا يوجد فى العين * وقال فى شرحه لترجمان الاشواق اعلم أن كل عقل له عقل مثله وليس للحق تعالى حق مثله فمن عرفه بعقله فما عرفه * وقال فى باب الوصايا من الفتوحات اياك ان تدعى معرفة ذات خالقك فانك فى المرتبة الثانية من الوجود وأما فى حال فناتك فما عرفه تعالى هنالك الا هو فافهم معنى التوحيد عن الذوق انتهى (فان قيل) فما سبب وقوع الحيرة فى الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخمسين من الفتوحات ان سبب ذلك طلب الخلق معرفة ذاته باحد الطريقين اما بطريق الادلة العقلية واما بطريق المشاهدة فالدليل العقلى يمنع من المشاهدة والدليل السمعى قد أوما اليها وما صرح وقد منع الدليل العقل من ادراك حقيقة ذاته تعالى من طريق الصفة الثبوتية التى هو عليها تعالى فى ذاته فسلم يدرك العقل بنظره الا صفات السلوب وقد سمى القوم ذلك معرفة (فان قلت) فاذن كلما زادت حيرة العبد ازداد علما بالله تعالى لكون العقل عجز عن ضبط ما يدركه (فالجواب) نعم ولذلك كانت حيرة أهل الكشف أعظم لادراكهم التجليات مع الآيات فلا يستقر لهم فى معرفته قدم يستقرون عليه وقد قال فى باب الاسرار لا يعقل الحق تعالى قط الا الها غير معقول ولا يمكن قط فى العلم تجريده بالكلية عن العالم المربوب فاذا لم يعقل مجردا عن العالم لم تعقل ذاته ولم تشهد من حيث هى فاشبه العلم به العلم بالنفس والجامع عدم التجريد فكما لا يتخلص لك شهود العلاقة التى بين نفسك وبدنك فكذلك لا يتخلص لك معرفة العلاقة التى بين الله تعالى وبين العالم قال وكل من قال بتجريد النفس عن هيكل ما تدبره فما عنده علم بالنفس ماهية لانها لا تعقل نفسها قط الا فى مركب انتهى * وعبارة الشيخ فى شرح ترجمان الاشواق اعلم أن اللطيفة الانسانية لا توجد دنيا ولا أخرى الا وهى مدبرة لمركب ولا تترك قط لحظة واحدة لمشاهدة بسيطها وهى عرية عن مركبها من غير علاقة أبدا قال وهذا بخلاف ما يراه بعض المتصوفة وغيرهم ممن لا علم له بما الامر عليه فعلم انها لا تتصل أبدا الآباد بالمنزه البسيط الاعلى لان تدبيرها المركبها وصف لازم فلا تتفرغ لغيره انتهى * وقال فى باب الاسرار قد تكون المعرفة بالشئ هى العجز عن المعرفة به فيعرف العارف ان هذا المطلوب لا يعرف وليس الغرض من المعرفة لشئ الا أن يتميز عن غيره فقد ميز وتميز من لا يعرف بكونه لا يعرف فحصل المقصود انتهى * وقال فى كتاب لواقح الانوار من سلك الى الله بالفكر لم يبرح من الكون فما عنده خبر وقال فى باب الاسرار حقيق على الخلق أن لا يعبد كل واحد منهم ماهية الحق لجهلهم بها وانما يعبدون ما يعتقدونه من صفات الحق دليلى فى ذلك الله أكبر حتى عند تحوله يوم القيامة فى الصور * وقال فيه أيضا اذا ملئ القلب شهود الحق تعالى فالحق حينئذ ضيف نازل يتعين القيام بواجب حقه لكن اكرامه على قدر مقام ذلك القلب لا على قدر النازل وعند العوام ان الكرامة تكون على قدر النازل لا المنزول عليه فلا يعجبنك حديث أنزلوا الناس منازلهم لانا لو عاملنا الحق تعالى بهذه المعاملة لم يصح بيننا وبينه قط مواصلة (فان قلت) فاذن عظمة الحق تعالى انما هى راجعة لما يقوم فى قلب العبد من شدة التعظيم أو قلته وليست راجعة لذات

بالاثبات بلفظ آمين أى بترتيب هذه الحروف وأما ان قالوها غير مقصدين فلم يبق معنى الموافقة الا أن يقولها العبد بالحال الذى يكون عليها الملك وأطال فى ذلك بكلام دقيق فراجعه اه والله أعلم * وقال فيه فى الكلام على التشهد اعلم أن الالف واللام فى لفظة السلام عليك أيها النبى للجنس لا للعهد فهو مثل التحيات لله فى الشمول والعموم أى السلام عليك بكل سلام قال وانما كان السلام عليه هنا بلفظ النبى دون الرسول لان النبوة فى حق ذات النبى أعم وأشرف فانه يدخل فيها ما اختص به فى نفسه وما أمر بتبليغه لامته الذى هو منه رسول ثم قال وانما أتى المصلى به صلى الله عليه وسلم من غير حرف النداء المؤذن بالبعد لانه فى حال قربه منه باحضاره فى ذهنه ولهذا جاء بحرف الخطاب فى قوله عليك (قلت) وذكر الشيخ فى الباب الثالث والسبعين أن السلام انما شرع من المؤمنين لان مقام الانبياء يعطى الاعتراض عليهم لامرهم الناس بما يخالف أهواءهم فكان المؤمن يقول يارسول الله أنت فى أمان من اعتراضى عليك فى نفسى وقال كذلك السلام على عباد الله الصالحين فانهم كذلك يأمرون الناس بما يخالف أهواءهم بحكم الارث للانبياء قال وأما تسليمنا على أنفسنا فان فينا ما يقتضى الاعتراض واللوم منا علينا فالزم نفوسنا التسليم فيه لنا ولا نعترض كما يقول الانسان قلت لنفسى كذا فقالت

الحق

الحق فى نفسها الادراك العبد الزيادة والنقص فى علمه بالله تعالى (فالجواب) هو كما تقول فقد قال الشيخ فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات اعلم أن العظمة الالهية ليست راجعة لذات الحق تعالى وانما هى راجعة الى مقام العبد ومشاهدته اذ لو كانت العظمة صفة للذات الالهية لكانت الذات مركبة من صفة ذاتية أو معنوية ومعلوم ان قيام صفات المعانى بذاته تعالى محال كما يستحيل ان تكون العظمة صفة نفسه وذلك من أجل ما ورد من انكار بعض الخلق بعض التجليات فى الآخرة مع كونه هو هو واذا بطل الوجهان فلم يبق الا أن تكون العظمة صفة للعبد ولذلك اذا خرج ملك متنكرا فى غير هيئته المعروفة ومشى فى شوارع مدينته لا يقوم له تعظيم فى قلب أحد ولو أن العظمة كانت صفة له لعظمه كل من رآه فى حال تنكره انتهى * وقال فى هذا الباب أيضا احذر أن تقول ان الحق تعالى متصف بصفات خلقه كما تعطيه أخبار الصفات فان ذلك سوء أدب فما فى صفات خلقه من النقص من حيث الحدوث وانما الادب أن تضيف اليه تلك الصفات وتؤمن بها من غير تكييف ومن أولها أو ردها فقد أخطأ طريق الصواب فان فى التأويل فوات كمال مقام الايمان لا فوات أصل الايمان اذ لولا اعتقاد المؤول صحة تلك الصفة فى جانب الحق لما اشتغل بتأويلها انتهى * وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول اياك أن تؤول أخبار الصفات فان فى ذلك دسيسة من الشيطان ليفوت المؤمن الايمان بعين ما أنزل الله قال تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون وهذا المؤول ما آمن حقيقة الا بما أوله بعقله ففاته الايمان بعين ما أنزل الله تعالى فليتأمل انتهى * فان قيل فما أعلى معارف الاولياء وهل يدرك أحد كيف الحق اذا تجلى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والسبعين ومائتين ان أعلى المعارف للاولياء أن يعرف أحدهم التجليات الالهية لقلوبهم من حيث ورودها فهو يعرف من تجلى ولماذا تجلى لا غير وأما كيف تجلى فهو من خصائص الحق جل وعلا لا يعلمه ملك مقرب ولا نبى مرسل وذلك لان الذات مجهولة فى الاصل فعلم كيفية تجليها غير حاصل ولا مدرك لاحد من خلق الله تعالى (فان قلت) فمن هم أهل الانكار فى التجليات الاخروية (فالجواب) هم ثلاثة أقسام كل قسم ينكر ما فوقه لانه ما ثم الا أربعة أقسام اسلام وايمان واحسان وايقان فاذا تجلى الحق تعالى لاهل مقام الاسلام أنكره الكفار جملة واذا تجلى لاهل مقام الايمان فربما أنكره بعض أهل الاسلام واذا تجلى الحق تعالى لاهل مقام الاحسان فربما أنكره بعض أهل مقام الايمان واذا تجلى لاهل مقام الايقان فربما أنكره بعض أهل مقام الاحسان * وقد قال الشيخ فى الباب الستين وأربعمائة ان كل من لم يذق شيأ فى هذه الدار أنكره فى الآخرة فصاحب مقام الايقان لا ينكره تعالى فى تجل من التجليات كالانبياء وكمل ورثتهم لانهم جاوزوا مقام الاسلام والايمان والاحسان الى مقام الايقان * فان قيل هل فى منع التجلى الذاتى فى غير مظهر خلاف بين المحققين * فالجواب كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والسبعين ومائتين انه لا خلاف فى منع التجلى الذاتى فى غير مظهر عندنا وعند أهل الحقائق ثم أنشد

ولم يبد من شمس الوجود ونورها * على عالم الارواح شئ سوى القرص
وليس تنال الذات فى غير مظهر * ولو هلك الانسان من شدة الحرص
ولا ريب فى قولى الذى قد بثثته * وما هو بالقول المموه بالخرص

فان قيل فاذا قلتم بمنع وقوع التجلى الذاتى فبماذا تتعلق رؤيتنا للحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والثمانين ومائتين ان الرؤية تتعلق بحجاب العظمة بيننا وبين الحق تعالى ويحمل على ذلك ما ورد من النصوص اذ لو رفع هذا الحجاب لعلمت ذات الحق تعالى وكل من زعم أنه علم ذات الحق من رؤيته له فلا بد أن ينكشف له جهله فى الدار الآخرة فيعلم يقينا أن الامر على خلاف ما كان يعتقده فى دار الدنيا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون انتهى (فان قيل) فهل التجلى فى صور المعتقدات والمعقولات واقع أو هو ممنوع كالتجلى الذاتى (فالجواب) أنه واقع وذلك لان صور المعتقدات والمعقولات انما هى جسور يعبر عليها بالعلم أى يعلم أن وراء هذه المظاهر أمرا لا يصح ان يعلم ولا يشهد وليس وراء ذلك المعلوم الذى

على نفسه قال وانما جاء بنون الجمع ليؤذن بأن كل جزء من هذا المسلم يسلم على بقية أجزائه وعوالمه حين رأى بيت قلبه خاليا من كل ما سوى الله فسلم على نفسه كما أمر أن يسلم اذا دخل بيتا ما فيه أحد نيابة عن الحق الذى يشهده فى قلبه كما قال ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده قال وانما قال وعلى عباد الله الصالحين بالواو دون ذكر لفظ السلام تنبيها على أن المراد بالصالحين المستعملين فى أمور مطلق الاسلام من المسلمين لا الصالحين فى العرف * قال وانما لم يعطف المصلى السلام الذى سلم به على نفسه بالواو على السلام الذى سلم به على نبيه لانه لو عطفه عليه لسلم على نفسه من جهة النبوة وهو باب قد سده الله كما سد باب الرسالة عن كل مخلوق بمحمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وتعين بهذا أنه لا مناسبة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه فى المرتبة التى لا تنبغى لنا فابتدأنا بالسلام علينا فى طورنا من غير عطف انتهى (قلت) وفى هذا القول من الشيخ رحمه الله رد على من افترى عليه انه كان يقول لقد حجر ابن آمنة واسعا بقوله لا نبى بعدى * وقد ذكر فى شرحه لترجمان الاشواق أيضا ما نصه اعلم ان المقام المحمدى ممنوع من دخوله لنا وغاية معرفتنا به النظر اليه كما ننظر الكواكب فى

فلذلك كان لا يقدر عبد على تعيين ما تجلى فيه ولا على التعبير عنه ثم ان العارف اذا رجع من هذا المقام الى عالم نفسه الذي هو عالم المواد صحبه تجلي الحق تعالى فما من حضرة يدخلها من جميع الحضرات الا ويرى الحق تعالى قد تحول بحكم تلك الحضرة لان العارف قد ضبط منه أولا ما ضبط فلا يجهله بعد ذلك أبدا الا انه تعالى ما تجلى لقلب عبد في شيء من المعارف واحتجب عنه بعد ذلك وأطال الشيخ محيي الدين في ذلك ثم قال وفي هذه الحضرة يجمع العبد بين الضدين ولا يقدر على امكان ذلك من نفسه والله تعالى أعلم * وقد قدمنا في هذا المبحث أن علم كيفية تجلي الحق من خصائص الحق لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب ويؤيده قول الشيخ في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة ان للحق تعالى بنفسه علما ما هو عين ما حكم به العقل عليه ولا هو عين ما شهده البصر وحكم به عليه ولا هو غير هذين الحاكمين انتهى * وقال الشيخ عبد الجبار النفري في المواقف أوقفني الحق تعالى وقال لي وعزتي وجلالي ما أنا عين ما عرفوه ولا عين ما جهلوه * وقال أيضا أوقفني الحق تعالى وقال لي اعلم ان حجابي الجهل بي فهو دائما امام حضرتي فلا معلوم لخلقي الا بجهلهم بي لعدم احاطتهم بي * وقال أيضا أوقفني الحق وقال لي اعلم أني لا أظهر لعبد الا بعد أن يتفرغ من جميع علومه ومعارفه ويدخل حضرة الجبروت فاذا دخل فهناك يشهد المعرفة صنما والعلوم أزلاما * وقال أيضا قال لي الحق لي معرفة لا جهل فيها لا تقع وجهل لا معرفة فيه لا يبدو وأنا أظهر من الظاهر وأخفى من الباطن وأقرب الى كل شيء من نفسه وجميع ما أظهرته لعبادي من التعرفات لا يحتمل تعرفي الذي لا يبدو فاني لا أنا التعرف ولا أنا العلم ولا أنا كالتعرف ولا أنا كالعلم وليس القرب الذي يعرفه عبادي هو القرب الذي أعرفه أنا فلا قربي عرفوا ولا بعدي عرفوا ولا وصفي كما يليق بجلالي عرفوا فأنا قريب بعيد بلا مسافة وهم لا يعرفون قربي وبعدي الا بمسافة * وقال فيها أيضا أوقفني الحق تعالى وقال لي ان أردت أن أتعرف لك فارم علمك بي من وراء ظهرك ولا تدخل حضرتي بعلم ولا جهل وقف من وراء الكون واسأله عني تجد الكون جاهلا بي واسأل الجهل عني تجده جاهلا بي فاني أنا الظاهر لا كما ظهرت الظواهر وأنا الباطن لا كما بطنت البواطن وشهود عبدي لي مع غيري لا يصح فان أردت أن أتعرف لك فلا تجعل الكون من فوقك ولا من تحتك ولا عن يمينك ولا عن شمالك ولا في علمك ولا في وجدك ولا في ذكرك ولا في فكرك وانظر من قبل الكون فهناك مقامك فاقم فيه ناظرا الى كيف أخلق الامور * وقال فيها أيضا أوقفني الحق تعالى وقال لي ان أردت ان أتعرف لك فاخرج عن شهود الموصول والمفصول وعن العلم الذي ضده الجهل وعن الجهل الذي ضده العلم وعن المعرفة التي ضدها الفكر وأطال في ذلك (فان قلت) فما تقول فيمن أخذ معرفة الحق تعالى من خلف حجاب الحروف والالفاظ الواردة في الكتاب والسنة فهل يسمى عارفا (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الوصايا من الفتوحات ليس هو عارفا بل هو جاهل بالله تعالى وليس له نفحة من نفحات الجود الالهي * قال وايضاح ذلك أن من أخذ معرفة الحق تعالى من الحروف فهو يتردد من كون الى كون بداية ونهاية وقال الشيخ أيضا في شرح ترجمان الاشواق من عرف الله بالله فقد عرفه ومن عرفه بالكون فقد عرف ما أعطاه ذلك الكون لا غير فما برح من جنسه * وقال الشيخ أيضا في لواقح الانوار اعلم أن من الناس من أوغل في تحرير الادلة وغرق في التفتيش وكلما قام بباطنه أمر نفاه فكان غاية هذا انه وقف بعد التعب مع قوله تعالى ليس كمثله شيء فهذا قد قطع عمره في التفكر فيمن لا يصح اقتناصه بالفكر وشغل المحل بما نهاه الله تعالى عنه ومن الناس من كان هذا بدايته فاستراح من أول قدم وفرغ المحل فبقي قابلا للمواهب والمعارف * وقال الشيخ في الباب الثالث والسبعين وأربعمائة اعلم ان غاية أمر من خاض في الذات من القدماء والمتصوفة أنهم عصوا الله عز وجل بذلك واحتجوا بأمور وهي عليهم لا لهم ثم انهم بعد استيفاء النظر أقروا بالعجز ولو أنهم لزموا الادب مع الله تعالى لكان ذلك الاقرار وقع منهم في أول قدم لكنهم تعدوا حدود الله التي هي أعظم الحدود وجعلوا ذلك قربة اليه والحال انهم في ذلك من أبعد ما يكون عن حضرته تعالى (فان قيل) فما أعلى المحامد التي يثني بها العبد على الله تعالى

هنا أعم لتضمنها النبوة فكان يحتاج الى ذكر الرسالة بعد النبوة ليظهر اختصاصه على من ليس له مقام الرسالة من عباد الله النبيين قال وأما قوله في تشهد ابن عباس سلام عليك أيها النبي بالتنكير فوجهه انه راعى خصوص حال كل مصل فجاء بسلام منكر ليأخذ كل مصل منه على حسب حاله من مقام السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ومن مقام السلام على نفسه وعلى الصالحين من عباد الله ولذلك اختص بترك تكرار لفظ الشهادة في الرسالة واكتفى بالواو لما فيها من قوة الاشتراك وأسقط في هذه الرواية ذكر لفظ العبودية لتضمن الرسالة لها انتهى فتأمل يا أخي هذا المحل المتعلق بالتشهد فانك لا تكاد تجده في كتاب والله يتولى هداك * وقال انما أمرنا بالاستعاذة من فتنة المسيح الدجال لما يظهره للخلق في دعواه الالوهية وما يخيله من الامور الخارقة للعادة من احياء الموتى وغير ذلك مما ثبتت به الروايات وجعل ذلك آيات له على صدق دعواه قال وهذه مسئلة في غاية الاشكال لانها تقدح فيما قرره أهل الكلام في العلم بالنبوات فيبطل بهذه الفتنة كل دليل قرروه وأي فتنة أعظم من فتنة تقدح في الدليل الذي أوجب السعادة للعباد فالله يجعلنا من أهل الكشف

(فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والستين وأربعمائة أعلى المحامد عند جميع المحققين عقلا
وشرعا قولنا هو تعالى كما أثنى على نفسه ليس كمثله شئ اذ لا يصح لعبد أن يثنى على ربه عز وجل بما لا يعقله
العبد وما بقى الا أن يثنى عليه العبد بما يعقله فقط ومعلوم أن الحق تعالى من وراء كل ثناء للعبد فيه ثبوت
فكل شئ علمته أو عقلته كان على صفتك ولا بد ومن هنا قالوا حقيقة التسبيح هى التسبيح عن التسبيح
كقولهم التوبة هى التوبة من التوبة وايضاح ذلك أن التسبيح تنزيه ولا نقص فى جانب الحق تعالى يتعقله
العبد حتى ينزه خالقه عنه فافهم * وقال أيضا فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة اعلم أن من فهم معنى
قوله تعالى ليس كمثله شئ لم يفكر قط فى كنه ذات الحق أبدا وما رأيت أحدا ممن يدعى أنه من فحول العلماء من
أصناف النظار الا وقد تكلم فى ذات الله تعالى بفكر مزاعمين أنهم ينزهونه حتى وقع فى ذلك أبو حامد الغزالى
رحمه الله لكنه رجع عن ذلك قبيل موته * قال الشيخ وكان من فضل الله تعالى على أن حفظنى من
التفكر فى ذاته فلم أعرفه تعالى الا من قوله وخبره وشهوده فبقى الفكر منى معطلا فى هذه الحضرة فشكرنى
فكرى على ذلك وقال الحمد لله الذى عصمنى بك عن التصرف والتعب فيما لا ينبغى لى أن أتصرف فيه وكان
ذلك من مبايعة سابقة فانى كنت قد بايعت فكرى أن لا يتعب فى التفكر فى ذات الله وان يصرف تعبه فى
الاعتبار فبايعنى على ذلك فلله الحمد على صرفه عن الشغل الذى لم يخلق له واستعماله فى الشغل الذى خلق له
انتهى * وقال الشيخ أيضا فى الباب الثالث والسبعين اعلم ان أكثر الشريعة قد جاء على فهم العامة
فى صفات الحق رحمة بهم ولم يجئ على فهم الخواص الا بعض تلويحات نحو قوله ليس كمثله شئ وقوله سبحان
ربك رب العزة عما يصفون لان العزيز هو المنيع الذى لا يوصل اليه تفكر ولا عقل انتهى (فان قلت) فاذن
لا سبيل للعبد الى التنزيه الخالى عن التشبيه أبدا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الثانى والسبعين نعم لا سبيل
لمخلوق اليه الا برد العلم فيه الى الله تعالى فقد صدق والله أبو سعيد الخراز حيث قال لا يعرف الله الا الله انتهى
(فان قلت) فاذا كان الحق تعالى لا يشبه خلقه فى شئ مطلقا فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله
خلق آدم على صورته (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الحادى والستين وثلثمائة ان المراد هنا بالصورة
ان الله تعالى جعل كلا من آدم وبنيه يأمر وينهى ويعزل ويولى ويؤاخذ ويسامح ويرحم ونحو ذلك
لكونه خليفة فى الارض اذ الصورة تطلق ويراد بها الشأن والحكم والامر أى ان الله تعالى جعل آدم
يفعل بأمره تعالى ما شاء الله فهذا هو معنى الصورة اهـ * وذكر الجلال السيوطى أن الحديث وارد
على سبب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شخصا يلطم مملوكه على وجهه فقال لا تفعل هذا فان الله
خلق آدم على صورته فينبغى لك اكرام صورته اهـ فهذا هو المراد بالصورة والله أعلم (فان قلت) فما معنى
حديث الطبرانى رأيت ربى فى صورة شاب أمرد قطط له وفرة من شعر وفى رجليه نعلان من ذهب الحديث
(فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والستين ان هذه الرؤية كانت فى عالم الخيال ومن شأن الخيال أن
يجسد ما ليس من شأنه التجسد من المعانى فيريك الاسلام قبة والعلم لبنا والقيد ثباتا فى الدين ونحو ذلك فلا شئ
فى الكون أوسع من الخيال فانه يحكم بحقيقته على كل شئ وعلى ما ليس بشئ ويصور العدم المحض
والمحال والواجب والممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا قال ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم
لجابر اعبد الله كأنك تراه وقال ان الله فى قبلة أحدكم خطابا لمن هو فى حضرة الخيال وانما خص وجود
الحق بالقبلة ففتح الباب بتخيله تعالى فى القبلة ليراقبه العبد ويستحى منه ويستفهم من ربه الآية اذا أرتجت
عليه فيعلمها الحق تعالى بها من باب الالهام ويلزم الادب فى صلاته فلولا انه صلى الله عليه وسلم علم أن عند الانسان
حقيقة تسمى الخيال لها هذا الحكم ما قال اعبد الله كأنك تراه أى كأنك تراه ببصرك مع أن الدليل العقلى
يمنع من كأن لانه تخيل بدليل التشبيه والبصر ما أدرك شيئا سوى الجدار وأطال فى ذلك * ثم قال فما
خاطبك الشارع بما قال الا لتخيل انك مواجه للحق فى قبلتك وان كان الحق تعالى لا يتحيز لانك لا تعقل الحق
الا كذلك ما دمت محجوبا وساقيا دائرة عقلك فاذا أعطاك الحق تعالى القوة التى فوق طور العقل فحينئذ تشهد

والوجود انتهى فليتامل ويحرر * وقال انما كان المصلى يسلم تسليمتين لانتقاله من حال الى حال فيسلم بالاولى على من انتقل عنه
وبالثانية على من قدم عليه
قال وكل مصل لم يغب فى
صلاته عن غير الله عز وجل
فما برح من الاكوان
فعلى من يسلم وهو ما برح
مع الكون فهلا استحى
هذا المسلم من الله حيث
يرى الناس بسلامه عليهم
أنه كان غائبا عند الله فلا
حول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم * وقال الحكمة فى
رفع الايدى فى الصلاة
الاعلام بكل شئ حصل فى
اليدين قد سقط عند رفعهما
وكأن الحق تعالى يقول
معلما للعبد اذا وقفت بين
يدى فقف فقيرا محتاجا
لا تملك شيأ وكل شئ ملكته
يداك فارم به وقف صفر
اليدين واجعل ذلك خلف
ظهرك فانى فى قبلتك قال
ولهذا يستقبل بكفيه
قبلته (قلت) ذكر الشيخ
فى الباب التاسع والستين
وثلثمائة ما نصه اعلم أن من
آداب الوقوف بين يدى
الله تعالى فى الصلاة الذل
والمسكنة والتكنف شغل
العبد الذليل فى حال مناجاة
سيده وقد وردت السنة
بذلك وهو عندى أحسن
من ارسال اليدين قال
وايضاح ما قلناه ان الله
تعالى قسم الصلاة بينه
وبين عبده نصفين فجزء
منها خاص لله من أولها الى
قوله مالك يوم الدين فهذا
بمنزلة اليد اليمنى من العبد
اشارة للقوة الالهية قال تعالى لاخذنا منه باليمين والجزء الآخر خاص بالعبد من قوله اهدنا الى آخر السورة فهذا بمنزلة اليد

الحق تعالى من غير تحيز فقد علمت أن من شأن الخيال أن يصور من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصور انتهى * وقال في الباب الثالث والسبعين انما سمي العقل عقلا لانه مأخوذ من العقال فلا قدم له في معرفة الحق تعالى في مرتبة الاطلاق انتهى * وقال في الباب الثامن والستين اعلم ان أدنى حجاب حجب به العبد عن رؤية الحق تعالى هو الصورة التي يقع في ذهن العبد تجلي الحق فيها فانه تعالى ماهو تلك الصورة المتحيزة تعالى الله عن ذلك مع أن العبد لا يصح قط أن يرقى عن التجلي الصوري الا ان خرج عن عالم المواد انتهى (فان قلت) فما الحكمة في منع المخلوقات من أن تعلم الحق من كل وجه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين ان حكمة ذلك ان تمنع من علم سر القدر اذ لو صح للمعلومات ان تعلم الحق من كل وجه لعلمت سر القدر ولو علمت سر القدر لعلمت أحكامه ولو علمت أحكامه لاشتغلت بالعلم بكل شئ وما احتاجت الى الحق تعالى في شئ وذلك محال انتهى (فان قيل) قد أخبر الله تعالى بانه أقرب الينا من حبل الوريد واذا كان منا بهذا القرب العظيم فكيف جهلناه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين ان شدة القرب حجاب كما ان شدة البعد حجاب وتأمل الهواء لما كان بلطافته ملاصقا للباصر كيف لم يدركه البصر وكذلك الماء اذا غطس فيه العبد وفتح عينيه فيه لا يراه لشدة قربه (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى منا بهذا القرب العظيم فاين السبعون ألف حجاب من النور والظلمة التي أخبرنا الشارع بانها بيننا وبين الحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ ان هذه الحجب كناية عن شهود العبد بعده من حضرة الحق تعالى لما يعصى الله تعالى مثلا فهي راجعة الى شهود العبد لا للحق والحق تعالى لا يحجب وايضاح ذلك ان العبد المؤمن مشتمل على علم وجهل فالعلم يدرك حجب النور والجهل يدرك حجب الظلمة كل بما يناسبه فافهم (فان قلت) فهل يصح رفع حجاب العظمة الذي بين العبد وربه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والخمسين ومائتين لا يصح رفع حجاب العظمة عن الحق تعالى أبدا الذي هو كناية عن عدم الاحاطة به تعالى فلا تقع عين عبد قط الا على هذا الحجاب فاذن العبد رآه وما رآه * وقال في الباب الحادي والخمسين ومائتين فسبحان من لا يعلم الا بأنه لا يعلم * وقال في الباب السابع عشر وثلثمائة فسبحان الظاهر الذي لا يخفى وسبحان الخفي الذي لا يظهر وقد حجب تعالى الخلق به عن معرفته وعماهم عن رؤيته بشدة ظهوره فهم منكرون مقرون مترددون حائرون (فان قلت) فعلى ما قررتموه فما معنى قوله تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين ان المراد به أدعو الى طريق الله تعالى الخاصة التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام على حذف مضاف ومن ادعى انه يدعو الى الله حقيقة من غير حذف مضاف فقلنا له كيف عرفت من ليس كمثله شئ حتى تدعو الناس اليه فانه لو كان مثله شئ لوقع التماثل وهو تعالى لا يماثل فليس مثله تعالى شئ وليس مثله لا شئ ومن هو كذلك لا يعرف فبطل دعواك معرفته تعالى انتهى * وقد قال بعض العارفين لشخص من مشايخ العصر ممن اعتقدت القرب حتى دعوت الناس اليه فان قلت اعتقدت قربي من الله تعالى قلنا لك هذا تحديد الحق ومن حد الحق فقد جهل والجاهل لا يكون داعيا وان قلت انما دعوت الناس الى طريق سعادتهم قلنا لك سعادة السعداء من الخلق لم تزل قائمة بهم وما برحت معهم في حال دعائهم اليها وما دعت الاكابر قومها الا امتثالا لامر ربهم لا غير انتهى (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى لا تعقل ذاته فالجهات كلها متساوية في توجهنا له تعالى فلماذا شرع لنا استقبال الكعبة بالخصوص حال الصلاة دون غيرها (فالجواب) كما قاله الشيخ في لواقح الانوار ان الحكمة في تخصيص الاستقبال بجهة الكعبة كوننا لا تجتمع قلوبنا الا اذا توجهنا الى جهة واحدة لان أحدنا ذو جهة فلا يقبل أن يعقل الا ذا جهة ومن هنا قالوا كل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك وأوجبوا على العبد أن ينزه الحق تعالى عما ظهر له ويصرفه عن خاطره فافهم فكان تخصيص توجهنا الى الكعبة شفقة من الحق تعالى علينا لتجتمع هممنا عليه سبحانه وتعالى والا فسائر الجهات في حقه تعالى سواء قال تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله * قال واعلم انه من أعجب الامور ان العبد يعلم ويتحقق ان الحق تعالى ليس في جهة ثم مع ذلك يغلب وهمه على

العبد بين يديه في الصلاة مجامع المناجاة فكملت صفة العبد بجمعه بين يديه ولو أسبل يديه لم تكمل صفته فانظر الى هذه الحكمة ما أجلاها لذي عينين انتهى ثم لا يخفى أنه اذا كان جعل اليدين على الصدر يشغل العبد عن مناجاة ربه فارسالهما أولى فالتحقيق ان جعل اليدين على الصدر للكمل الذين لا يشغلهم ذلك عن الله وان ارسالهما أولى لغير الكمل اذ مراعاة وضعهما على الصدر يشغل عن كمال التوجه بالتمامل والله أعلم * وقال معنى قول العبد في حال اعتداله عن الركوع ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفع من كان له حظ في الدنيا من جاه ورياسة ومال استناده الى ذلك دون الله فاذا انكشف الغطاء يوم القيامة لم ينفعه ماله ولا جاهه عند الله تعالى والله أعلم (وقال) انما جوز الامام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ترك الطمأنينة في الاعتدال وبين السجدتين خوفا من ترك المسارعة الى الخيرات المأمور بالمسارعة اليها فخاف ان الطمأن أن يفوته ذلك مع انه رضي الله تعالى عنه قائل باستحباب الطمأنينة ووجه هذا القول ان الطمأنينة لا تنافي المسارعة الى الخيرات والله أعلم * وقال انما وقع الاتفاق على وجوب السجود على الجبهة واختلفوا في وجوبه على الانف لان الانف ليس بمقام خالص بل هو الى

عقله فلا يشهد هذا الحق تعالى الامتعاليا فى جهة الفوق وربما استدل بعضهم بقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وليس فى الآية دليل صريح على ذلك لان المراد يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذابا من فوقهم يعنى من السماء أو المراد فوقية الرتبة والمكانة لا المكان (وروى) الحكيم الترمذى مرفوعا ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار والملأ الاعلى يطلبونه كما تطلبونه * قال ومن هنا قال المحققون ان علم العبد بأن الله تعالى يراه أكمل فى التنزيه من شهود كون العبد كأنه يراه لان العبد لا يشهده الامقيدا غير مطلق وتعالى الله عن التقييد * قال الشيخ وليحذر المصلى حال استقباله الكعبة أن يرى نفسه مستقبلا فى جهة معينة بل يرى الجهات كلها متساوية وهى وجه الحق تعالى عند المحقق ومن توهم أن نفسه قد أحاطت بها الجهات كصورته الظاهرة وبقى الحق فى وهمه كالدائرة المحيطة به فهو لم يشم من معرفة الله تعالى رائحة ولو كان محقق الرأى نفسه لم تحط بها الجهات الست وذلك لانها ليست من عالم الحس فكما يرى نفسه فى غير جهة كذلك يشهد هذا الحق فى غير جهة وأما ظاهر العبد فهو متوجه الى جهة الكعبة فقط فعلم ان رؤية الحق فى غير جهة بالباطن رؤية مطلقة غير مقيدة وأطال فى ذلك * واعلم يا أخى ان مسئلة القول بالجهة قد زل فيها خلق كثير حتى نقل القول بالجهة عن سيدى عبد القادر الجيلى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث السابع وفى مبحث الاستواء على العرش ان شاء الله تعالى * وقال الشيخ فى الباب التاسع عشر وثلثمائة اعلم ان الذات المقدس له الغنى على الاطلاق وكيف للمحدث أن يعرف القديم * وقال الشيخ فى الباب الرابع والعشرين والثلثمائة فى قوله تعالى واستغفر لذنبك المراد بالذنب هنا ما يخطر ببال العبد من طلب معرفة ماهو الحق تعالى عليه من الحقيقة التى لا تعرف فى الدارين والمراد بذنبه صلى الله عليه وسلم ذنب أمته فهو المخاطب والمراد به غيره هذا هو اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم * وقال فى الباب الستين وثلثمائة ما حرم النظر بالفكر فى ذات الله الا لكون ذلك لا يؤدى صاحبه الى معرفة الحقيقة كما يعرف ذلك كل ذى عقل سليم * وقال فى الباب السابع والستين وثلثمائة ما سمى الحق تعالى نفسه بالباطن الا ليطون العلم بالذات عن جميع الخلق دنيا وأخرى * وقال فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة واذا كانت ذات الحق تعالى غير معلومة فالحكم عليها بأمر دون آخر جهل عظيم * وقال فى الباب التاسع والستين وثلثمائة اعلم ان ذات الحق تعالى لا يعلمها أحد من خلق الله تعالى فهو وراء كل معلوم انتهى كلام الشيخ محيى الدين فى جميع أبواب الفتوحات المكية وغيرها فتأمل يا أخى فيه فانك لا تكاد تجده فى كتاب مجموعا هذا الجمع أبدا ومنه يعلم كل عاقل خارج عن الهوى والتعصب ان الشيخ رضى الله عنه بلغ فى مقام التنزيه لله تعالى مالا يكاد يرى أحدا من الاولياء بلغه وانه رضى الله عنه برىء من القول بالجسمية خلاف ما أشاعه عنه من لا يخشى الله عز وجل وقد صرح فى عقيدته الصغرى بما معناه اعلم ان الحق تعالى ليس بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء فهو منزه عن الجهات والاقطار انتهى * وقال فى باب الاسرار انما ذهب جمهور المتكلمين الى انعدام العرض لنفسه ليكون الخالق خلاقا على الدوام وبالجملة فالحق تعالى مباين لخلقه فى سائر المراتب وهو من وراء معلومات جميع الخلق والسلام فتدبر هذا المبحث والله يتولى هداك

(خاتمة) كان الاستاذ أبو اسحق الاسفراينى رحمه الله يقول جميع ما قاله المتكلمون فى التوحيد قد جمعه أهل الحق فى كلمتين * الاولى اعتقاد ان كل ما تصور فى الاوهام فالله بخلافه * الثانية اعتقاد ان ذاته تعالى ليست مشبهة بذات ولا معطلة عن الصفات وقد أكد ذلك تعالى بقوله ولم يكن له كفوا أحد انتهى * واعلم يا أخى ان الحق تعالى هو المنزه نفسه بنفسه * وقد قال الشيخ فى الباب الثانى والسبعين ومائتين ما نصه اعلم ان الحق تعالى انما ينزه عن صفات خلقه بتنزيه التوحيد اياه لا بتنزيه من نزهه من المخلوقين لان تنزيه المخلوق مركب والمأمور بذلك مخلوق فلا يصدر عنه الا مايشاكله لكن لما تعبدنا الشارع بالتنزيه أقررناه فى موضعه وقلناه كما أمرنا به على جهة القربة الينا مع اعتقادنا انه ليس كمثله شئ فليس التنزيه الذى أمر به العبد هو عين التنزيه الذى نزه الحق تعالى به نفسه (فان قلت) فما الفرق بين التنزيه والتقديس (فالجواب)

أعظم و بدأ بالجبهة فافهم * وقال انما أمر العبد أن يقول سبحان ربى الاعلى وسبحان ربى العظيم باضافة الرب الى ياء النسبة لان الرب يتفاضل العلم به من كل عبد وكل عبد يعتقد فى ربه خلاف ما يعتقده غيره مما يقوم فى الخيال فلذلك كان كل عبد لا يسبح الا ربه الذى اعتقده وربما كم شخص لا يعتقد فى ربه ما يعتقده غيره بل ربما كفر غيره فى اعتقاده فى ربه فلو أمر العبد أن يسبح الرب مطلقا باعتقاد كل معتقد لسبح هذا الشخص من لا يعتقده ربا فلذلك قال سبحان ربى الذى أعتقده وأعرفه أنا دون غيرى والله أعلم (وقال) طالب العلم لغير الله أفضل من الجاهل لانه اذا حصل العلم كما ذكر فقد يرزق التوفيق فيعلم كيف يعبد ربه قال ومن هنا جازت امامة ولد الزنا لانه كالعلم الصحيح عن قصد فاسد غير مرضى عند الله تعالى فهو نتيجة صادقة عن مقدمة فاسدة قال وكما جازت امامة ولد الزنا كذلك جاز الاقتداء بفتوى العالم الذى ابتغى بعلمه الرياء والسمعة فاصل طلبه غير مشروع وحصول عنه فى وجود هذا الشخص فضيلة (وقال) لا تصح امامة الجاهل الذى لا يعلم ما يجب مما لا يجب والمقتدى به ضال قال وليس ذلك بمنزلة صلاة المفترض خلف المتنفل فان الامام اذا تنفل وخالف المأموم فى نيته فما

(فالجواب) كما قاله الشيخ فى لواقح الانوار ان الفرق بينهما هو أن التنزيه لا يكون الا مع استشعار توهم نقص فى جانب الحق تعالى وأما التقديس فلا يكون الا فى صفات الكمال والجمال مع عدم استشعار توهم وجود نقص هنالك فعلم ان التقديس أكمل فى حق العبد من التنزيه ولذلك قال الشيخ فى باب الاسرار التسبيح تجريح فان من لا يلحقه نقص لا ينزه لكن لما وقع استشعار نقص ما من بعض العبيد حين جهلوا الحق تعالى على صفاتهم فى بعض المواضع شرع للعبد أن ينزهه عن هذا الشعور وان كان ذلك محالا عند المتأمل * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول تسبيح العلماء بالله تعالى انما هو حكاية عن قول الله تعالى عن نفسه فيقولونه على سبيل التلاوة لسلامتهم من الوقوع فى التوهم المشعر بنقص ما رضى الله تعالى عنهم أجمعين وقد قدمنا نظير ذلك فى مبحث التوحيد والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس فى وجوب اعتقاد أنه تعالى أحدث العالم كله من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه)

واعلم أنه تعالى به سبق فلابد أن يخلق ما خلق فهو تعالى غنى عن العالمين فاعل بالاختيار لا بالذات وموجود بذاته من غير افتتاح ولا انتهاء بل وجوده مستمر قائم بذاته سبحانه وتعالى هذا كلام المتكلمين ولنبسط الكلام على هذا المبحث بنقول الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه فنقول وبالله التوفيق * ذكر الشيخ فى الباب التاسع والعشرين ومائتين من الفتوحات انه لا يجوز أن يقال ان الحق تعالى مفتقر فى ظهور أسمائه وصفاته الى وجود العالم لانه له الغنى على الاطلاق * قلت وهذا رد صريح على من نسب الى الشيخ انه يقول ان الحق تعالى مفتقر فى ظهور حضرات أسمائه الى خلقه ولولا خلقه ما ظهر ولا عرفه أحد وأجمع العقلاء كلهم على انه تعالى لا يتصف بالقدرة على نفسه ولا بالارادة لوجوده لان من شأن الارادة أن لا تتعلق الا بمعدوم والله موجود ومن شأن القدرة أن لا تتعلق الا بممكن أو واجب بالغير والله تعالى واجب الوجود لنفسه انتهى (فان قلت) اذا كان الحق تعالى لا يجب عليه شئ فما معنى قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة ونحو قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين فان ذلك مؤذن بان الحق تعالى ليس له أن يخالف ما أوجب على نفسه من الرحمة والنصر للمؤمنين (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والسبعين وثلثمائة ان للحق تعالى ان يوجب على نفسه ما شاء ولكن لا يدخل تحت حد الواجب على عباده من المنع من ترك ذلك الواجب لانه تعالى يفعل ما يريد فله تعالى أن يخلف ما كتبه ويخذل من شاء من المؤمنين ولا يلحقه ذم ولا لوم لان الواحد المختار لا يصح منه ان يلزم نفسه ولو ألزمها لا يلزمه الوفاء بخلاف العبد اذا أوجب على نفسه شيأ بالنذر يلزمه الوفاء به لدخوله تحت حد الواجب الشرعى و يأثم اذا لم يوف بنذره مع القدرة وذلك كالعقوبة له لكونه وجب على نفسه ما لم يوجبه الله تعالى عليه وزاحم الحق فى التشريع وأما قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين فالمراد به كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والثلاثين ان العلم الالهى اذا تعلق أزلا بما فيه سعادتنا كان ذلك الوجوب على النسبة من هذا الوجه أى لابد من وجود تلك الطريق الموصلة الى ذلك الامر الذى تعلق به العلم وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان الحق تعالى لا يجب عليه شئ ولو أوجب هو على نفسه شيأ فله الرجوع عنه من حضرة الاطلاق فان للحق تعالى حضرتين حضرة تقييد نحو قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به فهذه لا يصح شرعا أن يخالف ما أخبر به منها وحضرة اطلاق نحو قوله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ومذهب المحققين من أولياء الله تعالى ان يطلقوا ما أطلقه الحق تعالى و يقيدوا ما قيده الحق أدبا فقط لا ولا يحملوا خاصا على عام ولا عاما على خاص انتهى ويؤيده ما ذكره الشيخ أيضا فى الباب الثالث والتسعين ومائتين فى قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون الى آخر النسق وهو ان للحق تعالى جودين جود مطلق وجود مقيد قال وهذه الآية من الجود المطلق وأما الجود المقيد فهو نحو قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أى أوجب وفرض على نفسه الرحمة القوم خواص نعتهم بعمل خاص وهو قوله انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح الآية فهذا جود مقيد بالوجود ان هذه

وسجود وغير ذلك فما اقتدى الذى نوى الفرض خلف المتنفل الا فيما هو فرض على المتنفل (قلت) وسيأتى فى الباب السادس والسبعين وثلثمائة الكلام على تكملة الفرائض بالنوافل يوم القيامة أن الفرائض لا تكمل الا بما هو ركن فى النافلة لا بما هو سنة والله أعلم * وقال انما شرعت الصفوف فى الصلاة ليتذكر الانسان بها وقوفه بين يدى الله تعالى يوم القيامة فى ذلك الموطن المهول والشفعاء من الانبياء والملائكة والمؤمنين بمنزلة الائمة فى الصلاة يتقدمون الصفوف فمن أكثر من هذا التذكر خف هوله وفزعه يوم القيامة بادمان ذلك التذكر (قلت) قد ذكر الشيخ فى الباب السابع والاربعين وثلثمائة ما نصه انما لم يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يمين جبريل كما هو شان المنفرد لانه صلى الله عليه وسلم لما صلى خلفه صباح فرضية الصلاة رأى الملائكة يصلون خلف جبريل فلذلك وقف فى صفهم خلفه ولو أنه لم ير الملائكة خلفه لوقف عن يمين جبريل وكذلك لو أن الرجل الذى صلى خلف النبى صلى الله عليه وسلم وأمره بالوقوف عن يمينه كان يشاهد من يصلى من الملائكة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره بالوقوف عن يمينه فراعى صلى الله عليه وسلم حكم ذلك المأموم وليس حكم من يشاهد

صفة بحكم الوعد السابق منه تعالى وهو عوض عن هذا العمل الخاص فان التوبة والاصلاح من الجود المطلق وقد قابل جوده بجوده فاحكم عليه سبحانه سواه ولا قيده غيره فالعبد بين هذين الجودين كانه عرض زائل اهـ قال وقد بان لك أن وجه الاطلاق مشروع ووجه التقييد معقول كما أنه تعالى حجر اطلاق نسبة الولد اليه وأدخله تحت حكم لو وكما حجر تعالى تبديل القول الالهي بقوله ما يبدل القول لدى * قال الشيخ والعقل يدل على الاحالة في الولد دلالة عقلية وفي نحو قوله تعالى ولو شاء لهدا كم أجمعين دلالة عقلية وقد دلت لفظة لو على أنه تعالى مخير في نفسه ان شاء أمرا شاءه وان شاء لم يشأه فقد رأيت ورود الاخبار الالهية كما ترى ومع ذلك فالعقل يحيله وأطال في ذلك ثم قال فقد بان لك مما قررناه ان الحق تعالى انما أوجب على نفسه بعض أمور تأنيسا لنا فيما نوجبه على أنفسنا من الصلاة والقربات الشرعية فان أوجبناه لربنا سبحانه وتعالى كالنذر أوجبه علينا المخبر عنه فنعصى بتركه ولو انه تعالى ترك فعل ما أوجبه على نفسه لم يكن له هذا الحكم فما وجب علينا فعل ما أوجبناه على أنفسنا الا من حيث ما أوجبه الحق علينا لا من حيث ايجابنا ذلك على أنفسنا فانه لو لم يوجبه تعالى علينا ما أوجبناه على أنفسنا لم نكن عصاة اذا تركناه وأما الحق تعالى اذا وفى بما أوجبه على نفسه فهو فضل منه ومنة ومكارم أخلاق (فان قلت) هذا ظاهر فيما اذا كان الوفاء منه بما وعد من الخير فان كان بما توعد به العصاة من الشر فما حكمه (فالجواب) انه ما ثم شئ يصدر منه تعالى الا وهو خير ولكن الخير على قسمين خير محض وخير ممتزج فالخير المحض هو الذى لا تكرهه النفوس والخير الممتزج هو الذى فيه ضرب من الشر كشرب الدواء الكريه فصاحب هذا الخير كالمعذب المرحوم يجد عذابه اذا تأمله رحمة وتاديبا هذا حكم عصاة الموحدين وأما من حقت عليه كلمة العذاب من الاشقياء فذلك في شر محض لا رحمة فيه بوجه من الوجوه نسأل الله تعالى اللطف * وذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والتسعين ومائتين أيضا ما يؤيد اعتقاد أهل السنة والجماعة من ان الحق تعالى لا يجب عليه شئ وهو ان سهل بن عبد الله التسترى رضى الله تعالى عنه قال لقيت ابليس مرة فعرفته وعرف منى انى عرفته فوقع بينى وبينه مناظرة فقال لى وقلت له وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث انه وقف ووقفت وحار وحرت فكان آخر ما قال لى يا سهل ان الله تعالى قال ورحمتى وسعت كل شئ نعم ولا يخفى عليك انى شئ ولفظة كل تقتضى الاحاطة والعموم الا ما خص وشئ أنكر النكرات فقد وسعتنى رحمته أنا وجميع العصاة فبأى دليل تقولون ان رحمة الله لا تنالنا قال سهل فوالله لقد أخرسنى وحيرنى بلطافة سياقه وظفره بمثل هذه الآية وفهمه منها ما لم أكن أفهمه وعلمه من دلالتها ما لم أكن أعلمه فبقيت حائرا متفكرا وأخذت أردد الآية في نفسى فلما جئت الى قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الى آخر النسق فسررت بها وظننت أنى قد ظفرت بحجة وظهرت عليه بما يقصم ظهره فقلت له تعال يا ملعون ان الله تعالى قد قيدها بنعوت مخصوصة تخرجها عن ذلك العموم فقال فسأكتبها للذين يتقون الى آخر النسق فتبسم ابليس وقال يا سهل التقييد صفتك لا صفته تعالى ثم قال يا سهل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل بالله ما رأيت ولا ظننت انك ههنا ليتك سكت ليتك سكت قال سهل فرجعت الى نفسى وغصصت بريقى وأقام الماء في حلقى وما وجدت له جوابا ولا سددت في وجهه بابا وعلمت انه طمع في مطمع وانصرف وانصرفت والله ما أدرى بعد هذا ما يكون فان الله تعالى ما نص بما يرفع هذا الاشكال فبقى الامر عندى على المشيئة منه في خلقه لا أحكم عليه في ذلك الا بما حكم به على نفسه من حيث وجوب الايمان به انتهى كلام سهل قال الشيخ محيى الدين وكنت قديما أقول ما رأيت أقصر حجة من ابليس ولا أجهل منه فلما وقفت له على هذه المسئلة التى حكاها عنه سهل رضى الله تعالى عنه تعجبت وعلمت ان ابليس قد علم علما الاجهل فيه فله ونبسة الافادة لسهل في هذه المسئلة انتهى فقد بان لك ان الله تعالى خلق العالم كله من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه (وأما) وجه كونه تعالى غنيا عن العالمين فقد قال الشيخ رحمه الله في الباب الثانى والسبعين ان الله تعالى لم يوجد العالم لافتقاره اليه وانما الاشياء في حال عدمها

الامور بنصره حكم من لم يشاهدها انتهى فتامله * وذكر الشيخ أيضا في الباب الاحد والثلاثين وأربعمائة في قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه ولا يقعد على تكرمته الا باذنه أى ولو كان الامام الاعظم في حق آحاد رعيته فانه تحت حكم رب البيت حيثما أقعده قعد ما دام في سلطانه والخليفة وان كان أكبر منه وأعظم لكن حكم المنزل حكم عليه فرده مرؤسا قال وكذلك حكم الخليفة اذا دخل بلاد أحد من نوابه أو خليفة آخر هو تحت حكم ذلك الخليفة أو النائب * قال وكذلك الحكم اذا دخلنا على الله في بيته الذى هو المسجد كان له الحكم فينا بسبب اضافة البيت اليه ولذلك أمرنا أن نحييه بركعتين وأن لا نعمل فيه الا ما أذن لنا في عمله * وقال انما كان الامام لا يحمل عن المأموم شيأ من الاركان بخلاف السنن لان الاركان من فروض الاعيان فلا يجزى فيها نفس عن نفس شيأ بخلاف ما ليس بفرض قال وما عدا الفرض وان كان حقا من حيث ما هو مشروع فهو على قسمين قسم جعل له بدل وهو سجود السهو وذلك في الابعاض وقسم وهو حق من حيث ترغيب العبد فيه فان شاء عمل به وان شاء تركه وليس له بدل كرفع الايدى في كل خفض ورفع ونحو ذلك فمن سجد في ترك الابعاض كان له أجر من أنكى عدوه كما أشار اليه بقوله كانتا ترغيما للشيطان والشيطان من الكافرين وقال تعالى ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا الامكانى

الامكاني المطلبت وجودها من هي مفتقرة اليه بالذات وهو الله تعالى لا تعرف غيره فما طلبت بفقرها الذاتي من الله تعالى أن يوجدها قبل الحق تعالى سؤالها الا من حاجة قامت بها اليها لانها كانت مشهودة له تعالى في حال عدمها النسبي كما هي مشهودة له في حال وجودها سواء فهو يدركها سبحانه على ما هي عليه في حقائقها حال وجودها وعدمها بادراك واحد فلهذا لم يكن ايجاده للاشياء عن فقر بخلاف العبد فان الحق تعالى ولو أعطاه حرف كن وأراد ايجاد شيء لا يوجده الا عن فقر اليه وحاجة فما طلب العبد الا ما ليس عنده ليكون عنده فقد افترق ايجاد الحق تعالى عن ايجاد العبد قال الشيخ وهذه مسئلة لو ذهبت عين الجزاء لتحصيلها لكان قليلا في حقها فانها مزلة قدم زل فيها كثير من أهل الله تعالى والعقلاء فانهم ذمهم الله تعالى في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء انتهى (فان قلت) قد نقل بعضهم عن الشيخ انه كان ينشد

الكل مفتقر ما الكل مستغني * هذا هو الحق قد قلنا ولا نكني

(فالجواب) ان مثل ذلك مدسوس عليه في كتاب الفصوص وغيره فان هذا نصه يكذب الناقل عنه خلاف ذلك *وقال أيضا في الباب الحادي والستين وثلثمائة في قوله تعالى ان الله لغني عن العالمين أي غني عن وجود العالم لكن لما أظهر الله الاسباب ورتب ظهور بعضها على ظهور بعض زل نظار بعضهم فقال ان الله تعالى غني عن وجود العالم لا عن ثبوته ففهم بعض المقلدين من هذه العبارة رائحة الافتقار من حيث ترتيب الظهور مع غفلته عن كون ذلك فعل مختار في الاصل غني عن العالمين فزلت بهذا قدم الغرور في مهواة من التلف فانه لا يلزم من كون العالم ثابتا في العلم الالهي الافتقار الى وجوده فان من كان غنيا عنه وعن ايجاده لا يوصف بالفاقة اليه واذا تعارض عند العاقل مزلات الاقدام فليكن مع وصف الحق تعالى بالكمالات فانه حينئذ ناصر جناب الحق * قال وايضاح ذلك أن تعلم يا أخي ان العلم لما تعلق بالعالم من حيث ثبوته فيما اكتفى بذلك ثم ان شاء الحق تعالى أوجده الى عالم الشهادة وان شاء لم يوجده فهو تعالى ولو أوجده لا يوصف بالافتقار اليه بل هو مستغن عن وجوده وقد وفى الالوهية حقها بكونه ممكنا ولولا ان الممكنات طلبت من الله بلسان الافتقار أن يذيقها طعم الوجود كما ذاقت طعم العدم ما أظهرها تعالى فانها سألت بلسان ثبوتها في علم واجب الوجود أن يخرجها من العدم ويوجد أعيانها ليكون العلم لها ذوقا فأوجدها تعالى لها لا له اذ هو الغني عن وجودها وعن أن يكون وجودها دليلا عليه وعلامة على ثبوته بل عدمها في ترك الدلالة أظهر من وجودها فاي شيء رجع من عدم أو وجود حصل به المقصود من العلم بكمال الحق جل وعلا قال فلهذا قلنا ان غناه عن العالم هو عين غناه عن وجود العالم وهذه مسئلة غريبة لان فيها اتصاف الممكن بالعدم في الازل وكون الازل لا يقبل الترجيح وكيف قبله عدم الممكن مع أزليته في العلم وذلك انه من حيث ما هو ممكن في نفسه استوى في حقه القبول للحكمين فما يفرض له حال عدم ولا يفرض له حال وجود فما كان له الحكم فيه في حال فرضه فهو مرجح فان الترجيح ينسحب على الممكن أزلا في حال عدمه وان كان منعوتا بعدم المرجح (وايضاح ذلك) أن الترجيح من المرجح الذي هو اسم فاعل لا يكون الا مع القصد لذلك والقصد حركة معنوية يظهر حكمها في كل قاصد بحسب ما تعطيه حقيقته فان كان محسوسا شغل حيزا وفرغ حيزا آخر وان كان معقولا أزال معنى وأثبت معنى ونقل من حال الى حال انتهى *وحاصل كلام الشيخ أنه لا يقال ان الحق تعالى غني عما تضمنه علمه القديم من حيث ثبوت العالم فيه اذ العالم هو معلوم علمه تعالى وعلم بلا معلوم لا يصح فمن قال ان الله تعالى غني عن ثبوت المعلومات في علمه كأنه قال ان الحق تعالى غني عن علمه على حد سواء وذلك محال فافهم فرجع الامر الى انه تعالى غني عن ابراز العالم من مكنون علمه الى عالم الشهادة لا غني عن ثبوته في علمه فليتأمل ويؤيد ما فهمناه قول الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى البارئ اعلم أن الحق تعالى من وراء جميع المعتقدات لانه غني عن العالمين لكن لا بد من تخيل وجود العالم لنافي الذهن ليثبت له تعالى الغني عنه كما يقال في صاحب المال انه غني بالمال عن المال اذ المال هو الموجب

والسبعين وثلثمائة فراجعه فيما سيأتي *وذكر الشيخ في الكلام على صلاة الجنازة ان من انتقص من صلاته شيا فان الله لا يقبله ناقصا ولكن يضم بعض الصلوات الى بعض فان كانت له مائة صلاة مثلا وفيها نقص كملت بعضها من بعض ثم أدخلت حضرة الحق كاملة فتصير المائة صلاة مثلا ثمانين صلاة أو خمسين أو عشرين أو عشرة أو غير ذلك هكذا حكم صلاة الثقلين وأما صلاة الملائكة والحيوان والجماد والنبات فكلها كاملة لا يدخلها نقص انتهى والله أعلم وسيأتي شرح حديث لا يقبل من صلاة المرء الا ما عقل منها في الباب السادس والسبعين وثلثمائة فراجعه وكذلك سيأتي في الباب الاخير من الكتاب ما نصه اعلم انه لا يسمى نفلا الا ماله أصل في الفرائض وأما ما لا أصل له في الفرائض فهو انشاء عبادة مستقلة يسميها بعضهم بدعة وسماها الشارع سنة حسنة ولمن سنها أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئا قال ولما لم يكن من قوة النفل أن يسد مسد الفرض جعل الشارع في نفس النفل فروضا لتجبر الفرائض

بالفرائض كصلاة النافلة بحكم الاصل ثم انها تشتمل على فرائض من ذكر وركوع وسجود مع كونها في الاصل نافلة وهذه الاقوال

له صفة الغنى عنه فلا بد من وجود المال لنتصور صفة الغنى عنه * قال الشيخ وهذه مسئلة دقيقة لطيفة الكشف فان العالم سبب الثناء عليه تعالى من حيث وجود العالم كما انه تعالى لا ينزه عن صفاتنا الا ينافيها وقع الثناء عليه الامع تصور وجودنا فهو غنى عنا بنافى الدائرة العقلية لا الكشفية فان كونه تعالى غنيا انما هو بغناه عنا فلا بد من ثبوت هذا الغنى له نعتا قال ومن أراد أن يقرب عليه تصور هذا الامر فلينظر الى ما سمى الحق تعالى به نفسه من كل اسم يطلب العالم فان الخالق يطلب مخلوقا والرازق يطلب مرزوقا والرحمن يطلب مرحوما والرب يطلب مربوبا وهكذا فلم يتعقل قط الغنى عنا الا بنا قال ومن هنا قال سهل بن عبد الله ان للربوبية سرا لو ظهر لبطل حكم الربوبية ومعنى ظهر زال كما يقال ظهر السلطان من البلد اذا خرج عنها انتهى * وقال الشيخ أيضا فى الباب الاربعين ومائة المراد بكون الحق تعالى غنيا عن العالمين أى غنى عن العالم من حيث دلالة العالم عليه اذ لو خلق تعالى العالم للدلالة عليه لكان للدليل فخر وسلطنة على المدلول ولما صح للحق تعالى الغنى عنه فكان الدليل لا يبرح عن مرتبة الزهو لكونه أفاد الدال أمرا لم يتمكن للمدلول ان يوصل اليه الا به فكان يبطل الغنى عن العالمين فسقط بذلك قول من قال ان الله تعالى خلق العالم للدلالة عليه فان الله تعالى ما نصب الادلة لتدل عليه وانما نصبها لتدل على المرتبة ليعلم العبد انه تعالى اله واحد لا اله الا هو انتهى * ويؤيد ذلك أيضا قول الشيخ فى الباب الستين من الفتوحات فى قوله تعالى ان الله غنى عن العالمين أى غنى عن الدلالات عليه اذ العوالم كلها دلالات كانه تعالى يقول ما خلقت العالم كله الا ليدل على نفسه وليظهر له عجز نفسه وفقرها وحاجتها الى لانه ما ثم فى الوجود دليل على لانه لو كان فى الوجود دليل على لربطني به فكنت مقيدا به وأنا الغنى الذى لا يقيدنى وجود الادلة ولا يدل على أدلة المحدثات قال وأكثر الناظرين فى هذه المسئلة يتوهمون أن الكون دليل على الله لكونهم ينظرون فى نفوسهم فيستدلون وما علموا أن كونهم ينظرون راجع الى حكم كونهم متصفين بالوجود لوجود هو الناظر حقيقة وهو نور الحق تعالى لا نورهم فان ذات أحدهم لو لم تتصف بالوجود فيما اذا كان ينظر ومن هنا صح قول من قال عرفت الله بالله وهو مذهب الجماعة اه * وقال الشيخ أيضا فى شرحه لترجمان الاشواق جميع الادلة التى نصبها الحق تعالى أدلة قد محاها بقوله ليس كمثله شئ فاوقف العالم كله فى مقام الجهل والعجز والحيرة ليعرف العارفون انه ما طلب منهم من العلم وما لم يطلب منهم فيتأدبون ولا يجاوزون مقادير هم انتهى * وقال فى باب الاسرار من الفتوحات (مه) ان العالم علامة بدوه ممن فهو علامة على من فما ثم الا الله وفعله وما لا يسع جهله انتهى كلام الشيخ رحمه الله * وقد بان لك أنه رضى الله تعالى عنه برىء من القول بان الحق تعالى يوصف بكونه مفتقرا الى العالم وانه تعالى هو الغنى على الاطلاق وان العالم لا ينفك طرفة عين عن الافتقار الى الله تعالى وانه تعالى ما أظهر العالم من مكنون علمه الا ليسبغ عليه نعمه حال وجوده الى عالم الشهادة لا غير وهو معنى قول بعضهم ان الله تعالى أوجدنا لنا لا لحاجة منه الينا لنقوم بالتكليف اذ الحق لا يكلف نفسه انتهى والله أعلم *(خاتمة)* ان قيل هل يصح لاحد الغنى بالله عن الكون (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والعشرين ومائة أنه لا يصح لاحد الغنى بالله حقيقة انما حقيقة الاستغناء ترجع الى الاسباب جلت ذات الحق تعالى أن تكون محلا لمثل ذلك وايضاح ذلك ان الله تعالى ما وضع الاسباب الا ليزيل بها فاقة المخلوقين فما استغنى أحد الا بالكون ولا يصح الغنى عن الكون بحكم العموم وانما يصح الاستغناء عن مخلوق ما بغيره فقول بعضهم فلان مستغن بالله جهل وانما التحقيق ان العبد مستغن بما من الله لا بالله فاذا جاع أمر بالاكل فزال جوعه عند الاكل لا بالاكل فافهم والله تعالى أعلم

(المبحث السادس فى وجوب اعتقاد أنه تعالى لم يحدث له بابتداعه العالم فى ذاته حادث وانه لا حلول ولا اتحاد)

اذ القول بذلك يؤدى الى أنه فى أجواف السباع والحشرات والحشوش وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعلم أن هذه المسئلة مما أشاعها الحاسدون على الشيخ محيى الدين كما مر فى خطبة الكتاب وها أنا أجلى عليك

والافعال فرائض فيها فعلم أنه لا يصح تنفل الا بعد كمال فرض وان فى النفل عينه فروضا ونوافل فيما فيه من الفروض تكمل الفرائض والله أعلم * وقال مذهب الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه عدم الفتح على الامام اذا أرتج عليه ومذهب ابن عمر الفتح ووجه مذهب على أن الامام فى مقام النيابة عن الحق تعالى فى تلاوة كلامه على العباد ولا ينبغى لمخلوق أن يكون له على الحق ولاية فافهم * وقال فى حديث اذا قال العبد الله أكبر يعنى فى صلاته يقول الله تعالى أنا أكبر فاذا قال العبد لا اله الا أنت فيقول الله لا اله الا أنا الخ فاذا كان الحق تعالى لا يقول شيأ من ذلك الا حتى يقول العبد فالعبد أولى بالاتباع لامامه انتهى وهذا استنباط حسن (وقال) فى فصول الجمعة الذى أذهب اليه أن صلاة الجمعة قبل الزوال أولى لانه وقت لم يشرع فيه فرض (قلت) وفى تعليله نظر فليتأمل والله أعلم * وقال الذى اذهب اليه ان المسجد اذا كان له ثلاث مؤذنون ان يؤذن واحد بعد واحد ولا يؤذن ثلاثة معا ولا اثنان معا لانه خلاف السنة قال واذا اذن الثلاثة واحد بعد واحد يقول الاول حى على الصلاة ويقول الثانى حى على الصلاة فى الجماعة ويقول الثالث حى على الصلاة فى الجماعة فى هذا اليوم فيعلم كل مؤذن بحال لم يعلم بها الآخر انتهى فليتأمل ويحرر (وقال) الذى أقول به جواز اقامة جمعتين فى مصر واحد لانه لم

عرائس كلامه فى أبواب الفتوحات لتعلم يقينا براءة الشيخ من مثل ذلك اذهو جهل محض * فأقول وبالله التوفيق قال الشيخ فى عقيدته الصغرى تعالى الحق تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها * وقال فى عقيدته الوسطى اعلم أن الله تعالى واحد باجماع ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شىء أو يحل هو فى شىء أو يتحد بشىء * وقال فى الباب الثالث من الفتوحات اعلم أنه ليس فى أحد من الله شىء ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه * وقال فى باب الاسرار لا يجوز لعارف أن يقول أنا الله ولو بلغ أقصى درجات القرب وحاشا العارف من هذا القول حاشاه انما يقول أنا العبد الذليل فى المسير والمقيل * وقال فى الباب التاسع والستين ومائة القديم لا يكون قط محلا للحوادث ولا يكون حالا فى المحدث وانما الوجود الحادث والقديم مربوط بعضه ببعض ربط اضافة وحكم لا ربط وجود عينين فان الرب لا يجتمع مع عبده فى مرتبة واحدة أبدا وغاية الامر أن يجتمع بين العبد والرب فى الوجود وليس ذلك بجامع انما يكون الجامع بين العبد والرب بنسبة المعنى الى كل واحد منهما على حد نسبته الى الآخر ولسنا نعنى اطلاق الالفاظ ومعلوم ان نسبة المعنى الى كل واحد منهما على حد نسبته الى الآخر غيره وجوده انتهى * وقالت الولية الكاملة سيدة العجم فى شرح المشاهد اعلم أن العبودية مرتبطة بالربوبية ارتباط مقابلة كارتباط حرف لا اذ كل واحد من هذين الحرفين اللذين قد صارا واحدا فى النظر متوقف على الآخر عند وضع حقيقة هذا الحرف انتهى

(فان قيل) فما معنى حديث فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ورجله التى يمشى بها ويده التى يبطش بها فان جماعة كثيرة فهموا منه وجود اتحاد الحق تعالى بالعبد وحلوله فيه (فالجواب) ان معنى كنت سمعه الى آخره ان ذلك الكون الشهودى مرتب على ذلك الشرط الذى هو حصول المحبة فمن حيث الترتب الشهودى جاء الحدوث المشار اليه بقوله كنت سمعه لا من حيث التقرير الوجودى قاله الاستاذ سيدى على بن وفا رحمه الله * وقال الشيخ محيى الدين فى الباب الثامن والستين فى الكلام على الاذان المراد بكنت سمعه وبصره الى آخره انكشاف الامر لمن تقرب اليه تعالى بالنوافل لانه لم يكن الحق تعالى سمعه قبل التقرب ثم كان الآن تعالى الله عز وجل عن ذلك وعن العوارض الطارئة قال وهذه من أعز المسائل الالهية انتهى (فان قلت) فلم ذكر تعالى فى هذا الحديث الصور الحسية من السمع والبصر ونحوهما دون القوى الروحانية كالخيال والحفظ والفكر والتصور والوهم والعقل وما وجه تخصيص الحسية (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والاربعين وثلثمائة انه تعالى ماذكر الحواس الظاهرة الا لكونها مفتقرة الى الله لا الى غيره بخلاف القوى الروحانية فانها مفتقرة الى الحواس والحق تعالى لا ينزل منزلة من يفتقر الى غيره بخلاف من هو مفتقر اليه تعالى وحده لم يشرك به أحدا فقيد بان لك ان الحواس الظاهرة أتم لكونها هى التى تمد القوى الروحانية بما تتصرف فيه وما به يكون حياتها العلمية والله أعلم * وقال الشيخ أيضا فى الباب الخامس والستين وثلثمائة لولا نداء الحق تعالى لنا ونداؤنا له ما تميز عنا ولا تميزنا عنه فكما فصل تعالى نفسه عنا فى الحكم كذلك فصلنا نحن أنفسنا عنه فلا حلول ولا اتحاد انتهى * وقال فى باب الاسرار من قال بالحلول فهو معلول فان القول بالحلول مرض لا يزول ومن فصل بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه ألا ترى قوله كنت سمعه الذى يسمع به فأثبتك باعادة الضمير اليك ليدلك عليك وما قال بالاتحاد الا أهل الالحاد كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول فانه أثبت حالا ومحلا فمن فصل نفسه عن الحق فنعم ما فعل ومن وصل فكأنه شهد على نفسه بانه كان مفصولا حتى اتصل والشىء الواحد لا يصل نفسه وما ثم الا ذاته ومصنوعاته انتهى * وقال فى باب الاسرار أيضا الحادث لا يخلو من الحوادث لو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم فالقديم لا يحل ولا يكون محلا ومن ادعى الوصل فهو فى عين الفصل انتهى * وقال فى هذا الباب أيضا أنت أنت وهو هو فاياك أن تقول كما قال العاشق * أنا من أهوى ومن أهوى أنا * فهل قدر هذا أن يرد العين واحدة لا والله ما استطاع فانه جهل والجهل لا يتعقل حقا ولا بد لكل أحد من غطاء ينكشف عند لقاء الله * وقال

يأتى فى المنع من ذلك نص فى كتاب ولا سنة قال وكذلك أقول ان خطبة الجمعة ليست بفرض انما هى سنة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مانص على وجوبها ولا ينبغى لنا أن نشرع وجوبها ولم تزل الائمة يصلونها بالخطبة كما فى صلاة العيدين مع اجماعنا أن خطبتهما سنة قال ووجه من قال بالوجوب أنه تأول قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله يعنى سماع المواعظ فى الخطبة وهو وجه ظاهر أيضا وأطال فى ذلك ثم قال ولما لم يرد لنا نص فى ايجاب الخطبة ولا تعيين ما يقال فيها صح عندنا أن لا نجزم بوجوب بل الواجب أن نفعل مثل ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل على طريق التأسى لا على طريق الوجوب قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فنحن مأمورون باتباعه فيما سن وفرض فنجازى من الله فيما فرض جزاء فرضين فرض الاتباع وفرض الفعل الذى وقع فيه الاتباع ونجازى فيما سن ولم يفرض جزاء فرض وسنة فرض الاتباع وسنة الفعل الذى لم يوجبه فان احتوى ذلك الفعل على فرائض جوزينا جزاء الفرائض بما فيه من الفرائض ومثال ذلك نافلة الصلاة ونافلة الحج فانهما عبادة تحتوى على أركان وسنن وأما صدقة التطوع فما فيها شىء من الفرائض * وقال انما شرع قراءة سورة الجمعة

فيه أيضا اياك أن تقول أنا هو وتغالط فانك لو كنت هو لأحطت به كما أحاط تعالى بنفسه ولم نجهله في مرتبة من مراتب التنكرات * وقال فيه أيضا اعلم أن العاشق اذا قال أنا من أهوى ومن أهوى أنا فان ذلك كلام بلسان العشق والمحبة لا بلسان العلم والتحقيق ولذلك يرجع أحدهم عن هذا القول اذا صحا من سكرته انتهى * وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين من أعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شئ وان الشمس ما انتقلت اليه بذاتها وانما كان القمر محلا لها فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شئ ولا حل فيه * وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلام طويل وهذا يدلك على أن العالم ماهو عين الحق ولا حل فيه الحق اذ لو كان عين الحق أو حل فيه لما كان تعالى قديما ولا بديعا انتهى * وقال في الباب الرابع عشر وثلثمائة لو صح ان يرقى الانسان عن انسانيته والملك عن ملكيته ويتحد بخالقه تعالى لصح انقلاب الحقائق وخرج الاله عن كونه الها وصار الحق خلقا والخلق حقا وما وثق أحد بعلم وصار المحال واجبا فلا سبيل الى قلب الحقائق أبدا * وقال في الباب الثامن والاربعين لا يصح أن يكون الخلق في رتبة الحق تعالى أبدا كما لا يصح أن يكون المعلول في رتبة العلة * وقال في لواقح الانوار من كمال العرفان شهود عبد ورب وكل عارف نفى شهود العبد في وقت ما فليس هو بعارف وانما هو في ذلك الوقت صاحب حال وصاحب الحال سكران لا تحقيق عنده * وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت روحي بهرون عليه السلام في بعض الوقائع فقلت له يا نبي الله كيف قلت فلا تشمت بي الاعداء ومن الاعداء حتى تشهدهم والواحد منا يصل الى مقام لا يشهد فيه الا الله فقال لي السيد هرون عليه الصلاة والسلام صحيح ما قلت في مشهدكم ولكن اذا لم يشهد أحدكم الا الله فهل زال العالم في نفس الامر كما هو في مشهدكم أم العالم باق لم يزل وحجبتم أنتم عن شهوده لعظيم ما تجلى لقلوبكم فقلت له العالم باق في نفس الامر لم يزل وانما حجبنا نحن عن شهوده فقال قد نقص علمكم بالله في ذلك المشهد بقدر ما نقص من شهود العالم فانه كله آيات الله فأفادني عليه الصلاة والسلام علما لم يكن عندي انتهى * وقال في باب الاسرار لا يترك الاغيار الا الاغيار فلو ترك تعالى الخلق من كان يحفظهم ويلحظهم لو تركت الاغيار لتركت التكاليف التي جاءت بها الاخبار ومن ترك التكاليف كان معاندا عاصيا أو جاحدا فمن كمال التخلق بأسماء الحق الاشتغال بالله وبالخلق انتهى * وقال في لواقح الانوار القدسية لا يقدر أحد ولو ارتفعت درجات مشاهده أن يقول ان العالم عين الحق أو اتحد به أبدا وانظر الى ذاتك يا أخي فتعلم قطعا انك واحد لكن تعلم ان عينك غير حاجبك ويدك غير رجلك الى غير ذلك وأن هذه الاعضاء تفاصيل في عين ذاتك لا يقال انها غيرك فالمؤمن فهم ما أومأنا اليه فهو الذي يفهم قوله تعالى قل الروح من أمر ربي فلم يحدث بابتداعها العالم في ذاته حادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا انتهى * وقال أيضا في الباب الثاني والسبعين والثلثمائة بعد كلام طويل وبالجملة فالقلوب به هائمة والعقول فيه حائرة يريد العارفون أن يفصلوه تعالى بالكلية عن العالم من شدة التنزيه فلا يقدرون ويريدون أن يجعلوه عين العالم من شدة القرب فلا يتحقق لهم فهم على الدوام متحيرون فتارة يقولون هو وتارة يقولون ما هو وتارة يقولون هو وما هو وبذلك ظهرت عظمته تعالى انتهى وقد أنشد الشيخ محيي الدين في هذا المعنى

ومن عجبي اني أحن اليهم * وأسأل عنهم دائما وهم معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها * وتشتاقهم روحي وهم بين أضلعي

وكان سيدي علي بن وفا رحمه الله يقول انما كانت القلوب تحن الى التنزيه أكثر من التشبيه لان من شأن الذات الاطلاق لذاتها وتساوي النسب لصفاتها انتهى * وكان يقول أيضا المراد بالاتحاد حيث جاء في كلام القوم فناء مراد العبد في مراد الحق تعالى كما يقال بين فلان وفلان اتحاد اذا عمل كل منهما بمراد صاحبه ثم ينشد

وعلمك أن كل الامر أمري * هو المعنى المسمى باتحاد

في صلاة الجمعة لما فيها من المناسبة والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قراءة سبح اسم ربك الاعلى فلما فيها من تنزيه الحق عما يظهر في هذه العبادة من الافعال وقد سمى نفسه تعالى أنه يصلي فسبحه عن هذا التخيل الذي تتخيل النفس من قوله يصلي فناسب سبح اسم ربك الاعلى وهذا المعنى نظير الوتر فانها شرعت في صلاة الوتر لينزه عما يتخيل من صورة الوترية المفهومة من المخلوقات وأما قراءة اذا جاءك المنافقون وسورة الغاشية فلمناسبته لما تضمنته الخطبة من الوعد والوعيد فتكون القراءة في الصلاة تناسب ماذكره الامام في الخطبة وقد قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة * وقال شرط من يناجي ربه أن يشاهده بقلبه ومتى تحدث في صلاته مع غير الله فما هو المصلي الذي يناجي ربه ويشاهده بل لا يتجرأ مخلوق قط أن يحدث من هذه حالته * وقال يوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع وقد غلط من فاضل بينه وبين يوم عرفة وعاشوراء لان ذلك يرجع الى مجموع أيام السنة لا الى أيام الاسبوع ولهذا قد يكون يوم الجمعة يوم عرفة ويوم عاشوراء يوم الجمعة ويوم الجمعة لا يتبدل لا يكون أبدا يوم السبت ولا غيره من الايام وذلك لان فضل يوم الجمعة ذاتي لعينه وفضل يوم عرفة وعاشوراء وغيره لامور عرضت اذا وجدت في أي يوم كان من أيام الاسبوع كان الفضل لذلك اليوم لهذه الاحوال انتهى

انتهى ولعمرى اذا كان عباد الاوثان لم يتجرؤا على أن يجعلوا آلهتهم عين الله بل قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكيف يظن باولياء الله تعالى انهم يدعون الاتحاد بالحق على حد ما تتعقله العقول الضعيفة هذا كالمحال فى حقهم رضى الله تعالى عنهم اذ ما من ولى الا وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وانها خارجة عن جميع معلومات الخلائق لان الله بكل شئ محيط * وسمعت شيخنا سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول لا يجوز أن يقال انه تعالى فى كل مكان كما تقوله المعتزلة والقدرية محتجين بنحو قوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض لايهامه أنه يحل بذاته فى ذلك المكان انتهى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث الثامن ان شاء الله تعالى * وسمعت أخى الشيخ الصالح زين العابدين سبط المرصفى رحمه الله يقول المراد بكون الحق فى السموات والارض نفوذ الاوامر والنواهى و وقوع الحوادث على وفق الارادة والله أعلم * فكذب والله وافترى من نسب القول بالحلول والاتحاد والتجسيم الى الشيخ محيى الدين وهذه نصوصه كلها تكذب هذا المفترى والله تعالى أعلم

(خاتمة) ذكر الشيخ فى الباب الخامس عشر وثلثمائة ما يؤيد ما قلناه فى الرد عنه وذلك انه قال لا أعرف فى عصرى هذا أحدا تحقق بمقام العبودية مثلى وذلك أنى بلغت فى مقام العبودية الغاية بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانا العبد المحض الخالص الذى لا يعرف للربوبية على أحد من العالم طعما قال وقد منحنى الله تعالى هذا المقام هبة منه ولم أنله بعمل انما هو اختصاص الهى وأرجو من الله أن يمسك على هذا المقام ولا يحول بينى وبينه حتى ألقاه فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون والله تعالى أعلم فتأمل يا أخى فى هذا المبحث وتدبره فانك لا تجده فى كتاب والله يتولى هداك

(المبحث السابع فى وجوب اعتقاد ان الله تعالى لا يحويه مكان كما لا يحده زمان لعدم دخوله فى حكم خلقه)

فان المكان يحويهم والزمان يحدهم وقد قدمنا أنه مباين لخلقه فى سائر المراتب فانه كان ولا مكان ولا زمان وذاته تعالى لا تقبل الزيادة ولا النقصان وهو الذى أنشأ الزمان وخلق المتمكن والمكان فلا أينية له تعالى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فانه يوهم الاينية عند ضعفاء العقول (فالجواب) كما قاله سيدى محمد المغربى الشاذلى انه لا ايهام لان الاينية فى هذه الآية راجعة الى الخلق لانهم هم المخاطبون فى الاين اللازم لهم لا له تعالى فهو تعالى مع كل صاحب أين بلا أين لعدم مماثلته لخلقه فى وجه من الوجوه انتهى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث بعده ان شاء الله تعالى * وقال الشيخ فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات ليس الحق تعالى لنا باين لانه من لا أينية له لا يقبل المكان قال وذلك نظير قولهم المكان لا يقبل المكان فاذا كان لا أين لمن له أين فكيف يكون الاين لمن لا أين له يعقل انتهى * وقال أيضا فى الباب الثامن والاربعين منها انما أمر الله تعالى عباده بالسجود وجعله مقام قربة فى قوله واسجد واقترب وبقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد اعلاما لنا بانه تعالى فى نسبة الفوقية اليه كنسبة التحتية اليه فالساجد يطلب السفل بوجهه كما أن القائم يطلب الفوق بوجهه برفع يديه الى السماء فى حال الدعاء فلا يكاد القائم يطلب من الله تعالى شيأ قط من جهة السفل فما جعل الله تعالى السجود حال قربه أقرب وقربيا من الحق الا لينبه عباده على انه لا يقيده تعالى الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق لتنزهه عن صفات خلقه انتهى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث بعده ان شاء الله تعالى

(خاتمة) رأيت فى كتاب البهجة المنسوبة لسيدى الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه ما نصه اعلموا ان عبادتكم لا تدخل الارض وانما تصعد الى السماء قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فربنا سبحانه وتعالى فى جهة العلو والله على العرش استوى وعلى الملك احتوى وعلمه محيط بالاشياء بدليل سبع آيات فى القرآن العظيم فى هذا المعنى لا يمكننى ذكرها لاجل جهل الجاهل ورعونته انتهى فلا أدرى أذلك الكلام دس على الشيخ فى كتابه أم وقع ذلك فى بدايته ورجع عنه لما دخل فى الطريق فان من

العوارض ولهذا قال بعضهم الغسل لاجل اليوم لا لاجل الصلاة (وقال) انما قرن البيضة مع الحيوان فى حديث التبكير الى الجمعة لان منها وفيها تتكون الدجاجة وما فى معناه من الحيوان الذى يبيض قال وانما ذكر من الحيوان ما يؤكل بلا خلاف من البدنة والبقرة والكبش والدجاجة لان بذلك تعظم قوة الحياة فى الشخص المتغذى فكأن المتقرب بذلك الحيوان تقرب بحياته والتقرب الى الله تعالى بالنفس أسنى القربات فهذا نكتة كونه لم يذكر فى التقرب الا الحيوان الذى يؤكل دون غيره * وقال الذى أقول به ان الساعات التى وردت فى فضل الرواح محسوبة من وقت النداء الاول الى أن يبتدئ الامام بالخطبة ومن بكر قبل ذلك فله من الاجر بحسب بكوره مما يزيد على البدنة مما لم يوقته الشارع * قال والسعى الى الجمعة سعيان سعى مندوب اليه وذلك من أول النهار الى وقت النداء وسعى واجب وهو من وقت النداء الى أن يدرك الامام راكعا من الركعة الثانية * وقال فى فصول صلاة السفر الذى أقول به ان القصر جائز فى كل سفر قريبا كان أو بعيدا مباحا كان أو معصية وأطال فى استدلاله على ذلك * وقال قد أجمع العلماء كلهم على جواز الجمع بين الظهر والعصر فى أول وقت الظهر بعرفة وعلى الجمع بين المغرب والعشاء بتأخير المغرب الى وقت العشاء بمزدلفة واختلفوا فيما عدا هذين المكانين والذى

المعلوم عند كل عارف بالله تعالى انه تعالى لا يتحيز والشيخ قد شاعت ولايته في أقطار الارض فيبعد من مثله القول بالجهة قطعا * وقد ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله انه لا يلزم من قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب أن يكون تعالى في جهة الفوق دون غيرها بدليل قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض ظرفية تليق بجلاله وأجمع المحققون أن شهود الحق تعالى في حال السجود صعود وان كان السجود في أسفل سافلين وأما قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم أي يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذابا من فوق رؤسهم هذا هو الاعتقاد الحق * قلت ويصح حمل قول السيد عبد القادر الجيلي السابق انه تعالى في جهة العلو على أن مراده بجهة العلو الجهة التي قصد العبد قضاء حاجته منها عند الحق وان كانت في السفليات هذا لا يبعد على مقام الشيخ انتهى والله تعالى أعلم

*(المبحث الثامن في وجوب اعتقاد أن الله معنا أينما كنا في حال كونه في السماء
في حال كونه مستويا على العرش في حال كونه في السموات وفي الارض
في حال كونه أقرب الينا من حبل الوريد)*

ولكل واحد من هذه المعيات الخمس حالة تخصها من مراتب الاختصاص ومراتب العلم كما بسط الكلام على ذلك الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين وما ئتين من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فهل هو تعالى معنا في جميع هذه المواطن بالذات أم بالصفات كالعلم بنا والرؤية لنا والسماع لكلامنا (فالجواب) كما قاله الشيخ العارف بالله تعالى تقي الدين بن أبي منصور في رسالته انه لا يجوز أن يطلق على الذات المتعالية معية كما انه لا يجوز أن يطلق عليها استواء على العرش وذلك لانه لم يرد لنا تصريح بذلك في كتاب ولا سنة فلا نقول على الله مالم نعلم انتهى وقال الشيخ محيي الدين في باب حضرات الاسماء من الفتوحات في الكلام على اسمه الرقيب اعلم انه ليس في حضرات الاسماء الالهية ما يعطي التنبيه على ان الحق تعالى معنا بذاته الا الاسم الرقيب لانه نبه على ان الذات لا تنفك عن الصفات لمن تأمل ويؤيد ذلك قول الاعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم لا نعدم خيرا من رب يضحك فانه أتبع الضحك توابعه انتهى * قلت وهذه المسئلة من المعضلات لاختلاف السلف فيها قديما وحديثا ولكن من يقول ان المعية راجعة للصفات لا للذات أكمل في الادب ممن يقول انه تعالى معنا بذاته وصفاته وان كانت الصفة الالهية لا تفارق الموصوف وقد وقع في هذه المسئلة عقد مجلس في الجامع الازهر في سنة خمس وتسعمائة بين الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي وبين الشيخ ابراهيم المواهبي الشاذلي وصنف الشيخ ابراهيم فيها رسالة وأنا أذكر لك عيونها لتحيط بها علما فأقول وبالله التوفيق ومن خطه نقلت قال الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي والشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن أبي شريف وجماعة الله تعالى معنا باسمائه وصفاته لا بذاته فقال الشيخ ابراهيم بل هو معنا بذاته وصفاته فقالوا له ما الدليل على ذلك فقال قوله تعالى والله معكم وقوله تعالى وهو معكم ومعلوم ان الله علم على الذات فيجب اعتقاد المعية الذاتية ذوقا وعقلا لثبوتها نقلا وعقلا فقالوا له أوضح لنا ذلك فقال حقيقة المعية مصاحبة شئ لآخر سواء أكانا واجبين كذات الله تعالى مع صفاته أو جائزين كالانسان مع مثله أو واجبا وجائزا وهو معية الله تعالى لخلقه بذاته وصفاته المفهومة من قوله تعالى والله معكم ومن نحو ان الله مع المحسنين ان الله مع الصابرين وذلك لما قدمناه من ان مدلول الاسم الكريم الله انما هو الذات اللازمة لها الصفات المتعينة لتعقلها بجميع الممكنات وليست كمعية متحيزين لعدم مماثلته تعالى لخلقه الموصوفين بالجسمية المفتقرة للوازمها الضرورية كالحلول في الجهة الاينية الزمانية والمكانية فتعالت معيته تعالى عن الشبيه والنظير لكماله تعالى وارتفاعه عن صفات خلقه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير قال ولهذا اقررنا انتفاء القول بلزوم الحلول في حيز الكائنات على القول بمعية الذات مع انه يلزم من معية الصفات دون الذات انفكاك الصفات عن الذات وبعدها وتحيزها وسائر لوازمها وحينئذ فيلزم من معية الصفات لشئ معية الذات له وعكسه لتلازمهما مع تعاليهما عن المكان ولوازم الامكان لانه تعالى مباين لصفات خلقه تباينا مطلقا وقد قال العلامة الغزنوي في شرح عقائد النسفي ان قول المعتزلة

أذهب اليه انه لا يجوز الجمع في غير عرفة ومزدلفة لان أوقات الصلاة قد ثبتت بلا خلاف ولا يجوز اخراج صلاة عن وقتها الا بنص غير محتمل اذ لا ينبغي أن يخرج عن أصل ثابت بامر محتمل هذا لا يقول به من شم رائحة العلم وكل حديث ورد في ذلك فمحتمل أن يتكلم فيه مع احتماله أو هو صحيح لكنه ليس بنص قال وأما الجمع بين الصلاتين في الحضر لغير عذر فهو موافق لقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج ولحديث دين الله يسر ولقول ابن عباس في جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الصلاتين في الحضر من غير عذر انه أراد أن لا يحرج أمته قال وبذلك قال جماعة من أهل الظاهر وهو مذهب مرجوح وخالفهم الجمهور (قلت) رأيت في كتاب رحمة الامة في اختلاف الائمة عن محمد بن سيرين وعن ابن المنذر انه يجوز لمن وراءه حاجة أن يقدم الصلاة عن وقتها مالم يتخذ ذلك عادة وقد وقع لي أنني حكيت هذا المذهب لبعض الاخوان فظن شخص من الحسدة انني أفتيته به فاشاع عني ذلك في مكة ومصر هذا مع سماعه مني حكاية قول ابن عباس آخر الامر من جمع بين صلاتين في الحضر من غير عذر فقد أتى بابا من الكبائر فالله يغفر له ما افتراه بمنه وكرمه والله اعلم * وقال الذي أقول به جواز الجمع في الحضر للمريض ثم قال والكسل مرض النفس ومع ذلك فلا يجوز الجمع به وأما من كان

وجمهور البخارية ان الحق تعالى بكل مكان بعلمه وقدرته وتدبيره دون ذاته باطل لانه لا يلزم ان من علم مكانا أن يكون فى ذلك المكان بالعلم فقط الا ان كانت صفاته تنفك عن ذاته كما هو صفة علم الخلق لا علم الحق انتهى على انه يلزم من القول بان الله تعالى معنا بالعلم فقط دون الذات استقلال الصفات بانفسها دون الذات وذلك غير معقول فقالوا له فهل وافقك أحد غير الغزنوى فى ذلك فقال نعم ذكر شيخ الاسلام ابن اللبان رحمه الله فى قوله تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ان فى هذه الآية دليلا على أقربيته تعالى من عبده قربا حقيقيا كما يليق بذاته لتعاليه عن المكان اذ لو كان المراد بقربه تعالى من عبده قربه بالعلم أو بالقدرة أو بالتدبير مثلا لقال ولكن لا تعلمون ونحوه فلما قال ولكن لا تبصرون دل على أن المراد به القرب الحقيقى المدرك بالبصر لو كشف الله عن بصرنا فان من المعلوم ان البصر لا تعلق لادراكه بالصفات المعنوية وانما يتعلق بالحقائق المرئية قال وكذلك القول فى قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد هو يدل أيضا على ما قلناه لان أفعل من يدل على الاشتراك فى اسم القرب وان اختلف الكيف ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد لان قرب الصفات معنوى وقرب حبل الوريد حسى ففى نسبة أقربيته تعالى الى الانسان من حبل الوريد الذى هو حقيقى دليل على أن قربه تعالى حقيقى أى بالذات اللازم لها الصفات قال الشيخ ابراهيم وبما قررناه لكم انتفى أن يكون المراد قربه تعالى منا بصفاته دون ذاته وان الحق الصريح هو قربه منا بالذات أيضا اذ الصفات لا تعقل مجردة عن الذات المتعالى كما مر فقال له العلائى فما قولكم فى قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فانه يوهم أن الله تعالى فى مكان فقال الشيخ ابراهيم لا يلزم من ذلك فى حقه تعالى المكان لان أين فى الآية انما أطلقت لافادة معية الله تعالى للمخاطبين فى الاين اللازم لهم لا له تعالى كما قدمنا فهو مع صاحب كل أين بلا أين انتهى فدخل عليهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدى محمد المغربى الشاذلى شيخ الجلال السيوطى فقال ما جمعكم هنا فذكروا له المسئلة فقال تريدون علم هذا الامر ذوقا أو سماعا فقالوا سماعا فقال معية الله تعالى أزلية ليس لها ابتداء وكانت الاشياء كلها ثابتة فى علمه أزلا يقينا بلا بداية لانها متعلقة به تعلقا يستحيل عليه العدم لاستحالة وجود علمه الواجب وجوده بغير معلوم واستحالة طريان تعلقه بما لم يلزم عليه من حدوث علمه تعالى بعد أن لم يكن وكما أن معيته تعالى أزلية كذلك هى أبدية ليس لها انتهاء فهو تعالى معها بعد حدوثها من العدم عينا على وفق ما فى العلم يقينا وهكذا يكون الحال أينما كانت فى عوالم بساطتها وتركيبها واضافتها وتجريدها من الازل الى ما لا نهاية له فأدهش الحاضرين بما قاله فقال لهم اعتقدوا ما قررته لكم فى المعية ذوقا ودعوا ما ينافيه تكونوا منزهين لمولاكم حق التنزيه ومخلصين لعقولكم من شبهات التشبيه وان أراد أحدكم أن يعرف هذه المسئلة ذوقا فليسلم قياده لى أخرجه عن وطائفه وثيابه وماله وأولاده وأدخله الخلوة وامنعه النوم وأكل الشهوات وأنا أضمن له وصوله الى علم هذه المسئلة ذوقا وكشفا قال الشيخ ابراهيم فما تجرأ أحد أن يدخل معه فى ذلك العهد ثم قام الشيخ زكريا والشيخ برهان الدين والجماعة فقبلوا يده وانصرفوا انتهى فتأمل يا أخى فى هذا الموضع وتدبره فانك لا تجده فى كتاب الآن * وأما قول الشيخ محيى الدين رحمه الله فى هذه المسئلة فكان يقول فى حديث كان الله ولا شئ معه ان المراد بكان هنا كان الوجودية مثل وكان الله عليما حكيما وليس المراد بها كان من الفعل الماضى فلم يطلق صلى الله عليه وسلم على الحق تعالى معية شئ معه فهو تعالى مع الاشياء ولا يقال ان الاشياء معه لانها لم ترد قال وايضاح ذلك أن المعية تابعة العلم فهو تعالى معنا لكونه يعلمنا وليس لنا أن نقول انا معه لانا لا نعلم ذاته بخلاف حضرات الاسماء والصفات التى هى المرتبة لا بد من معية الخلق للحق تعالى معها لكونها تطلب العالم لتظهر آثارها فيه فانه تعالى سمى نفسه الكريم والرحيم والغفور ونحو ذلك فكريم على من ورحيم بمن وغفور لمن ومن المحال ان يكون الحق تعالى محلا لهذه الآثار ولا بد من حضرة تحكم فيها هذه الاسماء بالفعل أو بالقوة اذ الامكان لنا كالوجوب له تعالى انتهى وقدمر تقريره فى المبحث الذى مر (فان قلت) فلاى شئ لم يقل صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق وهو الآن على ما عليه كان

مرضه استيلاء الاحوال عليه بحيث يخاف أن يغلب عليه الحال كما يخاف المريض أن يغمى عليه فيجوز له الجمع لان الحال مرض والمقام صحة انتهى فليتأمل ويحرر على ظاهر الشريعة * وقال فى صلاة الخوف الذى أذهب اليه أن الامام مخير فى الصور التى ثبتت عن النبى صلى الله عليه وسلم فباى صلاة صلى اجزأته وصحت صلاة الجماعة الا الرواية التى فيها الانتظار بالسلام فانه عندى فيها نظر لكون الامام يصير فيها تابعا وقد نصبه الله متبوعا قال وسبب توقفى من غير جزم من طريق المعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر الامام أن يصلى بصلاة المريض وذوى الحاجة قال وقد جاءت الرواية أن الناس كانوا يأتمون بابى بكر وأبو بكر يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه كان يخفف من أجل مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فالامام فى مثل هذه الحالة يكون مؤتما بوجه اماما بوجه فلهذا لم يترجح عندى نظر فى رواية الانتظار انتهى فليتامل ويحرر * وقال اذا كثرت وسوسة العبد فى الصلاة من الشيطان فحكم صلاته حكم صلاة شدة الخوف فيصلى على المحاربة ولو قطع الصلاة كلها فى المحاربة ويؤدى الاركان الظاهرة كما شرعت بالقدر الذى له من الحضور وانه فى الصلاة فى باطنه كما يؤدى المجاهد الصلاة بالمسايفة بباطنه كما شرعت بالقدر الذى له من الصلاة فى ظاهره بالايماء بعينيه والتكبير بلسانه فى جهاد عدوه الظاهر فالوات

كما أدرجه بعضهم (فالجواب) انما لم يدرج ذلك صلى الله عليه وسلم لان الآن نص في وجود الزمان ولو جعلناه ظرفا لهوية البارى لدخل تحت ظرف الزمان وتعالى الله عن ذلك بخلاف لفظة كان فانه حرف وجودى من الكون الذى هو عين الوجود فكأنه صلى الله عليه وسلم قال الله موجود ولا شئ معه فى وجوده الذاتى فان وجود غيره معه تعالى انما هو بايجاده وبابقائه لا مستقلا فعلم أن من أدرج هذه الزيادة المذكورة فى الحديث فلا معرفة له بعلم كان ولاسيما فى هذا الموضع (فان قلت) فما الحامل لبعضهم على ادراجها (فالجواب) الحامل له على ذلك تخيله انه امن كان يكون فهو كائن ومكون فلما رأى فى الكون هذا التصريف الذى يلحق الافعال الزمانية تخيل أن حكمها حكم الزمان وليس كذلك فان من أشبه شيأ فى أمر ما لا يلزم أن يشبهه من جميع الوجوه فانظر يا أخى ما أعلمه صلى الله عليه وسلم وما أكثر أدبه فى كونه لم يطلق على الحق تعالى ما لم يطلقه تعالى على نفسه ذكره الشيخ محيى الدين فى لواقح الانوار * وقال فى باب الاسرار من الفتوحات من زاد فى حديث كان الله ولا شئ معه لفظة وهو الآن على ما عليه كان فقد كذب القرآن فان الله تعالى قال كل يوم هو فى شأن وسنفرغ لكم أيها الثقلان وقد كان ولا أيام ولا شؤن فى تلك الايام وقال تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فكيف يصح قوله وهو الآن على ما عليه كان مع انه مؤمن بالقرآن هذا أعجب من عجيب انتهى وقال فى هذا الباب أيضا لا يشترط فى المجاورة الجنس لان ذلك علم فى لبس فان الله جار عبده بالمعية وان انتفت المثلية ومن صح ايمانه بالمعية لم يحتج الى طلب الماهية (فان قيل) فما الحكمة فى سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارية التى شكوا فى اسلامها وأرادوا عتقها بالاينية حين قال لها أين الله فاشارت الى السماء فقال مؤمنة ورب الكعبة مع انه صلى الله عليه وسلم يعلم قطعا استحالة الاينية على البارى جل وعلا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والثمانين وثلثمائة أنه صلى الله عليه وسلم ما سأل الجارية بالاينية الا تنزلا لعقلها والشريعة قد نزلت على حسب ما وقع عليه التواطؤ فى ألسنة العالم قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ثم ان التواطؤ قد يكون على صورة ما هى الحقائق عليه فى نفسها وقد لا يكون والشارع صلى الله عليه وسلم تابع له فى ذلك تنزلا لعقولهم ليفهموا عنه أحكامه وقد دل الدليل العقلى على استحالة حصر الحق تعالى فى أينية ومع ذلك فقد جاءت على لسان الشارع كما ترى من أجل التواطؤ الذى عليه أمته فقال للجارية أين الله ولو أن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك لجهله الدليل العقلى فانه تعالى لا اينية له فى نفسه وانما الانسان لقصور ادراكه لا يشهد الحق تعالى الا فى أين لا يستطيع أن يرقى فوق ذلك الا ان أمده الله بنور الكشف فلما قالها صلى الله عليه وسلم للجارية بانت حكمته وعلمه وعلمنا أنه لم يكن فى قوة تلك الجارية أن تعقل موجدها الا بحسب ما تصورته فى نفسها ولو أنه صلى الله عليه وسلم كان خاطبها بغير ما تواطأت عليه وتصورته فى نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل لها القبول فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم ان سأل الجارية بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الجارية لما أشارت الى السماء انها مؤمنة أى مصدقة بوجود الله فى السماء كما قال تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض (فان قلت) فلاى شئ لم يقل صلى الله عليه وسلم فيها انها عالمة بدل قوله مؤمنة (فالجواب) انما قال ذلك لقصور عقلها عن مقام العلماء بالله تعالى ولو انها كانت عالمة به تعالى ما خاطبها بالاينية انتهى فعلم أن من الادب أن نقول ان الله تعالى معنا ولا نقول نحن مع الله لان الشرع ما ورد به كما مر والعقل لا يعطيه لعدم تعقل الكيف ولولا ما نسبه تعالى الى نفسه من المعية السارية مع جميع الخلق لم يقدر العقل أن يطلق عليه تعالى معنى المعية وتسمى هذه المعية الوجودية الجامعة لحضرات جميع الاسماء والصفات وعلم أيضا أن الحق تعالى ظاهر المعية من الوجه الذى يليق بجلاله كما أنه ظاهر الصحبة من الوجه الذى يليق بجلاله كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل والسفر مأخوذ من الاسفار الذى هو الظهور (فان قلت) فما تقولون فى نحو قوله تعالى عند مليك مقتدر وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا

وسوس له الشيطان مع ذلك فلا يضره وسوسته كما انه اذا شرع فى الجهاد على الاخلاص ثم عرض له فى اثنائه أن يقاتل رياء وسمعة فلا يبالى بذلك لان الاصل صحيح فى أول نشأة القتال فلا ينبغى أن يبطل عمله ويقع فى مخالفة قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ويوافق غرض الشيطان * وقال فى صلاة المريض الذى أذهب اليه فى دفع المار أن يدفعه عن موضع جبهته فقط حال سجوده فى الارض فاذا حال بينه وبين موضع سجوده فذلك المأمور بأن يدفعه ويقاتله وما زاد على ذلك فلا يلزم المصلى دفعه ولا قتاله والاثم يتعلق بالمار فى القدر الذى يسمى بين يديه عند العرب اذ لم نجد عن الشارع فى ذلك شيأ قال والصلاة صحيحة على كل حال * وقال اختلفوا فى النفخ فى الصلاة هل هو كلام أم لا ومبناه على أن نفخ عيسى فى الطائر باذن الله هل يقطع حضوره معه به الاصح لا يقطع قال فمن اعتبر النفخ بدلا من كن جعله كلاما ومن اعتبره لا بمعنى كن بل جعله سببا لم يجعله كلاما ويجعل قوله باذنى معمولا لقوله فيكون طيرا لا لقوله فتنفخ فيه اه فليتأمل ويحرر * وقال الذى أقول به أن المصلى برد السلام على من سلم عليه فانه ذكر لله وهو من الاذكار المشروعة فى التشهد فى الصلاة فله أصل يرجع اليه والدعاء فى الصلاة جائز ويفيد كبر الناس مثل قوله اللهم اغفر لى ولوالدى وفى القرآن واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها ايجاء بالغاء

فهو

فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي فان ذلك يوهم أن عندية الحق تعالى ظرف مكان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والاربعين وثلثمائة أن عندية الحق تعالى حيث أطلقت في الكتاب والسنة فهي ظرف ثالث لا ظرف زمان ولا ظرف مكان مخصص بل هو ظرف مكان على الاطلاق قال وما رأيت أحدا من أهل الله نبه على هذه الظرفية الثالثة حتى يعرف ماهي ثم أنشد رضي الله تعالى عنه

فعندية الرب معقولة * وعندية الهو لا تعقل
وعندية الله مجهولة * وعندية الخلق لا تجهل
وليس هما عند ظرفية * وليس لها غيرها محمل

قال والضمير في قوله لها يعود على الظرفية وفي قوله هما يعود على عندية الحق والخلق انتهى وسيأتي ايضاح هذا المبحث في مبحث الاستواء على العرش ان شاء الله تعالى

(خاتمة) ذكر الشيخ في الباب الثاني والسبعين ما نصه قد وقع في الكتاب والسنة نسبة المكان والزمان الى الله تعالى مع انهما ظرفان محالان في حق البارئ جل وعلا فقال تعالى يأتيهم الله في ظلل من الغمام * وقال صلى الله عليه وسلم للجارية أين الله فهذا ظرف المكان فذكر الله تعالى ورسوله ذلك ولم يجرح تعالى ذلك الاعتقاد ولا صوبه ولا أنكره وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيضا سنفرغ لكم أيها الثقلان وقال لله الامر من قبل ومن بعد فهذا ظرف الزمان * وقال صلى الله عليه وسلم فيه أيضا لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر تنزيها لهذه الكلمة التي هي من الالفاظ المشتركة كالعين والمشتري والله تعالى أعلم

(المبحث التاسع في وجوب اعتقاد ان الله تعالى ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول)

قال تعالى ليس كمثله شيء واذا كان ليس كمثله شيء فمن المحال ان يضبطه اصطلاح لان ما يشهد منه زيد ما هو عين ما يشهد منه عمرو بجملة واحدة ذكره الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلثمائة من الفتوحات قال وبهذا القدر عرفه العارفون فلا يتجلى تعالى قط في مشهد واحد لشخصين ولا يتكرر له تجل واحد لشخص مرتين وليس فوق هذا في المعرفة مقام * قال وأما القدماء ومن تبعهم من الحكماء وغيرهم فقد اتفقوا على عقد واحد في الله تعالى وجعلوا ذلك ضابطا للحق وكل من خالفهم جرحوا في عقيدته وتعالى الله عن ذلك التقييد لانه تعالى فعال لما يريد * قال ولهذا الذي قررناه كان لا يقدر عارف قط ان يوصل الى عارف آخر صورة ما يشهده بقلبه من ربه عز وجل لان كل واحد يشهد من لا مثل له ولا يكون التوصل الا بالامثال فالكامل من وصل الى الحضرة التي يتفرع منها سائر الاعتقادات الاسلامية وأقر بعقائد الاسلام بحق وكان سيدي علي وفا رحمه الله يقول من أحاط بك ولم تحط به فلست مثله ولا على صورته فافهم (فان قلت) فما سبب عدم تكييف كل واحد ما شهده بقلبه من الحق (فالجواب) ان سبب ذلك عدم ثبوت التجلي الواحد أكثر من آن واحد فلا يثبت للعبد التجلي الالهي آنين حتى يكيفه ويمثله وقد قال الشيخ في الباب الثالث والتسعين وثلثمائة ما أثنى الله تعالى على نفسه باعظم من نفي المثل ولا مثل له تعالى (فان قيل) فهل الكاف في قوله تعالى ليس كمثله شيء كاف الصفة أو زائدة (فالجواب) * كما قاله الشيخ في الباب الثالث والستين وثلثمائة ان الكلام على ذلك من الفضول لان العلم الحق لا يدرك فيها بالقياس ولا بالنظر بل هو راجع الى قصد المتكلم ولا يعلم أحد ما في نفس الحق تعالى الا بافصاحه عن مراده وهو تعالى لم يفصح لنا عنها هل هي أصلية أو زائدة انتهى (فان قيل) ان أفراد العالم يشارك الحق تعالى في كونه لا مثل له فانا قد اعتبرنا جميع الذوات فرأيناها لابد أن يزيد أحدها على الآخر أو ينقص فلا مثل لها على هذا وقال تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم فلا تكاد تجد صورة تشبه أخرى من كل وجه ولو اصطف لك ألف ألف صورة حتى لو زاد شعر واحد على آخر بشعرة خرج عن المثلية (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثلاثين من الفتوحات ان الامثال في العالم معقولة وان كانت غير موجودة ويكفينا في التمييز عن الحق تعالى كونها معقولة وان كان التوسع الالهي يقتضي ان لا مثلية

فلا ينبغي التأخير ولم يخص صلاة ولا غيرها وكل ذكر الله مشروع بدعاء أو غيره انتهى فليتأمل ويحرر * وقال الذي أقول به أن صلاة الناسي والنائم اذا تذكرها وصلاها أداء لا قضاء لان النائم والناسي غير مخاطب بتلك الصلاة في حال نسيانه ونومه وليس ذلك وقتها في حقهما حتى يكون قضاء في غير وقتها وأطال في تفاصيل ذلك فراجعه * قلت ذكر الشيخ في الباب الثاني والثلاثين وخمسمائة أن كل صلاة لا يحصل فيها حضور قلب فهي ميتة لا روح فيها واذا لم يكن فيها روح فلا تأخذ بيد صاحبها يوم القيامة قال وهذه هي صلاة المنافق ثم المصور الذي يقال له يوم القيامة أحي ما خلقت فلا يقدر وايضاح ذلك ان الحق تعالى ما شرع العبادات لمجرد اقامة نشأة صورتها الظاهرة فقط وانما شرعها لما تدل عليه وتعطيه من المعرفة بالحق تعالى والله تعالى اعلم * وقال الذي أقول به ان تارك الصلاة عامدا لا قضاء عليه لانه ممن أضله الله على علم وبذلك قالت طائفة مع الاجماع على انه آثم فينبغي له ان يسلم اسلاما جديدا اه فليتأمل ويحرر * وقال لا أصل لمشروعية ترتيب الصلوات المنسيات يرجع اليه فان أوقات الصلوات المنسيات مختلفة ولا يكون الترتيب في القضاء الا في الوقت الواحد الذي يكون بعينه وقتا للصلاتين معا وهذا لا يتصور الا في مذهب من يقول بالجمع بين الصلاتين فيكون لذلك أصل يرجع اليه في نظائره اه فليتأمل

فى جميع الاعيان الموجودة من كل وجه كل ذلك غيرة الهية ان لا يقع ادراك الحق تعالى الاعلى من لا مثل له موجود فاذن المثلية أمر معقول لا محقق فان المثلية لو كانت صحيحة موجودة ما امتاز شئ فى العالم عن شئ مما يقال هو مثل له فكان الذى امتاز به الشئ عن ذلك الشئ الآخر هو عين ذلك الشئ اذ ليس هنالك ما يميزه عن غيره حقيقة قال وهذه المسئلة من أغمض المسائل لانه ما ثم على ما قررناه مثل يوجد أصلا ولا يقدر على انكار الامثال لكن بالحدود لا غير اه * وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائة من عرف الاتساع الالهى علم انه لا يتكرر شئ فى الوجود وانما وجود الامثال فى الصور ويخيل لك انها أعيان ما مضى وانما هى أمثالها لا اعيانها ومثل الشئ ما هو عينه (مثاله) فى الاشكال التربيع فى كل مربع والاستدارة فى كل مستدير فالشكل يريك كل متشكل لا يتغير والذى وقع عليه الحس ليس هو الشكل وانما هو المتشكل فالشكل هو المعقول * وقال فى الباب الثانى والسبعين وثلثمائة من المحال ان يظهر أمر فى صورة أمر آخر من غير مناسبة فهو مثله فى النسبة لا مثله فى العين ويسمى هذا فى صناعة النحو فعل المقاربة تقول كاد النعام ان يطير وكاد العروس أن يكون أميرا * وقال فى باب الاسرار ما حجب الرجال الا وجود الامثال ولهذا نفى الحق تعالى المثلية عن نفسه تنزيها لقدسه وكل ما تصورته أو مثلته أو تخيلته فهنالك فالله تعالى بخلاف ذلك هذا عقد الجماعة الى قيام الساعة انتهى والله تعالى أعلم بالصواب

(المبحث العاشر فى وجوب اعتقاد انه تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن)

فلا افتتاح له ولا انتهاء ولا ظهور لاحد بالقهر والسلطان فى الدارين غيره ولما كان لا يصح لاحد من الخلق ان يعرف ربه كما يعرف تعالى نفسه لم يزل تعالى باطنا من هذا الوجه (فان قلت) فهل حضرات هذه الاسماء الاربعة متقيدة لا تتصرف الا فى أهل حضرتها أم كل اسم يفعل فعل اخواته (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين فى شرحه لترجمان الاشواق ان الحق تعالى أول من عين ما هو آخر وظاهر وباطن وآخر من عين ما هو أول وباطن وظاهر وباطن من عين ما هو ظاهر وأول وآخر فى كل صفة ما فى أخواتها وذلك لمباينة صفاته تعالى لصفات خلقه اذ لا تتعدى كل صفة من صفاتهم ما حده الحق تعالى لها فصفة الشم مثلا لا تعطى سوى شم العطر والنتن وصفة السمع لا تتعدى المسموعات فلا يرى بها ولا يتكلم وقس على ذلك فعلم ان سبب توقف العقول الضعيفة فى كون الصفات الالهية تفعل كل صفة منها فعل اخواتها كون من توقف رأى أن القوى التى خلق الانسان عليها لا تتعدى حقائقها فقاس الحق تعالى على نفسه وظن ان صفة الحق تعالى كذلك انتهى * وقال فى موضع آخر من شرحه لترجمان الاشواق قد تسمى الحق تعالى أزلا بالظاهر والباطن ولا يجوز حمله على محل النسب والاضافات وانما ينبغى ان يحمل على انه أمر ذاتى يوصف به على الوجه الذى يليق به ويعلمه سبحانه وتعالى من نفسه * وقالت السيدة الكاملة سيدة العجم فى شرح المشاهد اعلم ان الازل والابد فى حقه تعالى سواء حتى ان بعضهم استغنى بلفظ الاسم الاول عن الاسم الباقى اذ من شأن الاول البقاء السرمدى فاياك يا أخى ان تتوهم من نحو قولهم ان الله تكلم بكذا فى الازل أو قدر كذا فى الازل ان ذلك عبارة عن امتداد متوهم فى زمان معقول كزمان الخلق فان ذلك من حكم الوهم لا من حكم النظر الصحيح فان الخالق قبل خلق الزمان المعقول لنا لا يتعقل اذ العقل الانسانى انما وجد بوجود آدم عليه الصلاة والسلام فعلم ان مدلول لفظة الازل عبارة عن نفى الاولية لله تعالى فهو أول لا باولية تحكم عليه فيكون تحت حيطتها ومعلولا عنها وأطالت فى ذلك رضى الله تعالى عنها * وقال الشيخ محيي الدين فى باب الاسرار انما أخبرنا تعالى بانه الاول والآخر والظاهر والباطن ليرشدنا الى ترك التعب فى طريق معرفته الذاتية كانه تعالى يقول الذى تطلبونه من الباطن مثلا هو عين ما تطلبونه من الظاهر ومع ذلك فلم تسغ النفوس الى هذا الارشاد بل بحثت فى الادلة وصارت كل شئ ظهر لها من صفات الحق تعالى تطلب خلافه ولو انها كانت وقفت مع ما ظهر لها من وجوه المعارف لعرفت الامر على ما هو عليه فكان طلبها لما غاب عنها هو عين حجابها ولو قدرت الذى ظهر لها حق قدره لشغلها عما تخيلت انه بطن عنها والله ما بطن عنها شئ هو من مقامها

ثم يجبر به وقال فى سجود السهو الذى أذهب اليه فى موضع السجود للسهو ان المواضع التى سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل السلام يسجد فيها قبل السلام والمواضع التى سجد فيها بعد السلام يسجد فيها بعد السلام قال وأما غير ذلك مما سها فيه المصلى فهو مخير ان شاء سجد لذلك قبل السلام وان شاء بعد السلام قال والمواضع التى سها فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تشريعا لامته خمس شك فسجد قام من اثنتين ولم يجلس فسجد سلم من اثنتين ولم يجلس فسجد سلم من اثنتين فسجد سلم من ثلاث فسجد صلى خمسا ساهيا فسجد قال واختلف الناس فى سجوده هل سجد للزيادة والنقصان أو لسهوه فمن قائل لسهوه ومن قائل للزيادة والنقصان والذى أقول به أنه سجد لهما سجدة لسهوه والثانية للزيادة والنقصان (وقال) انما شرع للمصلى أن يقول فى سجوده سبحان ربى الاعلى ثلاثا لتكون واحدة لحسه وواحدة لخياله وواحدة لعقله فهو ينزه الحق فى محل القرب أن يكون مدركا بحس أو خيال أو عقل فيرغم بذلك الشيطان * وقال انما شرع جبر السهو بالسجود دون غيره من أفعال الصلاة وأقوالها لان السهو أغلبه من الشيطان فلا يصح الجبر الا بصفة لا يتمكن الشيطان أن يدنو من العبد حال تلبسه بها وهو السجود اذ الساجد فى حال سجوده محفوظ من الشيطان لقربه من شهود ربه فلو ان الشيطان كان يقترب

وانما

وانما تعجب كل أحد عما هو فوق مقامه لا غير انتهى * وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه قد محق الحق تعالى جميع الاغيار بقوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن فقيل له فأين الخلق فقال موجودون ولكن حكمهم مع الحق تعالى كالاناييب التى فى كوة الشمس تراها صاعدة هابطة فاذا قبضت عليها لا تراها فهى موجودة فى الشهود مفقودة فى الوجود انتهى (فان قلت) فهل كان ظهوره تعالى بعد استتار (فالجواب) كما قاله الشيخ تقى الدين بن أبى المنصور ان ظهوره تعالى لم يكن بعد استتار بل هو الظاهر فى حال كونه باطنا واختلاف حكم التجليات انما هو راجع الى ادراك المدركين والمشاهدين بحسب ما يكشف عن بصائرهم فانه تعالى لا يظهر بعد احتجاب ولا يتنزل بعد ارتفاع لان ذلك من صفة الاجسام وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال الشيخ فى أوائل باب الصلاة من الفتوحات اعلم أن العبد لا يكمل شهوده وعبادته لله تعالى الان شاهده وعبده من حيث أوليته المنزهة عن أن يتقدمها أولية لا من حيث أولية العبد عن أوليات كثيرة قبله فاذا وقف العبد وعبد ربه من حيث أوليته تعالى انسحبت عبادته من هناك على كل عبادة عبدها أحد من المخلوقين الى حين وجود هذا العابد انتهى وهذا أمر نفيس ما سمعناه من أحد * وقال الشيخ أيضا فى الباب السادس والخمسين ومائتين اعلم أن تجليات الحق تعالى بالاسماء لها ثلاث مراتب الاولى أن يتجلى للعالم بالاسم الظاهر فلا يبطن على العالم شئ من أمر الحق تعالى وهذا خاص بموقف القيامة الثانية أن يتجلى للعالم فى اسمه الباطن فتشهده القلوب دون الابصار ولهذا يجد الانسان فى فطرته الاستناد اليه والافتقار به من غير نظر فى دليل و يرجع فى أموره كلها اليه الثالثة أن يتجلى فى اسمه الظاهر والباطن معا وهذا خاص بالانبياء وكمل ورثتهم اه فاعلم ذلك وتدبره والله يتولى هداك

(المبحث الحادى عشر فى وجوب اعتقاد أنه تعالى علم الاشياء قبل وجودها فى عالم الشهادة ثم أوجدها على حد ما علمها)

ولم يزل عالما بالاشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الاشياء (فان قلت) فاذا كان العالم كله موجودا فى علم الحق فماذا استفاد العالم حين ظهر لعالم الشهادة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع عشر من الفتوحات ان العالم استفاد ببروزه الى عالم الشهادة علما بنفسه لم يكن عنده لا أنه استفاد حالة لم يكن عليها (وايضاح ذلك) ان الامور كلها لما كانت لم تزل معلومة للحق تعالى فى مراتبها بتعداد صورها فلا بد من فارق يفرق بين علمها بنفسها وعلم الحق تعالى بها وهو ان الحق تعالى يدرك جميع الممكنات فى حال عدمها و وجودها وتنوعات الاحوال عليها والممكنات لا تدرك نفسها ولا وجودها ولا تنوعات الاحوال عليها فلما كشف لها عن شهود نفسها وهى فى العدم أدركت تنوعات الاحوال عليها فى خيالها فلما أوجد الله الاعيان الالهية كشف لها عن أعيانها وأحوالها شيأ بعد شئ على التتالى والتتابع فهذا معنى قولنا لم يتجدد له علم عند تجدد الاشياء لانها كانت معلومة للحق تعالى أى معلوم علمه وهذه المسئلة من أعز المسائل المتعلقة بسر القدر وقليل من أصحابنا من عثر عليها (فان قلت) فهل ثم مثال يقرب للعقل تصور كون العالم مرئيا للحق تعالى فى حال عدمه الاضافى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والخمسين وثلثمائة ان أقرب مثال لكون العالم مرئيا للحق تعالى فى حال عدمه الدويبة المسماة بالحرباء فانها تنقلب فى لون ما تكون عليه من الاجسام على التدريج شيأ بعد شئ ما هى مثل المرآة تنقلب الصورة بسرعة ولا هى جسم صقيل فقد أدركت يا أخى فى الحس تقلب الحرباء فى الالوان مع علمك بأن تلك الالوان لا وجود لها فى ذلك الجسم الذى أنت ناظر اليه ولا فى أعيانها فى علمك فمن تحقق بهذا علم يقينا ادراك الحق تعالى للعالم فى حال عدمه وانه يراه فيوجده لنفوذ الاقتدار الالهى انتهى ومما يقرب لك أيضا تعقل شهود الحق تعالى للاعيان فى حال عدمها قول الشيخ فى باب الاسرار العجب كل العجب من رؤية الحق فى القدم أعيانا حالها العدم ثم انه اذا أبرزهم الى وجودهم تميز وا فى الاعيان بحدودهم ولكن انظر وحقق ما أنبهك عليه وأشير وهو ان الله تعالى أوجد فى عالم الدنيا الكشف والرؤيا ليقرب ذلك الامر على ضعفاء العقول فترى الامور التى لا وجود

من العبد فى سجود السهو لسها فى سجود سهوه وكان يتسلسل الامر فالاولى لهذا المورد لنا شرع فبين سها فى سجود سهوه ثم انه لو وقع فلا يتعين أن يكون من الشيطان واذا لم يكن من الشيطان فلا يكون ترغيما له بخلاف ما اذا كان السهو من فعل الشيطان أو الغيبة فان السجود يكون ترغيما على ترغيم الترغيم الاول من كونه سجودا والترغيم الثانى من حيث كونه سوا لم يؤثر فيه نقصا حيث جبر بالسجود فعلم أن السهو لا يلزم أن يكون ولا بد من الشيطان وانما سببه مغيب المصلى عن عبادته فنفس غيبته عنها يكون عنها السهو فان من أسباب السهو من غير الشيطان غلبة مشاهدة عجائب أحكام الله عز وجل حين تلاوة كلامه من غلبة توحيد او خوف مزعج أو غير ذلك * وقال الذى أقول به أن الامام لا يحمل سهو المأموم وبه قال مكحول خلافا للجمهور وذلك لاننا ما رأينا الشارع فرق بين الامام والمأموم فى الامر بسجود السهو وانما ذكر المصلى خاصة ولم يخص حالا دون حال وقال تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تجزى نفس عن نفس شيأ وكل نفس بما كسبت رهينة قال فمن بحث عن هذا المعنى علم أن الامام لا يحمل سهو المأموم وأن مكحولا تكلم عينه فى هذه المسئلة بكمال الاصابة فانجلت عين بصيرته (وقال) الذى أقول به أن الانسان اذا رفع عنه التكاليف

لها فى عينها قبل كونها أو ترى الساعة فى محلاها والحق تعالى يحكم فيها بين عبادة حين جلاها وما ثم ساعة وجدت ولا حالة مما رآها شهدت ثم توجد بعد ذلك فى مرآها كما رآها فافهم تغطنت يا أخى نفقد رميت بك على الطريق وذلك منهج التحقيق انتهى * وقال فى الباب الثالث والخمسين وثلثمائة لم تزل الممكنات كلها مشهودة للحق تعالى وان لم تكن موجودة فما هى له مفقودة فهى فى حال عدمها مرئية للحق مسموعة له ولا يتوقف مؤمن فى تصور ذلك فان الله على كل شئ قدير انتهى (فان قلت) ما المراد بذلك الشئ الذى وصف الحق تعالى نفسه أنه قدير عليه هل هو ما تعلق بالعدم المحض أم العدم الاضافى (فالجواب) المراد به ما تضمنه علمه القديم من الاعيان الثابتة فى العلم الذى هو العدم الاضافى وليس المراد به العدم المحض لان العدم المحض ليس فيه ثبوت أعيان ويؤيد هذا قول الشيخ فى لواقح الانوار فى قوله ان الله على كل شئ قدير أى قدير على شئ تضمنه علمه القديم فان ما لم يتضمنه علمه فليس هو بشئ وكذلك يؤيد ذلك قول الشيخ فى باب التسعين من الفتوحات لا تتعلق قدرة الحق تعالى الا بشئ موجود فى علمه تعالى لقوله تعالى ان الله على كل شئ قدير فنفى تعلق قدرته تعالى على ما ليس بشئ مما لم يتضمنه علمه القديم * قال وايضاح ذلك ان لا شئ لا يقبل الشيئية اذ لو قبلها ما كانت حقيقته لا شئ ولا يخرج معلوم قط عن حقيقته فلا شئ محكوم عليه بأنه لا شئ أبدا وما هو شئ محكوم عليه بأنه شئ أبدا انتهى (فان قلت) قد قال الشيخ أبو الحسن الاشعرى ان وجود كل شئ فى الخارج عينه وليس بشئ زائد عليه سواء كان واجبا وهو الله وصفاته الذاتية أو ممكنا وهو الخلق وهذا مخالف لقول كثير من المتكلمين ان وجود الشئ أمر زائد عليه فما الحق من القولين (فالجواب) كما قاله ابن السبكى والجلال المحلى الحق ما قاله الاشعرى وعليه فالمعدوم ليس فى الخارج بشئ ولا ذات ولا ثابت أى لا حقيقة له فى الخارج وانما يتحقق بوجوده فيه وقد قال الجلال المحلى ثم هذا الحكم كذلك عند أكثر أهل القول الآخر أيضا * قال وذهب كثير من المعتزلة الى أن المعدوم الممكن فى الخارج شئ أى له حقيقة مقررة انتهى ما قاله الجلال المحلى فى شرحه لجمع الجوامع (فان قلت) فما الوجه الجامع بين قول الاشعرية ان العالم وجد عن عدم متقدم وبين قول المعتزلة انه وجد عن وجود (فالجواب) ان الوجه الجامع بين قولى الاشعرية والمعتزلة ان العالم حادث فى الظهور قديم فى العلم الالهى فمن قال انه حادث من الوجهين اخطأ أو قديم من الوجهين أخطأ والله أعلم (فان قلت) فما المراد بالحق الذى خلق الله تعالى به السموات والارض وما بينهما وهل لهذا الحق عين موجودة أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والستين وثلثمائة ان المراد أنه تعالى خلق العالم كله للحق تعالى وهو ان العالم يعبده على حسب حاله ليجازيه على ذلك فى الدنيا والآخرة وليسبغ عليه نعمه قال الشيخ وقد غلط فى هذا الحق المخلوق به السموات والارض وما بينهما جماعة من أهل الله وجعلوا عينا موجودة والحق ان الباء هنا بمعنى اللام ولهذا قال تعالى فى تمام الآية تعالى الله عما يشركون من أجل الباء فعنى بالحق أى للحق فالباء هنا عين اللام فى قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (وايضاح ذلك) ان الحق تعالى لا يخلق شيأ بشئ وانما يخلق شيأ عند شئ وكل باء تقتضى الاستعانة والسببية فهى لام فاعلم ذلك فانه نفيس لا تجده فى تفسير والله تعالى يتولى هداك

(المبحث الثانى عشر فى وجوب اعتقاد ان الله تعالى أبدع العالم على غير مثال سبق عكس ما عليه عباده)

فان أحدا منهم لا يقدر بارادة الله على اختراع شئ الا ان أنشأه فى نفسه أولا عن تدبر ثم بعد ذلك تبرزه القوة العملية الى الوجود الحسى على شكل ما يعلم له مثل وهذا محال فى حق الحق تعالى فلم يزل الحق تعالى عالما بما يخلقه أزلا كما مر فى المبحث قبله قال الشيخ محيى الدين ولا يجوز أن يقال ان الخلق كانوا على صورة لا يوصف الحق تعالى بانه عالم بها قبل اختراعهم لان ذلك يؤدى الى أنه تعالى اخترع شيأ لم يعلمه وقد ثبت بالادلة القاطعة أنه عالم بكل شئ أزلا وأبدا فثبت لنا ان اختراع الحق تعالى لجميع العالم بالفعل على غير مثال سبق وخرجنا للوجود على حد ما كنا فى علمه تعالى ولو قدرنا أنا لم نكن كذلك فى علمه لخرجنا الوجود على حد ما لم يعلمه الله

تخرج عن حكم الشرع فان الشارع قد أباح للمجنون والصبى ونحوهما التصرف فيما يخطر له ولا حرج عليه فكيف يقال زال عنه حكم الشرع وهو قد حكم له بالاباحة كما حكم على المكلف بالاجماع بالاباحة فيما أبيح له والحكم للشرع لا للعقل فما خرج أحد عن حكم الشرع ومعلوم أن أحوال الشرع مبنية على الاحوال لا على الاعيان كما أفتى الامام مالك بتحريم أكل خنزير البحر تبعا للاسم وأطال فى ذلك *وقال فى حديث هل على غيرها قال لا الا أن تطوع أى فهو عليك فيجب عليك الوفاء بإتمامه كما يجب فى فروض الاعيان ودخل فى هذا الباب النذر قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم *وقال فينبغى اذا قرأ سورة بعد الفاتحة أن لا يتروى فيما يقرأ بل كل شئ جرى على لسانه قرأ به من سورة أو بعض سورة فان الخاطر الاول له مرتبة على الثانى (قلت) وذكر الشيخ فى الباب الثامن والثمانين وثلثمائة أيضا ما نصه ان من أدب العارف اذا قرأ فى صلاته المطلقة أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة لانه لا يدرى أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فهو بحسب ما يناجيه به من كلامه وبحسب ما يلقى تعالى اليه فى خاطره وأطال فى ذلك والله أعلم *وقال الذى أذهب اليه فى القراءة

تعالى وذلك محال لان مالا يعلمه لا يريده ومالا يعلمه ولا يريده لا يوجده فتكون اذن نحن موجودين بانفسنا أو بحكم الاتفاق واذا كان وجودنا بانفسنا أو بحكم الاتفاق فلا يصح وجودنا عن عدم وقد ثبت بالبرهان القاطع وجودنا عن عدم أى اضافى لا عدم محض كما مر بيانه فى المبحث قبله (فان قلت) فعلى هذا التقرير ان قلنا اننا موجودون من عدم صدقنا أو من وجود يعنى فى العلم صدقنا (فالجواب) نعم والامر كذلك كما أشار اليه الشيخ فى شعره فى الباب الثامن والتسعين ومائة من الفتوحات بقوله

فلو رأيت الذى رأينا * لما نفيت الذى رأينا
فظاهر الامر كان قولى * وباطن الامر أنت كنتا
قد أثبت الشئ قول ربى * لولم يكن ذاك ما وجدنا
فالعدم المحض ليس فيه * ثبوت عين فقل صدقنا
لو لم تكن ثم ياحبيبى * اذ قال كن لم تكن سمعتا
فأى شئ قبلت منه * الكون أو كون أنت انتا

وقد أشار الشيخ أيضا الى نحو هذا المعنى بقوله فى شعره أيضا فى الباب الثامن والثلثمائة

عجبى من قائل كن لعدم * والذى قيل له لم يك ثم *
ثم ان كان فلم قيل له * ايكن والقول مالا ينقسم
فلقد أبطل كن قدرة من * دل بالعقل عليها وحكم
كيف للعقل دليل والذى * قد بناه العقل بالكشف هدم
فنجاة النفس فى الشرع فلا * تك انسانا رأى ثم حرم *
واعتصم بالشرع فى الكشف فقد * فاز بالخير عبيد قد عصم
أهمل الفكر ولا تحفل به * واتركنه مثل لحم وضم
كل علم شهد الشرع له * هو علم فبه فلتعتصم *
واذا خالفك العقل فقل * طورك الزم مالكم فيه قدم
مثل ماقد جهل اللوح الذى * خط فيه الحق من علم القلم

الى آخر ما قال والنكتة فى التعجب كون الحق تعالى أضاف التكوين الى الشئ دون قدرته الالهية بقوله للشئ كن وجعله موجودا حين قوله له كن (وايضاح ذلك) لا يذكر الامشافهة لاهله والله تعالى أعلم (فان قلت) فما معنى قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين فانه يوهم ان ثم خالقين ولكن الله تعالى أحسنهم خلقا فما الفرق بين خلق الخلق بارادة الله وخلق الخلق بلا واسطة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والستين وأربعمائة ان الفرق بين الخلقين ان الله تعالى اذا أراد أن يخلق خلقا خلقه عن شهود فى علمه فيكسوه ذلك الخلق حلة الوجود بعد أن كان معدوما فى شهود الخلق وأما العبد فاذا خلق باذن الله شيأ كعيسى عليه السلام فلا يخلقه الا عن تقدم تصور وتدبر من أعيان موجودة يريد أن يخلق مثلها أو يبدع مثلها فما خلقها العبد الا عن مثال سبق بخلاف خلق الله تعالى بلا واسطة فحصل بذلك الفرق بين الخلق المضاف الى الله بلا واسطة والمضاف الى الحق بواسطة وسيأتى بسط هذه المسئلة فى مبحث خلق الافعال ان شاء الله تعالى فراجعه فى المبحث الرابع والعشرين وتقدم فى المبحث الثانى فى حدوث العالم بعد كلام طويل قول الحق جل وعلا وما خلقت لك عينين الا لتشهدنى بالواحدة وظلمتك يعنى امكانك بالاخرى والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث عشر فى وجوب اعتقاد انه تعالى لم يزل موصوفا بمعانى أسمائه وصفاته وبيان ما يقتضى التنزيه والعلية ومالا يقتضيهما)

اعلم ان هذا المبحث من أجل المباحث فلنبسط لك الكلام فيه بكلام محققى المتكلمين ثم بكلام محققى الصوفية فأقول وبالله التوفيق قال محقق الزمان الشيخ جلال الدين المحلى معانى الاسماء والصفات هو كل مادل على

فى ركعتى سنة الفجر أن يسمع نفسه بحيث لا يسمع من يليه وذلك لان وقتها وقت برزخى فاشبهت النائم فى كونه يرى فى نفسه أمورا والذى الى جانبه لا يعرف ماهو فيه فمعاملة ذلك الوقت بمثل هذه القراءة أولى وليفرق أيضا بينها وبين صلاة الصبح ومن الحكمة تمييز المراتب وارتفاع اللبس فى الاشياء * وقال فى قيام رمضان الذى اختاره أن يصلى ثلاث عشرة ركعة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم لم يزد فى رمضان ولا فى غيره على ثلاث عشرة ركعة وكان يطولهن ويحسنهن فيجمع فاعل ذلك بين قيام رمضان وبين الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ان الذين يزيدون على ما قلناه يؤدونه أشأم أداء لا يتمون ركوعه ولا سجوده وفى مثل صلاة هؤلاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسىء صلاته ارجع فصل فانك لم تصل فمن عزم على قيام رمضان المسنون المرغب فيه فليقم كما شرع الشارع الصلاة من اتمام ركوعها وسجودها والطمأنينة فى محالها الاربع والوقار والتدبر والتسبيح والا فتركه أولى وأطال فى ذلك * وقال الذى يتأكد المواظبة عليه من السنن المنطوق بها فى السنة ركعتا الفجر وأربع ركعات من أول النهار وأربع ركعات قبل الظهر وأربع ركعات بعد الظهر وأربع ركعات قبل العصر وركعتان قبل المغرب وست ركعات بعد المغرب وثلاث عشرة ركعة بالليل يوتر بالاخيرة منهن وأربع ركعات بعد صلاة الجمعة فما زاد على

الذات المقدس باعتبار صفة كالعالم والخالق والرازق ونحوها كما أنه تعالى لم يزل موصوفا بصفات ذاته وهي ما دل عليها فعله من قدرة وعلم وارادة وحياة أو دل عليها التنزيه له عن النقص من سمع وبصر وكلام وبقاء قال وأما صفات الافعال كالخلق والرزق والاحياء والاماتة فليست أزلية خلافا للحنفية بل هي حادثة من حيث انها متجددة اذ هي اضافات تعرض للقدرة فتتعلق بها حين أوقات وجدانها وأطال في ذلك ثم قال فان أريد بالخالق من صدر منه الخلق فليس صدوره أزليا قاله الغزالي انتهى كلام الجلال المحلي قال ابن أبي شريف رحمه الله في حاشيته على شرح جمع الجوامع ليس في كلام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ولا متقدمي أصحابه أن صفات الافعال صفات قديمة زائدة على الصفات المتقدمة وانما أخذ ذلك متأخرو أصحابه من معنى قوله في كتاب الفقه الاكبر كان الله تعالى خالقا قبل أن يخلق ورازقا قبل أن يرزق وذكروا أوجها من الاستدلال وأما الاشاعرة فيقولون ليست صفة التكوين سوى صفة القدرة باعتبار تعلقها بايصال الرزق مثلا وفي كلام أبي حنيفة أيضا ما نصه وكما كان تعالى بصفاته أزليا كذلك لا يزال أبديا ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا باحداثه البرية استفاد اسم البارئ فله تعالى معنى الربوبية ولا مربوب وله معنى الخالق ولا مخلوق وكما انه يحيي الموتى واستحق هذا الاسم قبل احيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل انشائهم وذلك بانه على كل شئ قدير انتهى كلام الامام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه قال البرماوي فقول أبي حنيفة ذلك بان الله على كل شئ قدير تعليل وبيان لاستحقاق اسم الخالق قبل المخلوق فأفاد أن معنى الخالق موجود قبل الخلق وان المراد استحقاق اسمه بسبب قيام قدرته عليه فاسم الخالق ولا مخلوق في الازل صحيح لمن له قدرة الخلق في الازل هذا ما يقوله الاشاعرة قال الكمال في حاشيته وانما بينت لك هذه العبارة مع طولها لانها موضحة لكلام الجلال المحلي ومؤيدة له تأييدا ظاهرا انتهى وسيأتي الكلام على صفات الحق هل هي عينه أو غيره في الخاتمة آخر المبحث ان شاء الله تعالى (فان قيل) فهل الاسم عين المسمى أو غيره (فالجواب) ان الاصح كما قاله ابن السبكي ان الاسم عينه وبه قال الشيخ أبو الحسن الاشعري رحمه الله وقال غيره هو غيره كما هو المتبادر اذ لفظ النار مثلا غيرها بلا شك قال الجلال المحلي والمراد بما قاله الاشعري بالنظر للاسم الله اذ مدلوله الذات من حيث هي بخلاف غيره كالعالم مثلا فان مدلوله الذات باعتبار الصفة كما قال الاشعري لا يفهم من الاسم الله سواه بخلاف غيره من الصفات فانه يفهم منه زيادة على الذات من علم أو غيره انتهى قال ابن أبي شريف في حاشيته على انه لم يظهر لي في هذه المسئلة ما يصلح محلا لنزاع العلماء كما أوضح ذلك البيضاوي في أول تفسيره فقال اعلم ان الاسم يطلق لمعان ثلاثة الاول اللفظ المفرد الموضوع لمعنى الثاني ذات الشئ والذات والنفس والعين والاسم بمعنى قاله ابن عطية الثالث الصفة كالخالق والعليم وغيرهما من أسماء الله وهذه الثلاثة أمور لا يظهر كون شئ منها محلا للنزاع لانه ان أريد بالاسم المعنى الاول الذي هو اللفظ المفرد الموضوع لمعنى فلا شك في كونه غير المسمى اذ لا يشك عاقل أن لفظ النار غيرها كما مر وان أريد به المعنى الثاني الذي هو ذات الشئ وحقيقته فهو المسمى ولا يحتاج حينئذ الى الاستدلال وان لم يشتهر استعمال الاسم بمعنى الذات وان أريد بالاسم المعنى الثالث وهو الصفة كما هو رأي الاشعري انقسم عنده انقسام الصفة اذ هي عنده على ثلاثة أقسام ما يرجع الى الذات كالاسم الله وهو نفس المسمى وما يرجع الى الافعال كالخالق والرازق وهو غير المسمى وما يرجع الى صفات الذات كالعليم والقدير والسميع والبصير فلا يقال انها عين المسمى ولا غيره فان المسمى ذاته وهو الاسم علمه الذي ليس هو عين ذاته وهو الظاهر ولا غيره على تفسير الغيرين بما يجوز انفكاك أحدهما عن الآخر قال وقد نبه الجلال المحلي على ان الاسم المسمى عند الاشعرية لكن في لفظ الجلالة خاصة من القسم الاول لان مدلوله الذات من حيث هي كما قال الاشعري لا يفهم من اسم الله سواه انتهى كلام الجلال المحلي وكلام ابن أبي شريف * وأما كلام محققي الصوفية في ذلك فقال الشيخ في الباب الثاني والاربعين وثلثمائة من الفتوحات مما يؤيد قول من قال ان الاسم عين المسمى قوله تعالى ذلكم الله ربي فجعل اسمه تعالى عين ذاته كما قال قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا

الملائكة نافلة انما هم دائما في فرائض بعدد أنفاسهم فلا نفل عندهم بخلاف البشر * وقال في صلاة التحية الذي أقول به ان التحية لا تستحب للداخل للمسجد الا ان أراد القعود في المسجد فان وقف أو عبر ولم يرد القعود فان شاء ركع وان شاء لم يركع وان قعد ولم يركع كره ومن كان حاله دوام الحضور مع الله ينوي بالركعتين الشكر لله حيث جعله من المتقين الذين يدخلون بيته لحديث المسجد بيت كل تقي فافهم وحرره وان كان فيه شئ * وقال في صلاة العيدين انما سمي العيدان بذلك لانه شرع فيهما اللهو واللعب المباح وحرم فيهما الصيام على المكلف فعادله الاجر في فعل ذلك كما يحصل له ذلك في فعل السنن المشروعة في الصلاة وغيرها قال وقال بعضهم انما سمي العيدان بذلك لعودهما في كل سنة ولو صح ذلك لكانت الصلوات الخمس يسمى يومها عيدا لعودها فيه كل يوم فان تعلل قائل ذلك بالزينة في العيدين قلنا والزينة مشروعة في كل صلاة وأيضا فلما عاد الفطر فيه عبادة مفروضة بعد أن كان مباحا سمي عيدا * وقال انما لم يشرع في العيدين الاذان والاقامة لتوفر دواعي الناس على الخروج في هذين اليومين الى مصلى العيد مع ما شرع من الذكر المستحب

ولم

ولم يقل قل ادعوا بالله ولا بالرحمن فجعل الاسم هنا عين المسمى كما جعله فى موضع آخر غيره قال فلو لم يكن الاسم عين المسمى فى قوله ذلكم الله لم يصح قوله ربى انتهى (قلت) ومما يؤيد ذلك أيضا حديث مسلم مرفوعا أنا مع عبدى اذا ذكرنى وتحركت بى شفتاه فانه تعالى جعل اسمه عين ذاته اذ الذات لا تحرك بها الشفتان وانما تحرك بالاسم الذى هو اللفظ فليتأمل والله أعلم (فان قلت) فما التحقيق فى أقسام الاسماء الالهية كم هى ترجع الى قسم (فالجواب) هى ترجع الى ثلاثة أقسام أسماء تدل على الذات وأسماء تدل على التنزيه وأسماء تدل على صفات الافعال وما ثم مرتبة رابعة حتى ما اسمنا الله تعالى بعلمه فانه يرجع الى هذه المراتب ثم ان هذه الثلاثة ترجع الى قسمين قسم يقتضى التنزيه كالكبير والعلى والغنى والاحد وما يصح أن ينفرد به الحق تعالى مما تطلبه الذات لذاتها وقسم يقتضى طلب العالم كالمتكبر والمتعالى والرحيم والغفور ونحو ذلك مما تطلبه الذات من كونه تعالى الها ذكره الشيخ فى الباب الثامن والستين من الفتوحات والباب الثانى والسبعين وثلثمائة منها * وقال فى الباب التاسع والسبعين وثلثمائة اعلم انا ما وجدنا قط اسما لله تعالى يدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات أبدا لانه ما وصل الى علمنا اسم الا وهو على أحد أمرين اما يدل على فعل وهو الذى يستدعى العالم ولا بد واما تنزيه وهو الذى يستروح منه اجلاله تعالى عن صفات نقص كونى تنزه الحق تعالى عنها غير ذلك ما أعطانا الله تعالى (فان قلت) فما ثم على هذا اسم علم لله تعالى ما فيه سوى العلمية أبدا الا ان كان ذلك فى علمه تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين نعم ما ثم على هذا اسم علم لله أبدا فيما وصل الينا وذلك لان الله تعالى ما أظهر أسماءه لنا الا لنثنى بها عليه فمن المحال أن يكون فيها اسم علم لان الاسماء الاعلام لا يقع بها ثناء على المسمى وانما هى أسماء أعلام للمعانى التى تدل عليها وتلك المعانى هى التى يثنى بها على من ظهر عندنا حكمها عيننا وهو المسمى بمعانيها والمعانى هى المسماة بهذه المعانى اللفظية كالقادر والعالم ونحوهما قال ويؤيد ذلك قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وليست الا المعانى لا هذه الالفاظ اذ الالفاظ لا تتصف بالحسن أو القبح الا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها فلا اعتبار لها من حيث ذاتها فانها ليست بزائدة على حروف مركبة ونظم خاص يسمى اصطلاحا (فان قلت) فاذن فما سميت أسماء الله حسنى ليكون لها مقابل غير حسن وانما هى حسنى من حيث ظهور حسنها فى العرف (فالجواب) نعم وهو كذلك فما ظهر لنا حسنه فى العرف فهو حسن مطلقا وما لم يظهر له حسن فى العرف فحسنه مبطون فيه مجهول على العامة وأما الخاصة فحسن جميع الاسماء ظاهر لهم لا يخفى عليهم لمعرفتهم بالحق تعالى فى سائر مراتب التنكرات فى العالم هذا ما ذكره الشيخ فى الباب التاسع والسبعين وثلثمائة وكان قبل ذلك يقول لم نعلم من الاسماء الالهية اسما يدل على الذات فى جميع ما ورد علينا فى الكتاب والسنة الا الاسم الله لانه اسم علم لا يفهم منه الا الذات المسمى ولا يدل على مدح ولا ذم وبسط الكلام على ذلك فى الباب السابع والسبعين ومائة من الفتوحات بسطا طويلا لخصت منه ما ذكرته لك وكذلك طالعت جميع كتاب لواقح الانوار فى هذا المبحث ولخصته هنا فاعتمده * وقد قال الشيخ محيى الدين فى هذا الباب الذى هو السابع والسبعون ومائة وما قلناه من العلمية هو فى مذهب من لا يرى انه مشتق ثم انه على قول الاشتقاق هل هو مقصود للمسمى أو ليس بمقصود له كما اذا سمينا شخصا بزيد على طريق العلمية وان كان هو فعل من الزيادة لكننا لم نسمه لكونه يزيد وينمو فى جسمه مثلا وانما سميناه به لنعرفه ونصيح به اذا ناديناه فمن الاسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فاذا قبلت هذه الاسماء على هذا المعنى فهى أعلام واذا قبلت على أسماء المدح فهى أسماء صفات قال وبهذا وردت جميع أسماء الله الحسنى ونعت بها تعالى ذاته من طريق المعنى قال وأما الاسم الله فنعت به نفسه من طريق الوضع اللفظى فالظاهر أن الاسم الله للذات كالعلم ما أريد به الاشتقاق وان قال بعضهم باشتقاقه (فان قلت) فهل أسماء الضمائر تدل على الذات كالاسماء الصريحة أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين انها تدل على الذات بلا شك فانها ليست بمشتقة ولكنها مع ذلك ليست أعلاما وان كانت أقوى فى الدلالة من الاعلام فان الاعلام قد تفتقر الى النعوت وأسماء الضمائر

على الميت شفاعة فيه ولهذا شرع تلقين المحتضر ليكون الشافع على علم بتوحيد من يشفع فيه (قلت) وسيأتى ان شاء الله تعالى فى الباب السادس والسبعين ومائة الكلام على أحوال المحتضرين وان منهم من ينطق باسم موسى أو عيسى فيظن أنه تهود أو تنصر والحال انه ما نطق باسم ذلك النبى الا فرحا بقدومه عليه لكونه وارثه فراجعه والله أعلم *وقال انما لم نؤمر بغسل الشهيد فى معركة الكفار لانه حى يرزق بنص القرآن ونحن انما أمرنا بغسل الميت والشهيد حى لا يقال فيه انه ميت وانما قال تعالى فى الشهداء عند ربهم يرزقون تنبيها على أن الشهيد حاضر عند الله والميت انما يغسل ويطهر ليحضر عند ربه طاهرا ويلقاه فى البرزخ على طهارة والشهيد حاضر عند ربه بمجرد الشهادة فلا يحتاج الى غسل فافهم وسيأتى فى الباب التاسع والخمسين وخمسمائة مزيد على ذلك *وقال لا يكون الرجل كاملا فى العلم حتى يجمع بين علم الظاهر والباطن قال تعالى فى معرض الذم لقوم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (وقال) رضى الله عنه انما شرعت الفاتحة فى صلاة الجنازة لان الميت فى حال جمعيته بلقاء ربه فناسب قراءة الفاتحة لانها قرآن أى جمع وأيضا فلسان الميت

لا تفتقر وذلك مثل لفظة هو وذا وأنا وأنت ونحن والياء من انى والكاف من انك فأما هو فهو اسم لضمير الغائب وهو أعرف عند أهل الله من الاسم الله في أصل الوضع لانه يدل على هوية الحق التى لا يعلمها الا هو وأما ذا فهو من أسماء الاشارة مثل قوله ذلكم الله ربكم وكذلك لفظة ياء المتكلم مثل قوله تعالى فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى وكذلك لفظة أنت وتاء المخاطب مثل قوله كنت أنت الرقيب عليهم وكذلك القول في لفظة نحن وأنا مشددة ولفظة نا من نحو قوله انا نحن نزلنا الذكر وكذلك حرف كاف الخطاب نحو قوله انك أنت العزيز الحكيم فهذه كلها أسماء ضمائر واشارات وكنايات تم كل مضمر ومخاطب ومشار اليه ومكنى عنه وأمثال ذلك انتهى * وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة الذى هو آخر الفتوحات اعلم أن الاسم الله انما سماه بالوضع ذات الحق تعالى عينه الذى بيده ملكوت كل شئ وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان كل اسم الهى يتضمن أسماء التنزيه من حيث دلالته على ذات الحق تعالى ولكن لما كان ما عدا الاسم الله من الاسماء مع دلالته على ذات الحق تعالى يدل على معنى آخر من نفى أو اثبات من حيث الاشتقاق لم تقو أحدية الدلالة على الذات قوة هذا الاسم كالاسم الرحمن وغيره من الاسماء الحسنى قال وقد عصم الله تعالى هذا الاسم العلم أن يتسمى به أحد غير ذات الحق ولهذا قال تعالى في معرض الحجة على من نسب الالوهية لغير الله تعالى قل سموهم فلو سموهم ما سموهم الا بغير الاسم الله لانهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقد علمت أن الاسم الله يدل على الذات بحكم المطابقة كالاسماء الاعلام على مسمياتها انتهى (قلت) وقد بان لك تناقض كلام الشيخ في قوله ان الاسم الله علم أو غير علم فانه ذكر أولا في الباب السابع والسبعين وثلثمائة انه اسم علم ثم ذكر في الباب الذى هو التاسع والسبعون وثلثمائة انه غير علم ثم ذكر في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة انه علم فليحرر والله تعالى أعلم (فان قلت) فعلى ما قررتموه من أن المراد من الاسماء الالهية انما هو معانيها لا ألفاظها تكون جميع الاسماء التى بأيدينا أسماء للاسماء الالهية التى سمى الحق تعالى بها نفسه من كونه متكلما (فالجواب) نعم وهو كذلك فتضع الشرح الذى كانوضح به مدلول تلك الاسماء على هذه الاسماء التى بأيدينا فانه تعالى تسمى بها من حيث ظهور ها العالم فلها من الحرمة ما للاسماء القائمة بالذات كما قلنا في الحروف المرقومة في المصحف انها كلام الله تعالى وان كان لها تحقيق آخر يعرفه العلماء بالله (فان قلت) فهل يعم تعظيم الاسماء جميع الالفاظ الدائرة على ألسنة الخلق على اختلاف طبقاتهم وألسنتهم (فالجواب) نعم هى معظمة في كل لغة لرجوعها الى ذات واحدة فان اسم الله لا تعرف العرب غيره وهو بلسان فارس خداى و بلسان الحبشة واق و بلسان الفرنج كريطارور وابحث على ذلك في سائر الالسن تجد ذلك الاسم الالهى معظما في كل لسان من حيث ما يدل عليه ولهذا نهانا الشارع صلى الله عليه وسلم أن نسافر بالمصحف الى أرض العدو وهو بلا شك خط أيدينا وأوراق مرقومة بايدى المحدثات بمداد مركب من عفص و زاج مثلا فلولا هذه الدلالة التى في الاسماء والحروف لما وقع لها تعظيم وأطال الشيخ في ذلك في الباب السابع والتسعين ومائتين فراجعه (فان قلت) فاذن يحرم علينا التسمى بنظير أسماء الله تعالى كنافع ونور ووكيل ونحو ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والاربعين نعم يحرم ذلك ويجب علينا شرعا وعقلا اجتناب ذلك وان أطلقنا أسماء منها على أحد فانما نذكره مع كوننا ذاهلين عن تعلقه بالله تعالى كما اذا قلنا فلان مؤمن فان مرادنا به كونه مصدقا بما وعد الله به وأوعد وليس مرادنا المعنى المتعلق باسم الله تعالى المؤمن وأما تسمية الحق تعالى عبده محمدا صلى الله عليه وسلم رؤفا رحيما فانما نذكر ذلك على سبيل التلاوة والحكاية لكلام الله تعالى وتسميه صلى الله عليه وسلم بما سماه الله تعالى به ولا حرج لان صاحب الاسم هو الذى خلع عليه ذلك الاسم مع اعتقادنا انه صلى الله عليه وسلم في نفسه مع ربه عبد ذليل خاشع أواه منيب انتهى (فان قلت) فهل في أسماء الله تعالى أفضل ومفضول وان عمها كلها العظمة والجلال أم كلها متساوية (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادى والسبعين وثلثمائة أن أسماء الله تعالى متساوية في نفس الامر لرجوعها كلها الى ذات واحدة وان وقع تفاضل فانما ذلك لامر خارج فان الاسماء نسب واضافات وفيها أئمة وفيها سدنة وفيها

من الثناء على الله وذكر الثناء بين يدي الشفاعة أمكن لقبول الشفاعة ولذلك ورد انه صلى الله عليه وسلم لما يريد الشفاعة يوم القيامة يتقدم بين يدى الله ويثنى على الله تعالى بمحامد يعلمه الله تعالى اياها لا يعلمها الآن ثم يشفع والله أعلم * وقال ما شرع الحق سبحانه وتعالى لنا الصلاة على الميت الا وهو يريد أن يقبل شفاعتنا فيه فان أذن من الله لنا في الشفاعة فيه وهو تعالى لا يأذن لنا في السؤال وفى علمه انه لا يقبل سؤالنا قال تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وقد أذن لنا أن نشفع في هذا الميت بالصلاة عليه فكل مؤمن يتحقق الاجابة بلا شك قال وأما السلام بعد التكبيرة الرابعة فهو سلام انصراف عن الميت أى لقيت من ربك السلامة فعلم أنه متى ذكر هذا المسلم الميت بسوء فقد كذب يقينه في قوله السلام عليكم فانه لم يسلم منه اذ ذكره بسوء بعد موته فافهم وحرره ان كان فيه شئ والله يتولى هداك (وقال) في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى في هذه الآية تشريف عظيم للملائكة لجمعهم مع الله في ضمير واحد في قوله يصلون وانما نصب الملائكة بالعطف ليتحقق أن الضمير جامع للمذكور قبله فليتأمل * وقال ينبغى للمصلى على الميت اذا شفع فيه بالدعاء عند الله أن لا يخص ذنبا بعينه بل يعم كل ذنب ويعترف عن الميت بجميع السيئات لتعم الميت الرحمة وان لم يعمم المصلى فالميت

ماتحتاج اليه الممكنات احتياجا كليا ومنها مالاتحتاج اليـه الممكنات ذلك الاحتياج الكلي بالنظر للاحوال المشاهدة فالذي يحتاج اليـه الممكن احتياجا ضرور يا الاسم الحي العالم المريد القادر والاسخير في النظر العقلي هو القادر فهذه أربعة يطلبها الممكن بذاته ومابقي من الاسماء فكالسدنة لهذه الاسماء ثم يلي هـذه الاسماء الاربعة في ظهور الرتبة الاسم المدبر والمفضل ثم الجواد ثم المقسط فعن هذه الاسماء كان عالم الغيب والشهادة والدنيا والآخرة والبلاء والعافية والجنة والنار انتهى * وكان سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه يذهب الى التفاضل في الاسماء ويقول في قوله تعالى وكلمة الله هي العليا هو الاسم الله فانه أعلى مرتبة من سائر الاسماء ولذلك تقدم في التسمية وفي نحو قوله الله لااله الا هو الحي القيوم على ماذكر مما يعطف عليه من الاسماء وأجمع المحققون على انه الاسم الجامع لحقائق الاسماء كلها قال ونظير ذلك أيضا ولذكر الله أكبر أي ولذكر الاسم الله أكبر من ذكر سائر الاسماء انتهى * قال الشيخ محيي الدين نحو ذلك أيضا بالنظر للاستعاذة من الشيطان فقال انما خص الامر بالاستعاذة بالاسم الله دون غيره من الاسماء لان الطرق التي يأتينا منها الشيطان غير معينة فأمرنا بالاستعاذة بالاسم الجامع فكل طريق جاءنا منها يجد الاسم الله مانعا له من الوصول الينا بخلاف الاسماء الفروع انتهى * وقال أيضا في الباب الثاني والثمانين في قوله تعالى ففروا الى الله انما جاء بالاسم الجامع الذي هو الله لان في عرف الطبع الاستناد الى الكثرة قال صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة فالنفس يحصل لها الامان باستنادها الى الكثرة والله تعالى مجموع أسماء الخير ومن حقق معرفة الاسماء الالهية وجد أسماء الاخذ والانتقام قليلة وأسماء الرحمة كثيرة في سياق الاسم الله انتهى فتأمل هذا المبحث وحرره والله يتولى هداك

* (خاتمة) * فان قلت هل يصح لاحد الانس بالله تعالى كما يصح الانس بغيره من الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاربعين ومائتين ان الانس بالذات لايصح لاحد عند جميع المحققين لانتفاء المجانسة بل نقول انه لايصح الانس باسم من أسماء الله تعالى أبدا انما حقيقة الانس ترجع الى مايصل الى العبد من تقريبات الحق تعالى ونور الاعمال لاغير ومن قال انه أنس بعين ذات الحق تعالى فقد غلط انتهى والله أعلم (فان قلت) فهل الرحمن الرحيم اسمان كما هو مشهور أم هما اسم واحد مركب كبعلبك ورامهرمز (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الاسرار ان الذي أعطاه الكشف انهما اسم واحد كما ذكر في السؤال انتهى * وقال في الباب الثاني والتسعين ومائة وقد بلغنا ان الكفار كانوا يعرفونه مركبا فلما أفرد أنكروه ولم يعرفوه انتهى (فان قيل) فهل كل اسم الهي يجمع جميع حقائق الاسماء الالهية أم كل اسم لايتعدى حقيقته (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع من الفتوحات ان كل اسم الهي يجمع جميع حقائق الاسماء ويحتوي عليها مع وجود التمييز بين حقائق الاسماء في الشهود قال وهذا مقام أطلعني الله تعالى عليه ولم أر له ذائقا من أهل عصري انتهى (فان قلت) فهل يصح لاحد من الخلق التخلق بالقيومية الذي هو السهر الدائم ليلا ونهارا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين أنه يصح التخلق به كباقي الاسماء الالهية التي يصح التخلق بها لاحد من الخلق بلا فرق وليس ذلك من خصائص الحق كما قال به شيخنا أبو عبد الله بن جنيد قال والحق ماقلناه من وقوع التخلق به انتهى (فان قلت) فهل يصح لاحد التخلق باسم الهوية أو الاحدية أو الغني عن العالمين (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين لا يصح التخلق بذلك لاحد لان هذه الامور من خصائص الحق تعالى فلا يصح أن يتخلق بها مخلوق لا عيانا ولا نظرا عقليا وقد قال أيضا في باب الاسرار اعلم أن التخلق بالاسماء على الاطلاق من أصعب الاخلاق لما فيها من الخلاف والوفاق فاياك ياأخي ان يظهر مثل هذا عنك قبل وصولك الى مشهد من قال أعوذ بك منك فبمن استعاذ والى من لاذ انتهى فتأمل في هذه الجواهر فانك لاتجدها مجموعة في كتاب والله يتولى هداك وهو حسبي ونعم الوكيل واليه المصير

* (المبحث الرابع عشر في أن صفاته تعالى عين أو غير أو لا عين ولا غير) *

اعلم ياأخي أن نفي الصفات الذاتية ينسب الى المعتزلة وهم لم يصرحوا بذلك كما قاله شيخ الاسلام ابن أبي شريف

تحت المشيئة فان شاء الحق عمه بالتجاوز والمغفرة وان شاء عامل الميت بحسب ماوقعت فيه الشفاعة من الشافع قال ولهذا ينبغي للمصلي على الميت أن يسأل الله تعالى له التخليص من العذاب لا في دخول الجنة فقط لانه ماثم دار ثالثة انما هي جنة أو نار واذا سأل في دخول الجنة قبل سؤاله ولكن ربما يرى في الطريق مايهوله فلهذا كان اشتغال المصلي في شفاعته بان ينجي الله ذلك الميت من كل مايحول بينه وبين استصحاب العافية له أولى للميت وأنفع وفي الحديث وعافه واعف عنه قال وعلم مما قدمناه أن الشفاعة مقبولة في كل مسلم وأن كل من ظن بمسلم عدم قبول الشفاعة فيه فما عنده من ذلك خبر لا والله بل ذلك الميت سعيد ولو كانت ذنوبه عدد الحصى والرمل أما المختصة بالله تعالى فمغفورة وأما مظالم العباد فان الله يصلح بين عباده يوم القيامة فعلى كل حال لابد من الخير ولو بعد حين قبل دخول الجنة فاعلم ذلك وقال رفع الايدي في التكبيرات مؤذن بالافتقار في كل حال كان الشافعي يقول ما بايدينا شيء من حولنا والامر كله لك ياربنا قال وانما استقر الامر في الجنازة على أربع تكبيرات اعتبارا بان أكثر عدد ركعات الفرائض أربع ومعلوم انه لاركوع في صلاة الجنازة بل هي كلها قيام وكل قيام للقراءة فيه له تكبيرة وأطال في ذلك * وقال الذي أقول به انه لاترجيح في مكان وقوف الامام على الجنازة من رأسه أو وسطه أو

زلبه ذكرا كان أو أنثى وذلك لان (٧٢) مقصود المصلي انما هو سؤال الله تعالى والحديث معه في الشفاعة في حق هذا الميت

واحضار الميت بين يديه فلا
يبالي أين يقوم منه الا أن
يرد عن الشارع فيه شيء
فيتبع قال وأيضا فان
المتردد في الوقوف يقسم
الخاطر عن المقصود
ويفرقه عنه لا سيما ان كانت
الجنازة أنثى فانه يتوهم أنه
اذا وقف وسطها يسترها
بذلك الوقوف عمن خلفه
ولا يخطر له ذلك حتى
يستحضر في نفسه عورتها
فلم يسترها عن نفسه وذلك
يقدح في حضور المصلي مع
الحق فانه انما يستقبل الحق
من المصلي قلبه والقلب قد
تغرق بيقين باستحضار ما لا
ينبغي استحضاره من عورة
المرأة وأطال في ذلك * وقال
الذي أقول جواز الصلاة
على القبر من غير مدة معينة
لان شرط الصلاة انما هو
مواراته عن الابصار بكفن
أو بتراب وأطال في ذلك
ثم قال فان كان المراد بتلك
الصلاة الروح المدبر لهذا الجسم
فالروح قد عرج به الى بارئه
وقد فارق الجسد فلا مانع
من الصلاة عليه وان كان
المراد بتلك الصلاة الجسد
دون الروح فسواء كان
فوق الارض أو تحت الارض
فان الشارع ما فرق فكل
واحد قد رجع الى أصله
فالتحق الروح منه بالارواح
والتحق العنصري بالعنصر
فليتأمل ويحرر * وقال في
حديث صلوا على من قال
لا اله الا الله فربط الشارع صحة الصلاة على الميت بالقول لكلمة التوحيد فمن لا يتصور منه القول أو لم يسمع منه

في حاشيته وانما أخذ الناس ذلك من نفيهم صفات الذات كالقدرة والعلم مثلا من حيث كونها زائدة والا
فالمعتزلة متفقون على انه تعالى حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم لكن بذاته لا بصفة زائدة قالوا نعني أنه
متكلم أنه خالق الكلام في الشجرة مثلا قال وهذا بناء منهم على انكار الكلام النفسي وزعمهم أن لا كلام
الا اللفظي وقيام اللفظي بذاته تعالى ممتنع فما نقل عنهم من نفي الصفات على هذا التقرير لازم لمذهبهم ولازم
المذهب ليس بمذهب على الراجح وأطال في ذلك ثم قال ومذهب أهل السنة أن صفات الحق السبع زائدة على
الذات فانها لازمة لها لزوما لا يقبل الانفكاك وقالوا الحق تعالى حي بحياة عالم بعلم قادر بقدرة وهكذا قال
وأما صفة البقاء فقد اختلفوا فيها فالاشعري وأكثر أتباعه على أنها صفة زائدة على الذات وقال القاضي
والامامان وغيرهم كقول المعتزلة انه تعالى باق لذاته لا ببقاء قال والادلة من الجانبين مسطورة في كتب أصول
الدين قال وانما نفي المعتزلة الصفات على ما مر تقريره هربا من تعدد القدماء وأهل السنة قالوا القديم لذاته
واحد وهو الذات المقدس وهذه صفات وجبت للذات لا بالذات والتعدد لا يكون في القديم لذاته انتهى
ذكره في مبحث الاشتقاق من شرح جمع الجوامع في حاشيته انتهى كلام المتكلمين * وأما ما قاله الصوفية
رضي الله تعالى عنهم فقد قال سيدي علي بن وفا رحمه الله اعلم ان الذات شيء واحد لا كثرة فيه ولا تعدد بالحقيقة
وانما خاف المعتزلة من تعدد القدماء من جهة اعتبار تعينها بالصفات وذلك انما هو تعدد اعتباري والاعتباري
لا يقدح في الوحدة الحقيقية كفروع الشجرة بالنظر لاصلها أو كالاصابع بالنظر للكف انتهى (فان قيل)
فما الفرق بين الصفات والاوصاف (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الكلام على التشهد في الصلاة
من الفتوحات ان الصفات يعقل منها أمر زائد وعين زائدة على عين الموصوف وأما الاوصاف فقد تكون عين
الموصوف بنسبة خاصة لها أعين موجودة انتهى * وذكر أيضا في الباب السادس عشر وأربعمائة عن
شيخه أبي عبد الله الكناني امام المتكلمين بالمغرب أنه كان يقول كل من تكلف دليلا على كون الصفات
الالهية عينا أو غيرا فدليله مدخول لكن من قال انها أعين فهو أكثر أدبا وتعظيما وسيأتي آخر المبحث الآتي
عقبه أن من الادب أن نسمي الصفات أسماء لانه هو الوارد فراجعه وقد بسط الشيخ محيي الدين الكلام على
مبحث الصفات هل هي عين أو غير وأحسن ما رأيته عنه في جميع الفتوحات ما ذكره في هذه الابواب الخمسة
الآتي ذكرها وهي الباب السابع عشر والباب السادس والخمسين والباب الثالث والسبعين وثلثمائة
والباب السبعين وأربعمائة والباب الثامن والخمسين وخمسمائة فاما ما قاله في الباب السابع عشر فقال اعلم
أن جميع الاسماء والصفات الالهية كلها نسب واضافات ترجع الى عين واحدة لانه لا يصح هنالك كثرة
بوجود أعيان أخر كما زعمه بعض النظار ولو كانت الصفات أعيانا زائدة وما هو اله الا بها لكانت الالوهية معلولة
بها ثم لا يخلو أن تكون هي عين الاله فالشيء لا يكون علة لنفسه أو لا تكون عينه فالله تعالى لا يكون معلولا
لعلة ليست عينه فان العلة متقدمة على المعلول بالرتبة فيلزم من ذلك افتقار الاله من كونه معلولا لهذه الاعيان
الزائدة التي هي علة له وهو محال ثم ان الشيء المعلول لا يكون له علتان وهذه علل كثيرة لا يكون الها الا بها
فبطل أن تكون الاسماء والصفات أعيانا زائدة على ذاته تعالى الله عن ذلك انتهى * وأما ما قاله في الباب
السادس والخمسين فهو قوله اعلم يا أخي ان الاستقراء السقيم لا يصح في العقائد لان مبناها على الادلة
الواضحة وقد تتبع بعض المتكلمين أدلة المحدثات فلم يجد فيها من هو عالم لنفسه فاعطاه دليله أن لا يكون
عالم قط الا بصفة زائدة على ذاته تسمى علما وحكمها لمن قامت به أن يكون عالما قال وقد علمنا أن الحق
تعالى عالم فلا بد أن يكون له علم ويكون ذلك العلم صفة زائدة على ذاته قائمة به قال الشيخ محيي الدين وهذا
استقراء سقيم بل هو الله العالم القادر الخبير كل ذلك بذاته لا بأمر زائد عليها اذ لو كان ذلك بأمر زائد على
ذاته وهي صفات كمال لا يكون كمال الذات الا بها لكان كماله تعالى بشيء زائد على ذاته واتصفت ذاته بالنقص
والفقر اذا لم يقم بها هذا الزائد تعالى الله عن ذلك فهذا هو الذي دعا بعض المتكلمين أن يقول في صفات الحق
تعالى انها غيره فاخطأ طريق الصواب وسبب خطئه انه رأى العلم من صفات المعاني بقدر فعمم كمال ذات

العالم

العالم من الخلق فلما أعطاه الدليل ذلك طرده شاهدا وغائبا يعني في حق الخلق والحق معا انتهى على أن الشيخ ذكر في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى العليم أن من الخلق من يكون علمه من ذاته لا بأمر زائد وذلك في كل علم يدركه الانسان بعين وجوده خاصة ولا يفتقر في تحصيله الى أمر آخر فاذا ورد عليه ما لا يقبله الا بكونه موجودا على مزاج خاص فهو علمه الذاتي انتهى فليتأمل كأنه يقول فاذا كان بعض العبيد يقع له عدم استفادة العلم من غيره فالحق أولى لكن الفرق بين علم هذا العبد وعلم الحق تعالى ان علم العبد هبة من الله تعالى له حين نفخ فيه الروح فليس علمه من قسم من كان علمه بذاته حقيقة وهو الله فاعلم ذلك واياك والغلط * وأما ما ذكره في الباب الثالث والسبعين وثلثمائة فهو قوله اعلم أنه لا يجوز الحكم على الله بشيء لانه خبر الحاكي ومن هنا يعلم انه لو كانت صفات الحق تعالى زائدة على ذاته كما يقول به بعضهم لحكم على الذات بما هو زائد عليها ولا هو عينها وقد زل في هذه المسئلة كثير من المتكلمين وأصلهم فيها قياس الغائب على الشاهد وهو غاية الغلط فان الحكم على المحكوم عليه بأمر ما من غير ان تعلم ذات المحكوم عليه وحقيقته جهل عظيم من الحاكم عليه بذلك فرحم الله أبا حنيفة حيث لم يقض على غائب انتهى * وأما ما قاله في الباب السبعين وأربعمائة فهو قوله اعلم أن بالعلم يعلم العلم فالعلم معلوم العلم فهو المعلوم للعلم والعلم صفة العالم فما عرف الحق تعالى منك الا علمك لا أنت غير ذلك لا يصح لك ومن هنا قالوا العلم حجاب أي عن شهود حقيقة الحق تعالى قال الشيخ محيي الدين وهذا الذي ذكرناه هو الذي يتمشى على قول بعض المتكلمين في الصفات انها ما هي غيره فقط ويقف وأما قولهم بعد هذا القول ولا هي هو فانما ذلك لما رأوا من أنه معقول زائد على هو فنفى هذا القائل أن تكون الصفات هو وما قدر على أن يثبت هو من غير علم يصفه به فقال وما هو غيره فحار فنطق بما أعطاه فهمه وقال صفات الحق لا هي هو ولا هي غيره قال الشيخ محيي الدين وهو كلام خلي من الفائدة وقوله لا روح فيه يدل على عدم كشف قائله قال ولكنا اذا لم نحن مثل هذا القول لم نقله على حد ما يقوله المتكلم فانه يعقل الزائد ولا بد ونحن لا نقول بالزائد ولا نخالف كشفنا بأن الصفات الالهية عين فان من يقول انها غيره واقع في قياس الحق تعالى على الخلق في زيادة الصفة على الذات فما زاد هذا على الذين قالوا ان الله فقير الا بحسن العبارة فقط فانه جعل كمال الذات لا يكون الا بغيرها فنعوذ بالله أن نكون من الجاهلين انتهى فتلخص من جميع كلام الشيخ انه قائل بأن الصفات عين لا غير كشفا ويقينا وبه قال جماعة من المتكلمين وما عليه أهل السنة والجماعة أولى والله سبحانه يتولى هداك

(المبحث الخامس عشر في وجوب اعتقاد أن أسماء الله تعالى توقيفية)

فلا يجوز لنا أن نطلق على الله تعالى اسما الا ان ورد في الشرع وقالت المعتزلة يجوز لنا أن نطلق عليه الاسماء التي تليق معناها به تعالى وان لم يرد بها الشرع ومال الى ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته وليس الكلام في أسمائه الاعلام الموضوعة في اللغات وانما الخلاف في الاسماء المأخوذة من الصفات والافعال كما نبه عليه السيد في شرح المواقف وقال المولى سعد الدين في المقاصد محل النزاع ما تصف الباري جل وعلا بمعناه ولم يرد لنا الاذن به وكان مشعرا بالجلال والتعظيم من غير وهم اخلال انتهى قال الشيخ كمال الدين والقيد الاخير للاحتراز عن اطلاق ما يوهم اطلاقه أمرا لا يليق بكبرياء الله تعالى كلفظ عارف مثلا لان المعرفة قد يكون المراد بها علم تسبقه غفلة وكلفظ فقيه فان الفقه فهم غرض المتكلم من كلامه ولولا كلامه ما فهم منه شيء وذلك يشعر بسابقة جهل وكلفظ عاقل فان العقل علم مانع من الاقدام على ما لا ينبغي مأخوذ من العقال ونحو ذلك انتهى هذا ما رأيته من كلام المتكلمين وأما كلام المحققين من الصوفية فقال الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه اعلم انه لا يجوز اجماعا أن نشتق له اسما من نحو الله يستهزئ بهم ولا من نحو قوله ومكروا ومكر الله ولا من نحو قوله وهو خادعهم ولا من نحو قوله نسوا الله فنسيهم وان كان تعالى هو الذي أضاف ذلك الى نفسه في القرآن فنتلوه على سبيل الحكاية فقط أدبا معه سبحانه وتعالى ونخجل منه من حيث تنزله تعالى لعقولنا وخاطبنا بالالفاظ اللائقة بنا لا به ثم أنشد

حولها كالصبي الرضيع صلينا عليه فان الرضيع يلحق بأبيه في الحكم ومن لم يسمع منه يلحق بالدار والدار دار الاسلام وأطال في ذلك * وقال الذي أقول به وجوب الصلاة على من قتل نفسه خلافا لبعضهم في استناده الى خبر ان الذي قتل نفسه خالد مخلد في النار يعني خلود تأبيد ونحن نقول لم يرد لنا نص في النهي عن الصلاة على من قتل نفسه فيحمل الخبر على من قتل نفسه ولم يصل عليه ولا سيما والاخبار الصحاح والاصول تقضي بخروج قاتل نفسه والخبر الوارد في خلوده في النار خرج مخرج الزجر أو يحمل على قاتل نفسه من الكفار فانه لم يقل في الحديث من المؤمنين فتطرق الاحتمال واذا تطرق الاحتمال رجعنا الى الاصول فرأينا أن الايمان قوي السلطان لا يتمكن معه الخلود في النار على التأبيد الى غير نهاية والادلة الشرعية تؤخذ من جهات متعددة ويضم بعضها الى بعض ليقوي بعضها بعضا وأما حديث بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة أي قبل رؤيتي لاسيما من قتل نفسه شوقا الى ربه فان القاتل نفسه لولا ظن الراحة عند ربه ما قتل نفسه ولا بادر الى ذلك والله يقول أنا عند ظن عبدي بي قال وهذا هو اللائق أن يحمل عليه لفظ هذا الخبر الالهي اذ لا نص صريحا يخالف هذا التأويل وان ظهر فيه بعد فليعتمد الناظر في نظره من الاصول المقررة التي

ان الملوك وان جلت مناصبها * لهامع السوقة الاسرار والسمر

فعلم أن تنزل الحق تعالى لعباده من جملة عظمته وجلاله يزداد بذلك تعظيما في قلب العارف به قال تعالى ولله الاسماء الحسنى يعني الواردة في الكتاب والسنة وما ثم الا حسنى لانه لا يصح أن يكون لها مقابل انتهى وقد مر ذلك في المبحث قبله * وقال في الباب السابع والسبعين ومائة ليس لاهل الادب مع الله تعالى أن يشتقوا له اسما ولو حسنا في العرف سواء كان طريقهم الى ذلك الكشف أو النظر الصحيح * وقال أيضا في كتاب القصد لا يجوز لنا أن نسمي الله تعالى الا بما سمى به نفسه على ألسنة رسله فما أطلقه على نفسه أطلقناه وما لا فلا انما نحن به وله وقال في باب الاسرار وغيره لا يجوز أن يقال في الحق تعالى انه مصدر الاشياء وان كان له وجه بعيد الى الصحة لانه قد يفهم العاقل منه أن العالم منفصل من ذات الحق بل صرح بعضهم بذلك وهو كفر وقد ضرب بعض الخلفاء عنق من قال في شعره

قطعت الورى من نفس ذاتك قطعة * ولا أنت مقطوع ولا أنت قاطع

وقال الشيخ في كتاب القصد لا ينبغي أن يقال في الحق تعالى قديم وان كان هو بمعنى اسمه تعالى الاول ومثله الازلي والابدي قال وكذلك لا ينبغي أن يقال الحق تعالى ذو حياة وانما يقال انه تعالى حي كما ورد وذلك لقول الله تعالى خالق الموت والحياة وما خلقه تعالى لا يوصف به وكذلك لا يقال انه تعالى اخترع العالم الا بوجه ما وذلك لان العالم كله كان ثابتا في علمه تعالى قبل بروزه الى عالم الشهادة وما كان ثابتا كذلك لا يقال انه اخترعه وانما يقال ابرزه على وفق ما سبق به العلم قال وكذلك لا يقال يجوز للحق تعالى أن يفعل كذا ويجوز أن لا يفعله لان اطلاق الجواز على الله لم يرد لنا في كتاب ولا سنة ولا دل عليه عقل مع أن الجواز يفتقر الى المرجح بوقوع أحد الجائزين وما ثم فاعل الا الله وقد افتقر أهل هذه المذاهب الى اثبات ارادة حتى يكون الحق تعالى يرجح بها غير ارادته القديمة ولا يخفى ما في هذه المذاهب من الغلط لانه يصير الحق تعالى محكوما عليه بما هو زائد على ذاته وهو عين ذات أخرى انتهى وقال الشيخ محيي الدين في الباب العشرين وأربعمائة والذي نقول به ان اطلاق الجواز على الحق تعالى جائز للعارف الذي علمه الله تعالى ضرب الامثال لله تعالى وذلك لان العين المخلوقة من حيث كونها ممكنة تقبل الوجود وتقبل العدم فجائز انه يخلقها وجائز أن لا يخلقها فلا موجود ثم اذا وجدت فبالمرجح وهو الله واذا لم توجد فبالمرجح وهو الله أيضا ولا حاجة الى تكلف ارادة زائدة وبذلك يستقيم كلام أهل هذه المذاهب وان كان الادب مع الله أكمل وأتم بل أوجب انتهى (قلت) والذي ذهب اليه القلانسي وعبد الله بن سعيد أنه لا يجوز اطلاق الجواز على الله عز وجل كأن يقال يجوز أن يكون الله يفعل كذا واتفق أصحاب القلانسي وعبد الله بن سعيد على قولهم انه تعالى يجوز أن يرى نفسه وبه قال جماعة من منكري الرؤية والله أعلم (فان قلت) فهل الاولى في الادب أن تسمى الصفات أسماء كما ورد (فالجواب) نعم الاولى ذلك قال تعالى ولله الاسماء الحسنى ما قال الصفات الحسنى * وقال الشيخ في باب الاسرار من الادب أن تسمى الصفات أسماء لان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وما قال فصفوه بها فمن عرفه حق المعرفة الممكنة للعالم سماه تعالى ولم يصفه قال ولم يرد لنا خبر في الصفات لما فيها من الآفات الا ترى من جعله موصوفا كيف يقول ان لم يكن كذلك كان موقوفا وما علم من وصفه تعالى ان الذات اذا توقف كمالها على الوصف حكم عليها بالنقص الصرف وفي كلامهم من لم يكن كماله لذاته افتقر بالدليل في حصول الكمال الى صفاته وصفاته تعالى ليست عينه فقد جهل هذا القائل بالصفات كونه والمشاركة في الصفات دليل على تباين الذوات وقد قال تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون فنزه نفسه في هذه الآية عن الصفة لا عن الاسم فهو المعروف بالاسم لا بالصفة انتهى وكذلك لا يقال أدبا ان الله تعالى شيء الا في المحل الذي ورد فيه ذلك ولا ينبغي القياس وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات سمعت في بعض الهواتف الربانية ما نصه لست بشيء لاني لو كنت شيأ لحجتني الشيئية فيقع التماثل وأنا لا أماثل انتهى وكذلك لا يقال الحق تعالى بخيل وان كان هو بمعنى الاسم المانع وقس على ذلك

ما ذكرناه اه فليتامل ويحرر * وقال وجه من منع الصلاة على شهيد المعركة كونه حيا بنص القرآن كحياة زيد وعمرو ومن كان بهذه المثابة فلا يصلى عليه ووجه من قال يصلى عليه مع اعتقاده ايمانا انه حي كونه انقطع عمله فهو وان كان حيا قد انقطع عن العمل فيدعى له ليزداد في درجاته ويصير ذلك كأنه من عمله * وقال الذي أقول به في الاطفال المسبيين من أهل الحرب اذا ماتوا ولم يحصل منهم تمييز ولا عقل انه يصلى عليهم فانهم على فطرة الاسلام كما في حديث كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه قال وما قلناه أولى ممن قال لا يصلى عليهم لان الطفل مأخوذ من الطفل وهو ما ينزله من السماء غدوة وعشية وهو أضعف من الرش والوبل والسكب فلما كان بهذا الضعف كان مرحوما والصلاة رحمة فالطفل يصلى عليه اذا مات بكل وجه اه فليتامل ويحرر * وقال الوالي أولى من الولي في الصلاة على الجنازة لان النبي صلى الله عليه وسلم صلى على الجنائز ولم ينقل عنه قط انه اعتبر الولي ولا سأل عنه وقدم الحسين بن علي سعيد بن العاص وهو والي المدينة في الصلاة على الحسن بن علي قال والحاقه في هذه المسئلة بصلاة الجماعة وصلاة الجمعة أولى من

المنع

المنع كل مالم يطلقه تعالى على نفسه والله تعالى يتولى هداك

(المبحث السادس عشر في حضرات الاسماء الثمانية بالخصوص وهي الحي العالم القادر المريد السميع البصير المتكلم الباقي)

وهذا المبحث من أجل مباحث الكتاب فلنوضح كل اسم بجملة من متعلقاته تبركا بمعاني أسماء الله تعالى فنقول و بالله التوفيق اعلم يا أخي ان الاسم الحي له التقدم على سائر الاسماء فلا يمكن أن يتقدمه اسم في الظهور فهو المنعوت على الحقيقة بالاسم الاول ولذلك قال تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم فجعل اسمه تعالى الحي يلي الاسم الجامع للنعوت والاسماء و يستحيل وجود حقائق شئ من الاسماء من غير الحي وحقيقة الحي هو الذي يكون حياته لذاته وليس ذلك لاحد من الخلق انما ذلك خاص بالله تعالى وقد رأيت للشيخ كلاما في كتابه المسمى بعنقاء مغرب يتعلق بحضرات الاسماء ولسان حالها فلا بأس بذكره لك يا أخي فربما كان لم يطرق سمعك قط وهو قوله اعلم ان القدرة الالهية لم تتعلق بايجاد شئ الا بعد وجود ارادة كما انه تعالى لم يرد شيأ حتى علمه اذ يستحيل في العقل أن يريد تعالى مالم يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل مالا يريده تعالى كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حي كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها قال و يلي الاسم الحي في الظهور الاسم الباري وكأن لسان حال الاسماء الالهية حين اجتمعت بحضرة المسمى حين لا زمان قالت لبعضها بعضا نريد ظهور أحكامنا التمييز حضرات أعياننا باسمائنا وآثارنا فقال بعضهم لبعض انظروا في ذواتكم فنظر كل اسم في ذاته فلم ير الاسم الخالق مخلوقا ولا المدبر مدبرا ولا المفصل مفصلا ولا المصور مصورا ولا الرازق مرزوقا ولا القادر مقدورا ولا المريد مرادا ولا العالم معلوما * فقالوا كيف العمل حتى تظهر هذه الاعيان التي بها يظهر سلطاننا وأحكامنا فلجأت الاسماء الالهية التي يطلبها حقائق العالم الى الاسم الباري جل وعلا فقالوا له عسى توجد هذه الاعيان فتظهر أحكامنا و يثبت سلطاننا اذا الحضرة التي نحن فيها لا تقبل تأثيرنا فقال الباري ذلك راجع الى الاسم القادر فاني تحت حيطته قال وكان أصل هذا كله ان الممكنات في حال عدمها سألت الاسماء الالهية سؤال ذلة وافتقار وقالت للاسماء ان العدم قد أعمانا عن ادراك بعضنا بعضا وعن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا فلو انكم أظهرتم أعياننا وكسوتمونا حلة الوجود لانعمتم علينا بذلك وقمنا بما ينبغي لكم من الاجلال والتعظيم وأنتم أيضا كان يظهر علينا سلطانكم بالفعل فانكم اليوم علينا سلاطين بالقوة والصلاحية دون الفعل فما طلبناه منكم هو لنا ولكم فقالت الاسماء ان هذا الامر تحت حيطة المريد فلا توجد عين منكم الا باختصاصه ولا يمكننا الممكن من نفسه الا ان يأتيه الامر من ربه عز وجل فاذا أمره بالتكوين وقال كن مكننا من نفسه وتعلقنا بايجاده فكوناه من حينه * فلجؤا الى الاسم المريد عسى أن يرجح ويخصص جانب الوجود على جانب العدم فحينئذ اجتمع أنا والآمر والمتكلم ونوجدكم فلجؤا الى الاسم المريد فقالوا له انا سألنا الاسم القادر في ايجاد أعياننا فاوقف أمر ذلك عليك فما ترسم فقال المريد صدق القادر ولكن ما عندي خبر بما حكم الاسم العالم من الحكم فيكم هل سبق علمه بايجادكم فأخصص أو لم يسبق فاني تحت حيطته فسيروا اليه واذكروا قصتكم فساروا الى الاسم العالم وذكروا ما قاله الاسم المريد فقال العالم صدق المريد وقد سبق علمي بايجادكم ولكن الادب أولى فان لنا حضرة مهيمنة علينا وهي حضرة الاسم الله فلا بد من حضورنا عنده فانها حضرة الجمع فاجتمعت الاسماء كلها في حضرة الاسم الله فقال ما بالكم وهو أعلم فذكروا له الخبر فقال أنا اسم جامع لحقائقكم وأنا دليل على مسمى ذات مقدس له نعوت الكمال والتنزيه فقفوا حتى أدخل حضرة مدلولي فدخل على مدلوله وذكر له ما قالته الممكنات وما تحاورت فيه الاسماء فقال اخرج وقل لكل واحد من الاسماء يتعلق بما تقتضيه حقيقته في الممكنات فاني أنا الواحد لنفسي من حيث ذاتي و الممكنات انما تطلب مرتبتي لا حقيقتي لاني أنا الغني والمرتبة هي التي تطلب الممكنات لتظهر آثارها فيهم وجميع الاسماء الالهية للمرتبة لا لي الا الاحد خاصة فانه اسم

فهو أولى بالشفاعة عند الله في الميت فانه نائب الشارع استخلفه أعظم من نظره ونظر الشارع الى من الى غيره وكلامه أقبل عنده لكونه فوض اليه الحكم فيما ولاه * وقال في قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته انما فصل تعالى بين صلاته علينا وبين صلاة الملائكة دون صلاته تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي بيانا لخصيصه صلى الله عليه وسلم على غيره من الخلق مع انه صلى الله عليه وسلم دخل معنا أيضا في صلاة الحق في قوله عليكم فحصل له صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه جمعا وافرادا * وقال من غيرة الله تعالى انه ما من مخلوق الا ولمخلوق آخر عليه يد ونوجه ما فان أراد مخلوق الفخر على مخلوق بما أسداه اليه من الخير نكس رأسه ما كان من مخلوق آخر اليه لتكون المنة لله وحده ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للانصار لما ذكر لهم أن الله تعالى هداهم به صلى الله عليه وسلم لو شئتم لقلتم وجدناك طريدا فآويناك وضعيفا فنصرناك الحديث فذكر ما كان منهم في حقه صلى الله عليه وسلم وكان الله قادرا على نصره من غير سبب ولكن فعل ما تقتضيه الحكمة من ربط الاسباب بعضها ببعض قال وهذا من أسرار المعرفة فاجعل بالك له (وقال) في قوله تعالى في بيوت أذن الله أن

خصص بي نخرج الاسم الله ومعه الاسم المتكلم يترجم عنه للممكنات والاسماء فذكر لهم ماذكره المسمى فتعلق العالم والقادر والمريد والقائل فظهر الممكن الاول من الممكنات بتخصيص المريد وحكم العالم فلما ظهرت الاعيان والآثار في الاكوان وتسلط بعضها على بعض وقهر بعضها بعضا بحسب ما استندت اليه من الاسماء فادى ذلك الى منازعة وخصام فقالوا انا نخاف أن يفسد علينا نظام حضراتنا ونلتحق بالعدم الذي هو عدم ظهورنا كما كنا قبل * تنبهت الممكنات الاسماء بما ألقى اليها الاسم العليم والمدبر وقالوا لو كان حكمكم أيها الاسماء على ميزان معلوم وحد مرسوم بامام ترجعون اليه لحفظ علينا وجودنا وحفظ عليكم تأثيراتكم فينا لكان أصلح لنا ولكم فالجؤا كلكم الى الله حتى يقدم لكم من يحد لكم حدا تقفون عنده والاهلكنا وتعطلتم فقالوا هذا عين المصلحة وعين الرأي ففعلوا ذلك فقالوا ان الاسم المدبر هو الذي ينهى أمركم فانهوا الى المدبر الامر فقال أنا لها فدخل وخرج بامر الحق الى الاسم الرب وقال له افعل ما تقتضيه المصلحة فاتخذ وزيرين يعينانه على ما أمر به وهما المدبر والمفصل قال تعالى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون الذي هو الامام يعني الرب فانظر ما أحكم كلام الله حيث جاء بلفظ مطابق للحال الذي ينبغي أن يكون الامر عليه في نفسه فحد الاسم الرب لهم الحدود ووضع لهم المراسم لاصلاح المملكة ولنبلوهم أيهم أحسن عملا فسبحان الله رب العالمين انتهى كلامه في عنقاء مغرب وهو كلام ما طرق سمعنا قط مثله في ذلك المعنى (فان قلت) هل من الاسماء ما يكون مهيمنا على بعضها (فالجواب) نعم كما تقدم في كلام عنقاء مغرب فنقول مثلا لا يكون مريدا الا عالما ولا عالم الا حيا فصار كونه حيا مهيمنا على كونه عالما ومريدا وهكذا كل اسم يتوقف وجود أثره على وجود اسم آخر انتهى (فان قلت) فهل الاسماء الالهية تتراص بين يدي مسماها كما تتراص الملائكة بين يدي ربها (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة (فان قيل) فما أول صفوف الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين أولها الحي والى جانبه العليم ليس بينهما فراغ لاسم آخر والى جانبه العالم المريد والى جانبه القائل والى جانبه القادر والى جانبه الحكيم والى جانبه المقيت والى جانبه المقسط والى جانبه المدبر والى جانبه المفصل والى جانبه الرازق والى جانبه المحيي فهكذا صفوف الاسماء كما رأينا ذلك من طريق كشفنا (فان قيل) فهل يكون التخلق بالاسماء الالهية على حكم ترتيب صفوفها أم لا (فالجواب) نعم لا يصح التخلق باسم منها الا على ترتيب تراصها ومتى تخللها فراغ في الكون دخلت الشياطين كما تدخل بين خلل صفوف الصلاة كما ورد فربما يلتبس على الولي التخلق بما لا يوافق الاوامر الشرعية مما هو من خصائص الحق تعالى كالكبرياء والعظمة في غير محله المشروع (فان قيل) فهل بين حضرات الاسماء الالهية بون معقول أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الفتوحات ليس بين حضرات الاسماء الالهية بون معقول حقيقة لارتباط الاسماء كلها بمسماها ولكون كل اسم فيه قوة جميع الاسماء نظير خطاب الحق تعالى لنا بالباء المشعر بالبعد مع انه تعالى أقرب الينا من حبل الوريد ولكن لما كان لكل اسم حضرة تخصه ووقت يحكم في أعيان العالم ويظهر سلطانه فيه ظهر للعبد القرب من تلك الحضرات تارة والبعد منها تارة أخرى فكان كل اسم يقول بلسان حاله للعبد هلم الى حضرتي فاذا كان العبد تحت سلطان حكم الهي يعطي حكمه للعبد موافقة ما أمر به العبد أو نهي عنه فان الاسم الالهي الذي يعطي حكمه للعبد موافقة ما أمر به أو نهي عنه بعيد عن هذا المخالف في حضرة الشهود فيناديه ليرجع الى حضرته ويصغي لندائه فيكون تحت حكمه فهو لعدم الموافقة فيما أمر به ذلك الاسم بعيد ولا يخرج عبد قط عن هذا الميزان الا ان عصم أو حفظ (فان قلت) فاذن العبد أسير تحت سلطان الاسماء على الدوام (فالجواب) نعم هو أسير تحت سلطانها فلا ينقضي حكم اسم الا ويتولاه حكم اسم آخر فلا تزال الاسماء تتجاذبه ليلا ونهارا ومحال أن يترك المكلف لحظة واحدة لنفسه فاسم الرحمن يطالب مرحوما على الدوام واسم المنتقم يطلب منتقما منه على الدوام وهكذا فلا يخلو عبد من أن يكون في عمل لاحد الدارين بحكم القبضتين وما خرج عن هذا الحكم الا المعصوم أو المحفوظ كما مر والله تعالى أعلم اهـ ما فتح الله تعالى به من الكلام على اسمه تعالى الحي وتوابعه (وأما الاسم العالم)

والذكر والموعظة يسبح أي يصلي له فيها بالغدو والآصال رجال انما لم يذكر النساء لان الرجل يتضمن المرأة فان حواء جزء من آدم فاكتفى بذكر الرجال عن النساء تشريفا للرجال لا تلهيهم أي لا تشغلهم تجارة أي بيع وشراء ولا بيع أي وحده وأطال في تفاصيل ذلك * وقال في قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر انما كانت كذلك لان المصلي بمجرد الاحرام بها يحرم عليه التصرف في غير الصلاة مادام في الصلاة فنهاه ذلك الاحرام عن الفحشاء والمنكر فانتهى فصح له أجر من عمل بامر الله وطاعته وأجر من انتهى عن محارم الله في نفس الصلاة وان لم ينو هو ذلك فانظر ما أشرف الصلاة كيف أعطت هذه المسئلة العجيبة وقليل من أصحابنا من تفطن لها * وقال من تعدى الى غيره وهو محتاج اليها فهو عاص وصدقته لهو راء لا لله لان الشارع قال له ابدأ بنفسك واذا خرج الانسان بصدقته فاول ما يلقاه نفسه قبل كل نفس وهو انما خرج بها للمحتاجين وقد شرع الحق لنا أيضا ان نبدأ في الهدية بالاقرب فالاقرب من الجيران فان رجعنا الابعد فقد اتبعنا الهوى وما وفقنا عند حدود ربنا * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم في حق قوم ينصب لهم يوم القيامة منابر في

فقال الجلال المحلى محقق الزمان العالم هو الذى علمه شامل لكل ما من شأنه ان يعلم والا فتعلقات علمه تعالى غير متناهية قال تعالى أحاط بكل شئ علما وقال وأحصى كل شئ عددا وقال يعلم السر وأخفى وقال يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وقال ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فهو تعالى عالم بكل ممكن وممتنع لنا من كليات وجزئيات أما الكليات فعلى الاطلاق وأما الجزئيات فباجماع من أهل النظر واتفاق (فان قلت) كيف أجريت خلافا فى كونه تعالى عالما بالجزئيات مع صحة ما نك (فالجواب) انى أجريت تبعا للغيرى فى الاشارة الخلاف فى تعلق العلم بالجزئيات والا فانا أعتقد جزما ان الله تعالى عالم بكل شئ ولا يعزب عن علمه شئ وقد سألت عن ذلك اليهود والنصارى والمجوس والسامرة بارض مصر فكلهم قالوا لا يعزب عن علم ربنا شئ فما أدرى أين هؤلاء الذين قالوا ان الله تعالى لا يعلم الجزئيات حتى حكى عنهم الائمة ذلك ولعل من حكى ذلك عنهم أخذه من لازم مذهبهم ولازم المذهب ليس هو بمذهب على الراجح ويؤيد ما قلناه من أن الظاهر ان الائمة أخذوا ذلك من لازم مذهب قول الشيخ محيى الدين فى الباب الرابع والخمسين من الفتوحات اعلم انه لا يشك مؤمن ولا غير مؤمن فى كمال علم الله عز وجل حتى ان الذين نقل عنهم انهم قالوا لا يتعلق علمه تعالى بالجزئيات بل علمه بها مندرج فى علمه بالكليات لا يحتاج ذلك الى تفصيل فى طريق علمه بها كما هو شأن خلقه فلم يرد القائلون بمنع تعلق علمه تعالى بالجزئيات نفى العلم عنه تعالى بها مطلقا وانما قصدوا بذلك ان الحق تعالى لا يتجدد له علم نفسى بها عند التفصيل فقصدوا التنزيه فاخطؤا فى التعبير من حيث ان عباراتهم أوهمت ما أضيف اليهم من المذهب والا فهم مثبتون العلم لله تعالى انتهى (قلت) ولعل من حكم بتكفير من قال ان الحق غير عالم بالجزئيات ظن انهم كانوا مسلمين فكفرهم بهذا القول والحق انهم كانوا كافرين قبل ذلك بامور أخر كما حكاه الشيخ عنهم وقد قال فى باب الاسرار من الفتوحات ليس من وصف الكمال ان يكون فى علم الحق تعالى اجمال مع ان الاجمال فى المعانى محال وانما محل الاجمال الالفاظ والاقوال انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ونحوهما من الآيات فان ظاهر ذلك يقتضى ان الحق تعالى يستفيد علما بوجود المحدثات (فالجواب) ان هذه مسئلة اضطرب فى فهمها فحول العلماء ولا يزيل اشكالها الا الكشف الصحيح وقد قال الشيخ فى الباب الرابع عشر وخمسمائة من الفتوحات اعلم انه ليس وراء الله مرمى وما وراءك أيضا مرمى لانك معلوم علمه تعالى وبك كمل الوجود فهو حسبك كما انك حسبه ولهذا كنت آخر موجود ولولا انك مقصود ولولاك لما كنت مقصودا فصح حدوثك ولولا ما كان علمك به معد وما صح ان تريد العلم به وهذا من أعجب ما فى الوجود واشكله على العقول كيف يكون من أعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسه الا بك فان الممكنات أعطت الحق تعالى العلم بنفسها ولا يعلم شئ منها نفسه الا بالحق تعالى فلهذا قلنا ان الوجود حسبك كما انك حسبه لانه الغاية التى اليها ينتهى وما ثم بعده الا أنت ومنك علمك وما بقى بعدك الا المحال وهو العدم المحض انتهى وهذا الموضع مما فى الفتوحات أشكل منه وقد نقلته بحروفه ليوضحه علماء الاسلام والله تعالى أعلم * وقال فى الباب الثانى والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الخبير اعلم يا أخى ان الخبير هو الذى حصل العلم بعد الابتلاء وهذا ما يقتضيه ظاهر اللفظ من قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وجل الله تعالى عن هذا الاقتضاء بل هو تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه ولكنه تعالى نزل نفسه منزلة من يستفيد علما كما تنزل لعقولنا فى آية الاستواء وفى النزول الى سماء الدنيا ونحو ذلك مع ان ذلك ينافى صفات التنزيه انتهى وقال الشيخ أيضا فى باب الاسرار فى قوله ولنبلونكم حتى نعلم اعلم ان من علم الشئ قبل كونه فى علمه من حيث كونه وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان العلم يتغير بتغير المعلوم ولا يتغير المعلوم الا بالعلم فقولوا لنا كيف الحكم هذه مسئلة حارت فيها العقول وما ورد فيها منقول * وقال فى معنى هذه الآية فى موضع آخر من هذا الباب * اعلم ان العالم ان يتجاهل وعن الجاهل يتغافل مع انه ليس بغافل لينظر هل يؤمن عبده بما أضافه الى نفسه أم يتوقف * وقال فى موضع آخر ن استفهمك فقد أقر لك بأنك عالم بما استفهمك عنه وقد يقع الاستفهام من العالم ليختبر به من فى قلبه ريب

الموقف ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء المراد بالشهداء هنا الرسل اذ هم شهداء على أممهم وانما كانوا يغبطون هؤلاء القوم لما هم فيه من الراحة وعدم الحزن والخوف فى ذلك الموطن لانهم لم يكن لهم أمم ولا اتباع كالانبياء والرسل والائمة المجتهدين فهم آمنون على أنفسهم والانبياء والائمة خائفون على أممهم واتباعهم فاذلك ارتفع الخوف والحزن عن هؤلاء القوم فى ذلك اليوم فى حق غيرهم والانبياء تخاف على أممها دون أنفسها قال وهذه مسئلة عظيمة الخطب جليلة القدر لم نر أحدا ممن تقدمنا تعرض لها ولا قال فيها مثل ما قلنا الان كان وما وصل الينا * وقال فى الباب السبعين فى أسرار الزكاة فى قوله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن هنا هو صدقة التطوع فورد الامر بالقرض لله كما ورد باعطاء الزكاة وأطال فى الاستدلال على ذلك ثم قال والزكاة المفروضة والصدقة لفظان بمعنى واحد قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقال انما الصدقات للفقراء والمساكين فسماها صدقة لكن الواجب منها يسمى زكاة وصدقة وغير الواجب منها يسمى صدقة التطوع ولا يسمى زكاة شرعا أى لم يطلق عليه الشرع هذه اللفظة مع وجود المعنى فيها من النمو والبركة والتطهير والحق انما سماها الله صدقة تنبيها على انها أمر شديد على النفس تقول العرب رمح

فيمتاز من يعلم ربه عند نفسه ممن لا يعلمه نظيره يا أيها الذين آمنوا آمنوا فهذا مؤمن أمر أن يؤمن بما هو به مؤمن وقال فى موضع آخر من باب الاسرار من أعجب ما فى البلاء من الفتن قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وهو العالم بما يكون منهم فافهم واذا فهمت فاكتم واذا سئلت فقل لا أعلم فاعلم أن الفتنة اختبار فى البصائر والابصار * وقال فى موضع آخر منه لما أخبر الله تعالى ان العلم انتقل اليه من الكون بقوله حتى نعلم سكت العارف على ذلك وما تكلم وتأول عالم النظار هذا القول حذرا مما يتوهم ومرض قلب المتشكك وتألم وشربه العالم بالله تعالى ولكنه تكتم فقال مثل قول الظاهرى الله أعلم فالولى الكامل علم والمحدث سلم فالحمد لله يا أخى الذى علمك مالم تكن تعلم وأطال فى ذلك ثم قال فقد علمت ان العلم المستفاد للعليم يعرف وجوب الايمان به الحادث والقديم وان عاندت فى ذلك فتأمل فى قوله حتى نعلم وبما حكم الحق تعالى به على نفسه فاحكم بذلك ايمانا ولا تنفرد قط بعقلك دون نقلك فان التقييد فى التقليد وعلم الحق لنا قد يكون معلوما وأما علمه تعالى بنفسه فلا يعلمه أحد لعلو قدسه وهو قول عيسى عليه الصلاة والسلام ولا أعلم ما فى نفسك فانى لست من جنسك اه كلام الشيخ فى باب الاسرار فتأمله * وقال فى الباب الرابع وأربعمائة اعلم أن من أشكل العلوم اضافة العلم الى المعلومات والقدرة الى المقدورات والارادة الى المرادات وذلك لانه يوهم حدوث التعلق اعنى تعلق كل صفة بمتعلقها من حيث العالم والقادر والمريد فان المعلومات والمقدورات والمرادات لا افتتاح لها فى العلم اذ هى معلوم علمه تعالى فهو محيط علما بانها لا تتناهى قال ولما كان الامر على ما أشرنا اليه وعثر على ذلك من عثر من المتكلمين كابن الخطيب قال بالاسترسال المعبر عنه عند قوم بحدوث التعلق وقال تعالى فى هذا المقام حتى نعلم وأنكر بعض القدماء تعلق العلم الالهى بالتفصيل لعدم التناهى فى ذلك ولكون ذلك غير داخل فى الوجود المحصور واضطربت عقول العلماء فى هذه الآية لاضطراب أفكارها قال الشيخ وأما نحن فقد رفع الكشف عنا الاشكال فى هذه المسئلة فألقى تعالى فى قلوبنا أن العلم نسبة بين العالم والمعلومات وما ثم واجب الوجود غير ذات الحق تعالى وهى عين وجوده وليس لوجوده افتتاح ولا انتهاء فيكون له طرف لان نفى البدء والنهاية من جملة درجاته الرفيعة التى ارتفع بها عن خلقه قال تعالى رفيع الدرجات ومعلوم أن المعلومات هى متعلق وجوده تعالى فتعلق ما لا يتناهى موجودا بما لا يتناهى معلوما ومقدورا ومرادا فتفطن يا أخى لذلك فانه أمر ما أظنه طرق سمعك قط فان الحق تعالى لا يتصف بالدخول فى الوجود المحصور فيتناهى اذ كل ما دخل فى الوجود متناه والبارى تعالى هو الوجود الحقيقى فما هو داخل فى هذا الوجود لان وجوده عين ماهيته بخلاف ما سواه فان منه ما دخل فى الوجود فتناهى بدخوله فيه ومنه مالم يدخل فى الوجود فلا يتصف بالتناهى وعلى هذا تأخذ المقدورات والمرادات والله تعالى أعلم (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على سبب بدء العالم الذى هو تأثير الاسماء فى الممكنات كما مر من أن الخالق يطلب مخلوقا والرازق يطلب مرزوقا وهكذا (فالجواب) ان هذا من علم سر القدر وعلم القدر انما هو خاص بأفراد من كمل الورثة المحمديين * قال الشيخ محيي الدين فى الباب الرابع من الفتوحات اعلم أن أكثر العلماء بالله تعالى ليس عندهم علم بسبب بدء العالم الا تعلق العلم القديم أزلا بايجاده فكون تعالى ما علم أنه سيكون وهنا انتهى علمهم وأما نحن فاطلعنا الله تعالى على ما فوق ذلك من طريق الوهب وهو أن الاسماء الالهية المؤثرة فى هذا العالم وهى المفاتح الاول التى لا يعلمها الا هو قال الشيخ ولا أدرى أعطى الله ذلك لاحد من أهل عصرنا أم خصنا به من بينهم انتهى (فان قلت) فما معنى سبق الكتاب فى حديث ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فانه تعالى ما كتب الا ما علم ولا علم الا ما شهد من صور المعلومات على ما هى عليه فى أنفسها سواء ما يتغير منها وما لا يتغير فهو تعالى يشهدها كلها فى حال عدمها على تنوعات تغيراتها الى ما لا يتناهى فلم يوجدها الا على ما هى عليه فى علمه تعالى واذا تعلق علمه تعالى بالاشياء كلها معدومها وموجودها وواجبها وممكنها ومحالها فما ثم على ما قلناه كتاب يسبق (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى عشر وأربعمائة أن معنى سبق الكتاب انما يكون باضافة الكتاب الى ما يظهر به ذلك الشئ

صدق أى صلب شديد قوى اذا النفس تجد لاخراج هذا المال شدة وحرجا كما قال ثعلبة بن حاطب وأطال فى ذلك * ثم قال ولو ان ثعلبة قال حين قال لئن آتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ان شاء الله تعالى لفعل ولم يبخل قال وانما لم يأخذها منه النبى صلى الله عليه وسلم لاخبار الله تعالى ان ثعلبة يلقاه منافقا والصدقة تزكى وتطهر من اخرجها والمنافق لا يطهر ولا يزكى فلهذا لم يتمكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها منه وكذلك لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر رضى الله عنهما فلما ولى عثمان رضى الله عنه أخذها منه متأولا وقال انها حق الاصناف الذين أوجب الله تعالى لهم هذا القدر فى عين هذا المال قال الشيخ وهذا الفعل من جملة ما انتقد على عثمان رضى الله عنه ولا ينبغى الانتقاد عليه لانه مجتهد فعل ما اداه اليه اجتهاده وقد قرر الشرع حكم المجتهد ولم ينه رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من امرائه أن يأخذ من هذا الشخص صدقته ولا يلزم غير النبى صلى الله عليه وسلم أن يطهر ويزكى مؤدى الزكاة فهو يأخذها للامر العام باعطائها وان كان ذلك لا يطهر المتصدق والله أعلم * وقال فى قوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم انما تخصيص الكى بهذه الثلاثة أعضاء والله أعلم لان السائل اذا رآه صاحب المال مقبلا اليه انقبضت أسارير جبهته

الذى

الذى تعلق به العلم الى حضرة الوجود على الهيئة التى كان الحق تعالى يشهده عليها حال عدمه فهذا سبق بالكتاب على الحقيقة فان الكتاب سبق وجود ذلك الشئ قال الشيخ ولا يطلع على هذا ذوقا الا من أطلعه الله تعالى من طريق كشفه على الكونين قبل ظهور تكوينهما كما تقدم فى ز ؤ بالانسان أن الساعة قد قامت والحق تعالى يحكم فيها فصاحب هذا الكشف هو الذى يشهد الامور قبل تكوينها فى حال عدمها فمن كان له هذا العلم سبق هو الكتاب فهو لا يخاف سبق الكتاب عليه وانما يخاف من حيث كون نفسه سبقت الكتاب اذا الكتاب ما سبق عليه الا بحسب ما كان هو عليه من الصورة التى ظهر فى وجوده عليها فليسلم العبد نفسه ولا يعترض على الكتاب قال ومن هنا ان علقت وصف الحق تعالى نفسه بأن له الحجة البالغة لو نوزع فان من المحال ان يتعلق العلم الالهى الا بما هو المعلوم عليه فى نفسه فلو أن أحدا احتج على الله تعالى وقال قد سبق علمك بأن أكون على كذا فلم تؤاخذنى لقال الحق تعالى وهل علمتك الا على ما أنت عليه فلو كنت على غير ذلك لعلمتك على ما تكون عليه ولذلك قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم فارجع الى نفسك وأنصف فى كلامك فاذا رجع العبد الى نفسه وفهم ما قررناه علم أنه محجوج وان الحجة لله تعالى عليه بل بصيره هو يقيم لله على نفسها الحجة أدبا معه تعالى ومن هذا يعلم معنى قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ونحوها من الآيات يعنى فان علمنا ما تعلق بهم حين علمناهم فى القدم الا بما ظهروا به فى الوجود من الاحوال لا تبديل لخلق الله وسيأتى بسط ذلك فى المبحث الخامس والعشرين فى بيان ان لله الحجة البالغة (فان قلت) فعلى ما قررتموه فبماذا يتميز الحق تعالى فى الرتبة على المخلوق (فالجواب) أن الحق تعالى يتميز بالرتبة على المخلوق فانه تعالى خالق والعالم مخلوق قال الشيخ محيى الدين بعد ذكره هذا الجواب وهذا يدلك على أن العلم تابع للمعلوم ما هو المعلوم تابع للعلم قال وهى مسئلة دقيقة ما فى علمى ان أحدا نبه عليها من أهل الله تعالى الا ان كان وما وصل الينا وما من أحد اذا تحققها يمكنه انكارها وفرق بين كون الشئ موجودا فيتقدم العلم وجوده وبين كونه على هذه الصورة فى حال عدمه الازلى له فهو مساو للعلم الالهى ولا يعقل بينهما بون الا بالرتبة انتهى قال الشيخ ولو لم يكن فى كتاب الفتوحات الا هذه المسئلة لكانت كفاية فى شرف الكتاب ويؤيد ما قررناه هنا فى هذا الموضع ما ذكره فى الباب الثامن وخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى العليم وهو قوله اعلم أن مسمى العلم ليس سوى تعلق خاص بالعالم وهو نسبة تحدث لهذه الذات من المعلوم اذ العلم متأخر عن المعلوم لكونه تابعا له هذا تحقيقه فحضرة العلم على التحقيق هى المعلومات وهى نسبة لا يصح رفعها فى مشهد أحد من الاكابر ولو ارتفعت رتبته فهى متصلة بين العالم والمعلوم وليس للعلم عند المحقق أثر فى معلوم أصلا لتأخره عنه عقلا فانك تعلم المحال محالا ولا أثر لك فيه من حيث علمك به ولعلمك فيه أثر والمحال بنفسه أعطاك العلم به أنه محال فمن هنا يعلم أن العلم لا أثر له فى المعلوم بخلاف ما يتوهمه أصحاب النظر فقد ظهر لك ان ايجاد أعيان الممكنات صدر عن القول الالهى كشفا وشرعا وصدر عن القدرة الالهية عقلا وشرعا لا عن العلم فيظهر الممكن فى عينه فيتعلق به علم الذات العالمة به ظهورا كما تعلقت به معدوما اهـ (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وهو بكل شئ عليم هل عليم بمعنى عالم أو بمعنى معلوم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والستين وثلثمائة ان بنية فعيل ترد بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول كقتيل وجريح وأما قوله تعالى هنا عليم فهو بمعنى عالم وبمعنى معلوم معا فان الباء فى قوله بكل شئ بمعنى فى فهو تعالى فى كل شئ معلوم وبكل شئ محيط أى له فى كل شئ احاطة بما هو ذلك المعلوم عليه وليس ذلك الا لله ولمن أعلمه الله قال والاصل فى ذلك كله ان الفارقية هل هى أصلية فى الكون ثم جلناها الى الحق تعالى جلا شرعيا أوهى فى حق الحق بحسب ما ينبغى لجلاله وظهرت فى العالم بالفعل كما فى قوله فى الحديث المعبر به أن الله اهـ فتأمل فى هذا المحل وحرره والله يتولى هداك (خاتمة) ذكر سيدى على بن وفا رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى أحاط بكل شئ علما ما نصه كل ما كان من صفاتك فهو فى الاصل علمه تعالى فوهمك علمه وحسبانك علمه وتخيلك علمه وفكرك علمه وتعقلك علمه وقولك علمه واختيارك علمه وعلى هذا فقس فانه تعالى ان لم يكن كل ما هو شئ معلوم لم تتم له تعالى هذه الاحاطة

لعلمه انه جاء يسأله من ماله فتكوى جبهته ثم ان المسؤل يتغافل عن السائل ويعطيه جانبه كأنه ما عنده منه خبر فيكوى بها جنبه فاذا عرف من السائل انه يطلب منه ولا بد أعطاه ظهره وانصرف فهذا حكم مانعى زكاة الذهب والفضة وأطال فى ذلك * ثم قال ونرجو من فضل الله تعالى أن يضاعف الاجر لمن أخرج صدقته بمشقة على نفسه فيكون له أجر المشقة وأجر الاخراج كما ورد فى الذى يتتعتع عليه القرآن انه يضاعف له الاجر للمشقة التى تناله فى تحصيله ودرسه فله أجر المشقة وأجر التلاوة قال ولا يخفى ان الذى يخرجها بغير مشقة أكثر مضاعفة بما لا يقاس ولا يحد * وقال فى قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه والله لو منعونى عقالا الحديث اعلم ان العقل مأخوذ من عقال الدابة وان كان على الحقيقة عقال الدابة مأخوذا من العقل لان العقل متقدم على عقال الدابة فانه لولا ما عقل ان هذا الحبل اذا شدت به الدابة قيدها عن السراح ما سماه عقالا * وقال الذى أقول به ان الزكاة لا تجب على الكافر ومع ذلك ان جاء بها الينا قبلناها منه وجعلناها فى بيت مال المسلمين ومن ردها عليه فقد عصى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال الذى أقول به انه لا يجب على المالك اخراج الزكاة عن ماله الذى هو فى ذمة الغير وهو الدين حتى يقبض ويمر عليه حول وهو فى يد القابض * وقال زكاة العلم تعليمه فمن جاءه طالب صادق متعطش فسأله عن مسئلة هو بها جاهل

العلية والله تعالى أعلم (وأما الكلام على الاسم القادر) فقال المتكلمون القادر هو من كانت قدرته شاملة لكل ما من شأنه أن يقدر عليه من الممكن خاصة بخلاف الممتنع وانما عبروا بقولهم لكل ما من شأنه أن يقدر عليه لينبهوا على أن متعلقات قدرته لا تتناهى وان كان كل ما تعلقت به بالفعل متناهيا فتعلقاتها بالقوة غير متناهية وبالفعل متناهية (فان قلت) فهل يقال ان الحق تعالى يتصف بالقدرة على نفسه أو الارادة لوجوده (فالجواب) ذلك ممتنع والسؤال مهمل لانه واجب الوجود لذاته والارادة متعلقها العدم لتوجده وتعالى الله عن ذلك (فان قلت) فما معنى قوله تعالى ان الله على كل شئ قدير فانه تعالى أثبت الشئ الذي هو قدير عليه فما بقي لقدرته متعلق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الموفي تسعين من الفتوحات المراد بالشئ الذي هو قدير عليه ما تعلق به علمه القديم فتتعلق به القدرة فتوجده في عالم الحس فهو قدير على كل شئ تعلقت به ارادته مما تضمنه علمه القديم وايضاح ذلك ان كل من علم استحالات الاعيان في الاعيان وتقلب الخلق في الاطوار علم ان الله على كل شئ قدير لا على ما ليس بشئ في علمه فان لا شئ لا يقبل الشيئية اذ لو قبلها ما كانت حقيقته لا شئ ولا يخرج معلوم عن حقيقته أبدا فلا شئ محكوم عليه بأنه لا شئ بعده أبدا وما هو شئ محكوم عليه بأنه شئ أبدا انتهى (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على صورة تعلق القدرة بالمقدور حالة الايجاد أو هو من سر القدر الذي لا يطلع عليه الا الله (فالجواب) كما قاله الشيخ في شرحه لترجمان الاشواق ان ذلك من سر القدر وسر القدر لا يطلع عليه الا الافراد قال وقد أطلعنا الله تعالى عليه ولكن لا يسعنا الافصاح عنه لعلة منازعة المحجوبين فيه قال تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء فادخله تحت المشيئة وذلك لنا بحكم الوراثة المحمدية فان الله تعالى قد طوى علم سر القدر عن سائر الخلق ماعدا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ورثه فيه كأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم سأله يوما أتدري يوم لا يوم فقال أبو بكر رضي الله عنه نعم ذلك يوم المقادير أو كما قال كما تكلمنا عليه في عدة أماكن من مؤلفاتنا انتهى (فان قلت) فهل يقال ان قدرة الحق تعالى تتعلق بايجاد المحال كتجسد المعاني وايجاد شخص في مكانين أو أمكنة في آن واحد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثمانين ومائتين أن قدرة الله تعالى مطلقة فله ايجاد المحالات العقلية وأطال في ذلك * وقال في كتابه الواضح في قول الامام حجة الاسلام ليس في الامكان أبدع مما كان قد شنع الناس على الامام بسبب هذه المقالة ومعناها في غاية الوضوح وذلك انه ما ثم الا رتبتان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والمخلوق له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث ولا يصح أن يخلق الحق تعالى قديما أبدا اهـ * وقال في الباب الثامن من الفتوحات في شأن المدائن التي خلقها الله تعالى من بقية خميرة طينة آدم عليه الصلاة والسلام قد دخلت هذه الارض وشاهدت فيها المحالات العقلية وكل ما أحاله العقل بدليله وجدته ممكنا في هذه الارض قد وقع فعلمت بذلك قصور العقل وان الله تعالى قادر على الجمع بين الضدين ووجود جسم في مكانين وقيام العرض بنفسه وانتقاله وقيام المعنى بالمعنى قال وكل آية أو حديث ورد عندنا وصرفه العقل عن ظاهره وجدناه على ظاهره في هذه الارض وأطال في ذلك فليتأمل والله تعالى أعلم

(وأما الكلام على الاسم المريد تعالى) فاعلم أن المريد هو الذي تتوجه ارادته على المعدوم فتوجده فما علم تعالى انه يوجده أراده فأوجده وما علم أنه لا يوجده فلا يريد وجوده فالارادة تابعة للعلم فعلم ان القدر خيره وشره كائن بارادته وهو ايجاد الاشياء على قدر مخصوص وتقدير معين في ذوات الاشياء وأحوالها وغير ذلك هذه عبارة مصنفي العقائد من الاشاعرة وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب الثلاثين وثلثمائة اعلم أن القضاء سابق على القدر حتى في اللفظ فيقولون القضاء والقدر والقضاء هو ارادته تعالى الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه فيما لا يزال وأما القدر فهو تعيين الوقت الواقع فيه المقدرات على العباد من الحق تعالى فالقضاء حاكم القدر فهو يحكم في القدر ولا عكس والمقدر هو الموقت والقدر هو التوقيت انتهى * وقال في الباب الثالث عشر وأربعمائة فان قيل فهل يجب الرضا بالمقضي كالقضاء (فالجواب) الذي عليه أهل السنة والجماعة

وجب عليه تعليمه كوجوب الزكاة بكمال الحول والنصاب فان لم يعلمه ماساه فيمن العلم فلابد أن الله تعالى يسلب العالم تلك المسئلة ولو بعد حين حتى يبقى جاهلا بها فيطلبها في نفسه فلا يجدها عقوبة له * وقال المستحب أن يقدم في العطاء من الاصناف الثمانية من قدمه الله في الذكر قياسا على البداءة في الطواف بالصفا وكذلك كل شئ قدمه الله في الذكر نحو هو الذي يسيركم في البر والبحر ومن التزم ذلك رأى خيرا في جميع أحواله * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم المعتدي في الصدقة كمانعها أي لان تكليف النفس ما لا تسمح ينفرها عن فعله مرة أخرى فكان مانعا له من الخير في عين ما أراده من الخير * وقال في قول أحد الملكين اللهم أعط منفقا خلفا وقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا اعلم أن الملائكة لسان خير صرف فمعنى قول الملائكة اللهم أعط ممسكا تلفا أي مثل ما أعطيت فلانا المنفق حتى أتلف ماله الذي كان عنده فخلفه عليه كما أخلفته على المنفق كأنه يقول اللهم ارزق الممسك الانفاق حتى ينفق وان كنت يارب بما لم تقسم له أن ينفقه باختياره فاتلف ماله حتى تأجره فيه أجر المصاب فيصيب خيرا فهو دعاء له بالخير لا كما يظنه من لا معرفة له بمراتب الملائكة فان الملك لا يدعو قط على احد بشر ولاسيما في حق المؤمن قال ولاشك ان دعاء المؤمن مجاب لوجهين الاول لطهارته والثاني انه دعاء في حق الغير بلسان

انه

انه يجب الرضا بالقضاء لا بالمقضى (وايضاح ذلك) ان الله تعالى لما أمرنا بالرضا بالقضاء مطلقا علمنا أنه يريد الاجمال فانه اذا فصله انقسم الى ما يجوز لنا الرضا به والى ما لا يجوز وأما القدر فهو توقيت الحكم فكل شئ بقضاء وقدر أي بحكم موقت فمن حيث التوقيت المطلق يجب الايمان بالقدر خيره وشره ومن حيث التعيين يجب الايمان به لا الرضا ببعضه وصورة الايمان بالشر أن يؤمن العبد بانه شر كما يؤمن بالخير انه خير لكن لا يضاف الى الله تعالى أدبا كما أشار اليه خبر والشر ليس اليك انتهى فعلم أنه تعالى فعال لما يريد فهو المريد للكائنات في عالم الارض والسموات كما مر بسطه فالكفر والايمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وارادته فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه اذهو القائل وما تشاؤن الا أن يشاء الله (فان قلت) فهل يطلق على الارادة مشيئة وعكسه أو بينهما خصوص وعموم (فالجواب) الذي عليه الجمهور انه يطلق على الارادة مشيئة وعكسه وقال بعضهم الارادة أخص من المشيئة والمشيئة أعم لان المشيئة تتعلق بالايجاد والاعدام والارادة لا تتعلق الا بايجاد الممكنات فتعلقها العدم الاضافي فتتوجه عليه فتوجده فالمشيئة لها الاطلاق لانها توجد وتعدم قال تعالى انما أمره أي مشيئته اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وقال تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد فهي أعم من الارادة من هذا الوجه انتهى والحق الاول لان من خصائص صفات الحق تعالى أن كل صفة تفعل فعل أخواتها بخلاف صفات الخلق لا تتعدى صفة منها ما قيدها الحق تعالى به هذا ما عليه أهل الكشف وخالف في ذلك بعض المتكلمين فقالوصفات الحق تعالى لا تتعدى مراتبها فلا يسمع تعالى بما به يبصر وقس على ذلك (فان قيل) فهل فرق بين الرضا والمحبة أوهما بمعنى (فالجواب) انهما بمعنى وموضوعهما من الله تعالى انهما لا يكونان الا في فعل محمود شرعا فهما غير المشيئة والارادة لانه قد يكون المشاء والمراد بهما محمودا كالطاعة والايمان وقد يكون مذموما كالكفر والعصيان فلا يرضى لعباده الكفر مع وقوعه من بعضهم بمشيئة الله ولو شاء ربك ما فعلوه وقالت المعتزلة الرضا والمحبة نفس المشيئة والارادة لان صفات الحق تعالى كلها كاملة فكل صفة تفعل فعل أخواتها بخلاف صفات الخلق انتهى وهذا الذي قاله المعتزلة صحيح ان حملنا مرادهم على الكلام من حيث الكمال الالهي وأما ان حملناه على الكلام من حيث الاوامر والنواهي فليس بصحيح لان به تصير المأمورات في رتبة المنهيات وذلك خروج عن الشريعة (فان قلت) فما الفرق بين الارادة والشهوة المتعلقتين بالخلق (فالجواب) الفرق بينهما ان الارادة صفة الهية في الاصل ومتعلقها كل مراد للنفس أو العقل ولو غير محبوب للشارع وأما الشهوة فهي صفة طبيعية خاصة بما فيه لذة للنفس قاله الشيخ في الباب التاسع ومائة (فان قلت) فهل الارادة صفة للذات على مذهب الجمهور وغيرهم أم هي على مذهب بعضهم (فالجواب) قد خالف في ذلك بعضهم فقال ليست الارادة صفة للذات على مذهب نفاة الزائد ولا صفتها على مذهب من يقول انها زائدة وبه قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات في الباب الثامن وخمسين وخمسمائة فقال الصحيح عندي ان الارادة تعلق خاص للذات أثبته الممكن لامكانه في القبول لاحد الامرين على البدل فانه لولا معقولية هذين الامرين ومعقولية القبول من الممكن ما ثبت للارادة ولا للاختيار حكم ولا ظهر لذلك اسم انتهى (فان قلت) فاذا كان الشر والمعاصي من الله فكيف تبرأ سبحانه وتعالى منها بقوله ان الله لا يأمر بالفحشاء (فالجواب) ان الادب أن يقال في الشر قضاه وقدره ولا يقال أمر به وان كانت الارادة أقوى في النفوذ من حيث انه لا يمكن لاحد عصيانها بخلاف الامر فانه يعصى بارادة الله تعالى وأيضا فان الامر موضوع تسميته انما هو للطرف الراجح في الخير ففيه الحث على الفعل ولا هكذا الارادة ولو قيل ان الله تعالى يأمر بالفحشاء لصارت من قسم المأمورات ولم يبق للمناهي في الوجود أثر فلذلك تبرأ الحق تعالى من الفحشاء وأضاف الامر بها الى النفس والشيطان * وقال الشيخ محيي الدين في عقائده الوسطى اعلم أنه يصح أن يقال كما أنه تعالى لم يأمر بالفحشاء كذلك لا يقال انه يريدها فيقال قضاها وقدرها ولا يقال أرادها ثم قال بيان كونه تعالى لا يريدها أن كونها فاحشة ما هو عينها وانما هو حكم الله فيها وحكم الله في الاشياء غير مخلوق كالقرآن العظيم سواء وما يجري عليه الخلق لا يكون مرادا للحق اذ الارادة

لم يعص الله به وهو لسان الملك واطال في ذلك * وقال في حديث الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء اعلم ان غضب الله يحمل على الوجه الذي يليق به فان الغضب الذي خاطبنا به معلوم عندنا بلا شك ولكنا جهلنا النسبة خاصة لجهلنا بالمنسوب اليه لا بالمنسوب الذي هو الغضب قال ولا ينبغي أن يحمل على معنى لا نفهمه لانه يؤدي الى ان الحق تعالى خاطبنا بما لا نفهم فلا يكون له أثر فينا ولا موعظة والمقصود الافهام بما نعلم لنتعظ به * قال وأما ميتة السوء فهو ان يموت الانسان على حالة تؤديه الى الشفاعة اذ الحق تعالى لا يغضب الا على شقي * وقال في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون يدخل في ذلك انفاق العبد قواه في سبيل الله فان نفسه أحب الامور اليه فمن أنفقها في سبيل الله فله الجنة * وقال طلب العبد الاجر من الله لا يخرجه عن عبوديته فانه العبد في صورة أجير ما هو أجير اذ الاجير حقيقة من استؤجر وهو أجنبي والسيد لا يستأجر عبده وانما العمل يقتضي الاجرة ولكن أخذها لا يتصور من العمل وانما يأخذها العامل الذي هو العبد وهو قابض الاجرة من سيده فاشبه الاجير في قبضه الاجرة وفارقه بالاستئجار فليتأمل * وقال في قوله تعالى واما السائل فلا تنهر يدخل فيه السائل في العلم اذا كان أهلا لما يسأله فيتصدق العالم عليه بالعلم

لا تتوجه الا على معدوم لتوجده قال فان ألزمناذلك في جانب الطاعات التزمناه وقلنا الارادة للطاعة ثبتت مع الاعقلا فاثبتوها في الفحشاء ونحن قبلناها في الطاعات ايمانا كما قبلنا وزن الاعمال مع كونها اعراضا فلا يقدح ايماننا بها فيما ذهبنا اليه لما اقتضاه الدليل انتهى وهو كلام دقيق فليتأمل و يحرر فعلم مما قررنا أن الهداية والضلال والتوفيق والخذلان بيد الله لا بيد العبد وكذلك اللطف والطبع والختم والاكنة على القلوب بيد الله لا بيد العبد وكذلك الران والوقر والصمم والقفل الواردة في القرآن كلها بيد الله تعالى لا بيد العبد ولنفسر لك معاني هذه الامور فنقول و بالله التوفيق * أما الهداية والاضلال فالمراد بهما خلق الايمان والكفر في العبد وهذا مذهب أهل السنة وقالت المعتزلة ان الهداية والاضلال بيد العبد بناء على قولهم ان العبد يخلق أفعال نفسه وذلك مما أخطأ فيه المعتزلة كل الخطا فان الحس يكذبهم فضلا عن الادلة الشرعية ولو أن العبد يخلق أفعال نفسه كما زعموا لم يفته مطلوب من أغراضه ولم يفعل ما يسوءه قط * وأما التوفيق فقال جمهور المتكلمين ان المراد به خلق قدرة الطاعة في العبد مع الداعية وقال امام الحرمين هو خلق الطاعة فقط أي لا مع الداعية لعدم تأثيرها * وأما الخذلان فهو خلق قدرة المعصية في العبد مع الداعية اليها * وقال امام الحرمين هو خلق قدرة المعصية على وزان الطاعة كما مر وكان الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله يقول اذا رأيت لوائح تبرق لك من خلف حجاب الخذلان من كثرة استعمالك للمباح وخفت أن ينتقل ذلك الى المكروه فتضرع الى الله ان يخلق فيك الكراهية لذلك المباح والا هلكت * وأما اللطف بالعبد فهو ما يقع عنده صلاح العبد آخرة بان تقع منه الطاعة دون المعصية على وجه العصمة منها ان كان نبيا أو على وجه الحفظ ان كان وليا وأما الختم والطبع فالمراد بهما واحد كما قاله الاصوليون وهو خلق الضلال في العبد الذي هو الاضلال وأما الكن فالمراد به كما قاله الشيخ في الباب الثامن عشر وأربعمائة أن يكون العبد في بيت الطبيعة مشغولا بامه التي هي النفس ما عنده خبر من أبيه الذي هو الروح فلا يزال هذا في ظلمة الكن وهو حجاب الطبيعة المشار اليه بقول الكفار ومن بيننا وبينك حجاب ومعلوم أن من كان في حجاب كن وظلمة فلا يسمع كلام الداعي الى الله ولا يفهم على وجه الانتفاع به * وأما الوقر المشار اليه بقوله تعالى وفي آذاننا وقر فالمراد به ثقل الاسباب الدنيوية التي تصرفه عن الاشتغال بما ينفعه في الآخرة * وأما الران المشار اليه بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم فالمراد به صدأ وطخا يطلع على وجه مرآة القلب وقد يحدث من النظر الى ما لا يحل النظر اليه من شهوات الدنيا وجلاء ذلك الصدا والطخا يكون بكثرة الذكر وتلاوة القرآن * وأما الصمم فالمراد به حصول قساوة في القلب تمنعه من الاصغاء الى كلام داعي الشرع * وأما القفل فهو لاهل الاعتذار يوم القيامة من الكفار وان لم ينفعهم الاعتذار فيقولون يا ربنا انا لم نقفل على قلوبنا هذا القفل وانما وجدناها مقفلا عليها ولم نعلم من قفلها وقد طلبنا الخروج نخفنا يا رب من فك ختمك وطبعك عليها فبقينا ننتظر الذي أقفل عليها عسى يكون هو الذي يتولى فتحها لم يكن بأيدينا من ذلك شيء قال الشيخ محيي الدين وكان عمر بن الخطاب من أهل الاقفال فتولى الله تعالى فتح قفله فشيد الله به الاسلام رضي الله تعالى عنه فتأمل هذه التفاسير فانك لا تكاد تجدها مجموعة في كتاب والله يتولى هداك (فان قلت) فاذا كان بيده تعالى ملكوت كل شيء وان كل واقع في الوجود بارادته ومشيئته فاثابته على الطاعة فضلا منه وعقابه للعباد على المعصية عدلا منه شرا كان أو غيره (فالجواب) نعم والامر كذلك الا أنه يغفر تعالى غير الشرك قال تعالى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال الشيخ جلال الدين المحلي وهذا الاخير مخصص لعمومات العقاب أي ولا ينافي ذلك العفو الذي تضمنه صدق أخبار الله تعالى بتعذيب العصاة لان التخصيص بيان لان ذلك الخاص لم يرد بالحكم لا انه بيان للرفع بعد الاثبات (فان قلت) فهل له تعالى مخالفة ما وعد وأوعد في هاتين الآيتين (فالجواب) نعم له ذلك وبه قالت الشافعية وقالت الحنفية لا يصح فيهما وعلى كلام الشافعية فله تعالى اثابة العاصي وتعذيب المطيع وايلام الدواب والاطفال لانهم ملكه

ويحتسب تلك الصدقة عند الله لا يرى له بها فضلا على من طعمه ولا يطلب منه خدمة ولا ادبا في نظيرها فان فعل ذلك لم يحتسب ذلك عند الله قال الشيخ ولقد لقينا أشياخنا كلهم على ذلك وهو طريقنا ان شاء الله تعالى * وقال في مسئلة الغني الشاكر والفقير الصابر وهي مسئلة طبولية وغاية ما قال الناس فيها ان الغني أفضل لتصدقه والذي عندي في ذلك انه انما كان أفضل لاجل سبقه الى مقام الفقر ومسارعته اليه بالصدقة فله زيادة أجر ومثل ذلك مثل رجلين عند كل واحد منهما عشرة دنانير فتصدق أحدهما من العشرة بدينار واحد وتصدق الآخر بتسعة دنانير من العشرة فغالب الناس يقول صاحب التسعة أفضل فافهم روح المسئلة فانا لفرضنا مال الرجلين على التساوي وانما وجه التفضيل ان الذي تصدق بالاكثر كان دخوله الى مقام الفقر أكثر من صاحبه ففضل بسبقه الى جانب الفقر لا غير قال وهذا لا ينكره من له ذوق في المقامات والاحوال والكشوفات وبهذا فضلوا على غيرهم ولو انه تصدق بالكل وبقي على أصله لا شيء له كان أعلى فنقصه من الدرجة على قدر ما أمسكه والسلام * وقال في قوله تعالى وأقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن ان لا يطلب به مضاعفة الاجر وانما يقرض لاجل أمر الله تعالى له بالاحسان * وقال في حديث الذي تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم

يتصرف

يتصرف فيهم كيف شاء قالوا لكن لا يقع منه تعالى ذلك لاخباره تعالى باثابة المطيع وتعذيب العاصي في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قالوا ولم يرد لنا في كتاب ولا سنة صحيحة ايلام الدواب والاطفال في غير قصاص الآخرة والأصل عدمه فان كلام الائمة انما هو في الايلام في الآخرة لا في الدنيا اذ وقوع الايلام في الدنيا مشاهد لا نزاع فيه * أما ايلام الدواب والاطفال في القصاص فقد قال صلى الله عليه وسلم لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم يقتص للخلق من بعضهم بعضا حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة وقال أيضا يختصمن كل شئ يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا رواهما الامام أحمد قال الجلال المحلي رحمه الله وقضية هذه الاحاديث انه لا يتوقف وقوع القصاص يوم القيامة على التكليف والتمييز فيقتص من الطفل لطفل وغيره فعلم استحالة وصفه تعالى بالظلم ولو وقع منه تعالى تعذيب أو ايلام لاحد من خلقه مكلف أو غيره لانه مالك الامور كلها على الاطلاق (فان قلت) فهل اذا وقع الايلام في الدنيا للدواب والاطفال يكفي ذلك عن ايلامهم في الآخرة لحديث لا يجمع الله تعالى على عبد عقوبتين فان عاقبه في الدنيا لم يعاقبه في الآخرة ويكون محل خلاف الأئمة في ايلام الدواب والاطفال في الآخرة على ما اذا لم يعاقبوا في الدنيا (فالجواب) نعم يكفي ذلك خلافا للحنفية ويحصل به اطلاق المشيئة للحق تعالى في عباده ويؤيد ذلك قول الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائتين اعلم أن الله تعالى قال في حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقدر تعالى الذنب وأوقع المغفرة وما علق المغفرة بالدنيا لوقوع الامراض والآلام الحسية والنفسية فيها وذلك عين انفاذ الوعيد في حق الامة لانه لا بد لكل مخلوق من وقوعه فيما يؤلمه فصح قول المعتزلة في مسئلة ايلام البرىء والطفل فان الاشعري يجوز وقوع ذلك من الله تعالى ولكن يقول كل ما هو جائز واقع قال الشيخ وكل ما احتج به الاشعرية على المعتزلة فليس هو بذلك الطائل فان القائلين بانفاذ الوعيد مصيبون ان أطلقوا محل انفاذه ولم يقيدوه الا حيث يعينه الله تعالى في الدنيا أو في الآخرة فاذا أنفذه في الدنيا بمرض أو ألم نفسي أو حسي كان ذلك كفاية في صدق انفاذ العقوبة وكان ذلك سترا له عن عقوبة الآخرة انتهى وقال أيضا في الباب الرابع والستين ومائتين اعلم انه لا بد لجميع بني آدم من العقوبة والبلايا والآلام شيأ بعد شئ في أبدانهم وسرائرهم حتى يدخلوا الجنة أو النار فأول الالم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته فانه يخرج صارخا لما يجده من الالم عند مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بألم البرد فيبكي فان مات بعد ذلك فقد أخذ حظه من البلاء وان عاش فلا بد له في الحياة الدنيا من الالم اذ الحيوان مجبول على ذلك فاذا انتقل الى البرزخ فلا بد له من الالم أدناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلا بد له من ألم الخوف على نفسه أو على غيره فاذا دخل الجنة ارتفع عنه حكم الالم وصحبه النعيم أبد الآبدين وان دخل النار فهو في ألم لا انتهاء له ان كان من أهل النار الذين هم أهلها والا صحبه الالم حتى يخرج بالشفاعة اه * وقال في باب الاسرار في قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس الآية اعلم ان الحق تعالى قد أخبر في هذه الآية أن كل ما حصل للعبد من الامور المؤلمة فهو جزاء ما هو ابتداء فما ابتليت البرية وهي برية وهذه مسئلة صعبة المرتقى قد اختلف فيها طائفتان كبيرتان منعت احداهما ما أجازت الاخرى ونصرت كل طائفة منهما ما قام في غرضها وهو عين مرضها قال وأما الطبقة العليا من أهل الكشف فعلموا الامر يقينا وانه لم يكن في الدنيا أمر مؤلم قط الا وهو جزاء ما هو ابتداء كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم حتى ان الطبيب يقول للمريض اذا تألم والله ما قصدت الا نفعك بما أمرتك باستعماله من الادوية الكريهة المؤلمة وكذلك يقوله الحق تعالى للطبيب اذا مرض ولم يدر من أي باب دخل عليه المرض هذا الالم الذي أصابك انما هو جزاء لما آلمت به المرضى نفس جزاء ما فعلته وان كان ذلك الالم ما قصدته اه وسيأتي في مبحث أن أحدا لا يخرج عن التكليف أن أول درجات تكليف الروح التمييز فراجعه والله تعالى أعلم * وأما الكلام على اسمه تعالى السميع البصير فنقول وبالله التوفيق (ان قلت) ما الحكمة في تقديم الاسم السميع على الاسم

ثم إنه ما تنفق بيمينه في هذا الحديث أن جوارح الانسان تعلم بالاشياء ولهذا وصفها الله تعالى بأنها تشهد يوم القيامة بقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم فافهم ثم اعلم ان اخفاءها يكون على وجوه منها ان لا يعلم بك من تصدقت عليه بان أعطيتها لشخص فاعطاها لذلك الفقير من غير أن يعلمه ومنها ان تعطى صدقتك لعامل السلطان فيعطيها للاصناف الثمانية فلا يعلم الفقير من رب ذلك المال الذي أخذه على التعيين فلم يكن لهذا المتصدق على الفقير منة ولا عزة نفس قال وليس في الاخفاء أخفى من هذا * وقال في حديث مسلم أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الحديث اعلم انه ينبغي لمن وصل الى هذا الحد وأراد أن يعطى أحدا شيأ فليحضر في نفسه انه مؤد أمانة لصاحبها فيحشر مع الامناء المؤدين أماناتهم لا مع المتصدقين للموت بمحل الافضل والله أعلم * وقال في حديث من شغله ذكرى عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين المراد بالافضل الذي أعطيه هذا هو العلم بالله فانه أفضل ما أعطى السائلون بيقين وأما غيره فهو على الظن * وقال انما ذكر الحق تعالى انه يأخذ الصدقات ليتنبه المتصدق فيعطى للفقير الاشياء النفيسة وذلك ان المنادي ينادي يوم القيامة أين ما أعطى لله فيؤتى بالكسر اليابسة والفلوس والخليع من الثياب ثم

البصير وعلى الاسم العليم فى الذكر دون العكس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والثمانين ومائة أن الحكمة فى تقديم الاسم السميع على غيره فى الذكر كون أول شئ علمنا من الحق تعالى القول وهو قوله لنا كن فكان منه تعالى القول ومنا السماع فتكون الوجود اهـ وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب السابع والتسعين وسيأتى بعضه فى المبحث عقبه ان شاء الله تعالى * واعلم ان هذين الاسمين لا يعقل كيفهما كسائر الصفات فهو تعالى يسمع و يرى ما تحرك أو سكن أو بطن فى الورى فى العالم الاسفل والاعلى فيسمع كلام النفس فى النفس وصوت المماسة الخفيفة عند اللمس و يرى تعالى الواد فى الظلماء والماء فى الماء لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور ولا الجدرات كما لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ولا يضره البعد فهو القريب جلت صفاته تعالى أن تجتمع مع صفات خلقه فى حد أو حقيقة * وقال فى لواقح الانوار من خصائص الحق تعالى أنه لا يشغله ما يبصره عما يسمعه ولا ما يسمعه عما يبصره بل يحيط علما بالمسموعات والمبصرات من غير سبقية ادراك باحدى الصفتين على الاخرى فلا يشغله شأن عن شأن انتهى

* وقال فى باب الاسرار من أعجب ما يعتقده أهل التوحيد وصفه تعالى بالقريب البعيد قريب ممن و بعيد عمن هو أقرب الى جميع العبيد من حبل الوريد فالقرب والبعد انما هو راجع الى شهود العبد فان أطاع ربه رأى ربه قريبا وان عصى أمر ربه وجد ربه بعيدا والله تعالى أعلم (وأما الكلام على كونه تعالى متكلما) فاعلم يا أخى ان هذا محل وقع للعلماء اضطراب فى تعقله ونحن نشير الى طرف صالح من كلام المتكلمين والصوفية فنقول و بالله التوفيق اجمع المتكلمون ان هذه الصفة أى صفة الكلام لا يتعقل كيفها كبقية الصفات لان كلامه تعالى لا هو عن صمت متقدم ولا عن سكوت متوهم اذ هو قديم أزلى كسائر صفاته من علمه وارادته وقدرته كلم تعالى به موسى عليه الصلاة والسلام سماه التوراة والانجيل والزبور من غير تشبيه ولا تكييف انما هو أمر يذوقه النبى أو الملك فى نفسه لا يستطيع أن يكيفه بعبارة كما لو سئل الذائق للعسل كيف وجدت طعمه أو ما الفرق بين حلاوة العسل النحل والعسل الاسود مثلا ما قدر على ايصال الفرق بينهما الى السامع بعبارة ولو قيل لموسى عليه الصلاة والسلام كيف سمعت كلام ربك ما قدر على تكييف ما سمع (فان قلت) كيف تنوعت ألفاظ الكلام الى عربى وسريانى وعبرى مع انه واحد فى نفسه غير متجزئ (فالجواب) صحيح ان الكلام واحد ولكن المخلوقون هم الذين يعبرون عنه بلغاتهم المختلفة فهو كذات الله تعالى يعبر عنها العربى بالله تعالى والفارسى بخداى تعالى فان عبر عن كلامه تعالى بالعربية كان قرآنا أو بالسريانية كان انجيلا أو بالعبرانية كان توراة (فان قيل) فما أول كلام شق اسماع الممكنات من الحق تعالى (فالجواب) هو ما أشرنا اليه فى المبحث السابق ان أول كلام شق اسماع الممكنات هو كلمة كن فما ظهر العالم كله الا عن صفة الكلام وحقيقة هذا الكلام الالهى هو توجه ارادة الرحمن على عين من الاعيان فينفخ الرحمن الروح فى شخصية ذلك المقصود فيعبر عن ذلك الكون بالكلام وعن المكون فيه بالنفس كما ينتهى نفس المتنفس المريد ايجاد عين حرف فيخرج النفس المسمى صوتا ولا يعقل كيف ذلك فى جناب الحق والله أعلم * وعبارة جمع الجوامع وشرحه القرآن كلام الله تعالى القائم بذاته غير مخلوق وانه مكتوب فى مصاحفنا على الحقيقة لا المجاز ومحفوظ فى صدورنا بالفاظه المخيلة للمعنى على الحقيقة لا المجاز ومقروء بالسنتنا بحروفه الملفوظة المسموعة على الحقيقة لا المجاز قال الجلال المحلى ونبهوا بقولهم لا المجاز فى الثلاث مسائل على الاشارة الى انه ليس المراد بالحقيقة كنه الشئ كما هو مراد المتكلمين فان القرآن بهذه الصفة الحقيقية ليس هو فى المصاحف ولا فى الصدور ولا فى الالسنة وانما المراد بها مقابل المجاز أى يصح أن يطلق على القرآن حقيقة انه مكتوب محفوظ مقروء أى ان اسناد كل من هذه الثلاثة الى القرآن اسناد حقيقى كل منها باعتبار وجود من الوجودات الاربعة كما لا يخفى لا انه اسناد مجازى (قلت) قال الشيخ وايضاح ذلك انه يصح ان يقال القرآن مكتوب محفوظ مقروء وانه غير مخلوق أى موجود أزلا وأبدا اتصافاله باعتبار الوجودات الاربعة التى هى لكل موجود وهى الوجود الخارجى والوجود الذهنى والوجود فى

العبارة

ينادى أين ما أعطى لغير وجه الله فيؤتى بالاموال والاجسام والاطعمة النفيسة فيذوب الناس من الخجل * وقال كلما كبر جسم الطفل صغر عمره وكلما صغر جسمه كبر عمره فزيادته نقصه ونقصه زيادته فلا ينفك من اضافة الكبر والصغر اليه فانظر ما أعجب هذا التدبير الالهى * وقال فى الباب الحادى والسبعين فى أسرار الصوم انما قال تعالى الصوم لى غيرة الهية أن يتلبس العبد بصفته تعالى فان الصوم صفة صمدانية ولذلك ورد فى الصوم أنه لا مثل له أى من العبادات وذلك لانه وصف سلبى اذ هو ترك المفطرات فلا عين له تتصف بالوجود الذى هو يعقل فهو على الحقيقة لا عبادة ولا عمل وان أطلق ذلك عليه فهو مجاز وان وصف العبد به فهو وصف مقيد لا مطلق ذلك عليه كالحق لان الحق منزه عن الغذاء مطلقا والعبد انما هو منزه عنه فى وقت مخصوص وأطال فى ذلك * وقال فى حديث لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك لم يبلغنا ان الله تعالى أعطى أحدا من الخلق ادراك شم رائحة الخلوف كالمسك ولا سمعنا بذلك عن أحد ولا ذقناه فى نفوسنا بل المنقول عن الكمل من الناس والملائكة التأذى بالروائح الخبيثة قال وما انفرد بادراكها أطيب من ريح المسك الا الحق تعالى على ان أفعل التفضيل فى جانب الحق محال لتساوى الروائح كلها عنده اذ اختلاف الروائح تابع للمزاج والحق منزه عن ذلك قال ولا أدرى هل

هـ ـ

العبارة والوجود فى الكتابة وهى تدل على العبارة وهى على ما فى الذهن وهو على ما فى الخارج فالقرآن باعتبار الوجود الذهنى محفوظ فى الصدور وباعتبار الوجود اللسانى مقروء بالالسنة وباعتبار الوجود الكتابى مكتوب فى المصاحف وباعتبار الوجود الخارجى وهو المعنى القائم بالذات المقدس ليس بالصدر ولا بالالسنة ولا فى المصاحف وأما الالفاظ المركبة من الحروف فانها أصوات هى اعراض والله أعلم * وقال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف فى الكلام على الكتاب العزيز اعلم ان القرآن يطلق لمعنيين أحدهما الكلام النفسى القائم بالذات المقدس الثانى اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهل اطلاقه عليهما بالاشتراك أو هو فى الثانى مجاز مشهور والظاهر الاشتراك قال ثم ان القرآن بالمعنى الاول محل نعار لعلماء أصول الدين وبالمعنى الثانى محل نظر لعلماء العربية والفقه وأصوله قال ووجه الاضافة فى تسمية كلام الله بالمعنى الاول انه صفة الله تعالى وبالمعنى الثانى انه تعالى أنشأه برقومه فى اللوح المحفوظ لقوله تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ أو بحروفه فى لسان الملك لقوله انه لقول رسول كريم أو لسان النبى لقوله نزل به الروح الامين على قلبك ومعلوم ان المنزل على القلب هو المعنى لا اللفظ لا بمجرد كونه دالا على كلامه القديم ثم انه هل يعتبر فى التسمية بالقرآن بالمعنى الثانى خصوص المحل كما قيل انه اسم لهذا المؤلف القائم باول لسان اخترعه الله تعالى فيه أو لا يعتبر فى التسمية الا خصوص التأليف الذى لا يختلف باختلاف المتلفظين الصحيح الثانى لانا نقطع ان ما يقرؤه كل واحد منا هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الاول يكون مثل القرآن لا نفسه قال وقد منع السلف من اطلاق القول بحلول القرآن بالمعنى الثانى فى اللسان أو فى المصحف ومن القول بكونه مخلوقا أدبا واحترازا عن ذهاب الوهم الى القرآن بالمعنى الاول الذى هو الكلام النفسى القائم بذاته تعالى انتهى * وعبارة الشيخ أبى طاهر القزوينى فى كتابه سراج العقول وقد أجمع السلف كلهم على ان القرآن كلام الله غير مخلوق من غير بحث منهم بانه القراءة أو المقروء أو الكتابة أو المكتوب كما أجمعوا على انهم اذا زاروا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المزور والمصلى والمسلم عليه هو النبى صلى الله عليه وسلم من غير بحث انه شخصه أم روحه وأطال فى ذلك فى الباب الخامس من كتابه (فان قلت) فهل نزلت الاحاديث القدسية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظا أو معنى (فالجواب) انها نزلت معنى لا لفظا فعبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبارته هو وذلك لانها لم تنزل للاعجاز بالفاظها كالقرآن وهى كلام الله تعالى بلا شك (فان قلت) فما معنى قوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا فانه يوهم انه مخلوق (فالجواب) ليس الجعل بمعنى الخلق فى سائر الاحوال بدليل قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا (فان قلت) فهل يجوز لاحد أن يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغنا شيأ من القرآن على المعنى (فالجواب) لا يجوز لاحد اعتقاد ذلك لانه لو قدر انه تصرف فى اللفظ المنزل ورواه بالمعنى لكان حينئذ مبينا لنا صورة فهمه لا صورة ما نزل والله تعالى يقول لتبين للناس ما نزل اليهم فمن المحال أن يغير صلى الله عليه وسلم أعيان تلك الكلمات وحروفها بل لو فرض انه صلى الله عليه وسلم علم جميع معانى كلام الله عز وجل بحيث لا يشذ عنه شئ من معانيه وعدل عما أنزل فاى فائدة للعدول وحاشاه من ذلك اذ لو تصرف فى صورة ما نزل من الحروف اللفظية لكان يصدق عليه انه بلغ الناس ما نزل اليهم وما لم ينزل اليهم ولا قائل بذلك فافهم وقد أطال الشيخ الكلام على حديث القوم الذين يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم فى الباب الخامس والعشرين وثلثمائة من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فما مثال الوحى اذا ظهر لنا بالالفاظ (فالجواب) ان مثال ظهور الوحى بالالفاظ مثال ظهور جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة دحية فان جبريل لم يكن حين ظهر فيها بشرا محضا ولا ملكا محضا ولا كان بشرا ولا ملكا معا فى حالة واحدة فكما تبدلت صورته فى أعين الناظرين ولم تتبدل حقيقته التى هو عليها فكذلك الكلام الازلى والامر الاحدى يتمثل بلسان العربى تارة وبلسان العبرى تارة وبلسان السريانى أخرى وهو فى ذاته أمر واحد أزلى فالكافر والمشرك يسمع كلام الله وموسى عليه الصلاة والسلام يسمع كلام الله ولكن بين سماعيهما بعد المشرقين اذ لو كان سماعهما

الحيوان بدولة رائحة الخلوف متغيرة أم لا لانى ما أقامنى الحق تعالى فى صورة حيوان مخير انسان كما أقامنى فى أوقات فى صورة الملائكة فتأمله وحرره والله عليم حكيم * وقال فى حديث يدع طعامه وشرابه من أجلى انما قدم الطعام على الشراب فى الذكر لان الطعام هو الاصل فى الغذاء وأما الشراب فيمكن تركه لان العطش من الشهوات الكاذبة فمن عود نفسه الامساك عن الماء وان عطشت أقام والله الشهور والسنين لا يشتهيه من غير تأثير فى المزاج ولا فى البدن وتقنع الطبيعة بما تستمد من الرطوبات التى فى الطعام وأطال فى ذلك الكلام على آداب الخلوة * وقال فى حديث اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنان وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين وجه مناسبة الصوم لفتح أبواب الجنان كون الصائم دخل فى عمل مستور ليس له عين وجودية كما مر أول الباب فيظهر للبصر ولا هو بعمل للجوارح على ما مر والجنة مأخوذة من الستر والخفاء وأما وجه مناسبة غلق أبواب النار للصائم فان النار اذا غلقت أبوابها تضاعف حرها وأكل بعضها بعضا وكذلك الصائم اذا صام غلق أبواب نار طبيعته فوجد للصوم حرارة زائدة لعدم استعمال المرطبات ووجد ألم ذلك فى باطنه فقويت نار شهوته بغلق باب تناول الاطعمة والاشربة وصفدت الشياطين التى هى صفات البعد عن الله لقربه حينئذ من الصفة الصمدانية وأطال فى ذلك * وقال الذى أقول به وهو مذهب

واحد البطل الاصطفاء * قال الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله بعد كلام طويل وبالجملة فالائمة الكبار من شيوخ السلف مثل الامام أحمد وسفيان وسائر أصحاب الحديث كانوا أكثر علما وأغزر فهما وأكمل عقلا ومع ذلك فزجروا أصحابهم عن الخوض في مثل ذلك لدقته وغموضه كما ذموا علم الكلام لعلمهم بان استخلاص العقائد الصحيحة من بين فرث التشبيه ودم التعطيل عسر جدا الا على من رزقه الله الفهم عنه اذ غالب الناس لا يتفطنون للفرق بين المقروء والقرآن فخاف السلف على أصحابهم أن تتزلزل عقائدهم فامروهم بمحافظة الامر الظاهر والايمان به قياما من غير بحث على المعنى الحقيقي اذ قد صح ايمان المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله وقالوا لاصحابهم اقرؤها كما جاءت من غير كيف وقولوا آمنا به وصدقنا ولعمري ان في ذلك مصلحة عظيمة للعوام وأما الائمة فمحال أن يخفى عليهم التحقيق في هذه المسئلة رضي الله تعالى عنهم * قال الحافظ الذهبي رحمه الله وانما وقعت المحنة للعلماء في زمن المأمون دون غيره من الخلفاء لان المأمون كان فقيها ماهرا قد طالع كتب الفلاسفة فجره ذلك الى القول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان من أحسن الخلفاء عقيدة ورأيا ودينا وأدبا وعلما وسوددا ثم تولى بعده أخوه المعتصم فامتحن العلماء كذلك في مسئلة خلق القرآن وجد في مذهب أخيه المأمون ثم تولى بعده الواثق بن المعتصم فامتحن العلماء كذلك باغراء أحمد بن أبي دؤاد مدة ثم تاب الواثق وأظهر السنة اه والله تعالى أعلم * وأما قول الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه في هذه المسئلة فقال في الباب الرابع والثلاثين من الفتوحات (ان قلت) ما الحكمة في تخصيص نزول القرآن في ليلة القدر (فالجواب) انما خص نزوله بليلة القدر لان بالقرآن تعرف مقادير الاشياء وموازينها وكان نزوله في الثلث الآخر منها اه (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والستين وثلثمائة ان المراد انه محدث الاتيان لا محدث العين فحدث علمه عندهم حين سمعوه وهذا كما تقول حدث اليوم عندنا ضيف ومعلوم انه كان موجودا قبل أن يأتي وكذلك القرآن جاء في مواد حادثة تعلق السمع بها فلم يتعلق الفهم بما دلت عليه الكلمات فله الحدوث من وجه والقدم من وجه (فان قلت) فاذن الكلام لله والترجمة للمتكلم (فالجواب) نعم وهو كذلك بدليل قوله تعالى مقسما انه يعني القرآن لقول رسول كريم فاضاف الكلام الى الواسطة والمترجم كما أضافه تعالى الى نفسه بقوله فاجره حتى يسمع كلام الله فاذا تلي علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله وموسى لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السماعين بعد المشرقين كما مر فان الذي يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من يسمعه بالوسائط اه وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول ما دام القرآن في القلب فلا حرف ولا صوت فاذا نطق به القارئ نطق بصوت وحرف وكذلك اذا كتبه لا يكتبه الا بصوت وحرف * وسمعته يقول أيضا المفهوم من كون القرآن أنزل حروفا منظومة من اثنين الى خمسة حروف فاكثر متصلة أو منفردة أمران كونه قولا وكلاما ولفظا وكونه يسمى كتابا ورقما وخطا فان نظرت الى القرآن من حيث كونه يحفظ فله حروف الرقم وان نظرت اليه من حيث كونه ينطق به فله حروف اللفظ فلماذا يرجع كونه حروفا منطوقا بها هل هي لكلام الله الذي هو صفته أو للمترجم عنه الحق الثاني اه وسمعته أيضا يقول في قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ فكما ان الظمآن يحسب السراب ماء وليس هو بماء كذلك حكم من يسمع كلام الله يحسب كلامه تعالى بصوت وحرف وليس هو في نفس الامر بصوت ولا حرف وان كان من المحال أن يظهر أمر في صورة أمر آخر الا بمناسبة تكون بينهما فهو مثله في النسبة لا مثله في العين فكما ان الظمآن اذا جاء السراب لم يجده ماء كما كان يراه كذلك من سمع كلام الله بصوت وحرف اذا كشف عنه الغطاء لم يجده بصوت ولا حرف كما سمعه (فقلت) له فهل للحق تعالى أن يتكلم بصوت وحرف لا طلاقه تعالى من حيث انه فعال لما يريد فقال لا يصح ذلك للحق لانه يلزم منه مساواته لخلقه وعدم مباينته لهم فهو تعالى فعال لما يريد مما لم يشبه خلقه فيه وأما تجليه تعالى في الصور في الآخرة فليس هو بصور حقيقية كما للمنافي الصوت والحرف اه * وقد ذكر

نحو

ابن الشهر أيضا اذا غم علينا شهر رمضان أن لا نعمل بأكبر المقدارين وانما نسأل أهل التسيير عن منزلة القمر فان كان على درج الرؤية وغم علينا عملنا عليه وان كان على غير درج الرؤية كملنا العدة ثلاثين * وقال وجه من قال بكراهة الصوم مع الجنابة ان الصوم يوجب القرب من صفات الله والجنابة بعد عن حضرته فكما لا يجتمع قرب وبعد كذلك لا يجتمع الصوم والجنابة ووجه من قال بعدم الكراهة انه راعى حكم الطبيعة * وقال الصوم نسبة الهية فاثبت كل أمر في موضعه * وقال في الكلام على كفارة الجماع قال بعضهم الذي يترجح في خصال الكفارة ما كان أشق على النفس لان المقصود بالحدود والعقوبات انما هو الزجر قال الشيخ والذي أقول به انه يفعل الاهون من الكفارة لان الدين يسر ولكن ان فعل الاشق من قبل نفسه كان حسنا لان كون الحدود وضعت للزجر ما فيه نص من الله ولا رسوله وانما اقتضاه النظر الفكري وقد يصيب في ذلك وقد يخطئ وبعض الكبائر لم يشرع فيها حد مطلقا فلو كانت الحدود زواجر لكانت العقوبة تزيد بحسب كثرة الضرر في العالم * وقال الذي أقول به أنه لا كفارة على المرأة اذا طاوعت زوجها في الجماع في الصوم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتعرض للمرأة في حديث الاعرابي ولا سأله عن ذلك ولا ينبغي لاحد من بعده أن يشرع شيئا مما سكت عنه الشارع (وقال) الذي

نحو ذلك الشيخ محيي الدين فى الباب الثانى والسبعين وثلثمائة (فان قلت) فهل يصح سماع خطاب الحق تعالى من غير مظهر صورى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والثمانين وثلثمائة انه لا يصح لعبد أن يسمع كلام ربه قط الا من وراء مظهر تقييدى يتجلى الحق تعالى له فيه يكون ذلك المظهر حجابا عنه تعالى ودليلا عليه فلا يشهد عبد قط فى حال المنازلات الخطابية الا مظاهر صورية عنها يأخذ ما يترجم له من الحقائق والاسرار وهى السنة المفهومة ألا ترى أنه تعالى ما كلم موسى عليه الصلاة والسلام الا فى تجليه له فى صورة حاجته التى هى النار اه * قلت وهو كلام يحتاج الى تحرير فليتأمل والله أعلم (فان قلت) فهل يقال ان القرآن القديم حال فى القلب بلا صوت وحرف أم بصوت وحرف (فالجواب) ان القرآن مادام فى القلب فهو احدى العينين لا صوت فيه ولا حرف كما مر فهو فى قلوب العلماء به على غير الصورة التى يظهر بها فى ألسنتهم لان الله تعالى جعل لكل موطن حكما لا يكون لغيره ثم ان الخيال يأخذه من القلب فيجسده ويقسمه ثم يأخذه منه اللسان فيصيره بشا كلته ذا حرف وصوت ويقيده به سمع الآذان وقد قال تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله فتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه أصواتا وحروفا سمعها الاعرابى بسمع اذنه فى حال ترجمته فالكلام لله بلا شك والترجمة للمتكلم به كائنا من كان أى من حيث الحروف والاصوات ويصح اسناد الكلام الى العبد مجازا كما يأتى بسطه قريبا فى باب الاسرار والقلب بيت الرب اه ذكره فى الباب التاسع والعشرين وثلثمائة * وقال فى باب الاسرار لو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم القديم لا يحل ولا يكون محلا ولا يعرف المسلك الا من عرفه ولا يضم المعنى سوى حرفه ذكر القرآن أمان وبه يجب الايمان أنه كلام الرحمن مع قطع حروفه فى اللسان ونظم حروفه فيما رقم بالبراع والبنان فحدثت الالواح والاقلام وما حدث الكلام وحكمت على العقول الاوهام بما عجزت عن ادراكه الافهام ولو قدر أنه ينال بالالهام لكان العالم به هو العلام اه وقال فيه أيضا الذكر القديم ذكر الحق وان حكى ما نطق به الخلق كما أن الذكر الحادث ما نطق به لسان الحق وان كان كلام الحق اذا كان الحق تعالى يتكلم على لسان العبد فالذكر قديم ومزاجه بالعبد من تسنيم لا يعرف الحق فى هذه المسئلة الا من كان الحق تعالى قواه ولا يكون قواه الا ان قواه * وقال فيه أيضا الحادث محدث وكلام الله له الحدوث والقدم فله عموم الصفة لان له الاحاطة وحدوثه هو وروده علينا كما يقال حدث عندنا اليوم ضيف اه * وقال فيه أيضا لا يضاف الحدوث الى كلام الله الا اذا كتبه الحادث أو تلاه ولا يضاف القدم الى كلام الحادث الا ان سمعه من الله وقال فيه أيضا أصدق القول ما جاء فى الكتب المنزلة والصحف المطهرة مع تنزيهه الذى لا يبلغه تنزيه نزل الى التشبيه الذى لا يماثله تشبيه فنزلت آيات بلسان رسوله وبلغ رسوله بلسان قومه وما ذكر صورة ما جاء به الملك هل هو أمر ثالث ليس هو مثلهما أو مشترك وعلى كل حال فالمسئلة فيها اشكال لان العبارات لنا والكلام لله ليس هو لنا فما هو التنزل والمعانى لا تتنزل ان كانت العبارات فما هو القول الالهى وان كان القول فما هو اللفظ الكتابى وهو اللفظ بلا ريب فاين الشهادة والغيب ان كان دليلا فكيف هو أقوم قيلا وما ثم قيل الا من هذا القبيل وهو معلوم عند علماء الرسوم فتحقق بذلك ولا تنطق اه * وقال فيه أيضا لا تقل أنا اياه لقوله فأجره حتى يسمع كلام الله أنت الترجمان والمتكلم الرحمن الحروف ظروف والصفة عين الموصوف اه * وهذا لا يمشى على مذهب من يقول ليست الصفات عينا ولا غيرا فليحرر * وقال فيه أيضا القرآن كله قال الله وما جاء فيه قط تكلم الله (فان قلت) ما الحكمة فى ذلك (فالجواب) أنه لو جاء فى القرآن تكلم الله ما كفر به أحد ولا أنكر فضله ولا جحد ألا ترى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كيف أثر فيه كلامه وظهرت عليه أحكامه فان الكلام مأخوذ من الكلم الذى هو الجرح والتأثير فاذا أثر القول فما هو لذاته ففرق يا أخى بين القول والكلام كالفرق بين الوحى والالهام وبين ما يأتيك فى اليقظة والمنام تكن من أهل ذى الجلال والاكرام اه وفيه أيضا ما العجب الا منا كيف نتلو كلامه وهو قائم بذاته والله انها ستور مسدلة وأبواب مقفلة وأمور مبهمة وعبارات موهمة هى

أقول به ان العارف اذا كشف له انه يمرض غدا فلا يجوز له المبادرة الى الفطر فى ذلك اليوم حتى يتلبس بالسبب لان الله تعالى ما شرع له الفطر الا حال المرض قال ونظير ذلك من كشف له عما يقع فيه من المعاصى ولا بد لا ينبغى له المبادرة ولو علم أن الله تعالى لا يؤاخذه لان الله قد راعى حكم الشرع فى الظاهر على أن هذا الامر ليس عندنا بواقع أصلا وان كان جائزا عقلا وأطال فى ذلك * وقال انما كان صلى الله عليه وسلم يقدم الرطب على التمر اذا أفطر فى رمضان لان الرطب أحدث عهدا بربه كما قال ذلك حين اغتسل فى المطر * وقال فى السحر ما بين الفجر الصادق والكاذب لانه له وجه الى النهار ووجه الى الليل ولذلك كان السحور مشتقا من السحر فلا يسمى سحورا الا ما كان فى هذا الوقت (وقال) الذى أقول به ان المفطر من صوم التطوع ان كان لهوى نفسه فعليه القضاء وان كان لشغله بمقام أو حال فلا قضاء عليه * وقال فى حديث مسلم صوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله أى فلا يؤاخذ من صامه بشئ مما جناه فى السنة كلها وانما قال أحتسب على الله مع أنه على علم من الله انه يكفر ذلك أدبا مع الله لان العارف اذا قال أحتسب على الله لا يريد بها حسن الظن بالله فقط وانما يقولها عن تحقيق كما قال صلى الله عليه وسلم وانا

ان شاء الله بكم لاحقون فاستثنى فى أمر مقطوع به فالاستثناء فى نحو ذلك أدب الهى والله أعلم * وقال فى حديث وأتبعه بست من شوال الخ علم أن

شبهات من أكثر الجهات اه (فان قلت) فهل تتشكل الحروف اللفظية فى الهواء أم تذهب هباء منثورا بعد خروجها (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والعشرين انها تتشكل فى الهواء اذا خرجت ولذلك تتصل بالمسموع على صورة ما نطق بها المتكلم فاذا تشكلت فى الهواء تعلقت بها أرواحها ولا يزال الهواء يمسك عليها اشكالها وان انقضى عمرها فان عملها وتأثيرها انما يكون فى أول ما تتشكل فى الهواء ثم بعد ذلك تلتحق بسائر الامم فيكون شغلها تسبيح ربها (فان قيل) فاذا كانت كلمة كفر فهل تكون مثل كلمات الخير فى كون شغلها تسبيح ربها (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابق انها يكون شغلها تسبيح ربها ولو كانت كلمة كفر فان وبال ذلك انما يعود على المتكلم بها لا عليها لانها انشأت مسبحة لله لا يعلم عائها على قائلها من الاثم وقد جعل الشارع العقوبة على المتلفظ بها بسببها كما يؤيده حديث ان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقى لها بالا يهوى بها فى نار جهنم سبعين خريفا وتأمل كلام الله تعالى تراه يحمد ويعظم ويقرأ على جهة القربة الى الله تعالى وفيه جميع ما قالت اليهود والنصارى فى حق الله تعالى من الكفر والسب وهى كلمات كفر عاد وبالها على قائلها وبقيت الكلمة على بابها تتولى عذاب قائلها يوم القيامة أو نعيمه (فان قلت) فاذن هذه الحروف الهوائية اللفظية لا يدركها موت بعد وجودها (فالجواب) نعم لا يلحقها موت بخلاف الحروف الرقمية لانها تقبل التغير والزوال اذ هى فى محل يقبل ذلك وأما الاشكال اللفظية فلها البقاء لكونها فى محل لا تقبل التغير (فان قلت) فما الحكمة فى قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله دون قوله فاذا قرأت الفرقان مع انه من أسماء القرآن (فالجواب) انما لم يقل الفرقان لان الفرقان يطرد ابليس فلا يحضر القارئ فلا يحتاج الى الاستعاذة بالله منه بخلاف القرآن فانه جمع فيدعو ابليس الى الحضور فيحتاج القارئ الى الاستعاذة بالله منه (فان قلت) فلم لم يؤمر المستعيذ بالاستعاذة من ابليس باحد من أولى العزم من الرسل والملائكة لكون كيده ضعيفا وأولو العزم أقوى منه بيقين (فالجواب) انما كان كيد الشيطان ضعيفا بالنظر للقدرة الالهية أما بالنظر الى الخلق فهو قوى جدا لانه فى حضرة الارادة التى قهرت العالم كله ولذلك كان الاستعاذة منه بالاسم الجامع الذى هو الله دون غيره فأى طريق أتاهم منها وجد الاسم مانعا له عن الحضور بخلاف الاسماء الفروع (فان قلت) فهل يثاب القارئ على قراءة ما حكاه الحق تعالى عن عباده مثل ثوابه ما لم يحكه مما اختص به تعالى (فالجواب) نعم يثاب على ذلك ثواب كلام الله الذى لم يحكه عن أحد من خلقه لكونه قد عاد لو حكاه عن الخلق كان العارف يأخذ كلام الحق الذى قاله ابتداء بغير الوجه الذى قاله تعالى استدعاء وكأنه يأخذ ما حكاه الحق تعالى عن عبيده بالمعنى بغير الوجه الذى يحكيه عنهم باللفظ * وقد قال الشيخ فى الباب الثانى والتسعين ومائة اذا تلوت القرآن فاعلم ممن تترجم فان الله عز وجل تارة يحكى قول عبده بعينه وتارة يحكيه على المعنى * مثال الاول قوله تعالى حكاية عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر لا تحزن ان الله معنا * ومثال الثانى قوله تعالى حكاية عن قول فرعون يا هامان ابن لى صرحا فانه انما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنه باللسان العربى والمعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فهكذا فلتعلم الامور الالهية اذا وردت يفرق القارئ بين كلام الله اصالة وبين كلامه حكاية وغيره عن بعضه بعضا فآخر قول الله عز وجل واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا ثم انه تعالى حكى قولهم عن جماعتهم أقررنا وكذلك قوله عن المنافقين واذا لقوا الذين آمنوا قالوا والى هنا انتهى قوله تعالى ثم انه حكى عنهم قولهم وهو انا معكم انما نحن مستهزؤن وقس على ذلك ما يشا كله فى القرآن تجده كثيرا وهذا علم لم أجد لاحد قد مافيه من أهل عصرى فالحمد لله الذى أهلنا لذلك فانه ليس لنا مادة نستخرج منها علومنا الا القرآن العظيم وما كل أحد أوتى مفاتيح الفهم فيه انما ذلك لافراد من الناس (فان قلت) اذا كان القرآن كله عربيا فلم لا تفهم العرب منه معانى الحروف التى هى أوائل السور والمرموزة (كالم) و (المص) ونحو ذلك فانه بلسانهم (فالجواب) انما لم يكن جميع العرب تفهم هذه الحروف ليبقى لهم

اذا انتصف شعبان فلا تصوموا فلان فى ليلة النصف من شعبان يكتب الله الملك الموت فيها من يقبض روحه فى تلك السنة فيخط على اسم الشقى خطا أسود وعلى اسم السعيد خطا أبيض فيعرف ملك الموت بذلك السعيد من الشقى فكان الموت بعد هذه الليلة للمؤمن مشهودا حتى كأنه يحتضر سكران فنهاه الشارع عن الصوم رفقا به ورحمة انتهى فليتامل ويحرر *وقال دليل من أباح الصوم أيام التشريق قوله صلى الله عليه وسلم لا يصح صوم يومين يوم عيد الفطر ويوم الاضحى قال لان الخطاب يقتضى أن ما عدا هذين اليومين يصح الصيام فيهما والا كان تخصيصهما عبثا *وقال من كان فى مقام السلوك ودعى الى طعام أو شراب وهو صائم فلا ينبغى له الفطر لئلا يعوّد نفسه نقض العهد مع الله بخلاف العارف الكامل له الفطر بلا كراهة لاحكامه رياضة نفسه * وقال كان داود يصوم يوما ويفطر يوما وكانت مريم تصوم يومين وتفطر يوما لانها رأت أن للرجال عليها درجة فقالت عسى يكون هذا اليوم الثانى من الصوم فى مقابلة تلك الدرجة وكذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم شهد لها بالكمال كما شهد للرجال وذلك انها لما رأت أن

الايمان بها ولم يفهموا اه فلذلك جعل الله تعالى فهمها خاصا بأهل الكشف ولا يقال ان أهل الكشف لا يعرفونها أيضا لانا نقول انه لابد من أن يعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله تعالى والا فلو لم يصح لاهل الكشف علمها لكانت حشوا ولا يجوز وروده مالا معنى له في الكتاب والسنة كما عليه الجمهور من علماء الاصول خلافا للحشوية باسكان الشين المعجمة مأخوذ من قولهم ان في القرآن حشوا ورأيت في الباب الثامن والتسعين ومائة من الفتوحات ما نصه اعلم ان جميع الحروف المقطعة أوائل السور كلها أسماء ملائكة قال وقد اجتمعت بهم في بعض الوقائع وما منهم ملك الا وأفادني علما لم يكن عندي فهم من جملة أشياخي من الملائكة فاذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه لانه ثم رقائق ممتدة من ذواتهم الى أسمائهم فاذا قال القارئ (الم) مثلا قال هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول فيقول القارئ ما بعد هذه الحروف فيقولون له صدقت ان كان خبرا ويقولون هذا مؤمن نطق بحق وأخبر بحق فيستغفرون له وهكذا القول في (المص) ونحوها قال وهم أربعة عشر ملكا آخرهم (ن) قال وقد ظهروا في منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد وهو (ص) و (ق) و (ن) ومنازل ظهر فيها اثنان مثل (طس) و (يس) و (حم) وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكا بيد كل ملك شعبة من الايمان فان الايمان بضع وسبعون درجة والبضع من واحد الى تسع فقد استوفى هنا غاية البضع وأطال في ذلك ثم قال فمن نظر في هذه الحروف وهذا الباب الذي فتحته له رأى عجائب وسخرت له هذه الارواح الملكية التي هي هذه الحروف أجسامها فتمده بما بيدها من شعب الايمان وتحفظ عليه ايمانه الى الممات اه (خاتمة) * ذكر الشيخ في الباب الثاني والثمانين والثلثمائة أن جميع المحكم من القرآن عربي وجميع المتشابه أعجمي ومعلوم أن العجمية عند أهلها عربية والعربية عند أهلها عربية وما ثم عجمة الا في الاصطلاح والالفاظ والصور الظاهرة وأما في المعاني فكلها عربية لا عجمة فيها فمن ادعى معرفة علم المعاني وقال بالشبه فيها فلا علم له بما ادعاه فان المعاني كالنصوص عند أهل الالفاظ لكونها بسائط لا تركيب فيها فلولا التركيب ما ظهر للعجمة صورة في الوجود فاعلم ذلك وحرره والله يتولى هداك (وأما الكلام على الاسم الباقي تعالى) فاعلم أن الباقي هو من كان بقاؤه مستمرا لا أول له ولا آخر وبعضهم استغنى بذكر اسمه الحي عن ذكر هذا الاسم فان الصفات الالهية انما هي سبعة في الحقيقة عدد نجوم الثريا وانما استغنى بالحي تعالى لان الحي من كانت حياته أبدية لا افتتاح لها ولا انتهاء وقد تقدم في مبحث كون الصفات الالهية عينا أو غيرا ان الاصوليين اختلفوا في صفة البقاء وان الاشعري وأكثر أتباعه على أنها صفة زائدة على الذات وان المعتزلة والقاضي والامامية قالوا انه تعالى باق لذاته لا ببقاء وأدلة الفريقين مسطورة في كتب أصول الدين والله تعالى أعلم

(المبحث السابع عشر في معنى الاستواء على العرش)

اعلم أن هذا المبحث من عضال المباحث فلنبسط يا أخي الكلام فيه بنقول المتكلمين والعارفين حتى يتجلى لك وجه الحق فيه ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق قال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في رسالته يجب اعتقاد ان الله تعالى ما استوى على عرشه الا بصفته الرحمانية كما يليق بجلاله كما قال تعالى الرحمن على العرش استوى ولا يجوز أن يطلق على الذات العلي أنه استوى على العرش وان كانت الصفة لا تفارق الموصوف في جانب الحق تعالى لان ذلك لم يرد لنا التصريح به في كتاب ولا سنة فلا يجوز لنا أن نقول على الله ما لا نعلم فكما أنه تعالى استوى على العرش بصفته الرحمانية كذلك العرش وما حواه به استوى واعلم أن غاية العقل في تنزيه الباري عن كيفية الاستواء أن يجعل ذلك استواء تدبير كما استوى الملك من البشر على مملكته كما قالوا في استشهادهم بقولهم * قد استوى بشر على العراق * وأين استواء البشر الذي هو مخلوق من استواء الباري جل وعلا فتأمل وسيأتي بسط ذلك في الخاتمة آخر المبحث الآتي بعده ان شاء الله تعالى وقد أنشد الشيخ محيي الدين في الباب الثالث عشر من الفتوحات

شهادة المرأتين تعدل شهادة رجل واحد قالت صوم اليومين بمنزلة اليوم الواحد من الرجل فنالت مقام داود في ذلك وساوته في الفضيلة وأطال في الكلام على صوم ولدها عيسى عليه السلام الدهر كله * وقال في حديث من فطر صائما فله مثل أجره أي أجر فطره لا أجر صومه لان الصائم له أجر في فطره كما كان له في صومه اذا افطر عند الغروب من تمام الصوم ومن أعان شخصا على عمل كان مشاركا له فيما يؤدي اليه ذلك العمل من الخير مشاركة لا توجب نقصا كما ان كل نبي يعطى أجر الامة التي بعث اليها سواء آمنوا به أو كفروا وأطال في ذلك * وقال في حديث كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاخير من رمضان أحيا ليله وأيقظ أهله المراد احياؤه بالصلاة فيه هذا هو المعروف من قيام الليل في العرف الشرعي * وقال الذي أقول به ان ليلة القدر تدور في السنة كلها قال لاني رأيتها في شعبان وفي شهر ربيع وفي شهر رمضان ولكن أكثر ما رأيتها في رمضان وفي العشر الاخير منه ورأيتها مرة في العشر الاوسط منه في غير ليلة وتر وفي الوتر منها فانا على يقين من أنها تدور في السنة في وتر وشفع من الشهر الذي ترى فيه قال ولم ينقل البنا ان أحدا رأى ليلة القدر في العشر الاول من رمضان أبدا وذلك لانها ليلة تجل الهي ولم يرد لنا حديث في ان الحق تعالى يتجلى لنا

العرش والله بالرحمن محمول * وحاملوه وهذا القول معقول
وأى حول لمخلوق ومقدرة * لولا مجاه به عقل وتنزيل

وأطال فى ذلك (فان قلت) فاوجه الحكمة فى كون الاستواء لم يكن يجىء فى الكتاب والسنة الا للاسم الرحمن (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة ان وجه الحكمة فى ذلك اعلام الحق تعالى لنا انه لم يردلنا بالايجاد الا رحمة الوجود بكل أحد بما يناسبه من رحمة الامداد أو رحمة الامهال أو عدم المعاجلة بالعقوبة لمن استحقها ونحو ذلك فعلم أن الاسم الرحمن من أعظم الاسماء حكما فى المملكة ويليه الاسم الرب ولذلك لم يردلنا أن الحق تعالى ينزل الى سماء الدنيا الا بالاسم الرب المحتوى على حضرات جميع المربوبين انتهى (فان قلت) فما الحكمة فى اعلامه تعالى بأنه استوى على العرش بناء على أن المراد بالعرش مكان مخصوص فى جهة العلو لا جميع الاكوان (فالجواب) كما ذكره الشيخ فى الباب السبعين وثلثمائة أن الحكمة فى ذلك تقريب الطريق على عباده وذلك أنه تعالى لما كان هو الملك العظيم ولا بد للملك من مكان يقصده فيه عباده لحوائجهم وان كانت ذاته تعالى لا تقبل المكان قطعا اقتضت المرتبة له أن يخلق عرشا وأن يذكر لعباده انه استوى عليه ليقصدوه بالدعاء وطلب الحوائج فكان ذلك من جملة رحمته لعباده والتنزل لعقولهم ولولا ذلك لبقى صاحب العقل حائر الايدرى أين يتوجه بقلبه فان الله تعالى خلق العبد ذا جهة من أصله فلا يقبل الا ما كان فى جهة مادام عقله حاكما عليه فاذامن الله تعالى عليه بالكمال واندراج نور عقله فى نور ايمانه تكافات عنده الجهات فى جناب الحق تعالى وعلم وتحقق أن الحق تعالى لا يقبل الجهة ولا التحيز وان العلويات كالسفليات فى القرب منه تعالى قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقال صلى الله عليه وسلم أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فعلم أن الشرع ماتبع العرف الا فى حق ضعفاء العقول رحمة بهم (فان قلت) فاذن كل ما كان دنوا من حضرة الحق تعالى فهو عروج وان كان فى السفليات (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والثمانين وثلثمائة نعم لان الحق تعالى من حيث هو لا يتقيد بالجهات (فان قلت) فما الحكمة فى اخباره تعالى لنا بأنه تعالى ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا مع انه تعالى لا تقبل ذاته النزول ولا الصعود (فالجواب) الحكمة فى ذلك فتح باب تعليم التواضع لنا بالنزول الى مرتبة من هو تحت حكمنا وتصريفنا واعلامنا بانه كما لا يلزم من الاستواء اثبات المكان كذلك لا يلزم من اثبات الفوقية اثبات الجهة وأيضا فان فى اعلامه تعالى لنا بانه ينزل الى سماء الدنيا فيقول هل من سائل هل من مريض هل من مستغفر ونحو ذلك الاذن لعباده فى مسامرته بالسؤال وطلب النوال ومناجاته بالاذكار والاستغفار كانه تعالى يسامرهم كذلك بقوله هل من سائل الى آخر النسق فيقول لهم ويقولون له ويسمعهم ويسمعونه من طريق الالهام كانهم فى مجلس الخطاب ولله المثل الاعلى هذا معنى النزول عند أهل العقول انتهى واعلم يا أخى أن صفة الاستواء على العرش والنزول الى سماء الدنيا والفوقية للحق ونحو ذلك كله قديم والعرش وما حواه مخلوق محدث بالاجماع وقد كان تعالى موصوفا بالاستواء والنزول قبل خلق جميع المخلوقات كما انه لم يزل موصوفا بانه خالق ورازق ولا مخلوق ولا مرزوق فكان قبل العرش يستوى على ماذا وقبل خلق السماء ينزل الى ماذا فانظر يا أخى بعقلك فما تتعقله فى معنى الاستواء والنزول قبل خلق العرش والسماء فاعتقده بعد خلقهما وأنا أضرب لك مثلا فى الخلق تعجز عن تعقله فضلا عن الخالق وذلك أن كل عرش تصورت وراءه خلاء أو ملا من جهاته الست فليس هو عرش الرحمن الذى وقع الاستواء عليه فلا يزال عقلك كلما تقف على شئ يقول لك فما وراءه فاذا قلت له خلاء يقول لك فما وراء الخلاء وهكذا أبد الآبدين ودهر الداهرين فلا يتعقل العقل كيفية احاطة الحق تعالى للوجود أبدا فقد عجز العقل والله فى تعقل مخلوق فكيف بالخالق وكل من ادعى العلم بالله تعالى على وجه الاحاطة به كذبناه وقلنا له ان كنت صادقا فتعقل لنا شيأ لم يخلقه الله تعالى فان الله تعالى خالق غير مخلوق باجماع جميع الملل وقول الشبلى ان الحق تعالى اذا حيطهم به أحاطوا به فرض محال لانه لم يبلغنا وقوعه لاحد وكيف تصح الاحاطة لمخلوق على الوجه المعقول

الله عن قلب بعض الناس فيرى ذلك التجلى فيعتقد انها ليلة القدر ولعلها شبهة من يقول اذا وافق الوتر من رمضان ليلة الجمعة كانت قدرا والله أعلم * وقال الذى أقول به جواز الاعتكاف فى غير المسجد الا أنه خلاف الافضل واذا اعتكف فى غير المسجد جاز له مباشرة النساء بخلاف المسجد لا يجوز له ذلك لان الشهود للحق الذى هو شرط فى الاعتكاف يبطل بالرجوع الى حظوظ النفس فلا يجتمع شهود الحق والنفس ومن هنا حرم الاكل فى الصلاة فافهم * وقال فى الباب الثانى والسبعين فى أسرار الحج أركان البيت على عدد الخواطر الاربعة الهى وملكى ونفسى وشيطانى فالالاهى ركن الحجر والملكى الركن اليمانى والنفسى المكعب الذى فى الحجر والشيطانى الركن العراقى ولذلك شرع أن يقال عنده أعوذ بالله من الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق وبالذكر المشروع فى كل ركن يعرف العارفون مراتب الاركان * وقال الذى أقول به ان الطفل اذا حج ثم مات ولم يبلغ كتب الله له تلك الحجة عن فريضته كما قال صلى الله عليه وسلم فى الصبى الذى رفعته أمه وقالت يارسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر فانه نسب الحج لمن لا قصد له فيه عند من لا كشف

المعقول في حق الخالق اللهم الا أن يريد الشبلي بالاحاطة الاحاطة بأنه لا تأخذه الاحاطة فلا بدع حينئذ كما بسطنا الكلام عليه في كتاب الاجوبة عما يتوهم في جناب الحق (فان قلت) فاذن الحق تعالى لا يحيط هو بذاته لعدم تناهيها على حد ما تتعقله الخلق من الاحاطة والتناهي (فالجواب) نعم وهو كذلك كما أوضحه الشيخ في الباب التاسع والثمانين وثلثمائة فقال اعلم أن من القول المستهجن قول بعض النظار ان الحق تعالى لا يحيط بنفسه لان وجوده تعالى لا يتناهى و وجوده عين ماهيته ليس غيرها ومالا يتناهى لا يكون محاطا به الا أنه تعالى لا يتناهى فقد أحاط تعالى علما بانه لا تناهى له فضلا عن العالم قال الشيخ وهذا القول وان كان مستهجنا من حيث اللفظ فله وجه الى الصحة وذلك انه تعالى علم من ذاته انه لا يقبل الاحاطة ولا التحيز لانتفاء البدء والنهاية ولمباينته لخلقه في سائر الاحكام قال وهذه المسئلة مزلة قدم فان غالب الناس اذا سمع أحدا يقول ان الحق لا يحيط بذاته يبادر الى الانكار عليه و يقول بل هو محيط بها على وجه الاحاطة التي تتعقلها الخلق وتعالى الله عن ذلك انتهى وقد نبه على ذلك أيضا الشيخ عبد الكريم الجيلي في الباب الخامس والعشرين من كتابه المسمى بالانسان الكامل ولفظه اعلم أن ماهية الحق تعالى غير قابلة للادراك والغاية فليس لكماله تعالى غاية ولا نهاية فهو سبحانه يدرك ماهيته ويدرك أنها لا تدرك في حقه ولا حق غيره أعني يدركها بعد أن يدركها انها لا تقبل البدء ولا النهاية فان نفي البدء والنهاية درجة من درجاته التي تميز تعالى عن العالم بها قال تعالى رفيع الدرجات ذو العرش كانه تعالى يقول ليس لي نهاية في نفسي حتى يتعلق بها علمي قال وقولنا ان الحق تعالى يدرك ماهية ذاته وصف له بالعلم والقدرة ونفي الجهل وقولنا يدرك أنها لا تدرك نفي للتشبيه واثبات للتنزيه قال ومن هنا ينقدح لك الجواب عن قول الامام الغزالي رحمه الله ليس في الامكان أبدع مما كان أي لان كل ما كان من هيئات الممكنات وأحوالها قد تعلق به العلم القديم والعلم القديم لا يقبل زيادة أبدا فكذلك معلومه فصح أنه ليس في علم الحق أبدع من هذا العالم من حيث كونه في رتبة الحدوث لا يرقى قط لرتبة الخالق فلو خلق تعالى ما خلق أبد الابدين لا يخرج عن رتبة الحدوث هذا مراد الغزالي رحمه الله انتهى (فان قلت) فاذا كانت ذات الحق تعالى تجل عن الاستواء والنزول الى الكرسي والى سماء الدنيا لكونه تعالى قديما وهذه الامور محدثة لها أول وآخر فما معنى قوله تعالى وكان عرشه على الماء مع أن في معنى الحديث كل شئ خلق من الماء فشمل العرش وما حواه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر وثلثمائة أن على ههنا بمعنى في أي كان العرش في الماء بالقوة فان الماء أصل الموجودات كلها فهو لها كالهيولى لجميع ملك الله تعالى اذ هو عرش الحياة فعلم أن العرش هنا كناية عن جميع ملك الله تعالى وكان حرف وجودي أي الملك كله موجود في الماء (فان قلت) فما معنى حديث كان ربنا في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء فانه أثبت له صفة الفوق والتحت مع أن ما في الحديث نافية لا موصولة فليس فوق العماء الذي كان الحق تعالى فيه هواء ولا تحته هواء وذلك ليخالف مرتبة المحدثات فان العماء عند العرب هو السحاب الرقيق وكيف أجابه صلى الله عليه وسلم بما ذكر مع أن السائل انما قال يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق فما هذا العماء ان كان مخلوقا فالسؤال باق من السائل (فالجواب) أن جواب ذلك لا يذكر الا مشافهة لاهله لان الكتاب يقع في يد أهله وغير أهله والله أعلم (فان قلت) فاذا قلتم ان العرش لا وراءه لانه اسم لمجموع الكائنات فأين الخلاء الذي يكون فيه الحافون من حول العرش يوم القيامة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة أنه لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش ولا بين الاستواء على العرش في عدم التعقل و يكفينا الايمان في مثل ذلك (فان قلت) فما وجه تسمية العرش بثلاثة أسماء عظيم وكريم ومجيد فهل هي مترادفة أم لا (فالجواب) أنها غير مترادفة فهو من حيث الاحاطة عظيم لكونه أعظم الاجسام ومن حيث انه أعلى ما فوقه لمن هو في حيطته وقبضته كريم ومن حيث نزاهته من أن يحيط به غيره من الاجسام فهو مجيد لشرفه على سائر الاجسام والله أعلم فهذا ما وجدته من الفتوحات المكية *وقد رأيت في كتاب سراج العقول للشيخ أبي طاهر القزويني رحمه الله كلاما نفيسا في مسئلة الاستواء على

عند من العلماء وعندنا أن الشارع لو لا علم قصده بوجه ما ما صح أن ينسب الحج اليه وكان ذلك كذا كما قال الشيخ وقد اتفق لي مع بنت كانت لي عمرها دون سنة قلت لها يا بنية فأصغت الي ما تقولين في رجل جامع امرأته فلم ينزل ماذا يجب عليه فقالت يجب عليه الغسل فغشي على جدتها مما من نطقها هذا شهدته بنفسي وأطال في ذلك وسيأتي بسط القصة في الباب الثمانين وأربعمائة ان شاء الله تعالى وعدد من تكلم في المهد فراجعه * وقال الذي أقول به في وجوب الحج على العبد ان استطاع اليه سبيلا لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت فلم يقل الاحرار منهم قال وان منعه السيد اثم انتهى فليتأمل ويحرر هو وما قبله *وقال انما حرم المخيط على الرجل في الاحرام دون المرأة لان الرجل وان كان خلق من مركب فهو الى البسائط أقرب وأما المرأة فقد خلقت من مركب محقق فانها خلقت من الرجل فبعدت من البسائط والمخيط تركيب فقيل للمرأة ابقي على أصلك لانك عين الرجل وقيل للرجل ارتفع عن تركيبك فهذا سبب أمره بالتجرد عن المخيط ليقرب من بسيطه الذي لا تخيط فيه وان كان مركبا من حيث انه منسوج ولكنه أقرب الى الهباء من القميص والسراويل وكل مخيط وانما جاز الازار والرداء للمحرم لانهما غير مخيطين فلم يكونا مركبين ولهذا وصف الحق تعالى نفسه بهما دون القميص والسراويل فقال الكبرياء

العرش وها أنا ملخص لك عيونه فأقول وبالله التوفيق قال في الباب الثالث من كتابه المذكور في قوله الرحمن على العرش استوى اعلم أن الله تعالى قد خلقنا من الارض في الارض وخلق فوقنا الهواء وخلق من فوق الهواء السموات طبقا فوق طبق وخلق فوق السموات الكرسي وخلق فوق الكرسي العرش العظيم الذي هو أعظم المخلوقات ولم يبلغنا في كتاب ولا سنة أن الله تعالى خلق فوق العرش شيأ وأما ما جاء من ذكر السرادقات والشرفات والانوار فهو من جملة العرش وتوابعه فقوله جل جلاله الرحمن على العرش استوى أي استتم خلقه على العرش فلم يخلق خارج العرش شيأ وجميع ما خلق ويخلق دنيا وأخرى لا يخرج عن دائرة العرش لانه حاو لجميع الكائنات ومع ذلك فلا يزن في مقدوراته ذرة فأنى يكون مستقره قال وأولى ما يفسر القرآن بالقرآن قال تعالى ولما بلغ أشده واستوى أي استتم شبابه وقال تعالى كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه أي استتم ذلك الزرع وقوي واذا احتملت الآية أو الحديث وجها صحيحا سالما من الاشكال وجب المصير اليه ولكن النفوس تميل الى الخوض في الشبهات وقد اختلف آراء السلف والخلف في معنى آية الاستواء وذكروا في تفسيرها كل رطب ويابس وضلت المشبهة بذلك حتى أداهم الى التصريح بالتجسيم واقتضى الامر بين الائمة الى التكفير والتضليل والضرب والشتم والقتل والنهب والالقاب الفاضحة ولله تعالى في ذلك سر مع أن الآية عما فهموه بمعزل كما ذكرنا قال وايضاح ذلك أن الله تعالى ما ذكر الاستواء على العرش في جميع القرآن الا بعد ذكر خلق السموات والارض وذلك في ستة مواضع (الاول) في سورة الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش (الثاني) في سورة يونس ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر (الثالث) في سورة طه تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى (الرابع) في سورة الفرقان الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن (الخامس) في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع (السادس) في سورة الحديد هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض (والمعنى) في هذه الآيات كلها ثم استوى الخلق على العرش أي استتم خلقه بالعرش فما خلق بعد العرش شيا كما يقال استقر الملك على الامر الفلاني واستقر الامر على رأي القاضي أي ثبت وهو ما روي عن ابن عباس أنه قال استوى استقر اه وهو بمعنى استتم واستكمل قال وأصل الاستواء في العربية المساواة قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقد جعل الله تعالى لكل شيء نهاية وكمالا فاذا بلغ حد الكمال قيل استوى ومنه استواء الشمس واستواء الميزان واذا تمكن الجالس على موضعه واستقر يقال استوى قال تعالى فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك وقال لتستووا على ظهوره وقال في ذكر السفينة واستوت على الجودي ولما أكمل الله تعالى خلق السموات والارض وأتمه قال فسواهن سبع سموات وقال في تمام خلق آدم وتصويره فاذا سويته وقال ونفس وما سواها فعلى هذا الاصل يكون تفسير الاستواء في الآيات السابقة بالمساواة أحق وأصدق وذلك كما يقال استوى أمر فلان أي استتم واستكمل قال ولما كان الفعل الماضي والمستقبل يدلان على المصدر جاز أن يخرج للمصدر المقدر فعل ظاهرا كان او كناية فالظاهر نحو قولك ساومت زيدا متاعه فاستوى على العشرة أي استوى السوم والقيمة على العشرة والكناية نحو قوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه أي في الجعل ومنه قول الشاعر * اذا نهي السفيه جرى اليه * أي الى السفه فلما دل لفظ السفيه على السفه أعاد الكناية اليه فكذلك حكم هذه الآيات قال ومثاله في الكلام بنى زيد بيته فاستوى على السقف أي استوى بناؤه على السقف يعني استقر البناء على سقفه واستتم به وكذلك معنى خلق السموات والارض في الآيات كما يتراءى فاستقر الخلق على العرش واستتم به وما خلق فوقه شيأ (فان قيل) فما قولك في قوله تعالى في سورة طه الرحمن على العرش استوى وفي سورة الفرقان ثم استوى على العرش الرحمن فالجواب أن الشبهة انما وقعت

ردائي والعظمة ازاري * وقال وانما كان لبس النعل في الاحرام هو الاصل فلا يلبس الخف الا اذا عدم النعل لان النعل ما جاء اتخاذه الا للزينة والوقاية من الاذى الارضي فاذا عدم عدل الى الخف فاذا زال اسم الخف بالقطع لم يلحق بدرجة النعل لستره ظاهر الرجل فهو لا خف ولا نعل فحكمه مسكوت عنه كمن يمشي حافيا فانه لا خلاف في صحة احرامه وهو مسكوت عنه وكل ما سكت عنه الشرع فهو عافية وقد جاء الامر بقطع الخف فالتحق بالمنطوق وتعين الاخذ به فانه ما قطعهما المحرم الا ليلحقهما بدرجة النعل فلما لم يلحقا به لسترهما ظاهر الرجل فارقا النعل ولما لم يسترا الساق فارقا الخف فالمقطوع لا هو خف ولا هو نعل كما قررناه انتهى فليتأمل ويحرر * وقال الذي أقول به في لبس المحرم المعصفر انه ان لبسه عند الاحرام قبل عقده فله ان يبقى عليه ما لم يرد نص باجتنابه وان لبسه ابتداء في زمان بقاء الاحرام فعليه الفدية وان لبسه عند الاحلال جاز هذا هو الاظهر عندي الا أن يرد نص جلي في النهي عن المعصفر ابتداء وانتهاء وما بينهما فنقف عنده على أني أقول ان تطييبه صلى الله عليه وسلم عند الاحرام وعند الحل ليس هو متعينا لاجل احرامه وحله فانه من قول عائشة لا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يأتي فهو أمر فهمته على حسب ما اقتضاه نظرها أو عن نص

فيه مامن جهة النظم والافالقصة فى جميع الآيات واحدة والنظم طرق عجيبة فى القرآن فأما قوله فى طه تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى فان الرحمن تفسير وايضاح لقوله ممن أى هذا الخالق هو الرحمن ثم قال على العرش استوى أى استوى خلقه وفاعل استوى هو المصدر الذى يدل عليه لفظ خلق ويسمى ذلك بالضمير المستتر فوقع استوى فى آخر الآية لان مقاطع آيات هذه السورة على الالف المقصورة وأما قوله فى سورة الفرقان الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن ففيه تقديم وتأخير فى الآية تقديره الذى خلق السموات والارض هو الرحمن ثم استوى على العرش فالرحمن مبتدا خبره مقدم عليه وذلك الخبر هو قوله الذى خلق كما تقول الذى جاءك زيد وقوله ثم استوى على العرش اعتراض فى الكلام (والمعنى) كما قلنا استوى خلقه على العرش يعنى استتم قال الشيخ أبو طاهر بعد كلام طويل هذا وكم ناظر فى كلامى يبادر الى ملامى ويقول انما ابتدعت للآية تفسيرا مخالفا لما قاله جمهور السلف والخلف وفى مخالفتهم خرق للاجماع وانى والله أعذره فى ذلك فان الفطام عن المعهود شديد والنزول عما تلقاه الفتى من آبائه وشيوخه صعب جدا حقا كان أو باطلا والذى أقوله ان الذى ذكرناه محتمل صحيح واضح وان سماه بعضهم بدعة فكم من بدعة مستحسنة وأطال فى ذلك ثم قال وبالجملة فالعرش أعظم الممالك كلها والحق تعالى فوقه بالرتبة وذلك أننا اذا تأملنا مافوقنا رأينا الهواء واذا تأملنا مافوق الهواء رأينا سماء فوق سماء بقلوبنا ثم اذا ترقينا بأوهامنا من السموات السبع رأينا الكرسى واذا ترقينا من الكرسى رأينا العرش الذى هو منتهى المخلوقات التى هى بجملتها تدل على الخالق جل جلاله ثم اذا درجنا بالفكر من العرش الذى هو نهاية المخلوقات لم نر للفكر مرقاة البتة فيقف الفكر هناك لان مطار الفكر ينتهى بانتهاء الاجسام فنرى اذ ذاك بقلوبنا وعقولنا الرحمن فوق العرش من حيث الرتبة اذ رتبة الخالق فوق رتبة المخلوقات فهو تعالى فوق العرش فوقية تباين فوقية العرش على الكرسى لان فوقية العرش على الكرسى لا تكون الا بالجهة والمكان بخلاف فوقية الرب على العرش فانها بالرتبة والمكانة دون المكان اه والله تعالى أعلم

(المبحث الثامن عشر فى بيان أن عدم التأويل لآيات الصفات أولى كما جرى عليه السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم الا ان خيف من عدم التأويل محظور كما سيأتى بسطه ان شاء الله تعالى)

ونبدأ بكلام الاصوليين ثم نعقبه بكلام الشيخ محيى الدين فنقول وبالله التوفيق قال جمهور المتكلمين وماصح فى الكتاب والسنة من آيات الصفات وأخبارها نعتقد ظاهر المعنى منه وننزه عند سماع المشكل منه كما فى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى ويبقى وجه ربك ولتصنع على عينى ويد الله فوق أيديهم ونحو ذلك ثم اختلفوا هل يؤول المشكل أم يفوض علم معناه المراد الى الله تعالى مع تنزيهنا له عن ظاهر اللفظ حال تفويضنا فمذهب السلف التسليم ومذهب الخلف التأويل ثم انهم اتفقوا سلفا وخلفا على أن جهلنا بتفصيل ذلك لا يقدح فى اعتقادنا المراد منه مجملا قالوا والتفويض أسلم والتأويل الى الخطا أقرب مع مافى التأويل من فوات كمال الايمان بآيات الصفات لان الله تعالى ما أمرنا أن نؤمن الا بعين اللفظ الذى أنزله لا بما أولناه بعقولنا فقد لا يكون ذلك التأويل الذى أولناه يرضاه الله تعالى مع أن من يريد تأويل آيات الصفات يحتاج الى علوم كثيرة قل أن تجتمع فى شخص من أهل هذا الزمان وهى التبحر فى معرفة لغة العرب من جميع القبائل والغوص فى معرفة مجازاتهم واستعاراتهم ومعرفة أماكن التأويل وتمييزه عن الخطا وغير ذلك من التبحر فى علوم تفسير القرآن وشروح الاحاديث ومذاهب السلف والخلف فى سائر الاحكام قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف فى حاشيته وانما شرطوا التنزيه حال التفويض لينبهوا على اتفاق السلف والخلف على التنزيه عن ظاهر اللفظ على حد ما تتعقله الناس لكون حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق فلا يجوز حمل صفات الحق تعالى على ما يتعقل من صفات الخالق قال وقولهم وماصح فى الكتاب والسنة من الصفات الى آخره فيه تنبيه على

ه مريج منه اليها فى ذلك فتطرق الاحتمال ثم قال والذى أقول به استحباب بقاء الطيب الذى دخل به فى الاحرام وعدم طلب ازالته ولو وجدت رائحته لانه صلى الله عليه وسلم لم يغسله وقول عائشة طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحله واحرامه انما أرادت به قبل وجود الاحرام منه وقبل التحلل فانها لم تقل طيبته لآخر احرامه حين قرب انقضاؤه وتعقبه الاحلال وانما راعت الاحلال فى آخر أعمال الحج وهو طواف الافاضة انتهى وهو كلام يحتاج الى تحرير (وقال) اذا جامع المحرم قبل الوقوف بعرفة وبعد الاحرام فالحكم فيه عند العلماء قاطبة الفساد كحكمه بعد الوقوف قال ولا أعرف لهم دليلا على ذلك ونحن وان قلنا بقولهم واتبعناهم فى ذلك فان النظر يقتضى ان الوطء اذا وقع قبل الوقوف أنه يرفض ما مضى ويجدد الاحرام ويهدى فان كان بعد فوات الوقوف فلا لانه لم يبق للوقوف زمان وهناك بقى زمان للاحرام لكن ما قال بهذا أحد فتبعنا أصحاب الاجماع فى اطلاقهم الفساد (قلت) الذى يظهر لى ان النكتة فى ذلك التغليظ عليه لعظم حرمة الحج والله تعالى أعلم * وقال الذى أقول به وجوب رفع الصوت بالتلبية مرة واحدة وما زاد على الواحدة فهو مستحب * وقال الذى أقول به عدم وجوب النحر ووجوب الحل على من كان فى الحرم لحج أو عمرة بل يصح احرامه بهما من الحرم وأما استدلالهم

أن الصفات الواردة في الكتاب والسنة غير محصورة في الصفات الثمانية المشهورة فقد ورد في الكتاب والسنة صفات سوى ذلك وفيه أيضا بيان للقاعدة الشاملة لحكم الجميع وهي اعتقاد ظاهر المعنى والتفويض في المشكل المعنى (وأما كلام الشيخ محيي الدين في ذلك) فكله مائل الى التسليم وعدم التأويل الا ان خفنا على انسان وقوعه في محظور اذا لم نؤول فذلك له فيتعين حينئذ التأويل كما فتح لنا الحق تعالى باب التأويل للضعفاء بقوله في حديث مسلم وغيره مرضت فلم تعدني فان العبد لما توقف في ذلك وقال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال له الحق تعالى أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما انك لو عدته لو جدتني عنده الى آخر النسق * وذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة جواز التأويل للعاجز وقال في الباب الثامن والستين عقب الكلام على الاذان من الفتوحات يجب على كل عاقل ستر السر الالهي الذي اذا كشف أدى عند من ليس بعالم ولا عاقل الى عدم احترام الجناب الالهي الاعز الاحمى فيجب التأويل لمثل هذا اهـ وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول أسلم العقائد الايمان بما أنزل الله على مراد الله اذا ما اتقى تعالى ما كلفنا أن نعلم حقيقة نسبة الصفات اليه لعلمه بعجزنا عن ذلك فان حقيقته تعالى مباينة لجميع صفات خلقه وحقائقهم ذكره في الباب الخامس وأربعمائة * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول قطاع طريق السفر بالفكر في المعقولات الشبه القادحة في الايمان وقطاع طريق السفر في المشروعات التأويل اهـ * وسمعته رحمه الله يقول أيضا مامثم في الكون كلام الا وهو يقبل التأويل قال تعالى ولنعلمه من تأويل الاحاديث ثم ان من التأويل ما يكون موافقا لمراد المتكلم ومنها ما يكون مخالفا لمراد المتكلم فعلم أنه ماثم كلام الا وهو قابل للتعبير عنه ثم لا يلزمنا افهام كل من لا يفهم اهـ ويؤيد ذلك قول الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والثمانين وثلثمائة لا يخرج أحد من أهل الفكر من التوقف في معنى آيات الصفات مادام في قيد العقل فاذا خلع الله تعالى عليه من علمه أعلمه تعالى من طريق الالهام بمراده من تلك الآية أو الحديث قال ثم ان من رحمة الله تعالى انه غفر للمؤولين من أهل ذلك اللسان اذا أخطؤا في تأويلهم فيما يلفظ به رسولهم من تشريع الله أو تشريع رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن الله اهـ وقال الشيخ في لواقح الانوار اعلم ان اغلاط مادخل على الفلاسفة الا من تأويلهم وذلك انهم أخذوا العلم من شريعة ادريس عليه الصلاة والسلام فأولوا ما بلغهم من كلامه لما رفع فاختلفوا كما اختلفنا نحن في كلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فأحل هذا العالم ما حرم العالم الآخر قال الشيخ وما علمت الخطأ الا من ادريس عليه الصلاة والسلام حين اجتمعت به في واقعة من الوقائع فاخذت علمه منه على وجه الحق اهـ وقال أيضا في باب الاسرار اياك والتأويل فانك لا تظفر بطائل ومتعلق الايمان انما هو بما أنزل الله من الالفاظ لا بما أوله عقلك آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى آخره * وقال في الباب السادس والسبعين ومائتين في قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم المراد باقامة التوراة عدم تأويلها فمن أول كلام الله فقد أضجعه بعد ما كان قائما ومن نزهه عن التأويل والعمل فيه بفكره فقد أقامه فان الفكر غير معصوم من الغلط اهـ * وقال في الباب الخامس عشر وثلثمائة اعلم ان من الادب عدم تأويل آيات الصفات ووجوب الايمان بها مع عدم التكييف كما جاءت فانا لا ندري اذا أولنا على ذلك التأويل مراد الله بما قاله فنعتمد عليه أم ليس هو بمراده فيرده علينا فلهذا التزمنا التسليم في كل مالم يكن عندنا فيه علم من الله تعالى فاذا قيل لنا كيف يعجب ربنا أو كيف يفرح مثلا قلنا انا مؤمنون بما جاء من عند الله على مراد الله وانا مؤمنون بما جاء من عند رسول الله على مراد رسول الله ونكل علم التكييف في ذلك كله الى الله والى رسوله قال وقد تكون الرسل أيضا بالنسبة الى ما يأتيهم من الله تعالى من ذلك الامر مثلنا فيرد عليهم هذه الاخبارات من الله تعالى فيسلمون علمها الى الله تعالى كما سلمناه ولا تعرف تأويله هذا لا يبعد وقد تعرف تأويله بتأويل الله تعالى باي وجه كان هذا أيضا لا يبعد قال وهذه كانت طريقة السلف جعلنا الله تعالى لهم خلفا آمين اهـ على ان الشيخ رحمه الله تعالى قد حرج على عقيدة من يقول نؤمن بهذا اللفظ من غير

بقصد خروج السيدة عائشة الى التنعيم فانما هو لاجل كونها ما كانت آفاقية وحاضت فخرجت لتقضي صورة ما فاتها وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر * وقال قد غيرت الكعبة على العرش والبيت المعمور بالحجر الاسود يمين الله في الارض وأطال في ذلك * وقال بيت الله لا يقبل التحجير فما بقي من الكعبة في الحجر هو بيت الله تعالى الاصح وما حجر عليه بيته فهو الصحيح فمن دخل القدعة التي في الحجر دخل البيت ومن صلى فيه صلى في البيت ولا حكم لابي شيبة ولا غيرهم عليه فاستغنى العارفون عن منتهم * وقال يوم عرفة محسوب من الزوال الى طلوع الفجر من ليلة العيد فنقص عن سائر الايام الزمانية * قال وقد أجمع الشرع والعرف على تأخير ليلة عرفة عن يومها لقول الشارع من أدرك ليلة جمع قبل الفجر فقد أدرك الحج والحج عرفة فهذا سبب تأخير هذه الليلة عن يومها والا فالاصل تقديم الليلة على نهارها قال تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فجعل الليل أصلا وسلخ منه النهار كما تسلخ الشاة من جلدها فكان الظهور لليل والنهار مبطون فيه * وقال في قوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى أي موضع دعاء اذا صليتم فيه أن تدعوا لانفسكم في تحصيل تلك المقامات التي كانت لابراهيم عليه السلام وهو أن يقول أحدنا اللهم اجعلني أواها حليما أمة قانتا شاكرا لانعم الله منقادا

ان نعقل له معنى فى الباب الخامس وأربعمائة فقال من آمن بلفظ من غير أن يعقل له معنى وقال نجعل نفوسنا فى الايمان به حكم من لم يسمع به ونبقى على ما أعطانا دليل العقل من احالة مفهوم هذا الظاهر من هذا القول فهؤلاء متحكمون على الشارع بحسن عبارة فى جعلهم نفوسهم حكم من لم يسمع الخطاب قال ومن هؤلاء طائفة تقول أيضا نؤمن بهذا اللفظ على علم الله فيه وعلم رسوله فلسان حال هؤلاء يقول ان الله تعالى قد خاطبنا بما لا نفهم فجعلوا ذلك كالعبث والله تعالى يقول وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وقد جاء بهذا فقد أبان صلى الله عليه وسلم لنا كما أمر الله تعالى (قال) وأخبث الخائضين فى الصفات بغير علم من طعن فى الرسل وجعلهم فى ذلك تحت حكم الخيال والاوهام (ويليهم) من قال ان الرسل أعلم الناس بالله لكنهم تنزلوا فى الخطاب على قدر أفهام الناس لا على ما هو الامر عليه فى نفسه فانه محال فلسان حال هؤلاء كالمكذب للرسل فيما نسبوه الحق بهم بحسن عبارة كما يقوله الانسان اذا أراد أن يتأدب مع شخص يحدث بحديث لا يعتقد السامع صدقه فلا يقول له كذبت وانما يقول له يصدق سيدى فيما قال ولكن ليس الامر كما ذكرتم وانما صورة الامر كذا وكذا فهو يكذبه ويجهله بحسن عبارة (ويليهم) فى ذلك من قال لا نقول بالتنزل فى العبارة الى أفهام الناس وانما المراد بهذا اللفظ كذا وكذا دون ما يفهمه العامة قال وهذا أمر موجود فى اللسان الذى جاء به الرسول فهذا أشبه حالا ممن تقدم الا انهم متحكمون فى ذلك على الله تعالى بما لم يحكم به على نفسه انتهى ما ذكره فى الباب الخامس وأربعمائة * وقال فى الباب السابع والسبعين ومائة عليك يا أخى بالتسليم لكل ما جاءك من آيات الصفات وأخبارها فان أكثر المؤولين هالكون وأخف الطرائق حالا من قال لا نشك فى صدق رسولنا ولكنه أتانا فى نعت الله الذى أرسله الينا بأمور ان وقفنا عند ظاهرها وحملناها على ربنا كما نحملها على نفوسنا أدى ذلك الى حدوثه وزال كونه الها علينا وقد ثبت كونه تعالى الها عندنا فننظر هل لذلك مصرف فى اللسان فان الرسول انما يرسل بلسان قومه ما تواطؤا عليه فنظروا فأداهم ذلك الى تنزيه الحق تعالى عما وصف به نفسه فاذا قيل لهم ما دعاكم الى ذلك قالوا دعانا الى ذلك أمران الاول القدح فى الادلة فانا بالادلة أثبتنا صدق دعواه فلا نقول ما يقدح فى الادلة العقلية فان فى ذلك قدحا فى الادلة على صدقه (الامر الثانى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ان الله الذى أرسله ليس كمثله شئ توافق ذلك الادلة العقلية فتقوى صدقه عندنا بمثل هذا فان قبلنا مثل ما قاله فى الله على ظاهره ضللنا عن طريق الحق فلذلك أخذنا فى التأويل اثباتا للطرفين اه وهو كلام نفيس * وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائة اعلم ان الخير كله فى الايمان بما أنزل الله والشر كله فى التأويل فمن أول فقد جرح ايمانه وان وافق العلم وما كان ينبغى له ذلك وفى الحديث كذبنى عبدى ولم يكن ينبغى له ذلك فلا بد أن يسأل كل مؤول عما أوله يوم القيامة و يقول له كيف أضيف الى نفسى شيأ تنزهنى عنه وترجح عقلك على ايمانك وترجح نظرك على علم ربك فاحذر يا أخى ان تنزه ربك عن أمر أضافه الى نفسه على ألسنة رسله كائنا ما كان ولا تنزهه بعقلك بمجرد اجالة واحدة فقد نصحتك فان الادلة العقلية كثيرة التنافر للادلة الشرعية فى الالهيات وأطال فى ذلك بذكر نفائس سابقة ولاحقة فراجعه ترى العجب وقد رميت بك على الطريق والله تعالى أعلم * وقال فى الباب الرابع ومائتين اعلم ان من يقول بالتنزل للعقول فى أخبار الصفات محجوب عن معرفة الحقائق فان العبودية لو زاحمت الربوبية أبطلت الحقائق فان العبد ما تجلى الا بما هو له ولا ظهر الحق الا بما هو له لا من صفات التنزيه ولا من صفات التشبيه كل ذلك له تعالى ولو لم يكن الامر كذلك لكان ما وصف تعالى به نفسه كذبا وتعالى الله عن ذلك بل هو تعالى ما وصف به نفسه من العزة والكبرياء والجبروت والعظمة ونفى المماثلة وهو أيضا كما وصف نفسه من النسيان والمكر والخدع والكيد وغير ذلك فالكل صفة كمال فى حقه تعالى فهو موصوف بها كما يليق بجلاله تعالى فما قال بالتنزل الا من لا معرفة له بالحقائق قال وكذلك كان لولا أن من الله تعالى علينا بالبيان فتعين علينا ان نبين للخلق ما بينه الحق تعالى لنا ولا يحل لنا كتمه الا لعذر شرعى اه * وقال فى الباب الثامن والخمسين من الفتوحات اعلم ان من أعجب الامور عندنا

لامر الله صالحا موفيا بالعهد ونحو ذلك مما قص الله علينا فى القرآن * وقال انما أمرنا بالتضلع من ماء زمزم لان فيه سرا خفيا وهو أنه يذلل النفس بعد تكبرها ويحققها بمقام العبودية المحضة كما جرب (قلت) وقد شربته امرة لدبلة طلعت فى جانبى قدر البطيخة فتقطعت وخرجت من دبرى كالزفت الاسود الذائب فالحمد لله رب العالمين فصح عندى ذوقا حديث ماء زمزم لما شرب له وان ضعفه بعضهم والله أعلم (قلت) قال الشيخ فى الباب الرابع والخمسين وأربعمائة ينبغى لكل مؤمن أن يصل نسبه باجداده وآبائه المسلمين من آدم الى أبينا الاقرب لان صلة الارحام تزيد فى العمر (قلت) ولقد اعتمرت مرة عن أبينا آدم وأمرت أصحابى بذلك فوجدنا تلك الليلة أبواب السماء قد فتحت ونزلت الينا ملائكة لا تحصى وتلقونا بالترحيب والتسهيل الى أن ذهلنا عما رأينا وأطال فى ذلك ثم قال فرحم أبينا آدم مقطوعة عند غالب الناس من أهل الله فكيف بالعامة فى ذلك فالحمد لله الذى من على بصلة رحمى ووصلها من أصحابى بسببى وكان ذلك عن توفيق الهى فانى لم أر لاحد فى ذلك قدما أمشى على أثره فيها وما قال الله فى غير موضع من القرآن يا بنى آدم الا ليذكرنا بأبينا لنصله ومع ذلك فلم يتنبه أحد لهذه الآية وهذه الذكرى من الله شبيهة بقوله تعالى يا أخت هرون وأين زمان هرون منها انتهى

كون الانسان يقلد فكره ونظره وهما محدثان مثله وقوة من القوى التي جعلها الحق تعالى خديمة للعقل وهو يعلم مع ذلك كونها لا تتعدى مرتبتها في العجز عن أن يكون لها حكم قوة أخرى كالقوة الحافظة والمصورة والمخيلة ثم انه مع معرفتهم بهذا القصور كله يقلدقواها العاجزة في معرفة ربه ولا يقلد ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وسنة نبيه فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط وكل صاحب فكر أو تأويل فهو تحت هذا الغلط بلا شك فانظر يا أخي ما أفقر العقل وما أعجزه حيث لا يعرف شيأ مما ذكرناه الا بواسطة القوى المذكورة وفيها من العلل والقصور ما فيها ثم انه اذا حصل شيأ من هذه الامور بهذه الطرق يتوقف في قبول ما أخبر الله به عن نفسه ويقول ان الفكر يرده فيقلد فكره ويزكيه ويجرح شرع ربه وأطال في ذلك ثم قال وبالجملة فليس عند العقل شئ من حيث نفسه واذا كان كذلك فقبوله ما صح عن ربه وأخبر به عن نفسه أولى من قبوله من فكره بعد أن علم ان فكره مقلد لخياله وخياله مقلد لحواسه اه وقال في الباب الثالث من الفتوحات اعلم أن جميع ما وصف الحق تعالى به نفسه من خلق واحياء واماتة ومنع واعطاء ومكر واستهزاء وكيد وفرح وتعجب وغضب ورضا وضحك وتبشبش وقدم ويد ويدين وأيد وعين وأعين وغير ذلك كله نعت صحيح لربنا فاننا ما وصفناه به من عند أنفسنا وانما هو تعالى هو الذي وصف بذلك نفسه على ألسنة رسله قبل وجودنا وهو تعالى الصادق وهم الصادقون بالادلة العقلية ولكن ذلك على حد ما يعلمه سبحانه وتعالى وعلى حد ما تقبله ذاته وما يليق بجلاله لا يجوز لنا رد شئ من ذلك ولا تكييفه ولا نقول بنسبته الى الله الا على غير الوجه الذي ينسبه الينا ونعوذ بالله أن نضيف ذلك الى الله على حد علمنا نحن به فانا جاهلون بذاته في هذه الدار وفي الآخرة لا ندري كيف الحال وكل من رد شيأ مما أثبته الحق تعالى لنفسه على ألسنة رسله فقد كفر بما جاء من عند الله وكل من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كذلك ومن آمن بذلك ولكن نسبه له تعالى في نسبته ذلك اليه مثل نسبته الينا أو توهم ذلك أو خطر على باله أو تصوره أو جعل ذلك ممكنا فقد جهل وما كفر قال وهذا هو العقد الصحيح انتهى * وقال في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان جميع المشاهدين للحق تعالى لا يخرجون عن هاتين النسبتين وهما نسبة التنزيه لله تعالى ونسبة التنزل للخيال بضرب من التشبيه فأما نسبة التنزيه فهي تجليته تعالى في نحو ليس كمثله شئ وأما نسبة التنزل للخيال فهي تجليته في قوله تعالى وهو السميع البصير وفي نحو قوله في الحديث اعبد الله كأنك تراه وقوله فأينما تولوا فثم وجه الله وان الله في قبلة أحدكم وفي وثم ظرف ووجه الله ذاته وحقيقته قال وجميع الاحاديث والآيات الواردة بالالفاظ التي تنطلق على المخلوقات باستصحاب معانيها اياها ولولا استصحاب معانيها اياها المفهومة من الاصطلاح ماوقعت الفائدة بذلك عند المخاطب بها مما يخالف ذلك اللسان الذي نزل به هذا التعريف الالهي قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم يعني يبين لهم بلغتهم ما هو الامر عليه ولم يشرح لنا الرسول المبعوث بهذه الالفاظ هذه الالفاظ بشرح يخالف ما وقع عليه الاصطلاح فنسب تلك المعاني المفهومة من تلك الالفاظ الى الحق جل وعلا كما نسبها الى نفسه ولا يحكم في شرحها بمعان لا يفهمها أهل ذلك اللسان الذين نزلت هذه الالفاظ بلغتهم فنكون من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ومن الذين يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون بمخالفتهم فيجب علينا أن نقر بالجهل بمعرفة كيفية النسبة قال وهذا هو اعتقاد السلف قاطبة لا نعلم لهم مخالفا وأطال في ذلك ثم قال وقد ورد في القرآن قوله تعالى في آدم لما خلقت بيدي ومعلوم انه لا يسوغ هنا حمل اليدين على القدرة لوجود التثنية ولا على ان تكون الواحدة يد النعمة والاخرى يد القدرة لان ذلك سائغ في كل موجود والآية انما جاءت تشريفا لآدم على ابليس ولا شرف لآدم بهذا التأويل فلابد أن يكون لليدي معنى خلاف ما ذكرناه مما يعطي التشريف ولا نعلم أن اليدين الا هاتين النسبتين اللتين هما نسبة التنزيه ونسبة التنزل للخيال كما في قوله في الحديث فلما خلق تعالى الكرسي تدلت اليه القدمان ولا يعلم القدمان الا الامر والنهي اللذان هما مظهر اهل الجنة والنار فافهم فلهاتين النسبتين اللتين ذكرناهما خرج بنو آدم لما توجهت عليهم هاتان النسبتان على ثلاثة أقسام كامل وهو الجامع بين النسبتين وواقف مع

وأطال في ذكر أسرار الحج بنحو ثلاثين ورقة وفي هذا القدر كفاية والله أعلم * وقال في الباب الثالث والسبعين وذكر فيه شرح أسئلة الحكيم الترمذي رضي الله عنه اعلم أنه ما ثم دليل يرد طريق القوم ولا قادح يقدح فيها شرعا ولا عقلا وانما ردها من ردها بالجهل بها فان طريق القوم لا تنال بالنظر الفكري ولا بضرورات العقول وانما هي نور في القلب يحدث فيه بواسطة اتباع الكتاب والسنة فيدرك الامور يقينا لا ظنا وتخمينا * وقال انما نكر تعالى علما في قوله في حق الخضر وآتيناه من لدنا علما ليشمل الاربعة علوم التي خص بها أصحاب منازل القربة الذين الخضر رأسهم وهي علم الكتابة الالهية وعلم الجمع والتفرقة وعلم النور والعلم اللدني * قال ومنزل أهل القربة مقام بين الصديقية ونبوة التشريع فافهم * وقال لولا القول اللين ما انكسرت غلظة فرعون ولا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا عليه كل ذلك الاجتماع قال تعالى فقولا له قولا لينا وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فتأمل واعتبر * وقال اجتمعت بعيسى عليه السلام في وقائع كثيرة وتبت على يديه ودعا لي بالثبات على الدين في الحياة الدنيا وفي الآخرة ودعاني بالحبيب وأمرني بالزهد والتجريد * (قلت) * وهو أمر غريب ولكن الشيخ له أغرب من هذا وهو أخذه الطريق عن

دليل

دليل فكره أو نظره خاصة ومشبه بما أعطاه اللفظ الوارد ولا رابع لها وهؤلاء من المؤمنين فمن قال بالتنزيه فقط
ورد التنزل المعقول فقد انحرف عن طريق الكمال وكذلك من قال بالتشبيه وحده دون التنزيه فنسأل الله
ان يحفظنا من انحراف المتكلمين ومن انحراف المجسمين آمين اهـ * وقال في الباب السابع والسبعين
وثلثمائة اعلم أنه يجب الايمان بآيات الصفات وأخبارها على كل مكلف قال وقد أخبر الله تعالى عن نفسه
على ألسنة رسله أن له يدا ويدين وأيديا وأصبعا وأصبعين وأصابع وعينا وعينين وأعينا ومعية وضحكا وفرحا
وتعجبا واتيانا ومجيئا واستواء على العرش ونزولا منه الى الكرسي والى سماء الدنيا وأخبر أن له بصرا وعلما
وكلاما وصوتا وأمثال ذلك من نحو الهرولة والحد والمقدار والرضا والغضب والفراغ والقدم قال وهذا
كله معقول المعنى مجهول النسبة الى الله تعالى يجب الايمان به لانه حكم حكم به الحق على نفسه فهو أولى مما
حكم به مخلوق وهو العقل وما جنح صاحب العقل الى التأويل الا لينصر جانب العقل والفكر على جانب
الايمان فانه ما أول حتى توقف عقله في القبول فكأنه في حال تصديقه لله غير مصدق له انتهى * وقال الشيخ
في كتابه لواقح الانوار اعلم انه ليس عند أهل الكشف في كلام العرب مجاز أصلا انما هو حقيقة وذلك انهم
وضعوا ألفاظهم حقيقة لما وضعوها له فوضعوا اليد القدرة للقدرة ويد الجارحة للجارحة ويد المعروف
للمعروف وهكذا ومن ادعى انهم تجوزوا في ذلك فعليه الدليل ولا سبيل له اليه ولما قالوا فلان أسد وضعوا
هذا حقيقة في لسانهم أن كل شجاع يسمى أسدا فوضعوا هذا الاطلاق حقيقة لا مجازا ومن هنا يعلم العاقل أن
كل ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر اليد والعين والجنب ونحو ذلك لا يقضي بالتشبيه في شئ اذ التشبيه
انما يكون بلفظ المثل أو كاف الصفة وما عدا هذين الامرين انما هو الفاظ اشتراك فنسبها حينئذ متى جاءت
الى كل ذات بما تعطيه حقيقة تلك الذات اهـ * وقال في الباب الثاني من الفتوحات اعلم ان كل ما جاء
في الكتاب والسنة مما أوهم ظاهره التشبيه ليس هو على بابه وانما ذلك تنزل لعقول العرب الذين جاء القرآن
على لغتهم وذلك مثل قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فان ملوك العرب كان عندها المكرم
المقرب يجلس منهم على هذا الحد فعقلت بذلك قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل ولا تبالي بما
فهمت من ذلك سوى القرب * وقال في الباب الثالث منها أيضا اعلم انه ما ضل من ضل من المشبهة الا
بالتأويل على حسب ما يسبق الى الافهام من غير نظر فيما يجب لله عز وجل من التنزيه فقادهم ذلك الى
الجهل الصريح ولو انهم طلبوا السلامة وتركوا الآيات والاخبار على ما جاءت من غير عدول منهم فيها الى شئ
ألبتة ووكلوا علم ذلك الى الله ورسوله لافلحوا وكان يكفيهم ليس كمثله شئ فمتى جاءهم حديث ظاهر التشبيه قالوا
ان الله تعالى قد نفى عن نفسه التشبيه بليس كمثله شئ فما بقي الا أن لذلك الخبر وجها من وجوه التنزيه وجيء
بذلك لفهم العربي الذي نزل القرآن بلسانه على انك لا تجد قط لفظة في كتاب ولا سنة تكون نصا في التشبيه
أبدا وانما تجدها عند العرب تحتمل وجوها منها ما يؤدي ظاهره الى توهم التشبيه ومنها ما يؤدي الى التنزيه
فحمل المتأول ذلك اللفظ على الوجه الذي يؤدي الى التشبيه ثم انه يأخذ بعد ذلك في تأويله جور على ذلك
اللفظ اذ لم يوفه حقه بما يعطيه وضعه في اللسان مع ما في ذلك أيضا من التعدي على صفات الله تعالى حيث حمل
عليه ما لا يليق بجلاله قال ونحن نورد لك بعض أحاديث وردت يعطي ظاهرها التشبيه وليست بنص فيه
لتقيس عليها ما لم أذكره لك * فمن ذلك حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن نظر العقل بما
يقتضيه الوضع من الحقيقة والمجاز فوجد الاصبع لفظا مشتركا يطلق على الجارحة وعلى النعمة تقول العرب
ما أحسن أصبع فلان على ماله فاذا كان الاصبع يطلق على الجارحة وعلى النعمة والاثر الحسن فباي وجه
يحمل الاصبع على الجارحة كانه نص في ذلك ويترك وجه التنزيه فاما أن العبد يؤول ذلك على ما يليق
بالتنزيه واما أن يسكت ويكل علم ذلك الى الله والى من عرفه الحق ذلك من نبي أو ولي ملهم لكن بشرط نفي
الجارحة ولا بد اللهم الا أن يقوم لنا بدعي فلا يحل لنا السكوت بل يجب علينا أن نبين ما يحتمله ذلك اللفظ من
التنزيه حتى ندحض حجته كما يقع لنا مع القائلين بالتجسيم فعلم ان معنى الحديث على مذهب أهل الحق من

ما يشهد للشيخ في نزول
عيسى الى الارض بعد
رفعه وقبل اليوم الموعود
وقال اذا جاز نزوله بعد رفعه
مرة فلا بدع ان ينزل مرارا
والله أعلم * وقال المراتب
التي تعطي السعادة
للانسان أربعة وهي
الايمان والولاية والنبوة
والرسالة ولاهل كل مرتبة
ذوق يخصهم لكن قد
يكون للنبي ذوق في مرتبة
الايمان والولاية فان كان
رسولا زاد عليهم بذوق
مقام الرسالة لانه رسول نبي
ولي مؤمن وقد لا يكون له
ذوق في ذلك قال الخضر
لموسى عليهما السلام ما لم
تحط به خبرا والخبر الذوق
* قال الشيخ ثم ان العلم من
شرائط الولاية لا من شرائط
الايمان لان الايمان مستنده
الخبر الذي بلغه عن
الصادق فاذا لم يكن هنالك
خبر كايام الفترات ووحد
الله تعالى منهم أحد فهو
سعيد مع كونه لا يسمى
مؤمنا فالمؤمن لا يكون الا
موحدا وأما الموحد بنور
قذفه الله في قلبه فقد لا يكون
مؤمنا فتأمله وحرره
* وقال انما سميت العبارة
عبارة لانك تجوز منها
الى المعنى المقصود منها وانما
سمي الوحي وحيا لسرعته
فان الوحي عين الفهم عين
الافهام عين المفهوم منه
كما يذوقه أهل الالهام من

 الاولياء * وقال ليس فوق الانسان الكامل مرتبة الامر تنبه الملائكة في الخلوات وكون الملائكة

هذا التقرير قلب المؤمن بين نعمتين من نعم الرحمن وهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد والله أعلم * ومن ذلك القبضة واليمين في قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه نظر العقل بما يقتضيه الوضع فعرف من وضع اللسان العربي أن معنى الآية أن الوجود كله في قبضته يعني تحت تصريفه كما يقال فلان في قبضة يدي يريد أنه تحت حكمي وليس في يد جارحة منه شئ البتة وانما أمره وحكمه ماض فيه لا غير مثل حكمه على ما ملكته يده محسا وقبضت عليه فلما استحالت الجارحة على الله تعالى عدل العقل الى روح القبضة ومعناها وفائدتها وهو أن عالم الدنيا والآخرة في قبضة تصريف الحق تعالى وأما قوله بيمينه فانما ذكرها لان اليمين محل التصريف المطلق القوى اذ اليسار لا تقوى في العادة قوة اليمين فكنى باليمين عن التمكن من الطي فهو اشارة الى تمكن القدرة من الفعل فوصل المعنى الى أفهام العرب بألفاظ يعرفونها وتسارع قلوبهم الى التلقي لها بالقبول والله أعلم * ومن ذلك التعجب والضحك والفرح والغضب نظر العقل فرأى التعجب لا يقع الا من موجود ورد على المتعجب لم يكن له به علم قبل ذلك وهنالك يصح له التعجب منه وكذلك القول في الضحك والفرح ومعلوم أن ذلك محال على الله لانه هو الخالق لذلك الامر الذي أخبر أنه يتعجب منه أو يضحك لاجله أو يفرح له فرجع المعنى الى أن مثل ذلك انما هو تنزل للعقول ليظهر لاصحابها شرف صاحب تلك الصفة التي وقع التعجب منها كما في حديث يعجب ربنا من شاب ليس له صبوة أي لا يقع في الزنا مثلا مع ثوران شهوته قال ويصح حمل الفرح والرضا والضحك على القبول لذلك الامر فان حمل ذلك في جانب الحق كما هو في حق الخلق محال وأما الغضب فهو كناية عن وقوع ذلك العبد الذي غضب الحق عليه في النهي وذلك ليعرف العبد أن الانتقام يعقب الغضب اذ هو أثره فيخاف العبد ويستغفر ربه ويتوب من ذلك الامر الذي وقع فيه وقال بعضهم المراد بالغضب الالهي هو اقامة الحدود والتعزيرات على العباد في هذه الدار ولا يصح حمله على ما يتبادر الى الاذهان فان ذلك محال على الحق فانه خالق لافعال عباده فكيف يقع منهم فعل على غير مراده حتى يغضب عليهم وأما الغضب الاخروي فيكون على أهل النار خاصة أما الغضب على غيرهم فينقضي بيوم القيامة ويدخل الله تعالى جميع الموحدين الجنة فافهم * ومن ذلك النسيان ومعلوم أنه لا يجوز حمل ذلك في حق الحق تعالى على حكم حمله في حق الخلق فان ذلك محال لكن لما كان عذاب الكفار لا ينقضي كانوا كالمنسيين عند الملك لكون رحمته لا تنالهم ويقرب من ذلك معنى المكر والاستهزاء والسخرية الوارد في جهة الحق المراد به أثره وأنه يعاملهم معاملة الماكر والمستهزئ والساخر والله أعلم (ومن ذلك) لفظ النفس بفتح الفاء في نحو حديث اني أجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن ومعلوم أن الحق تعالى منزه عن النفس الذي هو الهواء الخارج من الجسم المتنفس وقال بعضهم المراد بالنفس التنفيس فان الله تعالى نفس عنه صلى الله عليه وسلم بالانصار حين أتوه من قبل اليمن وأزال كربه بهم قال ويدل عليه اضافة النفس للاسم الرحمن دون غيره من الاسماء التي لا تعطي الرحمة انتهى

(خاتمة) سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول من اعتقد بقلبه أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق لم يتوقف قط في اضافة صفة أضافها الحق تعالى الى نفسه فكان ينسب الاستواء مثلا الى الله كما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه اذ التشبيه لا يصح في جانب الحق تعالى أبدا وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين ومائتين من الفتوحات اعلم أنه لا يصح لك تنزيه الحق تعالى عن شئ الا بعد شهودك بعقلك ان ذلك الشئ نقص وان ذلك يلحق الحق تعالى ولولم تشهد ذلك ما نزهته عنه والا فكيف تنزهه عن أمر ليس هو مشهودا لك عقلا فاذن التنزيه وجد في الشرع سماعا ولم يوجد في العقل فان غاية تنزيه العقل للحق تعالى عن الاستواء أن يقول المراد بهذا الاستواء هو كالاستواء السلطاني على المكان الاحاطي الاعظم أو على الملك فما خرج هذا عن التشبيه فان غايته انه انتقل من التشبيه بمحدث ما الى التشبيه بمحدث آخر فوقه في المرتبة فما بلغ العقل في التنزيه مبلغ الشرع فيه من نحو قوله ليس كمثله شئ ألا تراهم استشهدوا في التنزيه العقلي للاستواء بقولهم * قد استوى بشر على العراق * وأين استواء بشر على العراق الذي هو عبد من

تلمذت له حين علمهم الاسماء لا يدل على انه خير من الملك وانما يدل على انه أكمل نشأة من الملك لا غير * (قلت) هذا كان مذهب الشيخ أولا ثم رجع عنه كما نبه عليه في الباب الثامن والتسعين ومائة والباب الثالث والثمانين وثلثمائة من الفتوحات * وقال الخلاف في غير محمد صلى الله عليه وسلم أما هو فهو أفضل الخلق على الاطلاق فراجعه وقد عرف بعضهم الوحي بانه ما تقع به الاشارة القائمة مقام العبارة في غير عبارة * وقال من خاض في الدنيا فيما يكرهه الحق تعالى خيض به يوم القيامة فيما يكره جزاء وفاقا * وقال قد جاء أكثر الشريعة على فهم العامة في صفات التنزيه ولم يجئ على فهم الخاصة الا بعض تلويحات نحو قوله تعالى ليس كمثله شئ وسبحان ربك رب العزة عما يصفون * وقال ذهب بعضهم الى أنه يجوز لنا أن نسأل لانفسنا مقام الوسيلة التي رجا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون له قال لانه صلى الله عليه وسلم لم يعين حصولها لنفسه ولا حجرها على واحد بعينه وانما نحن مؤثرون له بها فلا نسألها الا له صلى الله عليه وسلم لانه طلبها منا ان نسأل الله له الوسيلة انتهى (قلت) هذا كلام فيه ما فيه والذي نعتقده أنه لا يجوز لاحد من الامة سؤال الوسيلة لنفسه أبدا لانعقاد الاجماع على أنها لا تكون الا له صلى الله عليه وسلم والله أعلم (وقال) اذا غلق باب التوبة

استواء الخالق جل وعلا على أن الشيخ قال في مكان آخر من حمل الاستواء على الاستيلاء كما يتولى الملك على ملكه فأي شئ أنكره على من قال بالاستقرار الذي هو من صفات الاجسام وكلا الامرين حادث بل لو جاز اطلاق أحد الامرين لكان اطلاق الاستقرار أولى لكون العرش جاء في الحديث بمعنى السرير بنحو قوله صلى الله عليه وسلم ان الكرسي في جوف العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة انتهى (تتمة) نختم بها الخاتمة * قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والستين وثلثمائة من الفتوحات اعلم ان من عدم الانصاف ايمان الناس بما جاء من آيات الصفات وأخبارها على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام وعدم ايمانهم بها اذا أتى بها أحد من كمل العارفين الوارثين للرسل فان الخبر واحد فكما وجب الايمان بما جاءت به الرسل من ذلك كذلك يجب الايمان بما جاء به الاولياء المحفوظون وكما سلم لما جاء به الاصل كذلك نسلم لما جاء به الفرع بجامع الموافقة للشرع فياليت الناس اذ لم يؤمنوا بما جاء به الاولياء يجعلونهم كاهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم اه فتأمل في هذا المبحث وتعقله فانك لا تجده مبينا في كتاب والله يتولى هداك

(المبحث التاسع عشر في الكلام على الكرسي واللوح والقلم الاعلى)

اعلم يا أخي ان الحق تعالى كما جعل العرش محل الاستواء كما يليق بجلاله كذلك جعل الكرسي محل بروز الاوامر والنواهي المعبر عنهما في حديث الكرسي بتدلي القدمين من العرش اليه اذ العرش محل أحدية الكلمة العلية المشتملة على الراحة كما أشار الى ذلك تخصيص الاستواء بالاسم الرحمن وأما الكرسي فقد انقسمت الكلمة فيه الى أمرين ليخلق تعالى من كل شئ زوجين فظهرت الشفعية في الكرسي بالفعل وكانت في العرش بالقوة فان قدمي الامر والنهي لما تدلتا الى الكرسي انقسمت فيه الكلمة الرحمانية هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي فاستقرت كل قدم في مكان غير مكان القدم الآخر وهو منتهى استقرارهما فسمي أحدهما جنة والآخر جهنم وليس بعدهما مكان ينتقل اليه أهل القدمين كما ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائة وما ذكرناه من أن المراد بالقدمين اللتين تدلتا الى الكرسي هما الامر والنهي هو الصحيح خلاف ما توهمه المجسمة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ذكره الشيخ في الباب الرابع والسبعين وثلثمائة وعبر عن القدمين في الباب الثالث عشر بانهما الخير والشر وكلاهما صحيح لان الخير والشر الامر والنهي فاعلم ذلك فانه نفيس لا تجده تأويله في كتاب (فان قيل) فما محل استقرار أعمال بني آدم اذا صعدت بها الملائكة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين من الفتوحات أنه ينتهي صعودها الى سدرة المنتهى فان كل شئ يرجع نهايته الى ما منه بدا (فان قيل) ان الكرسي هو موضع القدمين اللذين هما الامر والنهي فلا يتأخر عن الكرسي عمل (فالجواب) ان ذلك خاص بعالم الخلق والامر وأما التكاليف فان أصله انما هو منقسم من السدرة فقطع أربع مراتب قبل السدرة والسدرة هي المرتبة الخامسة وايضاح ذلك أن التكاليف ينزل من قلم الى لوح الى عرش الى كرسي الى سدرة ومعلوم ان أحكام التكاليف خمسة لا سادس لها واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح فظهر الواجب من القلم والمندوب من اللوح والمحظور من العرش والمكروه من الكرسي والمباح من السدرة اذ المباح هو حظ النفس فلذلك كان منتهى نفوس عالم السعادة الى السدرة والى أصولها وهي الزقوم ينتهي نفوس عالم الشقاء فاذا صعدت الاعمال التي نشأت من هذه الاحكام الخمسة المذكورة كان غايتها الى الموضع الذي منه ظهرت انتهى (فان قيل) فما صورة صعود الاعمال مع انها اعراض (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والتسعين وثلثمائة انها تتطور ملائكة على شاكلة فاعلها ثم تصعد فتخرج من الهيكل الى محالها على مركبها الذي هو روح الحضور فيها فيضع قدمه منتهى بصره حتى يصل العمل الى محل انتهائه الذي هو محل بروزه الاول (فان قيل) فما وجه تخصيص هذه الاماكن بالاحكام الخمسة وهو كون الواجب من القلم والمندوب من اللوح الخ (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين أن وجه التخصيص كون كل محل عدما برز منه فيكون من القلم نظر الى الاعمال الواجبة

غلقه ايمان على كافر فعلم ان غلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ووبال على الكافر وانما كان هذا الباب بالمغرب دون المشرق لان المغرب محل الاسرار والكتم * وقال الشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى عن بضة وهي نادرة أن تقع من متقيد بالشريعة لكن من شرط أهل الله اذا ذكروا تذكروا فاستغفروا ومنها وسيأتي بسط ذلك في الباب الخامس والتسعين ومائة * وقال في الباب الرابع والسبعين العارف من سلك في توبته مسلك أبيه آدم في الندم والاعتراف وأما العزم على أنه لا يعود فليس ذلك في يده حقيقة انما هو اظهار أدب أي لو كان الامر في يدي ما عصيتك قط جزما فافهم ذلك وحرره (وقال) في الباب السابع والسبعين ينبغي لمن سمع شخصا يقول الحمد لله رب العالمين أن يصغي لها كما يصغي لتلاوة القرآن فانها قرآن فالادب حمل قائلها على أنه قصد بها التلاوة لا الذكر حتى يثاب السامع لها ثواب من سمع القرآن ولابد * قال وهذا مشهد غريب قل أن ترى له ذائقا وهو قريب سهل لا كلفة فيه وهو من باب حسن الظن بالناس * وقال في الباب الموفي تسعين انما كان البياض أحب الى الله تعالى وأمرنا بلبسه يوم الجمعة لان الملونات كلها تستحيل اليه ولا يستحيل هو اليها قال واعلم أن البياض على نوعين

فيمدها بحسب ما يرى فيها و يكون من اللوح نظرا الى الاعمال المندوبة فيمدها بحسب ما يرى فيها و يكون من العرش نظرا الى المحظورات فلا يمدها الا بالرحمة لانه محل استواء الاسم الرحمن قال ولهذا يكون مآل من لم يسبق له شقاوة الى الرحمة و يكون من الكرسى نظرا الى الاعمال المكروهة فيمدها بحسب ما يرى فيها لكن رحمة الكرسى دون رحمة العرش اذ الرحمة تعظم بحسب الذنب والمكروه أقل قبحا من الحرام بيقين فلذلك عمت رحمة الكرسى جميع من فعل المكروه و رحمة العرش جميع من فعل الحرام اما رحمة امهال وتخفيف واما رحمة دوام ولما كان الكرسى محل بروز الامر والنهى على ما قررناه أسرع فى العفو والتجاوز عن أصحاب المكروه من الاعمال ولهذا لا يؤاخذ فاعل المكروه و يؤجر تاركه والله أعلم (فان قلت) فما صورة خلقه تعالى اللوح والقلم والكرسى والعرش وأيهما خلق قبل الآخر (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث عشر من أبواب الفتوحات ان أول ما خلق الله القلم الاعلى فهو رأس ملائكة التدوين والتسطير وأما اللوح فهو مشتق من القلم وقد جعل الله لهذا القلم ثلثمائة وستين سنا كل سن يغترف من ثلثمائة وستين صنفا من العلوم الاجمالية فيفصلها فى اللوح ثم انه ذكر فى الباب الستين منها أن مقدار أمهات فروع علوم القلم المتعلقة بالخلق الى يوم القيامة ما خرج من ضرب ثلثمائة وستين فى مثلها من أصناف العلوم لا تزيد علما واحدا ولا تنقص اه وقال فى الباب الثالث عشر اعلم أن الحق تعالى لما تجلى للقلم وهو فى محل التعليم الذهنى قذف الله تعالى فيه ما يريد ايجاده فى خلقه لا الى غاية فأوجده فقبل بذاته علم ما يكون وما للحق تعالى من الاسماء الالهية الطالبة صدور هذا العالم ثم اشتق من هذا القلم موجود آخر سماه اللوح وأمر القلم أن يتدلى اليه و يودع فيه جميع ما يكون الى يوم القيامة لا غير فعلمها اللوح حين أودعه اياها القلم ثم ان الله تعالى أوجد الظلمة المحضة التى هى فى مقابلة تجليه للعماء بالنور حتى ظهر فيه صور الملائكة ولولا هذا النور ما ظهر لهم فى صورة وهذه الظلمة بمنزلة العدم المطلق المقابل للوجود المطلق فعندما أوجدها تعالى أفاض عليها من ذلك النور المتجلى للعماء فظهر الجسم المعبر عنه بالعرش فاستوى عليه الرحمن بالاسم الظاهر فذلك أول ما ظهر من عالم الخلق ثم انه تعالى خلق من ذلك النور الممتزج الذى هو مثل ضوء السحر الملائكة الحافين بالسرير وهو قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ثم انه تعالى أوجد الكرسى فى جوف هذا العرش وجعل فيه ملائكة من جنس طبيعته فان كل فلك أصل لما خلق منه من عماره كالعناصر فيما خلق منها من عمارها كما خلق آدم من تراب وعمر به و ببنيه الارض ثم خلق فى جوف الكرسى الافلاك فلكا فى جوف فلك ثم خلق بعد ذلك الارواح ثم الغذاء ثم جعل لكل مكلف مرتبة فى السعادة والشقاء اه (فان قلت) فقد ورد فى الحديث ان الحق تعالى قال للقلم اكتب علمى فى خلقى الى يوم القيامة فذكر الغاية فما حكم ما يقع بعد يوم القيامة أبد الآبدين (فالجواب) ان جميع ما يقع للخلق بعد يوم القيامة من توابع الاحكام التى كتبت عليهم فى اللوح حتى الشقاء الابدى لتجزى كل نفس بما تسعى أبد الآبدين ودهر الداهرين * وقال الشيخ فى الباب السابع والعشرين وثلثمائة يكتب علمه فيها لانها لا تتناهى وما لا يتناهى أمده لا يحويه الوجود والكتابة وجود اه (فان قلت) فما وجه تخصيص القلم الاعلى بالذكر فهل هناك غيره قلم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس عشر وثلثمائة من الفتوحات ان هناك أقلاما أخر دون القلم الاعلى وألواحا أخر دون اللوح المحفوظ كما أشار اليه حديث الاسراء وقوله فيه فوصلت الى مستوى سمعت فيه صريف الاقلام والصريف هو الصوت (فان قلت) فما عدد هذه الالواح والاقلام (فالجواب) عددها ثلثمائة وستون قلما وثلثمائة وستون لوحا ذكره الشيخ فى الفتوحات فى الباب المتقدم آنفا قال و رتبة هذه الاقلام والالواح دون رتبة القلم الاعلى واللوح المحفوظ وذلك لان الذى كتب فى اللوح المحفوظ لا يتبدل ولذلك سمى بالمحفوظ يعنى من المحو فلا يمحو تعالى ما كتبه فيه بخلاف هذه الاقلام والالواح فان هذه الاقلام تكتب دائما فى ألواح المحو والاثبات ما يحدثه الله تعالى فى العالم من الاحكام المشار اليها بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء و يثبت * قال ومن هذه الالواح تنزلت الشرائع والصحف

أحدهما ما يكون لونا فى ظاهر العين فقط كسواد الجبال البيض على البعد فاذا جئتها رأيتها بيضاء وقد كنت تحكم عليها بالسواد غلطا قال وبهذه المثابة أيضا زرقة السماء انما هو فى نظر العين وان كانت فى نفسها على لون يخالف لون الزرقة * وقال فيه انما اختار الحق تعالى من الشهور رمضان لمشاركته لاسم الله فقد ورد أن رمضان من أسمائه تعالى فتعينت له حرمة ما هى لسائر شهور السنة قال وانما جعله الشارع من الشهور القمرية لتعم بركته جميع شهور السنة فحصل لكل يوم من أيام السنة حظ منه فان أفضل الشهور عندنا رمضان ثم شهر ربيع الاول ثم رجب ثم شعبان ثم ذو الحجة ثم شوال ثم القعدة ثم المحرم والى هنا انتهى علمى فى فضيلة الشهور القمرية وأما بقية الشهور وهى صفر وربيع الآخر والجاديات فهى متساوية فى الفضل فيما يغلب على ظنى فانى ما تحققت فيها تفاضلا فلم يمكنى أن أقول ما ليس لى به علم * وقال فى الباب الثانى والتسعين ينبغى لكل مؤمن أن يتورع ان لم يكن ورعا قال ومما يقع فيه غالب المتورعين ان أحدهم اذا رأى شخصا على مخالفة شرع فى أفعاله أو أقواله أو عقائده ثم فارقه لحظة واحدة لا يجوز له الحكم عليه بما وقع منه قبل تلك اللحظة ومتى ظن بذلك الشخص انه باق على مخالفته خرج عن مقام الورع وصار من

والكتب

وا لكتب الالهية على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولهذا دخلها النسخ بل دخل النسخ في الشرع الواحد قال والى محل هذه الالواح كان التردد ليلة الاسراء أي تردد محمد صلى الله عليه وسلم بين الالواح وبين موسى عليه الصلاة والسلام في شأن الصلوات الخمس فكانت حضرة خطاب الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الالواح والى الخمس كان منتهاه فمحا الله تعالى عن أمة محمد ما شاء من تلك الصلوات التي كتبها في هذه الالواح الى أن أثبت فيها الخمسة وأثبت لمصليها أجر الخمسين وأوحى الى محمد ما يبدل القول لدى فما رجع موسى عليه الصلاة والسلام بعد الخمسة يسأل شيأ من التخفيف على سبيل الجزم وانما ذلك من حضرة الاطلاق على سبيل العرض قال ومن حضرة هذه الالواح أيضا نزل قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده * ومنها أيضا وصف الحق تعالى نفسه بالتردد في قبضه نسمة عبده المؤمن حين موته مع أنه تعالى هو الذي قضى عليه بذلك من باب رحمتي سبقت غضبي قال ومن هذه الحقيقة الالهية التي كنى عنها بالتردد يكون سريانها في التردد الكوني في الامر وحصول الحيرة فيه وذلك ان الانسان اذا وجد نفسه تتردد في فعل ما هل يفعله أم لا وما زال ذلك الحال به حتى وقع أحد الامور التي كان تردد فيها وزال التردد فذلك الامر الواقع هو الذي ثبت في اللوح المحفوظ من تلك الامور المتردد فيها وهو الذي ينتهي اليه أيضا أمر ألواح المحو والاثبات وايضاح ذلك أن القلم الكاتب في لوح المحو يكتب أمرا ما وهو زمان الخاطر الذي يخطر للعبد فيه فعل ذلك الامر ثم ان تلك الكتابة تمحى فيزول ذلك الخاطر من ذلك الشخص لانه ثم رقيقة من هذا اللوح تمد الى نفس هذا الشخص في عالم الغيب فان الرقائق الى النفوس من هذه الالواح تحدث بحدوث الكتابة وتنقطع بمحوها فاذا أبصر القلم موضعها من اللوح محوا كتب غيرها مما يتعلق بذلك الامر من الفعل والترك فتمتد من تلك الكتابة رقيقة الى نفس ذلك الشخص الذي كتب هذا من أجله فيخطر لذلك الشخص ذلك الخاطر الذي هو نقيض الاول ثم ان أراد الحق تعالى اثباته لم يمحه فاذا ثبت بقيت رقيقة متعلقة بقلب هذا الشخص وثبتت ليفعل ذلك الامر أو يتركه بحسب ما في اللوح فاذا فعله أو ثبت على تركه وانقضى فعله محاه الحق تعالى من كونه محكوما بفعله وأثبت صورة عمل حسن أو قبيح على قدر ما يكون ثم ان القلم يكتب أمرا آخر هكذا الامر دائما فاعلم أن القلم الاعلى أثبت في لوحه كل شئ تجري به هذه الاقلام من محو واثبات ففي اللوح المحفوظ اثبات المحو في هذه الالواح واثبات الاثبات ومحو الاثبات عند وقوع الحكم وانشاء أمر آخر فهو لوح مقدس عن المحو ولذلك سمي محفوظا يعني من المحو كما مر (فان قلت) فهل يدخل المحو في الذوات كالاعمال (فالجواب) كما قاله سيدي علي الخواص رضي الله عنه لا يدخل المحو في الذوات وانما هو خاص بالاحوال والاعمال كما أشار اليه حديث ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة الحديث اهـ (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على عدد الحوادث التي كتبها القلم الاعلى في اللوح الى يوم القيامة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة نعم قال وأنا ممن أطلعه الله على ذلك (فان قيل) فكم عدد ما سطر في اللوح من آيات الكتب الالهية (فالجواب) عدد ما سطر في اللوح من الآيات التي أنزلت على الرسل مائتا ألف آية وتسع وستون ألف آية ومائتا آية ذكره الشيخ محيي الدين في الباب المتقدم وقال هذا ما أطلعنا الله عليه (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على عدد أمهات علوم أم الكتاب الذي هو الامام المبين (فالجواب) نعم يطلع الله على ذلك من يشاء من عباده * قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والعشرين والذي أطلعني الله تعالى عليه من طريق الكشف ان عدد أمهات علوم أم الكتاب مائة ألف نوع وتسعة وعشرون ألف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوي على علوم جمة اهـ (فان قلت) فما مراد أهل العقائد بقولهم السعيد من كتبه تعالى في الازل سعيدا والشقي من كتبه الله تعالى في الازل شقيا هل هذه الكتابة المذكورة في اللوح المحفوظ أم غيره وهل الازل غير زمان أو زمان لائق بالحق تعالى لا يتعقل (فالجواب) المراد به أم الكتاب كما قاله ابن عباس وغيره فالمراد بالازل ما لا يدخله تبديل ولا تغيير وفي حديث الترمذي فرغ ربك من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير * وقال شيخ مشايخنا الشيخ

أهل الوقوع في الشبهات قال وقليل من يكون على هذا القدم * وقال في الباب الثامن والتسعين من شرط الولي الكامل ان لا ينام له قلب بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكامل مطالب بحفظ ذاته الباطنة عن الغفلة كما يحفظ باليقظة ذاته الظاهرة (قلت) ذكر الشيخ في الباب الحادي والتسعين أنه يجب على الورع أن يجتنبه في خياله كما يجتنبه في ظاهره لان الخيال تابع للحس * قال ولهذا كان أبو يزيد اذا وقع له احتلام فلشيخه معاقبته على ذلك لان الاحتلام رؤيا في النوم أو في التصور وفي اليقظة لا يكون الا من بقية شهوة في خياله فاذا احتلم صاحب كمال فانما ذلك لضعف أعضائه الباطنة لمرض طرأ في مزاجه لا عن احتلام لا في حلال ولا في حرام انتهى فتامله والله أعلم * وقال في الباب الثامن ومائة فتنة العبد باتساع الدنيا عليه وانقياد الوجود له أعظم من فتنة الضيق وعصيان الخلق له * وقال الشهوة آلة للنفس تعلو بعلو المشتهى وتسفل باستفاله وحقيقة الشهوة ارادة الالتذاذ بما يطلب أن يلتذ به * قال والذي أقوله به أن صحبة المريدين للاحداث حرام عليهم لاستيلاء الشهوة الحيوانية عليهم بسبب ضعف العقل الذي جعله الله مقابلا لها بخلاف الكمل من الرجال الذين ارتقوا عن عالم طبيعتهم فان الكامل اذا رأى الامرد أملس لا نبات بعارضيه تذكر مقام تجريده وانه حديث عهد بربه

كمال الدين بن أبي شريف مرادهم بغير الازل التي تكتب فيها الملائكة رزق الانسان وأجله وشقيا أو سعيدا عندما ينفخ فيه الروح ولامانع من تطرق التبديل الى ما كتب في هذه الصحف لتعلق السعادة والشقاوة فيها على شئ لايدرى الملك أيقع أم لا مع علم الله بما يكون من وقوعه أو عدمه اه (قلت) وفيه تأييد لما قدمناه من أمر ألواح المحو والاثبات الثلثمائة وستين لوحا المتقدمة عند أهل الكشف ولعلها هي المرادة في لسان المتكلمين بالصحف (فان قلت) هل يقال ان الحق تعالى تكلم في الازل كما ذهب اليه بعضهم (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في بعض كتبه ان ذلك لا ينبغي لذهاب الذهن الى الزمان المعقول والحق تعالى منزه عن أن يقول أو يقدر في الازمان اذ الزمان مخلوق والتقدير قديم فافهم اه (فان قيل) كيف دخل التبديل والتغيير للتوراة مع ما ورد ان الله كتب التوراة بيده (فالجواب) ان التوراة لم تتغير في نفسها وانما كتابتهم اياها وتلفظهم بها لحقها التغيير فنسبة مثل ذلك الى كلام الله تعالى مجاز قال تعالى يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فهم يعلمون ان كلام الله تعالى معقول عندهم ولكنهم أبدوا في الترجمة عنه خلاف ما في صدورهم وفي مصحفهم المنزل عليهم فانهم ما حرفوا الا عند نسخهم من الاصل وأبقوا الاصل على ما هو عليه ليبقى لهم ولعلمائهم بعدهم العلم (فان قيل) ان آدم عليه الصلاة والسلام خلقه الله بيده ومع ذلك فما حفظ من المخالفة وأين رتبة اليد من اليدين ان جعلتم اليدين كناية عن شدة الاعتناء بآدم عليه الصلاة والسلام (فالجواب) انما لم يحفظ آدم عليه الصلاة والسلام من جريان الاقدار لانه عبد وليس جريان الاقدار الا عليه لانه هو المحل الاعظم لذلك وأما كلام الله تعالى فانما عصم لكونه حكم الله وحكم الله في الاشياء غير مخلوق لعصمته من ذلك بخلاف آدم ليس هو حكم الله (فان قلت) فاذا كان خلق آدم باليدين انما هو لشدة الاعتناء به على غيره فاذن الحق تعالى بالانعام أشد اعتناء بها منه لان الله تعالى جمع الايدي في خلقها فقال مما عملت أيدينا أنعاما (فالجواب) ان توجه اليدين على آدم أقوى من توجه الايدي على الانعام لان التثنية تدرج بين المفرد والجمع فلها القوة والتمكين من حيث انه لا يوصل الى الجمع الا بها ولا ينتقل عن المفرد الا اليها (فان قلت) فكيف سمى الحق تعالى نفسه بالدهر مع ان الخلق لا يتعقلون الدهر الا زمانا (فالجواب) ان المراد بالدهر هنا هو الازل والابد اللذان هما الاول والآخر وهما من نعوت الله عز وجل بلا شك فانه تعالى سمى نفسه بالاول لكن لا باولية تحكم عليه كالاوليات المسبوقة بالعدم لان ذلك محال في حق الحق وكذلك القول في الآخر فانه تعالى آخر لا بآخرية تحكم عليه نظير اسمه الاول (فان قلت) فما سبب كفر الدهرية على هذا التقدير (فالجواب) سبب كفرهم تعقلهم في الدهر الذي جعلوه الها انه زمان فلكي اذ الفلكي لا حقيقة له في زمان الله الذي لا يتعقل ولو انهم اعتقدوا الدهر كما ذكرنا ما كفروا لقوله صلى الله عليه وسلم يقول الله أنا الدهر والله تعالى أعلم

* (المبحث العشرون في بيان صحة أخذ الله العهد والميثاق على بني آدم وهم في ظهره عليه الصلاة والسلام) *

اعلم يا أخي ان المعتزلة قد انكروا هذا العهد والميثاق وزعموا ان معنى قوله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ان المراد به أخذ بعضهم من ظهر بعض بالتناسل في الدنيا الى يوم القيامة وانه ليس هناك أخذ عهد ولا ميثاق حقيقة وان المراد بالعهد والميثاق هو ارسال الرسل واستكمال العقل والنظر والاستدلال توجيه الخطاب الى العبد ولا يخفى ما في هذا المذهب من الخطا والغلط وكيف يصح للمعتزلة هذا القول ومعظم الاعتقاد في اثبات الحشر والنشر مبني على هذه المسئلة والذي يظهر لي انهم انما أنكروا ذلك فرارا من غموض مسائل هذا المبحث ودقة معانيه عليهم فرضوا بالجهل عوضا عن العلم والحق ان الله تعالى أخذ عليهم العهد في ظهر آدم حقيقة لانه على كل شئ قدير (فان قيل) ففي أي محل كان أخذ هذا العهد (فالجواب) كما قاله ابن عباس أن ذلك كان ببطن نعمان وهو واد بجنب عرفة وقال بعضهم بسرنديب من أرض الهند وهو الموضع الذي هبط به آدم من الجنة وقال الكلبي كان أخذ العهد بين مكة والطائف وقال

* قال ويجب على كل مؤمن ومدع لطريق الله ان لم يكن من أهل الكشف والوجود ان يجتنب كل أمر يؤدي الى تعلق القلب بغير الله فانه فتنة في حقه وكذلك يجتنب مواضع التهم وصحبة المبتدعين في الدين ما لا يقبله الدين وكذلك يجتنب مجالسة النسوان وأخذ الارفاق فان القلوب تميل الى كل من أحسن اليها بحكم الطبع وليس هناك قوة الهمة على دفع الشهوات النفسية والمعرفة معدومة من هذا الصنف الذي ذكرناه قال ولا يخفى ان من كان من المريدين تحت حكم شيخ ناصح فهو بحكم شيخه فيه وان كان لا شيخ له فعليه الحرج من الله في صحبته لكل من يردى به كما على الشيوخ الذين ليس لهم قدم صدق في الطريق اللوم في ذلك قال ثم الذي ينبغي للمريد اذا ادعى انه ما صحب الاحداث أو النسوان الا لله أن يزن حاله فان وجد ألما ووحشة عند فقده اياهم وهيجانا الى لقائهم وفرحا باقبالهم فليعلم ان صحبته لهم معلولة وان وقعت المنفعة لذلك الحدث منه سعد وشقي هذا المحب قال وان كانت صحبة المريد قد تعلقت بجميع المخلوقات على حد سواء ومن جملتهم الاحداث والنسوان فلا ينبغي له الركون فقد يكون خديعة نفسية وميزانه أن لا يستوحش عند مفارقة أحد من الخلق لتساويهم

على بن أبى طالب كان أخذ العهد والميثاق فى الجنة وكل هذه الاحتمالات قريبة ولا ثمرة للتعيين بعد صحة الاعتقاد بأخذ الميثاق (فان قيل) فما كيفية استخراجهم من ظهره (فالجواب) قد جاء فى الحديث ان الله تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته كلهم منه كهيئة الذر ثم اختلف الناس هل شق ظهره واستخرجهم منه أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه وكلا هذين الوجهين بعيد والاقرب كما قاله الشيخ أبو طاهر القزوينى رحمه الله انه تعالى استخرجهم من مسام شعرات ظهره اذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال لها سم مثل سم الخياط وجمعه مسام ويمكن خروج الذرة من هذه الثقب كما يخرج منها العرق المنصب والصئبان وهذا غير بعيد فى العقل فيجب الاعتقاد بانه تعالى أخرج الذرية من ظهر آدم كما شاء ومعنى مسح ظهره انه أمر بعض ملائكته بالمسح فنسب ذلك الى نفسه لانه بامره كما يقال مسح السلطان طين البلد الفلانية وما مسحها الا أعوانه فان الرب سبحانه وتعالى مقدس عن مسح ظهر آدم على وجه المماسة اذ لا يصح اتصال بين الحادث والقديم (فان قيل) كيف أجابوه بقولهم بلى هل كانوا أحياء عقلاء أم قالوه بلسان الحال (فالجواب) الصحيح ان جوابهم كان بالنطق وهم أحياء اذ لا يستحيل فى العقل أن يؤتيهم الله الحياة والعقل والنطق مع صغرهم فان بحار قدرته واسعة وغايتنا وسعنا فى كل مسئلة أن نثبت الجواز ونكل كيفيتها الى الله تعالى (فان قيل) اذا قال الجميع بلى فلم قبل قوما ورد قوما (فالجواب) كما قاله الحكيم الترمذى أنه تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة فلم يك ينفعهم ايمانهم كايمان المنافقين وتجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى طوعا فنفعهم ايمانهم وقيل ان أصحاب اليمين قالوا بلى حقا فرجع صوتهم الى جانب أهل الشمال وهم سكوت وكان ذلك لهم كارتداد الصوت فى شعاب الجبال والكهوف الخالية الذى يسمونه الصدى وكان هواء الارض يومئذ خاليا من الاصوات اذ لم يكن أحد فى الارض غير آدم وانما هو محاكاة للصوت الاول ولا حقيقة له وقد أطال الشيخ أبو طاهر القزوينى فى ذلك ثم قال والصحيح عندى أن قول أصحاب الشمال بلى كان على وفق السؤال وذلك أن الله تعالى سالهم عن ربهم ولم يسالهم عن الههم ومعبودهم ولم يكونوا يومئذ فى زمان التكليف وانما كانوا فى حالة التخليق والتربية وهى الفطرة فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى لان تربيتهم اذ ذاك مشاهدة فصدقوا فى ذلك كلهم ثم لما انتهوا الى زمان التكليف وظهور ما قضى الله تعالى فى سابق علمه لكل أحد من السعادة والشقاوة فكان منهم من وافق اعتقاده فى قبول الالهية اقراره الاول ومنهم من خالفه ولو أنه تعالى كان قال لهم ألست باحد وقالوا بلى لم يصح لاحد أن يشرك به فافهم (فان قيل) اذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا فلم لا نذكره اليوم (فالجواب) انما كنا لا نذكره لان تلك البنية قد انقضت وتداولت الانسان الغير بمرور الدهور عليها فى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ثم زاد الله تعالى فى تلك البنية أجزاء كثيرة ثم استحالت بتصريفها فى الاطوار الواردة عليها من العلقة والمضغة واللحم والعظم وهذه كلها مما يوجب الوقوع فى النسيان وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يقول انى لاذكر العهد الذى عهد الى ربى وأعرف من كان هنالك عن يمينى ومن كان عن شمالى قال وانما اخبرنا الله تعالى عن أخذ الميثاق منا تذكرة والزاما للحجة علينا فهذه فائدة الاخبار لنا لا غير اه وكذلك بلغنا نحو هذا القول عن سهل بن عبد الله التسترى انه كان يقول أعرف تلامذتى من يوم ألست بربكم ولم نزل لطيفتى تربيهم فى الاصلاب حتى وصلوا الى فى هذا الزمان (فان قيل) فهل كانت تلك الذرات متصورة بصورة الآدمى أم لا (فالجواب) لم يرد لنا فى ذلك شئ الا أن الاقرب فى العقول انها لم تكن متصورة والسمع والنطق لا يفتقران الى الصورة انما يقتضيان محلا حيا فاذا أعطاه الله الحياة والفهم جاز أن يتعلق بالذرة السمع والنطق وان كانت غير مصورة بصورة اذ البنية عندنا ليست بشرط وانما اشترطها المعتزلة ويحتمل أن تكون الذرات متصورة بصورة آدمى لقوله تعالى من ظهورهم ذرياتهم ولفظ الذرية يقع على المصورين (فان قلت) فمتى تعلقت الارواح بالذرات قبل خروجها من ظهر آدم أم بعد خروجها منه (فالجواب) ان الذى يظهر لنا انه تعالى استخرجهم أحياء لانه سماهم ذرية والذرية هم الاحياء لقوله تعالى وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون فيحتمل ان

عنده من حيث انهم خلق الله حتى الحائط فمحبوب هذا على دعواه لا يفارقه فلماذا يستوحش انتهى (قلت) فالواجب على من لم يبلغ مبلغ الرجال عدم صحبة النساء والاحداث جملة واحدة ثم اذا بلغ أيضا فشرطه على ما قالوه أن لا يكون مقتدى به الاقتداء العام فان أصحاب النفوس الغوية ربما تبعوه واحتجوا به فى ذلك والله أعلم * وقال الفرق بين الشهوة والارادة ان الارادة تتعلق بكل مراد للنفس والعقل سواء كان ذلك المراد محبوبا أو غير محبوب وأما الشهوة فلا تتعلق الا بما للنفس فى نيله لذة خاصة وأيضا فان محل الشهوة النفس الحيوانية ومحل الارادة الروح ذكره فى الباب التاسع ومائة * وقال فى الباب الثانى عشر ومائة تكون مخالفة النفس فى ثلاثة أمور فقط فى المباح والمكروه والمحظور لا غير وأما اذا وقعت لها لذة فى طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهنالك علة خفية فيخالفها بطاعة أخرى وعمل مقرب فان استوى عندها جميع التصرفات فى فنون سلمنا لها تلك اللذة بالطاعة الخاصة وان وجدت المشقة فى العمل المقرب الآخر الذى هو خلاف لهذا العمل فالعدول الى الشاق واجب لانها ان اعتادت المساعدة فى مثل هذا أثرت فى المساعدة فى المحظور والمكروه والمباح * وقال فى الباب الخامس عشر ومائة فى قوله صلى الله عليه وسلم لا غيبة فى فاسق الذى فهمته من هذا الحديث انه نهى لا نفى وعلى ذلك جرى أهل الورع

الله تعالى خلق الارواح فيهم وهم فى ظلمات ظهور أبيهم ويخلقها فيهم مرة أخرى وهم فى ظلمات بطون أمهاتهم ويخلقها مرة أخرى ثالثة فيهم وهم فى ظلمات بطون الارض خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث هكذا جرت سنة الله تعالى (فان قيل) فما الحكمة فى أخذ الميثاق من الذرات (فالجواب) ليقيم الله تعالى الحجة على من لم يوف بذلك العهد كما وقع نظير ذلك فى دار التكليف على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام (فان قيل) فهل أعادهم الى ظهر آدم أحياء أم استرد أرواحهم ثم أعادهم اليه أمواتا (فالجواب) الذى يظهر انه لما أعادهم الى ظهره قبض أرواحهم بناء على انه لما أراد فى الدنيا ان يعيدهم الى بطن الارض يقبض أرواحهم ثم يعيدهم فيها (فان قيل) أين رجعت الارواح بعد رد الذرات الى ظهره (فالجواب) ان هذه مسئلة غامضة لا يتطرق اليها النظر العقلى ولم يجئ فيها نص فمن أطلعه الله تعالى على شئ فليلحقه بهذا الموضع (فان قيل) ان الناس يقولون ان الذرية أخذت من ظهر آدم والله تعالى يقول واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم (فالجواب) هذا شئ يتعلق بالنظم وذلك انه لم يقل من ظهر آدم وان أخرجوا من ظهره لان الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على طريق ما يتناسل الابناء من الآباء فاستغنى به عن ذكر آدم استغناء بظهور ذريته اذ ذريته خرجوا من ظهره ويحتمل ان يقال انه أخرج ذرية آدم بعضهم من بعض فى ظهر آدم ثم اخرجهم جميعا فيصح القولان جميعا فاذا قال أخرجهم من ظهورهم صح واذا قال اخرجهم من ظهره صح أيضا ومثال ذلك من أودع جوهرة فى صدفة ثم أودع الصدفة فى خرقة وأودع الخرقة مع الجوهرة فى حقة وأودع الحقة فى درج وأودع الدرج فى صندوق ثم أدخل يده فى الصندوق فاخرج منه تلك الاشياء بعضها من بعض ثم أخرج الجميع من الصندوق فهذا لا تناقض فيه (فان قيل) ورد فى الخبر أن كتاب العهد والميثاق مستودع فى الحجر الاسود وان للحجر عينين وفما ولسانا وهذا غير متصور فى العقل (فالجواب) ان كل ما عسر علينا تصوره بعقولنا يكفينا فيه الايمان به والاستسلام له ونرد معناه الى الله تعالى * وقد ذكر الشيخ محيى الدين فى كتاب الحج من الفتوحات قال لما أودعت الكعبة شهادة التوحيد عند تقبيلى الحجر الاسود خرجت الشهادة عند تلفظى بها وأنا أنظر اليها بعينى فى صورة سلك وانفتح فى الحجر الاسود مثل الطاق حتى نظرت الى قعر الحجر والشهادة قد صارت مثل الكعبة واستقرت فى قعر الحجر وانطبق الحجر عليها وانسد ذلك الطاق وأنا أنظر اليه فقال لى هذه أمانة لك عندى ارفعها لك الى يوم القيامة فشكرتها على ذلك انتهى * وفى الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وفى يده كتابان مطويان وهو قابض بيده على كتاب فسأله أصحابه ما هذان الكتابان فقال ان فى الكتاب الذى فى يدى اليمنى أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم من أول ما خلقهم الله الى يوم القيامة والذى فى يدى الاخرى فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم من أول ما خلقهم الله الى يوم القيامة انتهى * قال الشيخ محيى الدين فى الباب الخامس عشر وثلثمائة من الفتوحات ولو ان مخلوقا أراد أن يكتب هذه الاسماء على ما هى عليه فى هذين الكتابين لما قام بذلك كل ورق على وجه الارض قال ومن هنا يعرف كتابة الله من كتابة المخلوقين وهو علم غريب رأيناه وشاهدناه قال وقد حكى ان فقيرا طاف بالبيت وسأل الله أن ينزل له ورقة بعتقه من النار فنزلت عليه ورقة من ناحية الميزاب مكتوب فيها عتاقة من النار ففرح بذلك وأوقف الناس عليها وكان من شأن هذا الكتاب أن يقرأ من كل ناحية على السواء لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها فعلم الناس ان ذلك من عند الله تعالى وأطال الشيخ فى ذكر حكايات تناسب ذلك والله تعالى أعلم

* (المبحث الحادى والعشرون فى صفة خلق الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام) *

قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (فان قلت) فما وجه تشبيه عيسى بآدم عليهما السلام مع ان عيسى خلق من نطفة مريم ونفخ جبريل عليه الصلاة والسلام (فالجواب) ان الحق تعالى انما أوقع التشبيه فى عدم الابوة الذكرانية من أجل انه تعالى نصب ذلك دليلا لعيسى فى براءة أمه وانما لم يوقع التشبيه بحواء وان كان الامر عليه لكون المرأة محل التهمة لوجود الحمل اذ كانت محلا

ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا قال ومع كون الغيبة محمودة فى مواضع مذكورة فى كتب الفقه فعدم التعيين أولى فيها من التعيين الان ترتب على ذلك حكم شرعى * وقال فى الباب السادس عشر ومائة القناعة عندنا على بابها فى اللسان وهى المسئلة والقانع هو السائل ولكن من الله تعالى لا من غيره وهو قوله تعالى فى الظالمين يوم القيامة مقنعى رؤسهم الى الله يسألونه المغفرة عن جرائمهم فعلم ان من سأل غير الله فليس بقانع ويخاف عليه من الحرمان والخسران فان السائل موصوف بالركون الى من ساله والله تعالى يقول ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومن ركن الى جنسه فقد ركن الى ظالم لان الله تعالى قال فى الانسان انه كان ظلوما جهولا انتهى وهو كلام نفيس * وقال فى الباب الرابع والعشرين ومائة فى قوله تعالى عن حكاية سليمان عليه السلام قال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب الآية معناه أحببت الخير عن ذكر ربى الخير بالخيرية فاحببته لذلك والخير هى الصافنات الجياد من الخيل وأما قوله فطفق مسحا أى يمسح بيده على أعرافها وسوقها فرحا واعجابا بخير ربه لا فرحا بالدنيا لان الانبياء منزهون عن ذلك وهذه تشبه ما وقع لايوب عليه السلام حين أرسل

موضوعا

موضوعا للولادة وليس الرجل بمحل لذلك والمقصود من الادلة انما هو ارتفاع الشكوك وفى خلق حواء من آدم لايمكن وقوع الالتباس لكون آدم ليس بمحل لما صدر عنه من الولادة فكما لا يعهد ابن من غير أب كذلك لا يعهد ابن من غير أم فالتشبيه من طريق المعنى ان عيسى كحواء الا ان ظهور عيسى من غير أب كظهور حواء من غير أم وايضاح ذلك ان أول موجود وجد من الاجسام الانسانية آدم عليه السلام فكان هو الاب الاول من هذا الجنس ثم ان الحق تعالى فصل عن آدم أبا ثانيا سماه أما فصح لهذا الاب الاول الدرجة عليه لكونه أصلاله فلما أوجد الحق تعالى عيسى بن مريم تنزلت مريم عليها السلام منزلة آدم عليه السلام وتنزل عيسى منزلة حواء فلما وجدت أنثى من ذكر كذلك وجد ذكر من أنثى فختم الدورة بمثل مابه بدأها فى ايجاد ابن من غير أب كما كانت حواء من غير أم فكأن عيسى وحواء اخوان وكأن آدم ومريم أبوان لهما اذكر ذلك الشيخ محيي الدين فى الفتوحات وهو كلام نفيس لم أجد أحدا تعرض له ولا حام حول معناه فرحمه الله ما كان أوسع اطلاعه وقال فى الباب السابع منها (فان قيل) كم أنواع ابتداء الجسوم الانسانية (فالجواب) هى أربعة أنواع آدم وحواء وعيسى وبنو آدم فان كل جسم من هذه الاربعة يخالف نشأة الآخر فى التشبيه مع الاجتماع فى الصورة لئلا يتوهم الضعيف العقل ان القوى الالهية أو الحقائق لا تعطى أن تكون هذه النشأة الانسانية الا عن سبب واحد يعطى بذاته هذه النشأة فرد الله هذه الشبهة فى وجه صاحبها بان أظهر هذا النشء الانسانى بطريق لم يظهر به جسم حواء وأظهر جسم حواء بطريق لم يظهر به جسم ولد آدم وأظهر جسم ولد آدم بطريق لم يظهر به جسم عيسى عليه الصلاة والسلام قال وقد جمع الله تعالى هذه الاربعة أنواع فى آية من القرآن وهو قوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم يريد آدم وجميع الناس من ذكر يريد حواء وأنثى يريد عيسى ومن المجموع من ذكر وأنثى معا بطريق النكاح يريد بنى آدم فهذه الآية من جوامع الكلم وفصل الخطاب ثم انه لما ظهر جسم آدم كما ذكرنا ولم يكن فيه شهوة النكاح وكان سبق فى علم الله انه لابد من التناسل والنكاح للانتاج استخرج تعالى من ضلع آدم من القصيرى حواء فقصرت بذلك عن درجة الرجل فما تلحق به أبدا (فان قلت) فما الحكمة فى تخصيص خلقها من الضلع (فالجواب) الحكمة فى ذلك ليكون عندها حنو على ولدها وزوجها لاجل الانحناء الذى فى الضلع فحنو الرجل على المرأة انما هو حنو على نفسه فى الحقيقة لانها جزء منه وحنو المرأة على الرجل لكونها منه خلقت أى من ضلعه والضلع فيه انحناء وانعطاف قال الشيخ وانما عمر الله تعالى الموضع الذى خرجت منه حواء من آدم بالشهوة الى لا يبقى فى الوجود خلاء فلما عمرت بالهواء حن اليها حنينه الى نفسه لانها جزء منه وحنت حواء اليه لكونه موطنها الذى نشأت منه (فان قلت) فاذن حب حواء حب الموطن وحب آدم حب نفسه (فالجواب) نعم وهو كذلك ولذلك كان حب الرجل للمرأة ظاهرا اذ كانت عينه وأما المرأة فأعطيت القوة المعبر عنها بالحياء فلم يظهر عليها محبة الرجل لقوتها على الاخفاء اذ الموطن لم يتحد بها اتحاد آدم بها قال وصور الله تعالى فى ذلك الضلع جميع ما صوره وخلقه فى جسم آدم فكان نشء آدم فى صورته كنشء الفاخورى فيما ينشئه من الطين والطبخ وكان نشء جسم حواء كنشء النجار فيما ينحته من الصور فى الخشب فلما نحتها فى الضلع وأقام صورتها وسواها نفخ فيها من روحه فقامت حية ناطقة أنثى ليجعلها محلا للزراعة والحرث لوجود الانبات الذى هو التناسل وأطال فى ذلك فى الباب السابق (فان قيل) فما وجه تسمية عيسى عليه الصلاة والسلام روحا من الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر القزوينى رحمه الله أن الحق تعالى لما خلق الارواح قبل الاجسام بالفى عام كانت ذرا خبأها فى مكنون علمه فلما خلق الاجسام هيا فى علمه لكل ذرة منها روحا فى الملكوت تناسبها من سعادة أو شقاوة فكانت تلك الذرات أزواجا للارواح كما قال تعالى سبحان الذى خلق الازواج كلها أى مقرونة كل روح بشكلها ثم لما أراد الله تعالى أخذ الميثاق منهم أهبط بقدرته تلك الارواح كلها من أماكنها على تلك الذرات على وفق علمه وحكمته ثم لما أخذ منهم الميثاق حل عقال الارواح فطارت الى مكامنها فى الملكوت الى وقت اتصالها بالاجنة فى الارحام * قال وقال فى الباب الثامن والعشرين ومائة اعلم ان رضا الله عن العبيد

الله جرادا من ذهب فصار يحثو فى ثوبه منه ويقول لا غنى لى عن بركتك يارب انتهى فما أحب سليمان الخير الا لكونه تعالى أحب حب الخير ولذلك اشتاق اليها لما توارت بالحجاب يعنى الصافنات الجياد لكونه فقد المحل الذى أوجب له حب الخير عن ذكر ربه فقال ردوها على وقال وليس للمفسرين الذين جعلوا التوارى للشمس دليل فان الشمس ليس لها هنا ذكر ولا الصلاة التى يزعمون ومساق الآية لا يدل على ما قالوه بوجه ظاهر البتة قال وأما استرواحهم فيما فسروه بقوله تعالى ولقد فتنا سليمان فالفتنة هى الاختبار يقال فتنت الذهب أو الفضة اذا اختبرتهما بالنار فلا ينافى ذلك ما قلناه اذ كان متعلقه الخيل ولابد يكون اختباره اذا رآها هل أحبها عليه السلام عن ذكر الله لها أو أحبها لعينها فاخبر عليه السلام أنه انما أحبها عن ذكر ربه اياها لا لعينها مع حسنها وكمالها وحاجته اليها فانها جزء من الملك الذى طلب أن لا يكون لاحد من بعده فاجابه الحق الى ما سأل فى المجموع ورفع الحرج عنه بقوله هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب أى ما ينقصه هذا الملك من ملك الآخرة شيأ كما يقع لغيره (قلت) هذا تفسير غريب لم أره لغير الشيخ فليتامل ويحرر والله أعلم *

الشيخ ورأيت في تفسير الانجيل أن روح عيسى عليه الصلاة والسلام لم تسترد عن الذرة بعد أخذ الميثاق واتى دفعها الله تعالى الى جبريل عليه السلام فاسكنه الملكوت وكان يسبح الله ويقدسه الى أن أمره بنفخه فنفخه في جيب مريم فخلق منها المسيح عليه الصلاة والسلام من غير نطفة متوسطة فلذلك سماه الله روحا دون غيره ثم رفعه الى السماء بقدر ما فيه من الروحانية فكان مكثه في الارض بقدر ما فيه من الطين ومكثه في السماء بقدر ما فيه من النور * قال الشيخ وقول الله تعالى حكاية عنه وهو في المهد من قوله وجعلني مباركا أينما كنت اشارة منه الى هذه الجملة يعني أينما كنت في السماء والارض ويؤيد ذلك قول أبي بن كعب أن الله تعالى لما رد أرواح بني آدم الى صلب آدم مع الذرات أمسك عنده روح عيسى فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح الى مريم فكان منه عيسى عليه السلام فلهذا قال فيه روح منه (فان قلت) فهل الملائكة الموكلون بالارحام ويتولون تصوير الاجنة هم أعوان عزرائيل أو اسرافيل (فالجواب) هم أعوان اسرافيل عليه الصلاة والسلام الموكل بالصور وأما هو عليه السلام فانما هو ناظر الى صور الخليقة المصورة تحت العرش فان في الحديث أن لكل ما خلق الله تعالى صورة مخصوصة في ساق العرش أظهرها الله تعالى قبل تكوينهم ثم انه لصور بني آدم تشابه وتشاكل في الخليقة لانهم على صورة أبيهم آدم وآدم هو كذلك في الصور التي تحت العرش واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته وفي رواية أخرى على صورة الرحمن ومعناه على الصورة التي صورها الرحمن في العرش أو اللوح قبل خلق آدم عليه السلام فان الحق تعالى لا صورة له لمباينته لجميع خلقه فافهم فعلم ان اسرافيل ناظر الى الصور المنقوشة في العرش وملك الارواح عند تصوير الجنين ناظر الى اسرافيل وتلك الصور كلها حكاية عما في علمه الازلي سبحانه وتعالى فيأخذ اسرافيل تلك الصورة المختصة المسماة عند الله لتلك الذرة المخلقة المرباة ثم يلقيها الى ملك الارحام وملك الارحام يلقيها الى الجنين في الرحم فيصوره بتلك الصورة المعينة والقاء الصورة انما يكون بالقاء نسختها التي تليق بها وانما أضاف تعالى التصوير في الارحام اليه بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لان هذه الاسباب مقدرة على قضية علمه وتدبيره واجراء للعادة الحسنى فهو تعالى مصور للصور ومصور مصور بها لا خالق سواه ولا مصور الا هو ولذلك شدد الوعيد على من اتخذ الاصنام والله تعالى أعلم فامعن النظر في هذا المبحث فانك لا تجده في كتاب والله تعالى يتولى هداك

(المبحث الثاني والعشرون في بيان أنه تعالى مرئي للمؤمنين في الدنيا بالقلوب وفي الآخرة لهم بالابصار بلا كيف في الدنيا والآخرة أي بعد دخول الجنة وقبله)

كما ثبت في أحاديث الصحيحين الموافقة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والمخصصة أيضا لقوله تعالى لا تدركه الابصار أي لا تراه قال جمهور المتكلمين والاصوليين وتكون رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة بالانكشاف المنزه عن المقابلة والجهة والمكان وذلك لان الرؤية نوع كشف وعلم للمدرك بالمرئي يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بابعاده فجاز أن يخلق هذا القدر بعينه من غير أن ينقص منه قدر من الادراك من غير مقابلة لهذه الحاسة أصلا كما كان صلى الله عليه وسلم يرانا من وراء ظهره وكما أن الحق تعالى يرانا من غير مقابلة ولا جهة باتفاقنا اذ الرؤية نسبة خاصة بين طرفي راء ومرئي فاذا اقتضت عقلا كون أحدهما في جهة اقتضت كون الآخر كذلك فاذا ثبت عدم لزوم ذلك في أحدهما ثبت مثله في الآخر وخرج بقولنا يراه المؤمنون غير المؤمنين من الكفار فلا يرونه يوم القيامة ولا في الجنة لعدم دخولهم لها قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون الموافق لقوله تعالى لا تدركه الابصار واختلف أهل تجويز رؤيته تعالى في الدنيا يقظة ومناما فقال بعضهم يجوز وقال بعضهم لا يجوز دليل جوازها في اليقظة هو أن موسى عليه الصلاة والسلام طلبها حيث قال أرني أنظر اليك وهو عليه الصلاة والسلام لا يجهل ما يجوز ويمتنع عن ربه عز وجل ودليل المنع أن قوم موسى عليه الصلاة والسلام طلبوها فعوقبوا قال تعالى فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم قال الجلال المحلي رحمه الله تعالى واعترض هذا بان عقابهم انما كان لعنادهم

يكون بحسب مشيه على الشرع كثرة وقلة فمن لم يخل بالعمل في شيء من الشريعة فهو صاحب الرضا الكامل ومن أخل بالعمل في شيء منها نقص من الرضا بقدر ما أخل وهذا ميزان في غاية الوضوح والانسان على نفسه بصيرة انتهى بالمعنى في بعضه وقال في الباب التاسع والعشرين ومائة يجب على العبد الرضا بقضاء الله لا بكل مقضي فلا ينبغي الرضا بالمعاصي ولو رأيت وجه الحكمة فيها فانك اذا كنت صحيح الرؤية والكشف ترى الحق تعالى غير راض عنك في فعلها وان لم تره فارجع الى حكم الشرع ولا يرضى لعباده الكفر (قلت) وأكثر من يقع في الرضا بالمعاصي أصحاب حضرة التوحيد العام اذا لم يكن لهم شيخ ويظنون بنفوسهم انهم خوطبوا بأمر من الله بخلاف ما جاءت به الشريعة وهذا كفر وتلبيس فان الحق تعالى ما ينهى عن شيء على لسان رسله ويبيحه من ورائهم لاحد من أممهم أبدا فافهم والله أعلم * وقال في الباب السادس والاربعين ومائة اياك أن ترمي ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي بل بادر لما حكم به وان فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك وبين امضاء ظاهر الحكم به فلا يعول عليه فانه مكر نفساني في صورة علم الهي من حيث لا يشعر قال وقد وقع لنا بقوم صادقين من أهل الله من التبس عليهم هذا المقام ورجحوا كشفهم وما ظهر من فهمهم مما يبطل ذلك وتمنتهم

وتعنتهم فى طلبها الا امتناعها فى نفسها اه وقد استدل الجمهور على منع الرؤية فى الدنيا بقوله صلى الله عليه وسلم لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت وبذلك صح حملهم للآيتين السابقتين على عدم الرؤية فى الدنيا جمعا بينهما وبين أدلة الرؤية وأما دليل امتناعها فى النوم فلأن المرئى فيه خيال ومثال وذلك محال على القديم سبحانه وتعالى ودليل المجيز لها أنه لا استحالة فى الرؤية فى المنام وقد ذكر العلماء وقوعها فى المنام لكثير من السلف الصالح منهم الامام أحمد وحمزة الزيات والامام أبو حنيفة وكان حمزة الزيات يقول قرأت سورة يس على الحق تعالى حين رأيته فلما قرأت تنزيل العزيز الرحيم بضم اللام فرد على الحق تعالى تنزيل بفتح اللام وقال انى نزلته تنزيلا وقال وقرأت عليه جل وعلا سورة طه فلما بلغت الى قوله وأنا اخترتك فقال قل لى وانا اخترناك فهى قراءة برخيصة وقد أجمع علماء التعبير على جواز رؤية الله تعالى فى المنام وانما بالغ ابن الصلاح فى انكارها تبعا لمن منع وقوعها من العلماء وأما رؤية الحق جل وعلا فى اليقظة لغير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمنعها جمهور العلماء واستدلوا لذلك بقوله تعالى لا تدركه الابصار وبقوله تعالى لموسى لن ترانى وبقوله صلى الله عليه وسلم لن يرى أحدكم ربه حتى يموت رواه مسلم فى كتاب الفتن فى صفة الدجال اما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد اختلف الصحابة فى وقوع الرؤية له ليلة المعراج قال الجلال المحلى رحمه الله والصحيح نعم واليه استند القائل بالوقوع فى الجملة لكن روى مسلم عن أبى ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال نورانى أراه بتشديد نون أنى مفتوحة وضمير أراه لله تعالى أى حجبنى النور المغشى للبصر عن رؤيته اه ماقاله الشيخ جلال الدين المحلى والشيخ كمال الدين بن أبى شريف فى حاشيته * وعبارة الشيخ أبى طاهر القزوينى فى كتاب سراج العقول فى هذه المسئلة واعلم أن أكثر المتكلمين من الفرق ينكرون جواز رؤية الله تعالى فى المنام فضلا عن اليقظة لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتجوا فى ذلك بان ما رآه النائم يكون صورة والاستحالة ولا صورة للرب تعالى وأنه يراه بواسطة مثال مناسب له ولا مثل ولا مثال لله رب العالمين قال تعالى فلا تضربوا لله الامثال وقال ليس كمثله شئ وقال ولم يكن له كفوا أحد قال فمن رأى من ذلك شيا وتخيل أنه الاله فذلك من اراءة الشيطان وتخييله واغوائه وتضليله أو هو مشبه يعتقده كذلك فى اليقظة وأطال فى ذلك ثم قال والذى عليه جمهور مشايخ السلف رضى الله تعالى عنهم أنه يجوز رؤية الله تعالى فى صورة فى المنام وبه جاءت الاحاديث نحو قوله صلى الله عليه وسلم خير الرؤيا أن يرى العبد ربه فى منامه أو يرى نبيه أو يرى أبويه ان كانا مسلمين وقوله صلى الله عليه وسلم رأيت ربى فى أحسن صورة الحديث وقال محمد بن سيرين من رأى ربه فى المنام دخل الجنة قالوا وتكون رؤية الله تعالى بواسطة مثال يليق به منزه عن الشكل والصورة فيكون تجليه فى ذلك المثال كتفهيم الحق تعالى كلامه القديم لعباده بواسطة الحروف والاصوات مع تنزيه كلامه تعالى عن ذلك فكما أن الكلام الازلى منزه عن الصوت والحروف الحادثين ويفهم بواسطتهما كلام الله القديم فكذلك يجوز أن تكون ذاته الازلية المنزهة عن الصورة والشكل ترى بواسطة مثال يناسبها بادنى معنى فيكون كالمثل بفتح المثلثة المذكور فى القرآن فى قوله مثل نوره كمشكاة لا كالمثل بسكون المثلثة الذى يوجب المماثلة من كل وجه أما اذا رآه فى صورة لا تناسب جلال الصمدية فى معنى ما فالرائى ممن عبث به الشيطان (فان قيل) ان رؤية الله تعالى على ماهو عليه فى ذاته غير ممكن لعدم صحة المثل والمثال فى نفس الامر والنائم لا يرى شيا فى المنام الا بصورة ومثال (فالجواب) اذا تجلى الحق تعالى بذاته المقدس لعبد فى منامه فالروح تعرف بالفطرة الاولية انه هو الاله الحق بخلاف سائر رؤياه المحتاجة للتعبير اذ النفس بالآلات الخيالية لا تستطيع رؤية من لا صورة له ولكن تتصوره بوسائط وأمثلة ثم تذهب الامثلة كالزبد يذهب جفاء ويبقى معها رؤية الله تعالى حقا كما كان كلام الله القديم يتعلمه الناس بامثلة الحروف فى اللوح ثم يمحى اللوح ويبقى القرآن فى الحفظ * قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله فعلم أنه لا يلزم من كون الشئ لا صورة له ان لا يرى فى صورة على ما قررناه الا ترى أن كثيرا من الاشياء التى لا أشخاص لها ولا صورة ترى فى المنام بامثلة تناسبها بادنى معنى ولا يوجب التشبيه

الحكم وهم يخطئون فى ذلك قال واعلم ان تقديم الكشف على النص ليس عندنا بشئ ولا عند أهل الله تعالى وكل من عول عليه فقد غلط وخرج عن الانتظام فى شرع أهل الله تعالى ولحق بالاخسرين أعمالا وأطال فى ذلك ثم قال واذا ورد على أحد من أهل الكشف وارد الهى يحل له ما ثبت تحريمه فى نفس الامر من الشرع المحمدى وجب عليه جزما ترك هذا الوارد لانه تلبيس ووجب عليه الرجوع الى حكم الشرع الثابت وقد ثبت عند أهل الكشف باجمعهم أنه لا تحليل ولا تحريم لاحد بعد انقطاع الرسالة والنبوة وأطال فى ذلك * ثم قال فتفطنوا يا اخواننا وتحفظوا من غوائل هذا الكشف فقد نصحتكم ووفيت الامر الواجب على فى النصح والله أعلم * وقال فى الباب الثامن والاربعين ومائة فى قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله انما أضاف نور الفراسة الى الاسم الله دون غيره لان الاسم الله هو الجامع لاحكام الاسماء فيكشف المذموم والمحمود وحركات السعادة والشقاء فلو انه صلى الله عليه وسلم أضاف نور الفراسة الى الاسم الحميد مثلا لما كان المتفرس يرى بنور فراسته الا المحمود السعيد خاصة قال ومن كانت فراسته العلامات الربانية فلا تخطئ له فراسة بخلاف من كانت فراسته مستندة الى الفراسة الحكمية كقولهم مثلا من كان أبيض ذا شقرة أو زرقة كثيرة فهو دليل على القحة والخيانة وخفة العقل

وأطال في أمثلة الفراسة الحكمية بنحو ثلاثة أوراق فراجعها ان شئت (وقال) فيه

ولا التمثيل وذلك كالمعاني المجردة مثل الايمان والكفر والشرف والقرآن والهدى والضلالة والحياة الدنيا ونحو ذلك فاما الايمان فكقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت الناس في المنام يعرضون منهم من قميصه الى كعبه ومنهم من قميصه الى أنصاف ساقيه فجاء عمر بن الخطاب وهو يجر قميصه فقالوا يارسول الله ما أولت ذلك قال الايمان فالايمان لاشكل له ولا صورة ولكن جعل القميص له مثالا فرؤى بواسطته وكذلك الكفر يمثل في المنام بالظلمة وكذلك الشرف والعز يرى بواسطة صورة الفرس وكذلك يمثل القرآن باللؤلؤ ويمثل الهدى بالنور والضلالة بالعمى ولا شك أن بين هذه الاشياء مضاهاة لتلك المعاني المرئية وتجسيد المعاني لا ينكره العلماء بالله تعالى قال وموضع الغلط في ذلك لمن منع رؤية الله في صورة ظنه أن المثل بفتحتين كالمثل بكسر الميم وسكون المثلثة وذلك خطأ فاحش فان المثل بالسكون يستدعي المساواة في جميع الصفات كالسوادين والجوهرين ويقوم كل واحد منهما مقام الآخر من جميع الوجوه في كل حال بخلاف المثل بفتحتين فانه لا يشترط فيه المساواة من كل وجه وانما يستعمل فيما يشاركه بادنى وصف قال تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء والحياة لاصورة لها ولا شكل والماء ذو شكل وصورة وقد مثل الله تعالى به الحياة وكذلك قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وغير ذلك فعلم أنه لا مثل لله تعالى ولكن له المثل الاعلى في السموات والارض قال ومن هنا جوز الاكثرون من السلف الصالح جواز تجليه تعالى لعبده في المنام كما مر في الامثال وأطال في ذلك ثم قال واللسان يقصر حقيقة عن البيان لانها أمور ذوقية لا تضبطها عبارة والله تعالى أعلم هذا ما رأيته في كتب المتكلمين * وأما ما رأيته في كتب الصوفية فمن أفصحهم عبارة فيه الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه فقال في الباب الرابع والستين من الفتوحات اعلم انه لا ينبغي لمسلم أن يتوقف في رؤية الله تعالى في المنام لانه لا شئ في الاكوان أوسع من عالم الخيال وذلك انه يحكم بحقيقته على كل شئ وعلى ماليس بشئ ويصور العدم المحض والمحال والواجب فضلا عن الممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا ويرى العلم لبنا والاسلام قبة والثبات في الدين قيدا قال ودليلنا فيما قلناه قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله ووجه الشئ حقيقته وعينه فقد صور الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصور فعلم ان كل ما جاز وقوعه في المنام وادار الآخرة جاز وقوعه وتعجيله لمن شاء في اليقظة والحياة الدنيا اه * وقال أيضا في علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة لا يصح لانسان قط أن يعبر عن حقيقة ما طريقه الذوق من غير تكييف كرؤية الله عز وجل أبدا وأطال في ذلك ثم قال واذا صح ان العقل يدرك الحق تعالى جاز أن يدركه بالبصر من غير احاطة لانه لا فضل لمحدث على محدث من حيث الحدوث وانما الفضل من حيث الصفات الجبلية ومن قال ان الحق تعالى يدرك عقلا ولا يدرك بصرا فتلاعب لا علم له بحكم العقل ولا بحكم البصر ولا بالحقائق على ما هي عليه وذلك كالمعتزلة فان هذه مرتبتهم وكل من لا يفرق بين الامور العادية والطبيعية فلا ينبغي لاحد الكلام معه في شئ من الامور العلمية ولولا أن موسى عليه الصلاة والسلام فهم من الامر اذ كلمه ربه بارتفاع الوسائط ما اجترأ على طلب الرؤية ما فصل فان سماع كلام الله تعالى بارتفاع الوسائط عين الفهم فلا يفتقر الى فكر وتاويل فلما كان عين السمع في هذا المقام عين الفهم سال الله الرؤية ليعلم قومه ومن له هذه المرتبة من الله تعالى يعلم أن رؤية الله تعالى ليست بمحال اه وقال أيضا في الباب التسعين من الفتوحات اعلم أن أعظم نعيم في الدنيا والآخرة نعيم رؤية البارى جل وعلا لكن هنا دقيقة وهي أن الالتذاذ برؤيته تعالى انما هو راجع الى رؤية المظاهر التي تجلى الحق تعالى فيها تنزلا للعقول لا الى الذات المتعالى وايضاح ذلك أن الالتذاذ بالرؤية لا يكون الا برؤية من بيننا وبينه مجانسة ومناسبة ولا مناسبة بيننا وبين الحق تعالى بوجه من الوجوه (فان قيل) فكيف الرؤية (فالجواب) ان الحق تعالى اذا أراد أن يتفضل على عبد من عبيده المختصين بان يحصل له الالتذاذ برؤيته أقام له مثالا يتخيله في عقله مطابقا له لقوله تعالى ولا يحيطون به علما وتقدم في الكتاب أن مراد من يقول ان الحق تعالى اذا احيط عبدا به أحاط به هو علمه بانه تعالى لا يحاط به فهذا هو معنى الاحاطة * وقال

أيضا

والفسوق فان هذا ليس بقاعدة كلية لا يخلو الانسان في معرفة الله تعالى من ثلاثة أحوال بالنظر الى الشرع اما أن يكون باطنيا محضا وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالا وفعلا وهذا يؤدى الى تعطيل أحكام الشرع كالباطنية في عدولهم عما أراده الشارع وكل ما يؤدى الى هدم قاعدة دينية فهو مذموم مطلقا عند كل مؤمن واما أن يكون ظاهريا محضا متغلغلا متوغلا بحيث أن يؤديه ذلك الى التجسيم والتشبيه على حد عقله هو فهذا أيضا مذموم شرعا واما أن يكون جاريا مع الشرع على فهم اللسان حيثما مشى الشارع مشى وحيثما وقف وقف قدما بقدم فهذه حالة متوسطة وبها صحت محبة الحق تعالى لنا في قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاعلم ذلك فانه نفيس والله يتولى هداك * وقال في الباب الثالث والخمسين ومائة في قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض أى باعطائهم ما في قوتهم من المصالح المعلومة في الكون وتسخير بعضهم لبعض الاعلى للادنى وعكسه وهذا لا ينكره عاقل لانه الواقع وتأمل الملك الذي هو أعلى مرتبة من سائر رعيته تجده مسخرا في مصالحهم كلهم مسخرون كذلك في مصالحه فهذه هي ولاية المؤمنين بعضهم لبعض وقال في الباب الرابع

أيضا في الباب الثامن والتسعين ومائة إذا أراد الله عز وجل أن يرى عبدا من عبيده نفسه تعالى فلا بد من فناء العبد عن شهود نفسه عند التجلي وتجرد الروح وحينئذ ترى ربها كما يراه الملائكة إذا أراد الحق تعالى أن ينعم عبده ويلذذه برؤيته ومشاهدته فلا بد من إرسال الحجاب فيقع التلذذ بالمشاهد قال وهذه مسألة من الأسرار ما أظهرتها باختياري وإنما كنت في إظهارها كالمجبور اهـ * وعبارته في كتاب لواقح الأنوار اعلم أنه لا بد من فناء المشاهد عند رؤية الباري جل وعلا فيغيب عن حسه وعن لذته لأن النفس أحدية الذات ليس في قدرتها أن تشتغل بأمرين معا في آن واحد فلا بد أن تكون متوجهة بكليتها لإدراك الرؤية أو قبولها فإذا أشهدك تعالى نفسه أفناك عنه فلا يجد الخطاب محلا يتوجه عليه وإذا كلمك أوجدك لأنه لا بد للقبول منك حتى تقبل الخطاب وإلا فلا فائدة للخطاب اهـ * وكان أبو العباس السياري أحد شيوخ الطائفة الأكابر يقول ما التذ عاقل قط بمشاهدة الحق تعالى وذلك لأنها فناء ليس فيها لذة ووافقه على ذلك الشيخ في الفتوحات وقال في لواقح الأنوار أيضا إذا أقامك الحق تعالى في مشهد ما وأشهدك نفسك معه فأنت من أبعد الأبعدين لأن نفسك كون وأين الكون في الرتبة من رب العالمين لكن لك حينئذ حقيقة المجاورة المعنوية وهي أنه ليس بينك وبين الله تعالى أمر زائد كما ليس بين الجوهر بين المتجاورين حيز ثالث ولله المثل الأعلى قال ثم إن هذه المجاورة لا يتعقلها إلا أهل الكشف * وفي حديث الطبراني وغيره مرفوعا بين العبد وبين ربه سبعون ألف حجاب من نور وظلمة فما من نفس تسمع بشيء من حس تلك الحجب إلا زهقت اهـ وفي رواية أخرى إن لله تعالى سبعين ألف حجاب بينه وبين خلقه لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه (فإن قيل) فكيف رؤية الباري جل وعلا لخلقه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والسبعين ومائتين صورة نظر الحق تعالى إلى العالم أنه ينظر إليه بعين الرحمة لا بعين العظمة كما يليق بجلاله تعالى ولهذا ثبت العالم معه تعالى عند الرؤية ولو أنه تعالى نظر إلى العالم بعين العظمة كما يليق بجلاله لاحترق العالم كله لسبحات وجهه كما مر آنفا في الحديث قال وهذه الرحمة هي عين الحجاب الذي بين العالم وبين السبحات المحرقة فهي كالعماء الذي أخبر الشارع أن الحق تعالى كان فيه قبل أن يخلق الخلق وأكثر من ذلك لا يقال * وقال الشيخ في باب الأسرار إذا عرف الحق تعالى فلا يعاين إلا من حيث العلم والمعتقد والله أجل وأعلى من أن يحاط بذاته اهـ * وقال في باب الوصايا من الفتوحات اعلم أن من علامة صدق من يدعي أنه يشاهد الحق تعالى أنه إذا انعكس مرآة قلبه إلى الكون يعرف ما في ضمائر جميع الخلق ويصدقه الناس على ذلك الكشف (فإن قلت) فما الفرق بين الرؤية وبين الشهود الذي تقول به الطائفة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والستين ومائتين أن الرؤية لا يتقدمها علم بالمرئي أبدا والشهود يتقدمه علم بالمشهود وهو المسمى بالعقائد ولهذا يقع الإقرار والإنكار في الرؤية يوم القيامة لأنهم رأوا من لم يتقدم لهم به علم بخلاف الشهود فإنه لا يكون فيه إلا الإقرار لا الإنكار وإيضاح ذلك أن الشاهد ما سمي شاهدا إلا لكونه ما رآه يشهد بصحة ما اعتقده قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه أي يشهد له بصحة ما اعتقده قال ومن هنا سأل موسى الرؤية بقوله أرني أنظر إليك وما قال أشهدني لأنه تعالى كان مشهودا له ما غاب عنه وكيف يغيب عن رسول كريم ولا يغيب عن الأولياء فما طلب موسى إلا الرؤية الخاصة بالأنبياء في الآخرة ليحصلها الله تعالى له في الدنيا حين طلبه فما منعه ذلك وأما شهوده الحق تعالى مثل ما يشهده الأولياء فذلك حبوة وزيادة من حيث مقام ولايته انتهى * وقال في كتاب اللواقح أيضا من الفرق بين الرؤية والشهود أن الشهود هو ما تمسكه في نفسك من شاهد الحق المشار إليه بحديث اعبد الله كأنك تراه فقوله كأنك تراه هو شاهد الحق الذي أقمته في نفسك كأنك تراه قال وهذه درجة التعليم ثم يرتقي منها إلى درجة الخصوص وهي علمك بأن الله يراك ولا تراه وذلك لأنك ضبطت شهوده تعالى في قلبك عند صلاتك مثلا في جهة القبلة فقد أخليت شهودك عن بقية الوجود المحيط بك وإذا تحققت بذلك علمت عجزك عن الإحاطة به تعالى لأنك مقيد وهو تعالى مطلق وأنت ضيق وهو تعالى واسع وحينئذ تبقى مع نظره المحقق إليك لا مع

والخمسين ومائة الملائكة على ثلاثة أصناف صنف مهيمون في جلال الله تجلى لهم في اسمه الجميل فهيمهم وأفناهم عنهم فلا يعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه وصنف مسخرون ورأسهم القلم الأعلى سلطان عالم التدوين والتسطير وصنف أصحاب تدبير للأجسام كلها من جميع أجناس العالم وأطال في ذلك * وقال في الباب الخامس والخمسين ومائة اعلم أن النبوة التي هي الإخبار عن شيء سارية في كل موجود عند أهل الكشف والوجود لكنه لا ينطلق على أحد منهم اسم نبي ولا رسول إلا على الملائكة الذين هم رسل فقط أما غير الرسل منهم فلا يقال فيهم ملائكة وإنما يقال على أحدهم روح وذلك كالأرواح المخلوقة من أنفاس الذاكرين الله قال واعلم أن الله تعالى سمى نفسه وليا ولم يسم نفسه نبيا مع كونه أخبرنا وسمع دعاءنا وأمرنا ونهانا وقلنا له سمعنا وأطعنا وليست النبوة بأمر زائد على هذا وأطال في أمثلة الأمر والنهي (وقال) في الباب السابع والخمسين ومائة ينبغي للوعاظ أن يراقبوا الله في وعظهم ويجتنبوا كل ما كان فيه تجرؤ على انتهاك الحرمات مما ذكره المؤرخون عن اليهود من ذكر زلات الأنبياء كداود ويوسف عليهما السلام مع كون الحق تعالى أثنى عليهم واصطفاهم ثم الداهية العظمى أن يجعل ذلك في تفسير القرآن ويقول قال المفسرون كذا وكذا مع كون ذلك كله تأويلات فاسدة بأسانيد

نظرك أنت اليه لان نظرك يقيده و يحدد وهو المنزه عن القيود والحدود فاذن الشهود له المعرفة والرؤية لها الكشف التام اهـ (فان قلت) فتى يخرج العبد عن القول بالجهة (فالجواب) كما قاله سيدى على ابن وفا رحمه الله أنه لا يخرج عبد عن القول بالجهة الا ان نفذ كشفه من أقطار السموات والارض وأعطاه الله تعالى شيأ من علمه تعالى قال وأما من تقيد كشفه بالسموات والارض أو البرزخ والجنة والنار فلا يرى ربه الا فى جهة اهـ (فان قلت) فاذن ما رأى أحد ربه الا بصورة استعداده فى نفسه وتعالى الله عن ذلك فى علو ذاته (فالجواب) نعم ما رأى عبد ربه الا بقدر وسعه وغير ذلك لا يكون اذ لو صح أن يرى عبد فوق مرتبته لبطل اختصاص الانبياء والاولياء على بعضهم ورقى الاولياء فى سلم الانبياء وذلك محال (فان قلت) فاذن ما رأى العبد الا صورة نفسه فى مرآة معرفة الحق وما رأى الحق حقيقة (فالجواب) نعم وهو كذلك فحكمه كالانسان الذى رأى وجهه فى المرآة المحسوسة فانه يرى صورة نفسه حاجبة له عن شهود جرم المرآة * قال الشيخ محيى الدين فى لواقح الانوار وما ثم مثال أقرب ولا أشبه بالرؤية والتجلى من رؤية الشاهد وجهه فى المرآة واجهد يا أخى فى نفسك عندما ترى الصورة فى المرآة أن ترى جرم المرآة لا تراه أبدا بل تنطبع صورتك فى المرآة قبل تحققك بالرؤية فلا يقع بصرك الا على صورة نفسك فلا تطمع ولا تتعب نفسك فى أن ترقى الى أعلى من هذا المرقى فما هو ثم أصلا وليس بعده الا العدم المحض اهـ فليتأمل ويحرر فانه يوهم أن المرئى فى الآخرة لجميع الناس غير الحق ولا يخفى ما فيه (فان قلت) فما سبب تفاضل الناس فى الرؤية كمالا ونقصا مع أن المرئى سبحانه وتعالى لا تقبل ذاته الزيادة ولا النقصان (فالجواب) سبب التفاضل كونهم لا يشهدون فى مرآة معرفة الحق تعالى الا حقائقهم ولو أنهم شهدوا عين الذات لتساووا فى الرؤية ولم يصح بينهم تفاضل ولكن أين حقائق الانبياء من غيرهم (فان قلت) فهل يتفاوتون فى الآخرة كما تفاوتوا فى الدنيا (فالجواب) نعم فان تفاوتهم فى الآخرة فرع عن تفاوتهم فى الدنيا وقد قال الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين وثلثمائة اعلم أن رؤية المؤمنين لربهم فى الآخرة تابعة لاعتقادهم الذى كانوا عليه فى دار الدنيا يعنى كل أحد ثمرة ما كان يعتقده فرؤيتهم على قدر علمهم بالله تعالى وعلى قدر ما فهموه ممن قلدوه من العلماء وكانهم يتفاضلون فى النعيم واللذة فمنهم من حظه من النظر اليه لذة عقلية ومنهم من حظه من ذلك لذة نفسية ومنهم من حظه من ذلك لذة حسية ومنهم من حظه من ذلك لذة خيالية ومنهم من حظه من ذلك لذة مكيفة ومنهم من حظه لذة يقال بتكييفها ومنهم من حظه لذة لا يقال بتكييفها ومنهم من هو مقلد فى علمه بالله بحسب ما ألقى اليه عالمه أو على حسب ما عنده من العلم واما على قدر ما يخيله عقله فقط ومنهم من هو غير مقلد وهكذا (فان قلت) فما أكمل الرؤية التى تقع للخلق (فالجواب) أكمل الرؤية رؤية الانبياء ثم رؤية كمل أتباعهم فان الكمل لا يرون ربهم الا فى مرآة نبيهم المأخوذة من شرعه الثابت عنه واعلم أن عدد رؤية كل عبد للحق فى الآخرة تكون على قدر مجالسته للحق تعالى فى جميع المأمورات واجتناب المنهيات على الكشف والشهود فتزيد الرؤية والمعرفة بزيادة الطاعات وتنقص بفعل المنهيات وكل من قلت مجالسته للحق تعالى جهله فيما لم يجالسه فيه والسلام (قلت) وانما كانت مرآة نبينا صلى الله عليه وسلم أكمل المرايا لانها حاوية لجميع مرايا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ودون ذلك فى المرتبة من يرى ربه فى مرآة نبى من الانبياء ثم فى مرآة أحد من الاولياء فعلم أن الكامل من لا يطأ مكانا لا يرى فيه قدم نبيه أبدا (فان قلت) فالذين ينكرون الحق تعالى فى تجليات الآخرة هل هم مسلمون (فالجواب) نعم هم مسلمون بقرينة قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث التجلى فاذا كشف عن ساقه خروا ساجدين وقالوا أنت ربنا وهنا أسرار يذوقها أهل الله لا تسطر فى كتاب والله تعالى أعلم (فان قيل) فاذا وقع الانكار من هؤلاء فهل يكون المقربون من الانبياء والاولياء حاضرين فان كانوا حاضرين فلم لم يرشدوهم الى أن المتجلى لهم هو الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى شرحه لترجمان الاشواق ان الانكار اذا وقع يكون الانبياء والعارفون واقفين بجانب عن هؤلاء المنكرين وانما لم يرشدوا المنكرين لتلك التجليات لانهم يعرفون من الحق تعالى انه

لكونه ذكرا لمن فى قلبه مرض من العصاة حجة يحتج بها ويقول اذا كان مثل الانبياء وقعوا فى مثل ذلك فايش أنا فعلم أن الواجب على الواعظ ذكر الله وما فيه تعظيمه وتعظيم رسله وعلماء أمته وترغيب الناس فى الجنة وتحذيرهم من النار وأهوال الموقف بين يدى الله عز وجل فيكون مجلسه كله رحمة (قلت) وكذلك لا ينبغى له أن يحقق المناط فى نحو قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا نحو قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وقوله ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فان العامة اذا سمعوا مثل ذلك استهانوا بالصحابة ثم احتجوا بافعالهم والله تعالى أعلم * وقال فى الباب التاسع والخمسين ومائة لا تكون الرسالة قط الا بواسطة روح قدسى ينزل بالرسالة على قلبه وأحيانا يتمثل له رجلا وكل وحى لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية وانما يسمى وحيا أو الهاما أو نفثا أو القاء ونحو ذلك قال والفرق بين النبى والرسول ان النبى انسان أوحى اليه بشرع خاص به فان قيل له بلغ ما أنزل اليك اما لطائفة مخصوصة كسائر الانبياء واما عامة ولم يكن ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم وحده سمى بهذا الوجه رسولا وان لم يخص فى نفسه بحكم لا يكون لمن بعث اليهم فهو رسول

طلب منهم أن يستروه عن أولئك المنكرين ليجني كل أحد ثمرة علمه به في دار الدنيا (فان قيل) فاذا كان الكافرون لا يرون ربهم فما صورة عدم رؤيتهم له (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الاسرار انما صورة عدم رؤيتهم له تعالى انهم يرونه ولكن لا يعلمون انه هو فحجابهم عن ربهم جهلهم به فلا يرونه أبد الآبدين ودهر الداهرين انتهى (فان قيل) فهل تكون الرؤية للمؤمنين بباصر العين كما في الدنيا أم تكون بجميع عيونهم (فالجواب) كما قاله الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور ان رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة تكون بجميع أجسادهم وذلك لكمال النعيم الابدي فلا تتقيد رؤيتهم له تعالى بباصر العين بل كلهم أبصار قال و بعضهم يراه بجميع وجهه فقط اهـ (فان قيل) فهل يلزم أن يكون ما يشهده المؤمن بقلبه من الله تعالى هو المطلوب لوسعه تعالى وتعاليه عن الحصر والتقييد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين وثلثمائة لا يلزم من شهود العبد ربه بقلبه أن يكون هو المطلوب باعلام من الله تعالى فيجعل للعبد في نفسه علما ضروريا مثل ما يجد النائم في نومه من رؤية الحق جل وعلا أو رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجد الرائي في نفسه العلم الضروري بان ذلك المرئي هو الله عز وجل أو رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك لوقوع المرئي مطابقا لما هو الامر عليه فيما يراه اذ لا يدرك أحد الحق تعالى الا هكذا وأما بالنظر والفكر فلا كلام في مبحث أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق (فان قيل) فهل النور الذي يرى الحق تعالى فيه في الآخرة نور له شعاع كما رآه صلى الله عليه وسلم في دار الدنيا أم هو نور لا شعاع له (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلثمائة ان النور الذي يرى الحق تعالى فيه في الآخرة نور لا شعاع له فلا يتعدى ضوءه نفسه ويدركه البصر في غاية الوضوح وذلك ليخالف النور الدنيوي وذلك لما قيل له صلى الله عليه وسلم أرأيت ربك فقال نور أنى أراه يقول كيف أراه وهو نور شعشعاني والاشعة تذهب بالابصار وتمنع من ادراك من تنشق عنه تلك الاشعة فلا يدرك تعالى في ذلك النور لاندراج نور الادراك فيه فاذا لم يدركه مع أن من شأن النور أن يدرك ويدرك به كان من شأن الظلمة ان تدرك ولا يدرك بها قال واذا عظم النور أدرك ولم يدرك به لشدة لطافته ثم انه لا يكون ادراك قط الا بنور من المدرك زائد من ذلك عقلا وحسا (فان قيل) من شرط الرائي ان تعطيه رؤيته العلم بالمرئي والاحاطة به ورأينا الذي يرى الحق لا ينضبط له رؤية لمخالفة حقيقته لسائر الحقائق فكيف يقال انه رأى ربه عز وجل (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والاربعين وأربعمائة أن رؤية الحق تعالى لا يصح فيها احاطة ولا تدخل تحت هذا الحد وغاية العلم أن يعلم الرائي له عند الرؤية انه ما رآه والا فلو صح له أن يراه حقيقة لعلمه وكيف يعلمه وقد رأى تنوع صور التجليات على قلبه في حال رؤيته له تعالى وقد قال موسى عليه الصلاة والسلام رب أرني أنظر اليك قال لن تراني والنكتة في سبب قوله لن تراني كونه قال أنظر اليك بالهمزة ولو أنه قال ننظر اليك بالنون أو التاء لربما لم يكن الجواب لن تراني مع أن السؤال مجمل في قوله انظر والجواب كذلك مجمل في قوله لن تراني وايضاح ذلك أن الرؤية بادرة الى رؤية العين أي لن تراني بعينك لان المقصود بالرؤية حصول العلم بالمرئي وأنت لا تزال ترى في كل رؤية خلاف ما رأيته في الرؤية التي تقدمت فلا يحصل لك علم بالمرئي في رؤيتك له تعالى أبدا فصح قوله لن تراني لاني ما أقبل من حيث ما أنا عليه في ذاتي التنوع وأنت لا ترى ربك اذا رأيته الا متنوعا في الصفات وأنت متنوعت أيضا فما رأيتني ولا رأيت نفسك وقد رأيت فلا بد أن تقول رأيت الحق وأنت ما رأيتني حقيقة وكذلك لا بد أن تقول رأيت نفسي وما رأيت نفسك حقيقة وما ثم الا أنت والحق تعالى ولا واحد من الحق والخلق رأيت وأنت تعلم انك رأيت فما هذا الذي رأيت فرجع المعنى لن تراني بعينك الا ان أمددتك بالقوة الالهية قال وهذا من مشاهد الحيرة * وقال في الباب الاحد والاربعمائة انما قال تعالى لموسى لن تراني لان كل مرئي لا يصح للرائي أن يرى منه الا على قدر منزلته ورتبته لا غير ولو كان الرائي يحيط بالحق تعالى ما تفاوتت الرؤية ثم أقل حجاب يحجب العبد عن الاحاطة شغله برؤية نفسه حال تجلي الحق له فحجاب العبد عن ربه رؤية نفسه فما حجبنا الا بأنفسنا على انا لو زلناعنا أيضا ما رأيناه لانه لم يبق ثم بعد زوالنا

لاني وأعني نبوة التشريع التي ليست للاولياء فعلم ان كل رسول لم يخص بشيء في نفسه مع التبليغ فهو رسول ونبي فما كل رسول نبي على ما قررناه ولا كل نبي رسول بلا خلاف وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي والستين ومائة قد أنكر أبو حامد الغزالي مقام القربة الذي بين الصديقية والنبوة وقال ليس بينهما مقام ومن تخطى مقام الصديقين وقع في النبوة والنبوة باب مغلق قال الشيخ محيي الدين والحق ان مقام الخضر مقام بين الصديقية والنبوة وأطال في ذلك * وقال في الباب الثالث والستين ومائة في قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الآية اعلم انه ينبغي للداعي أن لا يطمع قط في مال المدعوين ولا في جدهم ولا ثنائهم عليه فان مرتبة الداعي شرطها أن تكون أعلى من مرتبة المدعو فلا ينبغي له أن يخلع ثوبا ألبسه الله اياه وأطال في ذلك * ثم قال فمن لم يكن غني النفس عما بايدي الناس فليبدأ بنفسه يعظها حتى يتخلص من الركون للخلق ثم يدعو كما دعت الرسل وكمل ورثتهم قال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم تنبيها على مقام الكمال لان الانسان لا يأمر الناس بشيء الا ان كان هو قد عمل به فافهم والله أعلم * وقال في الباب السادس والستين ومائة في قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب أي آتيناه الحكمة علما وفصل الخطاب قولا فالحكمة هي علم علوم خاص ومن شرطها أنها تحكم

من رآه واذا لم نزل نحن فى رؤيتنا فى المرآة الصافية حينئذ الا أنفسنا وقد نتوسع فى العبارة فنقول انا رأيناه فلا
يخرج أحد عن الحيرة فى الله تعالى اهـ (فان قلت) فاذن فما خر موسى صعقا الا لما كان عنده من العلم بالله
تعالى قبل سؤال الرؤية (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن وأربعين وأربعمائة نعم ما أصعقه الا
ذلك ولكنه لم يكن يعلم من الحق تعالى قال تبت اليك أى لا أطلب رؤيتك على الوجه الذى كنت طلبتها
أولا فانى قد عرفت ما لم أكن أعلم منك وأنا أول المؤمنين أى بقولك لن ترانى لانك ما قلت ذلك الا لى وهو خبر
فلذلك ألحقه موسى عليه الصلاة والسلام بالايمان دون العلم ولو أنه عليه الصلاة والسلام أراد مطلق الايمان
بقوله لن ترانى ما صحت له الاولية فان المؤمنين كانوا قبله ولكن بهذه الكلمة لم يكن مؤمن فكل من آمن بعد
الصعق فقد آمن على بصيرة وهو صاحب علم فى ايمان وهو مشهد عزيز فان العبد اذا انتقل من الايمان الى
العلم الذى هو أوضح فكيف يبقى معه حجاب الايمان فلذلك كان خاصا بالكمل فيؤمنون بما هم به عالمون
ليحوزوا أجر الايمان مع أجر العلم ويقال فى أحدهم انه مؤمن بما هو به عالم من عين واحد وقد بسط الشيخ
الكلام على ذلك فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الظاهر فراجعه ان شئت
* وكان سيدى على بن وفا رضى الله تعالى عنه يقول من أعجب الامور قوله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام
لن ترانى أى مع قوتك [illegible] كونك ترانى على الدوام ولا تشعر بان الذى تراه هو أنا اهـ (فان قلت) فهل
يعلم الحق تعالى بالكشف (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الاسرار لا يصح أن يعلم الحق تعالى بالكشف
وانما يرى به فقط كما انه تعالى يعلم بالعقل ولا يرى به قال وهل ثم لنا مقام يجمع بين الرؤية والعلم لا أدرى اهـ
(فان قلت) فكم ترجع صور التجلى الالهى الى مرتبة من العدد (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب
الثامن والتسعين ومائة انما ترجع كلها الى صورتين صورة تنكر وصورة تعرف ولا ثالث لهما قال وقد
ورد أن الله تعالى لما كلم موسى عليه الصلاة والسلام تجلى له فى اثنى عشر ألف صورة وفى كل صورة يقول
له يا موسى لينتبه موسى فيعلم انه لو كان جميع التجلى بصورة واحدة لم يقل له فى كل صورة وكلمة يا موسى اهـ
(فان قلت فكيف) ثبت موسى عليه الصلاة والسلام لسماع كلام الله ولم يثبت لرؤيته (فالجواب)
كما قاله الشيخ فى الباب الخمسين وأربعمائة انه انما ثبت لسماع كلام الله لان الحق تعالى كان سمعه عند النجوى
يعنى مؤيدا ومقويا لسمع موسى عليه الصلاة والسلام لانه محبوبه بلا شك وقد أخبر الحق تعالى انه اذا
أحب عبدا كان سمعه وبصره الحديث لكن قد يجمع الله تعالى لمن شاء فى هذا المقام الصفات كلها وقد يعطيه
بعض الصفات على التدريج شيأ بعد شئ فلذلك صعق موسى عند التجلى اذ لم يكن الحق تعالى بصره اذ ذاك
فلو انه تعالى أيده بالقوة فى بصره كما أيده فى سمعه لثبت للرؤية كما ثبت لسماع الكلام اذ لا طاقة للمحدث
على رؤية الحق تعالى الا بتأييد الهى اهـ (فان قلت) فما السبب الذى دعا موسى عليه الصلاة والسلام
الى سؤال الرؤية دون سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان كان هو شدة الشوق فنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم أشد شوقا منه بيقين لان الشوق يعظم بشدة المعرفة بعظمة من وقع الاشتياق الى رؤيته وان كان
الباعث له على ذلك هو التقريب فكل الانبياء مقربون (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين
وثلثمائة أن السبب الداعى له الى طلب الرؤية زيادة التقريب على غيره من الانبياء ما عدا محمدا صلى الله
عليه وسلم فان الحق تعالى لما أقام موسى فى مقام التقريب لم يتمالك أن يمنع نفسه عن سؤال الرؤية ومحمد
صلى الله عليه وسلم منعه الادب أن يسأل ذلك مع أنه كان بالاشواق الى رؤية البارى أكثر من موسى
عليه الصلاة والسلام بيقين فلما سلك مقام الادب لقوة تمكينه حفظ الله عليه المقام حتى دعاه تعالى الى رؤيته
على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام وأرسل له براقا ركب عليه تشريفا له على موسى عليه الصلاة
والسلام فعلم أن موسى عليه الصلاة والسلام ما منع من الرؤية الا لكونه سألها عن غير وحى الهى ومقام
الانبياء يقتضى المؤاخذة بالذرات فلذلك كان الجواب له لن ترانى من حيث سؤاله الرؤية ثم انه تعالى استدرك
استدراكا لطيفا لما علم أن التأديب بلغ حده فى موسى من حيث سؤاله الرؤية بغير أمر من الله تعالى فقال

السابع والسبعين ومائة ليس من شأن أهل الله أن يتصرفوا بلفظة كن اذا أعطوها فربما يكون ابتلاء واختبارا وجعلوا بدلها بسم الله فى كل فعل أرادوه قال وانما استعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ليعلم خواص أصحابه ببعض أسرار الله فى خلقه وما سمع منه قبل ذلك ولا بعده تصرف بها * وقال فيه لم نعرف من الاسماء الالهية اسما يدل على الذات فى جميع ما ورد علينا فى الكتاب والسنة الا الاسم الله على خلاف فى ذلك لانه اسم علم لا يفهم منه الا الذات المسمى ولا يدل على مدح ولا ذم وهذا فى مذهب من لا يرى انه مشتق من شئ ثم على قول الاشتقاق هل هو مقصود للمسمى أو ليس بمقصود للمسمى كما اذا سمينا شخصا يزيد على طريق العلمية وان كان هو فعل من الزيادة ولكن ما سميناه به لكونه يزيد وينمو فى جسمه وعلمه مثلا وانما سميناه به لنعرفه ونصيح به اذا أردناه فمن الاسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فاذا قيلت على هذا فهى أعلام واذا قيلت على طريق المدح فهى أسماء صفات وبهذا ورد جميع الاسماء الحسنى ونعت بها
كلها اذ انه سبحانه وتعالى من طريق المعنى وأما الاسم الله فنعت به من طريق الوضع اللفظى فالظاهر أن الاسم الله

له

له تعالى ولكن انظر الى الجبل فاحاله على الجبل في استقراره عند التجلي حيث كان الجبل من جملة الممكنات فلما تجلى سبحانه وتعالى للجبل وهو محدث وتدكدك الجبل لتجليه علم كل عارف أن الجبل رأى ربه وان الرؤية هي التي أوجبت له التدكدك ومن هنا قال بعض المحققين اذا جاز أن يكون الجبل رأى ربه فما المانع لموسى أن يرى ربه في حال تدكدك الجبل ويكون وقوع النفي على الاستقبال والآية محتملة فكان الصعق لموسى قائما مقام التدكدك للجبل ثم لما وقع التجلي للجبل واندك علم موسى انه وقع فيما لم يكن ينبغي له سؤاله وان كان الحامل له على ذلك كثرة الشوق فقال تبت اليك وأنا أول المؤمنين يعني بوقوع هذا الجائز اهـ وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول ما أطمع موسى في طلب الرؤية الا ما قام عنده من التقريب ومعلوم أن الرسل أعلم الناس بالله تعالى فهم يعرفون أن الحق تعالى مدرك بالادراك البصري كما ينبغي لجلاله تعالى وعلى ذلك فما سأل موسى الا ما يجوز له السؤال فيه ذوقا ونقلا لا عقلا لان ذلك من محالات العقول انتهى * وقال في الباب التاسع ومائتين انما أحال الحق تعالى موسى عليه الصلاة والسلام على رؤية الجبل حين سأل رؤيته لان من صفات الجبل الثبوت يعني ان ثبت الجبل اذا تجليت له فتراني من حيث ما في ذاتك من صفة ثبوت الجبال يقال فلان جبل من الجبال اذا كان يثبت عند الشدائد والامور العظيمة ولا يخفى ان الجبل ليس هو أكرم على الله تعالى من موسى وانما ذلك من حيث كون خلق الارض التي الجبل منها أكبر من خلق موسى الذي هو من الناس كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس أي فاذا كان الجبل الذي هو أقوى صار دكا عند التجلي فكيف يثبت لرؤيتي جبل موسى الذي هو جبل صغير من حيث الجرم انتهى (فان قيل) فلم رجع موسى الى صورته بعد الصعق ولم يرجع الجبل بعد الدك الى صورته (فالجواب) انما لم يرجع الجبل الى صورته لخلوه عن الروح المدبرة له بخلاف موسى عليه الصلاة والسلام رجع الى صورته بعد الصعق لكونه كان ذا روح فروحه هي التي أمسكت صورته على ما هي عليه بخلاف الجبل لم يرجع بعد الدك الى كونه جبلا لعدم وجود روح فيه تمسك عليه صورته انتهى (فان قلت) قد قال أهل الكشف ان الجماد كله حي فما هذه الحياة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والتسعين وثلثمائة ان المراد بحياة الجماد كونه يسبح بحمد ربه وينزهه ويقدسه لا ان له اختيارا وتدبيرا كالحيوان المشهور * قال الشيخ ومن أعظم دليل سمعي على حياة الجماد قوله تعالى وان منها يعني الحجارة لما يهبط من خشية الله فانه لا يوصف بالخشية الا حي دراك ولكن قد أخذ الله تعالى بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله تعالى كنحن واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل سمعي في ذلك لكشفنا عن حياة كل شيء عينا واسماعنا تسبيح الجماد ونطقه قال وكذلك اندكاك الجبل حين وقع له التجلي ما وقع منه الا لمعرفته بعظمة الله تعالى ولولا ما كان عنده من المعرفة ما اندك اذ الذوات لا تؤثر في بعضها من حيث هي ذات وانما يؤثر فيها معرفتها وانظر الى الملك اذا دخل الى السوق على هيئة العوام ومشى بينهم وهم لا يعرفونه كيف لا يقوم له وزن في نفوسهم ثم اذا لقيه في تلك الحالة من يعرفه من خواصه قامت بنفسه عظمته وقدره وأثر فيه علمه فاحترمه وتادب معه وخضع له فاذا رأى الناس ذلك من هذا الخاضع الذي يعرفون قربه ومنزلته من الملك مارت اليه أبصارهم وخشعت له أصواتهم وأوسعوا له في الشارع وتبادروا لرؤيته واحترامه فما أثر فيهم الا ما قام بهم من العلم فاحترموه حينئذ لمجرد صورته لانها كانت مشهودة لهم قبل علمهم بانه الملك فتأمل تعلم ان كونه ملكا ليس هو عين صورته وانما هي رتبة نسبية أعطته التحكم في العالم الذي هو تحت حكمه اهـ (فان قلت) قد ورد في الحديث أن العبد يناجي ربه في الصلاة في هذه الدار ومعلوم انه لا يصح ان يناجي الا من يتخيله مناجياله كذلك فبم تميزت الدار الآخرة (فالجواب) تتميز الدار الآخرة بكون العبد هناك يعرف من يناجيه ويسمع كلامه وهنا لا يعرفه ولا يسمع كلامه فلا بد من مزيد انكشاف العبد في الآخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لنا في هذه الدار اعبد الله كأنك تراه وقال في الدار الآخرة ما من أحد الا سيكلمه ربه كفاحا ليس بينه وبينه ترجمان الحديث وايضاح ذلك ان كل مدرك بشيء من القوى الظاهرة

الذات بلا شك وما هي مشتقة مثل لفظة هو وذا وانا وأنت ونحن والياء من انى والكاف من انك فاما هو فهو اسم لضمير الغائب وأما ذا فهي من أسماء الاشارة مثل قوله ذلكم الله ربكم وكذلك لفظة ياء المتكلم مثل قوله فاعبدني وأقم الصلاة لذكري وكذلك لفظة أنت وتاء المخاطب مثل قوله كنت أنت الرقيب عليهم ولفظة نحن ولفظة انا مشددة ولفظة قوله نا من قوله انا نحن نزلنا الذكر وكذلك حرف كاف الخطاب نحو انك أنت العزيز الحكيم فهذه كلها أسماء ضمائر واشارات وكنايات تعم كل مضمر ومخاطب ومشار اليه ومكني عنه وأمثال هذه ومع ذلك فليست أعلاما ولكنها أقوى في الدلالة من الاعلام فان الاعلام قد تفتقر الى النعوت وهذه لا افتقار لها قال وأما لفظة هو فهي أعرف عند أهل الله من الاسم الله في أصل الوضع لانها تدل على هوية الحق التي لا يعلمها الا هو وأطال في ذلك *(قلت وذكر الشيخ أيضا في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة ما نصه اعلم انه ثم أسماء الهية تطلب العالم ولا بد كالاسم الرب والقادر والخالق والنافع والضار والمحيي والمميت والقاهر والمعز والمذل ونحو ذلك وثم أسماء الهية لا تطلب العالم ولكن تبرح منها نفس من أسماء

أو الباطنة التي في الانسان لابد أن يكون بتخيل ولولا ذلك التخيل ماسكن اليه فلا يقع السكون الا لمتخيل بفتح العتية من متخيل بكسرها وجميع العقائد كلها تحت هذا الحكم ولهذا سميت عقائد فان العقائد محلها الخيال والخيال لا يصح أن يضبط أمراً أبداً ولذلك كان من لازم صاحب الوهم قلة السلامة منه انتهى (فان قيل) فهل يقع من أهل الكشف في الدنيا انكار لشئ من التجليات الأخروية (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلثمائة لا يقع من أهل الكشف شئ من الانكار للتجلي الاخروي وانما يقع ذلك من أصحاب النظر العقلي وذلك لانهم قيدوا الحق تعالى بما أدت اليه عقولهم المعقولة فلما برز في الآخرة ما قيدوه بعقولهم في الدنيا أنكروه ضرورة ألا تراهم اذا وقع التجلي لهم بالعلامة التي كانوا قيدوه بها يقرون له بالربوبية ولو انه تعالى كان تجلى لقلوبهم بهذه العلامة أولا لما أنكروه فعلم ان أهل الكشف لا يقع منهم انكار والسلام انتهى * وكان سيدي علي بن وفا رحمه الله يقول لا يقر بالحق تعالى في تجل من تجليات الآخرة الا أهل التنزيه المطلق الذي هو تجريد التوحيد عن شريك يقابله قال وهذا هو سر العيان الذي يستحيل معه الحجاب انتهى (فان قيل) اذا كان الحق تعالى واحداً لا ثاني له في نفس الامر فمن أين جاء الانكار (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الاسرار جاءهم الانكار من اختلاف الامزجة فكل واحد يصوب اعتقاد نفسه ويخطئ غيره وهو تعالى في نفسه واحد لا يتبدل ولا يتحول فالاعتقادات هي التي تنوعه وتفرقه وتجمعه وتعالى الله في علي ذاته عن ذلك (فان قيل) فما علامة صدق من يرى الله تعالى بقلبه في هذه الدار على الكشف القلبي (فالجواب) علامته أن يراه من سائر الجهات الست من غير ترجيح لاحدى الجهات على بعضها قال الشيخ محيي الدين في الباب السادس عشر ومائتين وقد ذقنا هذا المقام ولله الحمد قال وكذلك هي رؤية أهل الجنة في الجنة اذا رأوه بابصارهم تكون الرؤية مطلقة لا تتقيد بجهة انتهى (فان قلت) ان بعض المحققين منع رؤية الحق تعالى أيضاً بالقلوب كالابصار فما وجهه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب العشرين وأربعمائة ان وجه اطلاق الابصار في الآية أي لا تدركه الابصار من كل عين من أعين الوجوه وأعين القلوب وذلك أن القلوب لا ترى الا بالبصر وأعين الوجوه لا ترى أيضاً الا بالبصر فالبصر حيث كان هو الذي يقع به الادراك فيسمى البصر في القلب عين البصيرة ويسمى في الظاهر بصر العين فكما أن العين في الظاهر محل البصر فكذلك البصيرة في الباطن محل العين الذي هو بصر في عين الوجه فاختلف الاسم عليه وما اختلف هو في نفسه كما لا تدركه العيون بابصارها كذلك لا تدركه البصائر باعينها انتهى (فان قيل) فهل وقعت رؤية الله تعالى يقظة في الدنيا لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الارث له في المقام (فالجواب) كما قاله الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه لم يبلغنا وقوع ذلك في الدنيا لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان فلاناً يزعم انه يرى الله تعالى بعيني رأسه فأرسل الشيخ خلفه وقال له أحق ما يقول هؤلاء عنك فقال نعم فانتهره الشيخ وزجره عن هذا القول وأخذ عليه العهد أن لا يعود اليه فقيل للشيخ أمحق هذا الرجل أم مبطل فقال هو محق ملبس عليه وذلك انه شهد ببصيرته نور ذلك الجمال البديع ثم خرق من بصيرته الى بصره منفذ فرأى ببصره بصيرته حالة اتصال شعاعها بنور شهوده فظن أن بصره الظاهر رأى ما شهدته بصيرته وانما رأى بصره حقيقة بصيرته فقط من حيث لا يدري قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وكان جمع من المشايخ حاضرين فاعجبهم هذا الجواب وأطربهم ودهشوا من حسن افصاحه رضي الله عنه عن حال ذلك الرجل قال الشيخ عبد القادر الجيلي وقد تراءى لي مرة نور عظيم ملأ الافق ثم بدت لي فيه صورة تناديني يا عبد القادر أنا ربك وقد أسقطت عنك التكاليف فان شئت فاعبدني وان شئت فاترك فقلت له اخسأ يا لعين فاذا ذلك النور قد صار ظلاماً وتلك الصورة صارت [illegible]ناناً ثم خاطبني اللعين وقال لي يا عبد القادر نجوت مني بعلمك بأحكام ربك وفقهك في أحوال منازلاتك ولقد [illegible] بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق فقيل للشيخ عبد القادر فمن أين عرفت انه شيطان فقال [illegible]له لي ما حرمه الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه تعالى لا يحرم شيأ على لسان رسله ثم يبيحه

العالم كالغنى والعزيز والقدوس وأمثال هذه الاسماء فقال وما وجدنا الله تعالى أسماء تدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات أبداً فانه ما ثم اسم الا على أحد أمرين اما يدل على فعل وهو الذي يستدعي العالم ولابد واما يدل على تنزيه وهو الذي يستروح منه صفات نقص كوني تنزه الحق تعالى عنها غير ذلك ما أعطانا الله فما ثم اسم علم ما فيه سوى العلمية لله تعالى أصلاً الا ان كان ذلك في علمه وما استأثر به في غيبه مما لم يبده لنا * قال وسبب ذلك انه تعالى ما أظهر أسماءه لنا الا للثناء بها عليه فمن المحال أن يكون فيها اسم علم أصلاً لان الاسماء الاعلام لا يقع بها ثناء على المسمى لكنها أسماء أعلام للمعاني التي تدل عليها وتلك المعاني هي التي يثنى بها على من ظهر عندنا حكمه بها فينا وهو المسمى بمعانيها والمعاني هي المسماة بهذه الاسماء اللفظية كالعالم والقادر وباقي الاسماء فلله الاسماء الحسنى وليست الا المعاني لا هذه الالفاظ لان الالفاظ لا تتصف بالحسن والقبح الا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها فلا اعتبار لها من حيث ذاتها فانها ليست زائدة على حروف مركبة ونظم خاص يسمى اصطلا[illegible] انتهى * وذكر أيضاً في الباب الثامن [illegible] [illegible] كلها ذاته سبحانه [illegible] الحق تعالى عينها الذي بيده ملكوت كل شئ وأطال في ذلك * ثم قال فعلم ان كل

لاحد

لاحد في السر أبدا انتهى (فان قلت) ان الحق تعالى أخبر انه أقرب الينا من حبل الوريد فاذا كان بهذا
القرب العظيم فما المانع من رؤيته (فالجواب) المانع من رؤيته هو شدة القرب كما قال تعالى ونحن
أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون أي لشدة قربي منكم وقد أطال الشيخ في تفسير قوله تعالى لا تدركه
الابصار في الباب الخامس والعشرين وأربعمائة وفي الباب الحادي وعشرين ومائتين * وقال في كتابه
شرح ترجمان الاشواق اعلم ان الحق تعالى اذا كان الوهم لا يحيط به مع أنه ألطف من الادراك الحسي
فكيف يدركه البصر الذي هو الاكثف انتهى * وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول قوله تعالى
لا تدركه الابصار صحيح على ظاهره فان المبصر للحق جل وعلا انما هم المبصرون بالابصار لا نفس الابصار
انتهى فليتأمل (فان قلت) فهل ثم وجه جامع بين قول من أثبت رؤية الباري و بين قول من نفاها
(فالجواب) نعم كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ولفظه اعلم ان الجامع بين من أثبت رؤية
الله عز وجل و بين من أنكرها ونفاها ان من أثبتها أراد أنها تكون على قدر وسع العبد ومن نفاها أراد
أن حجاب العظمة مانع من رؤية حقيقة الذات وكل من لا يحيط بشئ كانه ما رآه مع انه رآه انتهى * وقال
في لواقح الانوار أيضا اعلم ان حجاب الكبرياء على الذات المتعالي لا يرتفع أبدا كما أشار اليه خبر مسلم بقوله
صلى الله عليه وسلم وليس على وجهه تعالى الارداء الكبرياء في جنة عدن واذا كان هذا الحجاب لا يرتفع فما
وقعت الرؤية الا على الحجاب فصح قول من قال ان الحق يصح أن يرى ومن قال لا يصح ان يرى يحمله
على هاتين الحالتين انتهى * وأما الكلام على رؤيته تعالى في المنام فقد قدمنا أول المبحث نقول
المتكلمين فيها وها نحن نذكر لك نقول الصوفية فنقول وبالله التوفيق اعلم أن الاصل في صحة الرؤية ما رواه
الطبراني وغيره مرفوعا رأيت الليلة ربي في صورة شاب أمرد قطط له وفرة من شعر وفي رجليه نعلان من
ذهب الحديث قال الحافظ السيوطي رحمه الله وهو حديث صحيح قال الشيخ محيي الدين في الباب الاحد وثمانين
وثلثمائة قد اضطربت عقول العلماء في معنى هذا الحديث وفي صحته فنفاه بعضهم وأثبته بعضهم وتوقف في
معناه وأوله ولا يحتاج الامر الى تأويل فانه صلى الله عليه وسلم انما رأى هذه الرؤيا في عالم الخيال الذي هو
النوم ومن شأن الخيال أن النائم يرى فيه تجرد المعاني في الصور المحسوسة وتجسد ما ليس من شأنه أن يكون
جسدا لان حضرته تعطي ذلك فما ثم أوسع من الخيال قال ومن حضرته أيضا ظهر وجود المحال فانك ترى فيه
واجب الوجود الذي لا يقبل الصور في صورة و يقول لك معبر المنام صحيح ما رأيت ولكن تأويلها كذا وكذا
فقد قبل المحال الوجود في هذه الحضرة فاذا كان الخيال بهذه القوة من التحكم في الامور من تجسد المعاني وجعله
ما ليس قائما بنفسه ٣ وهو مخلوق فكيف بالخالق وكيف يقول بعضهم ان الله تعالى غير قادر على خلق المحال
وهو يشهد من نفسه قدرة الخيال على المحال وأطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثامن والتسعين ومائة
ثم قال ولو لم يكن من قوة الخيال الا أنه يريك الجسم في مكانين فيكون الانسان نائما في بيته ويرى في منامه أن
عين جسمه في مدينة أخرى وعلى حالة أخرى تخالف حاله الذي هو عليه في بيته وهو عينه لا غيره لمن أدرك
الوجود على ما هو عليه ولولا ذلك ما قدر العقلاء على فرض المحال فانه لولا صوره في نفسه ما قدر على فرضه
قال ومن هذا الباب مشاهدة المقتول في سبيل الله في المعركة وهو عند الله حي يرزق ويأكل و روى الترمذي
في حديث القبضتين مرفوعا أن الحق لما فتح قبضته أي كما يليق بجلاله فاذا فيها آدم وذريته فآدم في هذه
القبضة في القبضة وهو وعينه خارجها فيا من يحيل الجمع بين الضدين ما تقول في هذا الحديث وأطال في ذلك
هذا كلامه بحروفه فتأمله وحرره والله يتولى هداك (فان قلت) فاذن المواطن تحكم بنفسها على كل من
ظهر فيها فمن مر على موطن انصبغ به كما حكم الخيال على صاحبه برؤية الحق تعالى في صورة (فالجواب)
كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين وأربعمائة نعم وهو كذلك والدليل الواضح في ذلك ما ذكرته في
السؤال من رؤيتك الله تعالى في المنام الذي هو موطن الخيال في صورة فاذا كان حكم الموطن قد حكم عليك في
الحق تعالى بما هو منزه عنه فلا تراه الا كذلك فكيف بغيره ثم انك اذا خرجت من حضرة الخيال لي موطن

اسم الوهبي يتضمن أسماء التنزيه من حيث دلالته على ذات الحق تعالى ولكن
لما كان ماعدا الاسم الله من الاسماء مع
دلالته على ذات الحق تعالى
يدل على معنى آخر من نفي
أو اثبات من حيث
الاشتقاق لم تقوا حدية
الدلالة على الذات قوة هذا
الاسم كالرحمن وغيره من
الاسماء الالهية الحسنى
وقد عصم الله تعالى هذا
الاسم العلم أن يتسمى به
أحد غير ذات الحق ولهذا
قال في معرض الحجة على من
نسب الالوهية الى غير الله
تعالى قل سموهم فلو سموهم
ما قالوا الا بغير الاسم الله فقد
علمت ان الاسم الله يدل على
الذات بحكم المطابقة
كالاسماء الاعلام على
مسمياتها وأطال في ذلك
فتأمل هذا المحل وحرره
والله يتولى هداك * وقال
ليس في أسماء الله اسم
مرادف قط للاتساع
الالهي بل ليس في الوجود
كله تكرار جملة واحدة
* وقال في حديث ان لله
تعالى تسعة وتسعين اسما
مائة الا واحدا من أحصاها
دخل الجنة قد خرج بذلك
ما أخذناه نحن من طريق
الاشتقاق على جهة المدح
فانها لا تحصى كثرة وهذه
التسعة والتسعون اسما لم
نقدر على تعينها من وجه
صحيح لان الاحاديث الواردة
فيها كلها مضطربة لا يصح منها
شئ وكل اسم الهي يحصل
لنا من طريق الكشف
فلا نورده في كتاب واب
كانه وبه في نفوسنا بما يؤدي بهم ذلك من الانكار علينا وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن والسبعين ومائة معنى حسبنا ربنا أن نصب

النظر العقلي لم تدرك الحق تعالى الا منزها عن تلك الصورة التي أدركته فيها في موطن الخيال فاذا كان الحكم للمواطن عرفت اذا رأيت الحق تعالى ما رأيت سوى أثبت ذلك الحكم للموطن حتى يبقى الحق تعالى لك مجهولا أبدا فلا يحصل لك به احاطة أبدا وغاية أمرك توحيد المرتبة له لا غير وأما علمك بذاته تعالى فهو محال لانك لا تخلو عن موطن تكون فيه يحكم عليك ذلك الموطن بحاله فلا تعرف الله تعالى من حيث ما يعرف الله نفسه أبدا فما عندك من معرفته في موطن ينفد منك في موضع آخر فما عندك من العلم به ينفد وما عنده تعالى من علمه بنفسه لا يتغير ولا يتبدل انتهى (فان قلت) فاذا كان ما يراه الانسان في النوم بهذه المثابة فلا يصح لاحد القطع بما يراه في المنام أبدا (فالجواب) نعم وهو كذلك كما ذكره الشيخ في لواقح الانوار قال لان دائرة الخيال واسعة وكل ما يظهر فيها ومنها يحتمل التأويلات فلا يحصل القطع الا ان استند الرائي الى علم آخر وراء ذلك اذ الخيال ليس له حقيقة في نفسه لانه أمر برزخي بين حقيقتين وهما المعاني المجردة والمحسوسات فلهذا يقع فيه الغلط قال وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم حين أتاه جبريل بصورة عائشة في سرقة من حرير وقال له هذه زوجتك كيف قال له ان يكن من عند الله يمضه ولو ان جبريل أتاه بذلك من طريق الوحي المعهود في الحس أو بطريق المعاني المجردة الموجبة لليقين لما كان يمكنه الجواب بمثل ذلك لان النصوص لا يدخلها تأويل ولا خطأ ولا تردد اهـ (فان قلت) فما السبب الداعي لرؤية الله تعالى في النوم مع قوله صلى الله عليه وسلم انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا السابق أول المبحث (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة ان السبب لرؤية الله في المنام كون النوم أخا الموت فمعنى الحديث انكم ترونه بعد موتكم لا في حال موتكم فما نفى الشارع الا رؤية الله في الدنيا يقظة لغير من استثنى وسبب عجز الناس عن رؤية ربهم في الدنيا ضعف نشأة هذه الدار الا لمن أمده الله بالقوة بخلاف نشأة الآخرة لقوتها (فان قلت) فما محل وقوع النوم في العالم (فالجواب) محل النوم ما تحت مقعر فلك القمر خاصة وما فوق فلك القمر لا نوم وأما محله في الآخرة فهو ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة قال الشيخ محيي الدين ومن هنا أنكر بعضهم كون الملائكة يرون ربهم وقال ان الملائكة خلقوا للبقاء من غير موت فلا يرون الله في الدنيا ولا في الآخرة لعدم موتهم ونومهم وقد أطال الشيخ الكلام على الرؤيا في الباب التاسع والتسعين من الفتوحات وذكر في موضع آخر من الفتوحات ان جبريل لا يرى ربه في الدنيا وانما يراه في الآخرة فقط فليتامل ويحرر (فان قلت) فما الفرق بين النوم والموت (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر وثلثمائة ان الموت فيه اعراض الروح عن تدبير الجسم بالكلية ويزول بذلك جميع القوى كما يدخل الليل بمغيب الشمس وأما النوم فليس هو اعراضا عن الجسم بالكلية وانما هو حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها ودون موضع خاص من الارض يكون الضوء موجودا كالحياة وان لم يقع ادراك الشمس لذلك السحاب المتراكم بينها وبين الارض (فان قلت) فما السبب في عدم نقض وضوئه صلى الله عليه وسلم بالنوم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاحد وثمانين وثلثمائة أن السبب في ذلك شدة حياة قلبه صلى الله عليه وسلم فاذا انتقل الى عالم الخيال لم يتغير عليه حال بل يرى صورته هناك بسرعة يقظانه فكأنه لم ينم فلم يحدث وكذلك جسده المحسوس لم يطرأ عليه ما ينقض طهارته ومن هنا قال بعضهم النوم سبب الحدث لا هو عين الحدث (فان قلت) فمن أصدق الناس رؤيا (فالجواب) أصدقهم رؤيا من تجلى له ما رآه في حضرة خياله الذي هو فيه فهذا هو الذي تصدق رؤياه أبدا (فان قلت) فاذن كل رؤيا صادقة (فالجواب) نعم هي صادقة بلا شك لا تخطئ واذا قيل ان الرؤيا أخطأت فما أخطأت وانما الذي عبرها هو المخطئ حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصورة الا تراه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين عبر الرؤيا أصبت بعضا وأخطأت بعضا وما قال له خيالك فاسد لانه رأى حقا ولكن أخطأ في التأويل وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والستين من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فما الفرق بين الرؤيا والحلم المشار اليهما في حديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب

الاشياء من أجله ونبغض الاشياء من أجله ليس غير ذلك لانتفاء المجانسة بينه تعالى وبيننا يقول الله عز وجل يوم القيامة لمن ادعى محبته هل واليت لي وليا أو عاديت لي عدوا كما ورد * وقال في قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة في هذه الآية دليل على أن الله تعالى ما كلف عباده الا ما يطيقونه عادة فلم يكلفهم بنحو الصعود الى السماء بلا سبب ولا بالجمع بين الضدين ولو كلفهم بذلك ما كان يقول فلله الحجة البالغة وانما كان يقول فله أن يفعل ما يريد كما قال لا يسئل عما يفعل لمن يقول في نفسه كيف تأمرنا يا ربنا بأمر لم تقسم لنا فعله أو تنهانا عن شئ وقد قدرته علينا فهذا موضع لا يسئل عما يفعل * وقال بلغني ان العصفور قال لزوجته حين راودها عن نفسها لقد بلغ بي من حبي لك أن لو قلت لي اهدم هذه القبة على سليمان لهدمتها لك فارسل سليمان خلفه وقال ما حملك على هذا القول الذي تعجز عنه فقال مهلا يا نبي الله ان المحبين انما يتكلمون غالبا بلسان المحبة والعشق لا بلسان العلم والعقل فضحك سليمان من قول الخطاف ولم يعاقبه (قلت) وفي هذه عذر عظيم لنحو سيدي عمر بن الفارض واضرابه في تغزلاتهم فلا ينبغي اقامة موازين أهل العقول الكونية عليهم لانهم انما تكلموا بلسان العشق فافهم وسلم تسلم * وقال في الباب الرابع والثمانين ومائة كرامات الاولياء على قسمين حسية ومعنوية فالحسية

الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الحليم أن الرؤيا هي رؤية الامر على ماهو عليه في نفسه وأما الحلم فهو رؤية الامر على خلاف ماهو عليه يقال حلم الاديم اذا فسد وكذلك النوم أفسد المعنى عن صورته لانه ألحقه بالحس وليس بمحسوس فاذا أخبر المحتلم العارف بما رأى عبر له ذلك العارف بنقل تلك الصورة الى المعنى الذي ظهر بما فرده الى أصلها كما أفسد الحلم العلم وأظهره في صورة اللبن فليس بلبن فرده صلى الله عليه وسلم بتأويل الرؤيا الى أصله وهو العلم وجرده عن تلك الصورة وقد جاء رجل الى محمد بن سيرين رضي الله عنه فقال اني رأيت اني أرد الزيت في الزيتون فقال له أملك تحتك فبحث الرجل عن ذلك فوجد أمه تحته تزوجها وما عنده خبر منها فأين صورة نكاح الرجل أمه من رد الزيت في الزيتون فتأمل وبالجملة فكل من رأى الامر على ماهو عليه فهو صاحب كشف لا صاحب حلم سواء كان في النوم أو في اليقظة انتهى (فان قلت) فما معنى حديث رؤيا المؤمن على رجل طائر مالم يحدث بها فاذا حدث بها وقعت (فالجواب) ماقاله الشيخ في الباب الثامن والثمانين ومائتان ان لله تبارك وتعالى ملكا موكلا بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا وبيده صور الاجساد التي يدرك النائم فيها نفسه وغيره وصور ما يحدث من تلك الصور في الاكوان فاذا نام الانسان انتقلت اللطيفة الانسانية بقواها من حضرة المحسوسات الى حضرة الخيال المتصل بها الذي محله مقدم الدماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الاذن الالهي مايشاء الحق تعالى أن يريه لهذا النائم من ادراك المعاني متجسدة ونحو ذلك حتى أنه يرى الحق تعالى في صورة كما مر فاذن ما عبر أحد الرؤيا حيث عبرها الا بعد أن تصورها في خياله فتنتقل تلك الصورة عن المحل الذي كانت فيه حديث نفس أو تحزين شيطان الى خيال العابر لها (فان قلت) فما المراد بالطائر في الحديث (فالجواب) الطائر هو الحظ قال تعالى قالوا طائركم معكم أي حظكم ونصيبكم معكم من الخير والشر وايضاح ذلك أن الله تعالى اذا أراد أن يرى أحدا رؤيا يجعل لصاحبها فيما يراه حظا من الخير والشر بحسب ما تقتضي رؤياه فيصور الله تعالى ذلك الحظ طائرا وهو ملك في صورة طائر كما يخلق من الاعمال صورا ملكية روحانية جسدية برزخية وانما جعلها الحق تعالى في صورة طائر لانه يقال طار سهمه بكذا فاذا وقعت الرؤيا جعلها الله تعالى معلقة برجل هذا الطائر وهي حقيقة عين الطائر فاذا عبرت سقطت لما عبرت له وعند ماتسقط ينعدم الطائر لانه عين الرؤيا فينعدم لسقوطها ويتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير وتلك الحال اما عرض واما جوهر واما نسبة من ولاية أو غيرها هي عين صورة تلك الرؤيا وذلك الطائر ومنه خلقت ولا بد كما خلق آدم من تراب ونحن من ماء مهين انتهى (فان قيل) فما وجه تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم الستة وأربعين جزأ من حديث الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة (فالجواب) وجهه ان رسالته صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثا وعشرين سنة ووقعت له الرؤيا قبل الرسالة مدة ستة أشهر فانسب الستة أشهر الى ستة وأربعين جزأ تجدها صحيحة فالمراد بالجزء منها هنا النصف ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه اذا أصبح هل رأى أحد منكم رؤيا لكون الرؤيا من أجزاء النبوة اذ هي مبتدأ الوحي فكان يحب أن يشهد معنى النبوة في أمته هذا والناس في غاية الجهل عن هذا المعنى الذي اعتنى به صلى الله عليه وسلم وقصده وسأل عنه كل يوم بل بعضهم يستهزئ بالرائي اذا اعتمد على تلك الرؤيا وذلك جهل بمقامها وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والستين وثلثمائة وذكر فيه الفرق بين الرؤيا والمبشرات فراجعه والله تعالى اعلم

(خاتمة) في الكلام على رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان الاصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم السابق أول المبشرات الرؤيا أن يرى العبد ربه في منامه أو يرى نبيه وقوله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي وليس بعد الحق تعالى أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم فوجب علينا الاعتناء بالكلام على رؤيته في المنام اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق انما كان الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم لما ورد انه صلى الله عليه وسلم لما ولد جاء الشيطان وجنوده

العامة والمعنوية الخاصة قال والحسية هي مثل الكلام على الخاطر والاخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية والاخذ من الكون والمشي على الماء واختراق الهواء وطي الارض والاحتجاب عن الابصار واجابة الدعوى في الحال ونحو ذلك وأما الكرامة المعنوية عند الخواص فهي حفظ آداب الشريعة من فعل مكارم الاخلاق واجتناب سفسافها والمحافظة على أداء الواجبات مطلقا في أوقاتها والمسارعة الى الخيرات وازالة الغل للناس والحسد والحقد لهم وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الانفاس ومراعاة حقوق الله في نفسه وفي الاشياء ومراعاة أنفاسه في دخولها وخروجها فيتلقاها بالادب ويخرجها وعليها خلعة الحضور فهذه كلها هي الكرامات عندنا فانه لا يدخلها مكر ولا استدراج بخلاف كرامة العامة وايضاح ذلك ان الكرامة عند الخواص من لازمها العلم الصحيح والوفاء بالعهود ومعلوم أن الحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الالهي وليست الدنيا بمحل لخرق العوائد وانما محل ذلك الدار الآخرة وأطال في ذلك *وقال في الباب الخامس والثمانين ومائة اعلم أن ميزان الشرع الموضوعة في الارض هي ما بايدي العلماء من الشريعة فمهما يخرج ولي عن ميزان الشرع المذكورة مع وجود عقل التكليف انكرنا عليه ذلك فان غلب عليه الحال سلم له حاله مالم يعارض نصا أو اجماعا

حتى دخلوا امكة فوجدوا نورا يسطع منه الى السماء له شعاع كلما دنا منه شيطان احترق فمن ذلك اليوم والشياطين كلهم يفرون و يفزعون من صورته صلى الله عليه وسلم ولاجل هذا الفزع أسلم قرينه كما جاء في الحديث بناء على ضبط أسلم بفتح الميم وقد ضبطه بعضهم بضمها فهذا هو السبب في كون الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم (فان قلت) كيف عصم الله صورة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يمنع تصور الشياطين ودعواهم انهم الحق تبارك وتعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاربعين وخمسمائة ان الشياطين انما لبست على بعض الحق بالتصور بصورة ادعوا انها صورة الحق لكون الحق تعالى ليس له صورة تعقل فاذلك جاء الشيطان الى جماعة في المنام وقال لهم انى أنا الله فمنهم من هدى الله فرده خاسئا ومنهم من حقت عليه الضلالة بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فان له صورة معقولة ثابتة الاوصاف في الاحاديث الصحيحة فاذا جاء ابليس في صورة غيرها ردت عليه حتى قالوا من شرط الرؤيا الصحيحة أن يراه صلى الله عليه وسلم مكسور الثنية كما كان في حياته ومعنى قوله في الحديث السابق فقد رآني أي رأى حقيقة جسمي وروحي وصورتي معا وذلك ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا تبلى أجسادهم ولا تتغير صورهم وهم في قبورهم يصلون كما جاءت به الاحاديث (فان قيل) كيف يراه وهو بالمدينة وبينه و بين هذا الرائي مسافات بعيدة (فالجواب) ان رؤية المنام ليس حكمها حكم رؤية العين التي في رأسه حتى يجب الحضور وانما الرؤية له صلى الله عليه وسلم بالعين التي في قلب الرائي وذلك لا يستدعى حضور المرئي بل يرى من المشرق الى المغرب ونجوم الارض الى العرش وذلك كما ترى الصور في المرآة المحاذية لها ولبست الصور منتقلة الى جرم المرآة ومعلوم أن العين الباطنة كالمرآة يرتسم فيها ما قابلها من العلويات والسفليات (فان قيل) فما الحكم فيما اذا رآه صلى الله عليه وسلم جمع كثير في وقت واحد على صفات مختلفة كأن يراه بعضهم شيخا و يراه آخر شابا ويراه آخر ضاحكا وآخر باكيا وآخر طويلا وآخر قصيرا وغير ذلك (فالجواب) أن هذه الاختلافات كلها راجعة الى الرائين لا الى المرئي صلى الله عليه وسلم ومثاله المرايا الكثيرة المختلفة الاشكال والمقادير اذا قابلت وجه انسان يرى وجهه في المرآة الكبيرة كبيرا وفي الصغيرة صغيرا وفي المعوجة معوجا وفي الطويلة طويلا وفي المقعرة مقعرا الى غير ذلك فالاختلافات في ذلك راجعة الى اختلاف أشكال الرائي لا الى وجه المرئي وكذلك الراؤن النبي صلى الله عليه وسلم أحوالهم بالنسبة اليه مختلفة بحسب استقامتهم على شريعته واعوجاجهم فعلم أن جميع ما يرى من النقص في صورة النبي صلى الله عليه وسلم فهو راجع الى الرائي قال الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله تعالى وانى لارى جماعة من الحمق تشمئز طباعهم من ضرب الامثال بالمرآة ونحوها في مثل هذا الذى ذكرنا من رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفات مختلفة وذلك جهل منهم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل حين ضرب الله الامثال بالذبابة والعنكبوت حتى أنزل الله تعالى ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها يعنى والله أعلم في الصغر والحقارة فالامثال أعظم شئ في تفهيمات المعنى وقالوا الامثال مرايا القلوب يعنى ان عين القلب ترى في الامثال من صور المعانى ما تراه عين الرأس في المرآة من صور الاجسام قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون والكتب المنزلة من السماء أكثرها أمثال مضروبة فعلم ان الرائي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الصور والاشكال المختلفة راءله حقيقة فان تلك الصور كلها أمثلة له خيالية والمرئي بواسطتها هو النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كما يقول الانسان رأيت وجهى في الماء ومعلوم قطعا أن وجهه ليس منتقلا الى الماء حتى يراه فيه وانما معناه رأيت حقيقة وجهى بواسطة مثاله في الماء فيكون المثال واسطة لا يلتفت اليه اذ لا حقيقة له حتى يكون مرئيا لذاته وانما هو هيئة يريك الله تعالى وجهك بواسطتها وذلك من عجائب قدرته التى تكل الافهام عن دركها ولا فرق بين أن تقول رأيت وجه صديقي بعيني و بين قولك رأيت وجه صديقي في الماء اذ المرئي في الحالتين واحد غير أن الله تعالى أجرى العادة أن من نظر في صقيل كالماء والمرآة يرى في ذلك الصقيل وجهه فيظن أن في ذلك الصقيل شيئا يراه هو مثال لوجهه وذلك خيال باطل

وأما مخالفته الشرع طريقة الفهم فلا قال فان ظهر بأمر يوجب حدا في ظاهر الشرع ثابت عند الحاكم أقيمت عليه الحدود ولابد ولا يعصمه من اقامة الحد احتمال ان يكون كأهل بدر لان المؤاخذة انما سقطت عن أهل بدر في الدار الآخرة ومن قيل له افعل ما شئت فقد غفرت لك يقتضى ان ذلك الفعل ذنب ولذلك قال غفرت لك دون أسقطت عنك الحدود فعلم ان القاضي الذى يقيم الحد على هذا الشخص مأجور وهي بعينها واقعة الحلاج وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والثمانين ومائة لا يكون خرق العادة الا لمن خرق العادة في ترك شهوات نفسه وأما من خرقت له العادة لا عن استقامة فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر قال وهذا هو الكيد المتين قال واعلم ان خرق العوائد على وجوه منها ما يكون عن قوى نفسية فان أجرام العالم تنفعل للهمم النفسية ومنها ما يكون عن حيل طبيعية كالقلفطريات وغيرها وبابها معلوم عند العلماء بها ومنها ما يكون عن نظم وحروف بطوالع وذلك لاهل الرصد ومنها ما يكون باسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة في عين الرائي لا في نفس الامر وهذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله وليس صاحبها عند الله بمكان وانما ذلك بفعل خاصية ما ذكرنا كالدواء المسهل يفعل بخاصيته وليس هو عند الله بمكان * وقال في الباب السابع والثمانين لان

لان الصقيل في ذلك الحال يتلون بلونه الخاص ولا يقوم لونان بمحل واحد في حالة واحدة فعلى هذا من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه فقد رآه حقيقة بروحه وجسده كما قال صلى الله عليه وسلم فقد رآني وأطلق كما أنه صلى الله عليه وسلم لما كان يرى جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة دحية الكلبي يراه حقيقة لا مثالا قال الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله وكان الغزالي رحمه الله يقول من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير حقيقة شخصه المودع في روضة المدينة وانما رأى مثاله لا شخصه قال وبلغنا عن الغزالي أيضا انه كان يقول ما يراه النائم من المثال انما هو مثال روحه صلى الله عليه وسلم المقدسة عن الصورة والشكل وشبهه رؤية الله في المنام بذلك فلا أدري ما أراد به رحمه الله اهـ (فان قلت) فهل يصدق من ادعى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة الآن (فالجواب) نعم يصدق وقد أخبرني الشيخ الصالح عطية الابناسي والشيخ الصالح قاسم المغربي المقيم في تربة الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه والقاضي زكريا الشافعي انهم سمعوا الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليقظة بضعا وسبعين مرة وقلت له في مرة منها هل أنا من أهل الجنة يا رسول الله فقال نعم فقلت من غير عذاب يسبق فقال لك ذلك قال الشيخ عطية وسألت الشيخ جلال الدين مرة أن يجتمع بالسلطان الغوري في ضرورة وقعت لي فقال لي يا عطية أنا أجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة وأخشى ان اجتمعت بالغوري أن يحتجب صلى الله عليه وسلم عني ثم قال ان فلانا من الصحابة كانت الملائكة تسلم عليه فاكتوى في جسده لضرورة فلم تر الملائكة بعد ذلك عقوبة له على اكتوائه اهـ قال الشيخ قاسم المذكور وأكثر ما تقع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بالقلب ثم تترقى الى رؤية البصر قال وليست رؤية النبي صلى الله عليه وسلم كرؤية الناس بعضهم بعضا وانما هي جمعية خيالية وحالة برزخية وأمر وجداني لا يدرك حقيقته الا من باشره اهـ وقد ألف الشيخ جلال الدين المذكور كتابا سماه تنوير الحلك في امكان رؤية النبي والملك وذكر فيه من كان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالملائكة يقظة من الصحابة والاولياء والعلماء ولم يذكر عن نفسه شيأ مما ذكرناه عن هؤلاء الاشياخ الثلاثة العدول الثقات الذين لا يتهمون في مثل ذلك فيصدق من قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة مطلقا وكان الشيخ محمد المغربي رحمه الله يقول بين العبد وبين مقام رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة مائتا ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاما لا بد للسالك من قطعها كلها حتى يصح له مقام الرؤية في اليقظة * وكان رضي الله عنه يقول أيضا ان من ادعى رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رآه الصحابة فهو كاذب وان ادعى أنه يراه بقلبه حال كون القلب يقظانا فهذا لا يمتنع منه وذلك لان من بالغ في كمال الاستعداد بتنظيف القلب من الرذائل المذمومة حتى من خلاف الاولى صار محبوبا للحق تعالى واذا أحب الحق تعالى عبدا كان في نومه من كثرة نورانية قلبه كانه يقظان قال وحينئذ فما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا روحه المتشكلة بشكل الاشباح من غير انتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ الى مكان هذا الرائي لكرامتها وتنزيهها عن كلفة المجيء والرواح هذا هو الحق الصراح اهـ * فعلم أن المراد بقول من قال انه يراه يقظة يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية والسلام (فان قلت) فهل يجب على الرائي العمل بما يسمعه من هذه الصورة (فالجواب) لا يجب على أحد العمل بذلك لعدم العصمة ولخوف تطرق الخلل الى الشرع الظاهر لا سيما ان خالف نصا صريحا (فان قلت) فما حكم ما يراه الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فالجواب) ان للانبياء عليهم الصلاة والسلام العمل بما يرونه في المنام وذلك ان الانبياء لا يرون الا حقا وما يرونه في المنام حكمه حكم اليقظة ويؤيد ذلك حديث ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكذلك الانبياء فجميع ما ينطبع في عالم أمثالهم حق اذ هو من خزانة علم الحق بتوسط الملكوت السماوي وهذا لا يمكن الخطأ فيه ولا التأويل (فان قيل) فاذا انعكس نور قلوبهم الى الجهة العلوية فهل يحتاج الى تاويل (فالجواب) ان مثل ذلك يحتاج الى تاويل كما وقع في قصة يوسف ورؤيته الاحد عشر كوكبا ولهذا

ثم انه اختلف الناس فيما كان معجزة لنبي هل يجوز أن يكون كرامة لولي فالجمهور أجازوا ذلك الا الاستاذ أبا اسحق الاسفرايني فانه منع من ذلك قال وهو الصحيح عندنا الا أنا نشترط أمرا لم يذكره الاستاذ وهو ان نقول الا ان أقام الولي بذلك الامر المعجز على تصديق النبي لا على جهة الكرامة فهو واقع عندنا بل قد شاهدناه فيظهر على الولي ما كان معجزة لنبي على ما قلناه ولو تنبه لذلك الاستاذ لقال به ولم ينكره فانه ما خرج عن بابه قال وهذا الذي ذهب اليه الاستاذ هو الذي يعطيه النظر العقلي الا أن يقول الرسول في وقت تحديه بالمنع في الوقت خاصة فانه جائز ان يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذي اشترطه وأما ان أطلقه فلا سبيل الا ما قاله الاستاذ انتهى * وقال في الباب الخامس والثمانين ومائة في حديث ان رؤيا المسلم على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا احدث بها وقعت اعلم ان لله تعالى ملكا موكلا بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا بيده صور الاجساد التي يدرك النائم فيها نفسه وغيره وصور ما يحدث من تلك الصور من الاكوان فاذا نام الانسان أو كان صاحب غيبة أو فناء أو قوة ادراك تحجبه المحسوسات في يقظته عن ادراك ما بيد هذا الملك من الصور فيدرك هذا الشخص بقوته في يقظته ما يدركه النائم في نومه وذلك ان اللطيفة الانسانية تنتقل بقواها من حضرة المحسوسات الى حضرة الخيال المتصل بها الذي محله مقدم

قال يوسف هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث والعشرون في اثبات وجود الجن و وجوب الايمان بهم)

وذلك لاجماع أهل السنة سلفا وخلفا على اثباتهم مع نطق القرآن و جميع الكتب المنزلة بهم وهم من الخلق الناطق يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتناسلون قال الشيخ أبو طاهر القزويني ومما يدل على وجودهم تخيل عامة الناس من آثارهم الخفية قال وقد أنكرت المعتزلة الجن أصلا وزعموا أن الجن عبارة عن دهاة الناس والشياطين عبارة عن مردة الناس وأشرارهم فردوا بذلك نص القرآن الدال على وجودهم وأوصافهم (فان قلت) فكم أصول الخلق كلهم (فالجواب) كما قاله الماوردي ان اصول الخلق أربعة أشياء الماء والتراب والهواء والنار فالماء والتراب ظاهران للخلق والهواء والنار خافيان عنهم ومعلوم ان النار مشتملة على نور ولهب ودخان فالنور ضياء محض والدخان ظلمة محضة واللهب هو المارج المتوسط وهو الشر المحض وخلق الله الجان من مارج من نار فلهم نسبة الى الملائكة بالنورية ولهم نسبة الى الشياطين بالظلمة الدخانية ولذلك كان منهم المطيع والعاصي والمؤمن والكافر قال تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم قيل هي نار الشمس وقيل هي نار الصواعق وأما ابليس فقد اختلفوا فيه أهو من الملائكة أو من الجن فقال قوم كان من الجن الذين استكبروا في الارض فحاربهم الملائكة وسبوا ابليس منهم الى السماء فصار بالحكم من الملائكة فادخل في القوم من أنفسهم وكان من النسب جنيا فيصدق فيه القولان وقيل انه من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا فباعتبار فعله كان من الكافرين * قال الماوردي ثم ان الله تعالى خلق سكان البر والبحر من الطين والماء كالانسان والانعام والوحوش والطيور والحشرات وخلق الحيتان والضفادع وغيرها من نبات الماء فصار هؤلاء الاجناس الاربعة من المخلوقات من الاصول الاربعة جنسين صاعدين لصعود أصلهما وهما الملائكة والجن وجنسان هابطان لهبوط أصلهما وهما حيوان البر وحيوان البحر ذكر ذلك كله الماوردي في كتاب النبوة ثم اعتذر فقال انما نقلت هذه العبارات من ألفاظ المنكرين لها لان الاستدلال بلسان الخصوم يكون أوقع عندهم وأدعى الى التزام الحجة اهـ * قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله واعلم ان كل جنس من هؤلاء لابد اذا تم خلقه بقدرة الله ان تزول صورة أصله و يتشكل بشكل آخر لا يشبه أصله وتأمل الانسان كيف زالت عنه صورة الماء والطين والتراب وصار لحما وعظما و بشرة الى غير ذلك ثم تشكل بهذه الصورة المخصوصة والهيئة المشهودة وكذلك القول في جميع الحيوانات من السباع والطيور وأشكالها المختلفة لا يشبه بعضها بعضا وهكذا تكون صفة الملائكة والجن والشياطين فانه قد زالت صورة الهواء عن ظاهر أجسادهم وصور الله لهم هيآت لطافا ولذلك سموا روحانيين ثم ان لتلك الانوار أشكالا وصورا لطيفة لائقة بذواتها يتميز بعضها كأشكال الحيوانات الارضية لا يعلمها الا الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وتلك الصورة لازمة في اختلافها في تنوعها ولكنها ممنوعة عن أبصارنا لغاية لطافتها كالهواء والرياح وقد يكون بعضها عارضة كالصور التي يتطورون فيها أحيانا فيراهم الانبياء والاولياء بواسطتها ثم تزول عنهم وذلك يجري لهم مجرى اختلاف اللباس لنا وسببه ان أجسامهم لغلبة اللطافة والرقة كأنها تمتزج بالهواء فيتصور الهواء بما شاؤا من الصور في عين الرائي دون الهواء وتارة تظهر مرتسمة في الهواء ارتسام قوس قزح حتى يراها الحاضرون وأيضا في صورة الخضرة والحمرة والصفرة وغير ذلك كما رأى عبد الله بن عباس صورة جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرها أبوه العباس وكان معه في المسجد فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما انه سيعمى ولكن الله يفقهه في الدين و يعلمه التأويل قال وقد أقدر الله تعالى الجن على أن يظهروا في أي صورة شاؤا كما أقدرنا أن تظهر في أي لباس شئنا فكما ان أشكال اللبس لنا مسخرة كذلك كانت أشكال الصور لهم مسخرة غير ان لباسنا من نسج الغزل والقز ولباسهم من نسج الهواء والاشعة وكل يعمل على شاكلته قال ولما كان جسم الملك والجني أرق من الهواء بمعنى في سرعة التطور ودقت أجسامهم عن أبصارنا ولكن اذا أراد الله عز وجل أن

القسم فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الاذن الالهي ما يشاء الحق أن يريه لهذا النائم أو الغائب أو الفاني من ادراك المعاني متجسدة ونحو ذلك فيرى الحق في صورة نور وأطال في ذلك * ثم قال فعلم ان كل من عبر الرؤيا لا يعبرها حتى يصورها في خياله فتنتقل تلك الصورة عن المحل الذي كانت فيه حديث نفس أو تحزين من شيطان الى خيال العابر لها ثم ان الله تعالى اذا أراد أن يري أحدا رؤيا جعل لصاحبها فيما رآه حظا من الخير والشر بحسب ما تقتضيه رؤياه فيصور الله تعالى ذلك الحظ طائرا وهو ملك في صورة طائر كما يخلق من الاعمال صورا ملكية روحانية جسدية برزخية قال وانما جعلها في صورة طائر لانه يقال طار سهمه بكذا والطائر الحظ قال تعالى طائركم معكم أي حظكم ونصيبكم معكم من الخير والشر وتجعل الرؤيا معلقة برجل هذا الطائر وهي عين الطائر فاذا عبرت سقطت لما عبرت له وعند ما تسقط ينعدم الطائر لانه عين الرؤيا فينعدم لسقوطها وتتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير فتلك الحال اما عرض أو جوهر واما نسبة من ولاية أو غيرها هي عين صورة تلك الرؤيا وذلك الطائر ومنه خلقت ولا بد كما خلق آدم من تراب ونحن من ماء مهين وأطال في ذلك * ثم قال وانما كان صلى الله عليه وسلم اذا أصبح يقول

يرينا

يرينا الملك أو الجنى كيف الهواء وأعطاهم القدرة على ما تشكلوا به من لباس الهواء بأى شكل وصورة شاؤا فيراهم الناس على تلك الصورة كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون والملك لا يكون رجلا فى الحقيقة وانما يتشكل بصورة الرجل بواسطة الهواء المتكاثف لان الهواء اذا تكاثف أمكن ادراكه كالسراب (فان قلت) فما معنى قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم (فالجواب) معناه والله أعلم من حيث لا ترونهم فى الصورة التى خلقهم الله عليها وأما رؤيتهم اذا تشكلوا فى غير صورهم من كلب وهر فلا منع بل هو واقع كثيرا (قلت) وقد وقع ان شخصا منهم جاءنى بنيف وسبعين سؤالا فى التوحيد يطلب جوابها منى وكان على صورة كلب أصفر مثل كلاب الرمل السالمة من الدنس وذلك ليلا فظن الفراش ان ذلك كلب حقيقة فغسل المسجد كله بالماء والطين فأجبتهم عنها وسميته كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان وهو مجلد لطيف (فان قلت) فهل يكونون محجوبين عنا فى الجنة كما فى الدنيا (فالجواب) لا بل ينعكس الحكم هناك فنراهم ولا يرونا الا الخواص منهم فانهم يرونا كما يرى الخواص منا الجن هنا (فان قلت) فهل تختلف أصواتهم بحسب الصورة التى تطوروا فيها أم هم باقون على أصواتهم الاصلية (فالجواب) تختلف أصواتهم تبعا للصورة التى ظهروا بها اذ الحكم للصورة التى دخلوا فيها من آدمى أو بهيمة أو غير ذلك من سائر الحيوانات (فان قلت) فاذا دخلوا فى صورتنا فهل ينطقون بجميع حروف كلامنا أم يخالفونا (فالجواب) يخالفونا فى البعض دون البعض فلا تشبه أصواتهم أصواتنا فى جميع الامور وذلك لان أجسامهم لطيفة فلا يقدرون على مخارج الحروف الكثيفة لانها تطلب انطباقا وصلابة وذلك غير موجود عندهم (فان قلت) فكيف يحصل لنا العلم من كلامهم الناقص الحروف (فالجواب) حصول العلم لنا من كلامهم انما هو لنطقهم بمثال حروفنا لا بحقيقتها فلو نطقوا بحقيقة حروفنا ونقصوا من الكلمة حرفا واحدا ما فهمنا من كلامهم شيئا (فان قلت) فهل يقدر أحدهم على ان يتكلم بكلام البشر وهو فى غير الصورة الانسانية (فالجواب) لا يقدر روحانى على ذلك أبدا الا ان خرقت له العادة (فان قلت) قد تقدم أول المبحث ان الجان خلق من مارج من نار والمارج فى اللغة الاختلاط فما هذا الاختلاط (فالجواب) هو نار مركبة فيها رطوبة المواد ولهذا يظهر لها لهب وهو اشتعال الهواء فهو حار رطب (فان قلت) ان الشياطين من الجن هم الاشقياء البعداء خاصة ولم أبقى عليهم اسم الجنس الذى هو الجان (فالجواب) انما أبقى عليهم اسم الجن لان الجان خلق بين الملائكة والبشر الذى هو الانسان ومعلوم ان الجان عنصرى ولهذا تكبر ولو كان طبيعيا خالصا لم يغلب عليه حكم العنصر ما تكبر وكان مثل الملائكة فهو برزخى النشأة فله وجه الى الارواح النورية بلطافة النار منه بدليل ان له الحجاب والتشكل وله أيضا وجه النيابة فكان عنصريا رمادا كما مرت الاشارة اليه فى كلام الماوردى وأعطاه الاسم اللطيف انه يجرى من ابن آدم مجرى الدم ولا يشعر به ولولا تنبيه الشارع لنا على لمة الشيطان ووسوسته فى صدورنا ما علمنا ان ثم شيطانا فما أقدر الجان على الاستتار عن أعين الناس الا الاسم اللطيف ولهذا كانت أبصارنا لا تدركهم الا متجسدين (فان قلت) فهل ثم فرق بين لفظ الجسم ولفظ الجسد (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين فى الباب الثالث والاربعين وثلثمائة ان بينهما فرقا وذلك ان الجسم هو المعروف فى العموم لطيفة وشفافة وكثيفة ما يرى منه وما لا يرى وأما الجسد فهو ما يظهر فيه الروحانى فى اليقظة الممثلة فى صور الاجسام ومنه ما يظهر ادراكه للنائم فى نومه مما يشبه بالاجسام و يعطيه الحس وليست هذه الامور فى نفسها باجسام اه (فان قلت) فهل المرئى بواسطة الصور التى يتطور فيها الجنى أو الملك هو الملك حقيقة أو الجنى (فالجواب) نعم الملك والجنى حقيقة كما ان المسموع بواسطة الحروف والاصوات هو كلام الله حقا * وقد سئل بعضهم عن حد الجنى فقال هو حيوان هوائى ناطق من شأنه ان يتشكل باشكال مختلفة (فان قلت) فهل ثم من الجن من يقسم الانسان عليه بأسماء الله تعالى فلا يبر قسمنا أم كلهم يبرون قسم من أقسم عليهم (فالجواب) كلهم يبرون قسم من أقسم عليهم لا يقدرون على رد أنفسهم عن ذلك بخلاف

لاصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا لان الرؤيا من جزء النبوة لانها مبتدأ الوحى فكان صلى الله عليه وسلم يحب أن يشهدها فى أمته والناس فى غاية الجهل بهذه المرتبة التى كان صلى الله عليه وسلم يعتنى بها ويسأل كل يوم عنها والجهلاء فى هذا الزمان اذا سمعوا بأمر وقع فى النوم أو فى الغيبة أو الفناء لم يرفعوا به رأسا وقالوا بالمنامات يريد هؤلاء أن يدركوا مدارك الصالحين ويستهزؤن بالرائى اذا اعتمد عليها وهذا جهل بمقامها قال واعلم أن محل الرؤيا النشأة العنصرية فليس للملك رؤيا وذلك لان مكان الرؤيا ما تحت مقعر فلك القمر خاصة فلو قدر أن شخصا خرج من مكان الرؤيا لا يرى بعد ذلك رؤيا لانه لا يقوم به صفة النوم وأطال فى ذلك (قلت) ذكر الشيخ شروطا فيمن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الباب التاسع عشر وأربعمائة وكذلك فى الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة والباب الاربعين وخمسمائة ما له تعلق برؤية الله ورؤية رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر فى الباب الثالث والستين وثلثمائة الفرق بين الرؤيا والمبشرات وان الرؤيا أعم والمبشرات أخص فان الانسان قد يرى ما يحدث به نفسه وما يلعب به الشيطان أو يحزنه ولو لم يكن لذلك أثر فيمن رآها لنفسه أو رؤيت له ما أثبت الشارع لذلك الخوف منه بلا وهو أمر صاحب الرؤيا المفزعة أن يتفل عن يساره ثلاثا و يستعيذ

الانس قال الشيخ أبو طاهر ويقال ان الجن لا يجيبون الا بالعزائم وانها اذا قرئت على المجنون كان لها شعاع كشعاع الشمس يقع على الجني فيحصرهم ويردهم الى الطاعة طوعا بحيث لا يمكنهم العصيان ولقد كانوا مسخرين لسليمان عليه الصلاة والسلام كما سخرت له الريح وهم أجساد لطاف كالريح يدخلون أجواف بني آدم دخول النار في الفضة المذابة فتراها تضطرب في البوطة وكذلك المصاب يضطرب عند قراءة العزائم عليه وفي الحديث ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم (فان قلت) فما الدليل على ان الجن مكلفون (فالجواب) الدليل على ذلك قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن وكانوا تسعة من جن نصيبين وقد كان صلى الله عليه وسلم رآهم ببطن النخلة قد أتوا من شعب الحجون نخط رسول الله صلى الله عليه وسلم حول عبد الله بن مسعود خطا وقال لا تخرج منه وقال ابن مسعود لما حضرهم النبي صلى الله عليه وسلم وكان بينهم خصومة في دم فكنت أسمع لغطهم حين قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ثم علمهم سورة الرحمن وأوجب عليهم الصلوات كما هو مشهور في التفاسير (فان قلت) فما الدليل على دخول الجن الجنة (فالجواب) قد سئل عن ذلك ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فمكث سبعة أيام حتى اطلع على قوله تعالى لم يطمثهن يعني الحور انس قبلهم ولا جان فقال هذا دليل على ان الجن يدخلون الجنة اه وقال الضحاك يدخل الجن الجنة ويثابون على أعمالهم كالانس * وقال سفيان يثابون على الايمان بان يجاوزوا النار خلاصا ثم يقال لهم كونوا ترابا قال الشيخ أبو طاهر وأكثر الجن لا يعتقدون البعث لقوله تعالى وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا (فان قلت) فهل منعهم من استراق السمع باق الى يوم القيامة من منذ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم ذلك الى مدة معلومة (فالجواب) الصحيح انهم ممنوعون منه الى يوم القيامة وبتقدير استراقهم السمع فلا يتوصلون الينا بخبر ونبأ مما استرقوه بل تحرقهم الشهب وتفنيهم (فان قلت) فما حقيقة هذه الشهب (فالجواب) ان فيها قولين قيل هو نور يمتد بشدة ضيائه فيحرق الجني ثم يعود الى مكانه وقيل هو على هيئة النجم ينقض من تحت السماء فيحرقهم فلا يعود (فان قلت) فهل ابليس أبو الجان كما هو مشهور في أفواه الناس (فالجواب) ليس ابليس باب للجان فان الجان كانوا قبله وانما هو أول من عصى (فان قلت) فما مرتبة ابليس (فالجواب) مرتبته أن يوسوس للناس بما يهلكهم أو ينقص مقامهم عند الله تعالى من حيث لا يشعرون ولكن قد أخبر الله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون أي يضيفون اليه أمر الاغواء مع الغفلة عن الله تعالى وتقديره فمن أخذ وسوسته مع الحذر منه ولم يعمل بها نجا من كيده ومن دسائسه التي تخفى أن يجد الانسان في طاعة فيوسوس له بفعل غيرها لينقله منها ويفسخ عزمه ونيته الاولى مع الله تعالى ثم ان خالفه العبد في ذلك حسن له فعلا آخر وقال له ان ذلك الفعل أفضل مما أنت فيه * ومن دسائسه أيضا انه يأتي العبد بالكشف الصحيح والعلم التام ويقنع منه ان يجهل من أتاه به * ومن دسائسه انه يأتي العبد بنور يكشف به معاصي العباد ويهتك به أستارهم ويظهر به عوراتهم فيظن ذلك المكاشف انه نال درجة عظيمة وانما ذلك من الشيطان لان الشيطان صار سمعه وبصره فيجب على ذلك المكاشف المبادرة للتوبة والا هلك * ومن دسائسه التي تخفى على غالب الاولياء انه ينظر الى قلب الولي فان رآه يستمد من السماء مثل له سماء أو آدم منه وكلمه منه أو عرشا فكذلك أو كرسيا فكذلك أو سماء فكذلك فان كان سبق في علم الله تعالى حفظ هذا العبد منه أطلعه على ان ذلك مفتعل وتلبيس عليه من الشيطان فيردخاسئا وان لم يحفظ الله العبد هلك مع الهالكين (فان قلت) فهل للشيطان سلطان على ظاهر الانسان كباطنه أو سلطانه على الباطن فقط (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة ان شياطين الجن ليس لهم سلطان الا على باطن الانسان بخلاف شياطين الانس لهم سلطان على ظاهر الانسان وباطنه وان وقع من شياطين الجن وسوسة واغواء الناس في ظاهرهم فانما ذلك بحكم النيابة لشياطين الانس فانهم هم الذين يدخلون الآراء على شياطين الانس (فان قلت) فأي عداوة أشد عداوة ابليس لآدم أم عداوته

بالله من شر ما رأى فانه لا تضره ثم يتحول عن شقه الذي كان نائما عليه حين الرؤيا الى شقه الآخر فانه يتحول بتحوله ولا تضره

وذلك كما يحول الانسان رداءه في الاستسقاء فيحول الله حالة الجدب بالخصب والله أعلم * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة في حديث ان نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن المراد بالنفس هو العماء الذي هو البخار المسمى بالحق المخلوق به السموات والارض ومابينهما وليس هو الهواء ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في صفة العماء الذي كان الحق تعالى فيه من غير حلول قبل أن يخلق الخلق ليس تحته هواء وليس فوقه هواء يعني ان له صفة الفوق والتحت أما الفوق فمن كون الحق نسب الى نفسه أنه فيه وأما التحت فمن حيث كون العلم فيه فلو كان العماء هواء لكان مخلوقا والحديث أثبت ان العماء كان قبل خلق الخلق فافهم ما تحته * وقال في قوله تعالى ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون اعلم ان السحاب انما يثقله الماء فاذا أثقل استبشر الناس بنزوله فينزل كما صعد بما فيه من الحرارة فاذا أثقل اعتمد على الهواء فانضغط الهواء فأخذ سفلا فلزوجه الارض فتقوت الحرارة في الهواء فطلب الهواء بما فيه من الحرارة القوية الصعود الى الركن الاعظم فوجد السحاب ترا كم فمنعه من العود

البريته

الذرية (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس وعشرين وثلثمائة ان عداوته لبنى آدم أشد من عداوته لآدم وذلك أن بنى آدم خلقوا من ماء والماء منافر للنار وأما آدم فقد جمع بينه وبين ابليس الذى فى التراب فكان بين التراب والنار جامع ولهذا صدقه لما أقسم له بالله تعالى انه له من الناصحين وما صدقه الابناء فى ذلك لكونهم اضداده فلهذا كانت عداوته للابناء أشد من عداوته لابيهم قال ثم من رحمة الله تعالى بنا انه لما كان هذا العدو محجوبا عن ادراك أبصارنا جعل الله تعالى لنا علامات فى القلب من طريق الشرع نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر الظاهر لنحفظ بتلك العلامة من العمل بالقائه وأعاننا الله تعالى عليه أيضا بالملك الذى جعله مقابلا له غيبا بغيب اهـ (فان قلت) فهل ثم لنا شيطان لا هو انسى ولا هو جنى كما قيل (فالجواب) نعم وذلك فى صورة واحدة اذ الشيطان فى سائر مراتبه حسى الا فى صورة واحدة يكون فيها معنويا وهو ما اذا اجتمعت شياطين الانس والجن وأوحى بعضهم الى بعض فانه يحدث بينهما حينئذ شيطان آخر عند وسوستهم معنوى لا انسى ولا جنى (فان قلت) فما الفرق بين هؤلاء الشياطين الثلاث (فالجواب) الفرق بينهم أن الشيطان الانسى أو الجنى فتح أحدهما باب الالقاء فى قلب العبد عما يبعده عن الله تعالى لا غير وأما الشيطان المعنوى فيستنبط من ذلك شبها وأمورا لم يقصدها ابليس ولا غيره قال الشيخ محيى الدين ومثل هذا ينسب الى الشيطان بحكم الاصالة لانه هو الذى فتح باب الوسوسة وليس غرض الشيطان من الخلق الآن يجهلوه فى الخواطر ويصدقوها قال وقد أعطى الشيطان قوة التجسد قال تعالى وألقينا على كرسيه جسدا وكان روحا تجسد على صورة سليمان فاذا رأى الشيطان من عبد أنه محفوظ ووجد التأييد من الله محيطا به ولم يستطع الوصول اليه بالوسوسة تجسد له فى صورة انسان مثله فيتخيل العبد انه انسان حقيقى ويأتيه بالاغواء من قبل اذنه فيدخل له فيما حجر الله تعالى عليه التأويلات الكثيرة ليوقعه فى معاصى الله تعالى أدناها ان يقول له مثلك لا يؤاخذه الله تعالى لكونه كشف لك انه الفاعل وانه المقدر فان رد ذلك عليه دخل له من باب حسن الظن بالله وقال أحسن ظنك بالله أنه لا يؤاخذك فانك اذا ظننت به ذلك لا يؤاخذك وأنت عبده على كل حال فى حال طاعاتك وفى حال معاصيك وذلك لان ابليس يعلم ان المؤمن لا يقدم على معصية الله تعالى ابتداء دون تأويل وتزيين لذلك الفعل ولو أن المؤمن كان يقدم على المعصية بغير وسوسة ابليس ما أوجد الله ابليس انتهى وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثالث والثمانين وثلثمائة فراجعه (فان قلت) فما صورة تناكح الجن (فالجواب) صورة تناكحهم التواء مثل ما يبصر الدخان الخارج من الالوان أو من فرن الفخار يدخل بعضه فى بعض فيلتذ كل واحد من الشخصين بذلك التداخل ويكون حملهم من ذلك كلقاح النخلة بمجرد الرائحة (فان قلت) فهل هم قبائل وعشائر كالانس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب التاسع من الفتوحات نعم ويقع منهم حروب عظيمة قال وبعض الزوابع قد يكون من حربهم فان الزوبعة تقابل ريحين تمنع كل واحدة صاحبتها ان تخترقها فيؤدى ذلك المنع الى الدور المشهور فى الغبرة فى الحس وما كل زوبعة تكون من حروبهم (فان قلت) فمن أول من سمى من الجن شيطانا (فالجواب) هو الحارث فابلسه الله تعالى أى طرده من رحمته ومنه تفرقت الشياطين باجمعها فمن آمن منهم مثل هامة بن الهام بن لاقيس بن ابليس التحق بالمؤمنين من الجن ومن بقى منهم على كفره كان شيطانا (فان قلت) فهل يصح فى حق شيطان أن يسلم كما يسلم الكافر عندنا من الانس ويصير مؤمنا (فالجواب) قد اختلف الناس فى ذلك ومبنى خلافهم على ضبط ميم فاسلم فان بعض الحفاظ ضبطها بالضم أى فاسلم انا منه وهو باق على كفره وبعضهم ضبطها بالفتح ولفظ الحديث ما من أحد الا وله قرين يأمره بالسوء فقالوا وأنت يا رسول الله قال نعم ولكن أعاننى الله عليه فأسلم وفى بعض طرق الحديث فلا يأمرنى الا بخير فهذه الزيادة تدل على انه يصح اسلامه فى الجملة ثم ان ابليس قد أنظره الله تعالى الى يوم الدين يعنى الجزاء حين تنقطع التكاليف فلا يصح أن يسلم أبدا لانه لو جاز ان يسلم لتعطل بعض حضرات الاسماء الالهية وما عصى الله أحد فانه لا يصح فى الوجود كله معصيته من أحد الا بواسطته اما بنفسه واما باعوانه والله أعلم (فان قلت) فاذا كان ابليس أول

تكا تقدم فاشتعل الهواء فخلق الله من تلك الشعلة ملكا فسماه برقا فاضاء به الجو ثم انطفأ بقوة الريح كما ينطفئ السراج فزال ضوءه مع بقاء عينه فزال كونه برقا وبقى العين كونا يسبح الله ثم يصدع الوجه الذى يلى الارض من السحاب فاذا مازجه كان كالنكاح فيخلق الله تعالى من ذلك الالتحام ملكا سماه رعدا فسبح بحمد الله فكان بعد البرق لابد من ذلك فكل برق لابد أن الرعد يعقبه لان الهواء يصعد مشتعلا فيخلقه الله ملكا يسميه برقا وبعد هذا يصدع أسفل السحاب فيخلق الله الرعد فيسبح بحمد ربه لما أوجده وأطال فى ذلك * ثم قال وقد خلق الله ملك الرعد من الهواء كما خلقنا تعالى من الماء وذلك الصوت المسمى عندنا بالرعد يسبحه وفى ذلك الوقت يوجده الله فعينه نفس صورته ويذهب كما يذهب البرق وذوات الاذناب قال وحقيقة الرعد تنشأ من هبوب الهواء فتصدع أسفل السحاب اذا تراكم فيصوت كما يصوت الثوب اذا شق فليتأمل ويحرر * وقال ارجى آية للمشرك ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فمن تارف الدلائل جهد الطاقة فاداه ذلك الى تخيل شبهة أنها برهان فقد تعرض لفتح باب العذر عند الله قال والمراد بالبرهان هنا فى زعم الناظر والا فمن المحال أن يكون ثم دليل فى نفس الامر على اله آخر فلم يبق الا أن تظهر الشبهة بصورة البرهان فيعتقد انها برهان وليس فى قوته أكثر من هذا

من عمى فهو نظير قابيل سواء (فالجواب) نعم والامر كذلك فكما كان قابيل أول الاشقياء من البشر فكذلك كان ابليس أول الاشقياء من الجن ولذلك قال تعالى الا ابليس كان من الجن أي من هذا الصنف المخلوقين الاشقياء (فان قيل) قد حكى الله تعالى عن ابليس انه اذا قال للانسان اكفر فلما كفر يقول له اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين فهل يدل هذا الخوف على توحيده باطناً (فالجواب) لا يدل ذلك على توحيده لانه أول من سن الشرك في العالم ثم يعتقد برجعة توحيده ذلك الوقت فما يدرينا انه لحقه شبهة طرأت عليه على الفور فأخرجته عن ذلك التوحيد فانه لابد أن يموت على الكفر قطعاً فافهم (فان قلت) ان الكفر الذي أمر به ابليس ليس بشرك فان الكفر هو تعيين الالوهية لغير من هي له مع عدم وجود اله ثان في عقده والشرك هو جعل المشرك مع الله تعالى الهاً آخر فمن أين جاء أن ابليس أول من سن الشرك في العالم (فالجواب) أن المراد بالكفر هنا هو الشرك وهو الظلم العظيم كما قال لقمان ذلك لابنه ولذلك قال تعالى في آخر الآية وذلك جزاء الظالمين يريد المشركين فانهم هم الذين لبسوا ايمانهم بظلم فعلمنا بقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم بالشرك ان المراد بالايمان في قوله تعالى ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الايمان بتوحيد الله عز وجل اذ الشرك لا يقابله الا التوحيد فعلم النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعلمه الصحابة حين سألوه عن الظلم وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة من الفتوحات ثم قال ومن هنا ترك بعض العلماء التاويل ولم يقل به واعتمد على الظاهر ووكل علم ذلك الى الله فمن أعلمه الله بما أراده في كلامه قال به والا كف عن ذلك انتهى (فان قلت) فهل مجالسة الجان رديه أو محمودة (فالجواب) هي رديه غير محمودة ومن آثر مجالستهم من العلماء الروحانيين فهو جاهل فان الغالب عليهم الفضول كالانس الفسقة فالعاقل من هرب منهم كما يهرب من مجالسة الفاسقين وما رأينا أحداً جالسهم وحصل له أبداً خير وذلك لان أصلهم نار والنار كثيرة الحركة ومن كثرت حركاته كان الفضول أسرع اليه فالجن أشد فتنة على جليسهم من الناس فانهم اجتمعوا مع فسقة الانس على الاطلاع على عورات الناس التي لا يقع فيها عاقل وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والخمسين من الفتوحات ما جالس أحد الجان وحصل له منهم بالله علم جملة واحدة اذهم أجهل العالم الطبيعي بالله وصفاته قال وربما يتخيل جليسهم بما يخبرونه به من حوادث الاكوان وما يقع في العالم ومن العالم ان ذلك من كرامة الله له وهيهات فان غاية ما يمنحونه لمن يجالسهم أن يطلعوه على شيء من خواص النبات والاحجار والاسماء والحروف وذلك معدود من علم السيمياء فما اكتسب هذا منهم الا العلم الذي ذمته الشرائع قال ومما جربناه ان من أكثر مجالستهم صار عنده تكبر على الناس ومن تكبر مقته الله تعالى وأدخله النار كما جاءت به الآيات والاخبار انتهى * وقد أطال الشيخ الكلام على ذم عشرة الجن في الباب الخامس والخمسين والله تعالى أعلم

* (المبحث الرابع والعشرون في ان الله تعالى خالق لافعال العباد كما هو خالق لذواتهم) *

وان العباد مكتسبون لا خالقون خلافاً للمعتزلة في قولهم ان العبد يخلق أفعال نفسه * قال الشيخ كمال الدين ابن أبي شريف رحمه الله وقد كان الاوائل من المعتزلة كواصل وابن عطاء وعمرو بن عبيد لقرب عهدهم باجماع السلف على انه لا خالق الا الله تعالى يتحاشون عن اطلاق لفظ الخالق ويكنون بلفظ المخترع والموجد ونحوهما فلما رأى أبو علي الجبائي وأصحابه أن معنى الكل واحد وهو المخترع من العدم الى الوجود تجاسروا على اطلاق لفظ الخالق واعلم يا أخي ان مسئلة الكسب من أدق مسائل الاصول وأغمضها ولا يزيل اشكالها الا الكشف على نزاع في ذلك كما سيأتي في نقول الصوفية وأما أرباب العقول من الفرق فهم تائهون في ادراكها وآراؤهم مضطربة فيها وذلك ان أفعال الانس وجميع الحيوانات وحركاتهم في معايشهم وتصرفاتهم مشاهدة لا انكار لها من أحد ثم اذا بحثنا حاكم العقل لا يكاد يحكم بثبوتها حكماً جلياً بحيث لا يبقى منا حزازة في الصدر * وها أنا أجلي عليك عرائس نقول المتكلمين ثم نقول العارفين من القوم فأقول وبالله التوفيق كان أبو الحسن الاشعري رحمه الله يقول ليس للقدرة الحادثة أثر وانما تعلقها بالمقدور مثل تعلق العلم بالمعلوم في عدم التأثير

وأطال في ذلك بنحو ثلاثة أوراق * ثم قال وانما انكر الهاً لانه لم يكن ثم اذ لو كان ثم لتعين ولو تعين لم ينكر فدل على أن من ادعى مع الله الهاً آخر فقد نفخ في غير ضرم واستسمن ذا ورم لانه ليس له حق يتعين ولا حق يتضح ويتبين فكان مدلول دعائه العدم المحض ولم يبق الا من له الوجود المحقق وأطال في ذلك (قلت) وهذا الكلام من أقوى دلالة على ضعف العمل بالمفهوم ثم انه لا يتمشى الا على مذهب من يقول ان المخطئ في الاصول لا وزر عليه كما لو أخطأ في الفروع وهو مذهب بعضهم خلافاً للجمهور * وقال اذا تلوت القرآن فاعلم عمن تترجم فان الله تعالى تارة يحكي قول عبده بعينه وتارة يحكيه على المعنى مثال الاول قوله لا تحزن ان الله معنا ومثال الثاني قوله عن فرعون يا هامان ابن لي صرحاً فانه انما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنه باللسان العربي والمعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فلتعلم الامور اذا وردت حتى تعلم قول الله من قول يحكيه لفظاً أو معنى كل لسان بما هو عليه فقول الله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا وانتهى قول الله ثم حكى قولهم مقر جماعتهم أقررنا وكذلك قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا الى هنا انتهى قول الله آمنا حكاية

وكان

وكان الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله يقول القضيات العقلية في هذه المسئلة ثلاثة وهي اما أن تكون الافعال كلها مقدورة لله تعالى على الاستبداد أو مقدورة للخلق على الاستبداد أو تكون مقدورة لله تعالى والخلق معا فالاولتان معلومتان وأما الثالثة وهي أن تكون مقدورة بين قادرين فيلزم عليه ان الحركة الواحدة تعلق بها قدرتان قديمة وحادثة وهي اذا تعلقت بها قدرة واحدة استغنت عن القدرة الثانية فما فائدة الثانية وما متعلقها وما كيفية تعلقها وهي بالقدرة الاولى كائنة موجودة وحالاتها ثلاث حالة عدم وحالة وجود وحالة ايجاد وتعلق القدرة الثانية بها في هذه الحالات الثلاث محال ثم لو قدرنا مقدورا بين قادرين خاصة بدواعيهما وارادتيهما لوجب انه اذا منع أحدهما فعله ولم يمتنع الثاني كان الحاصل فعلا موجودا معدوما وهو من أمحل المحال بقي أن يقال انما يلزم المحال اذا تعلق به القدرتان من وجه واحد أما اذا كان الفعل مضافا الى قادرين من وجهين مختلفين فلا استحالة فيه وذلك ان تعلق القدرة القديمة من وجه الايجاد وتعلق القدرة الحادثة به من وجه الاكتساب وهذا غير محال فيقال لو جاز ذلك لجاز ان يقع الوجهان في حالتين يعني كأن يقع الوجود بايجاد القدرة القديمة في حالة ويقع الحدوث باكتساب القدرة الحادثة في حالة ثانية وهو محال اذ حدوثها قد حصل بالقدرة القديمة فكيف يقال تعلقت القدرة الحادثة بها بعد وجودها ولو وقع الفعل بقدرة تمتزج من القديم والحادث حتى تصلح للايجاد والاكتساب كان من أمحل المحال على أن الاكتساب للموجد محال والايجاد للمكتسب محال وهذا القسم مع دقته وغموضه هو اختيار الشيخ أبي الحسن الاشعري ومن تابعه النجار من المعتزلة على اختلاف بينهما قال الشيخ أبو طاهر وانما اختار الاشعري ومن تابعه هذا القسم على مذهب الجبرية ومذهب المعتزلة لكونه أسهل من مذهبيهما قال الشاعر

اذا لم يكن الا الاسنة مركبا * فلا رأى للمضطر الاركوبها

قال وقد توجهت على الاشعري ومن تبعه اسئلة أظهرها ان كان للقدرة الحادثة أثر في المقدور فهو شرك وان لم يكن لها أثر فوجود تلك القدرة وعدمها سواء فان قدرة لا يقع بها المقدور بمثابة العجز ومن أجل هذا الاعتراض افترق أصحاب الشيخ أبي الحسن فقال بعضهم لا أثر للقدرة الحادثة أصلا في المقدور فيلزمه الجبر وقال آخرون القدرة الحادثة لها أثر في المقدور وهو اختيار القاضي أبي بكر الباقلاني واستدل بان الانسان يحس من نفسه تفرقة بين حركتي الاضطرار والاختيار وهذه التفرقة لا ترجع الى نفس الحركتين من حيث الحركة لانهما مثلان بل ترجع الى أمر زائد عليهما وهو كون احداهما مقدورة ومرادة والثانية غير مقدورة ولا مرادة ثم لا يخلو أن يكون تعلق القدرة باحداهما كتعلق العلم بالمعلوم من غير تاثير فيؤدي الى نفي التفرقة والانسان يجد التفرقة بينهما أو يكون تعلق القدرة باحداهما تعلق تاثير ثم لا يخلو ذلك من أمرين أيضا اما أن تكون راجعة الى الوجود والحدوث واما أن تكون راجعة الى صفة من صفات الوجود فالاول باطل لانه لو أثر في الوجود لاثر في كل موجود فتعين أن التاثير يرجع الى صفة أخرى وهي حال زائدة على الوجود مثل قادرية القادر عند أبي هاشم فانه لا تؤثر الا في حال الوجود فقالوا القاضي قد أثبت حالا مجهولة لا اسم لها ولا معنى فاجاب بل هي معلومة بالدليل لكن لا يمكنني الافصاح عنه الآن بعبارة وان التفرقة ترجع الى اعتقاد العبد تيسير الفعل له عند سلامة الآلة ووجود الاستطاعة وكل ذلك من الله تعالى وتقدم قول الشيخ أبي الحسن الاشعري أنه لا أثر للقدرة الحادثة وقال خصومه نفي الاثر عن القدرة يؤدي الى نفي حقيقة القدرة فان القدرة فارقت العلم بتأثيرها في المقدور ولو أنها كانت في عدم التاثير كالعلم لاكتفى الفاعل بعلمه عن القدرة فعلى هذا الكسب هو مقدور القدرة الحادثة عنده وأما عند القاضي فهو يعني الكسب حال وحكم هو مقدور القدرة الحادثة فيقال له هذه الحال هي مقدورة لله تعالى أم ليست بمقدورة فان لم تكن مقدورة لله تعالى فهي لا محالة تكون مقدورة للعبد وهو مذهب المعتزلة بعينه وان كانت مقدورة لله فلم يكن للعبد شئ البتة وذلك هو مذهب الجبرية بعينه فلا فائدة للتمسك بالحال في هذا المقام قال الشيخ أبو طاهر وقد غلا أبو المعالي اذ أثبت للقدرة الحادثة أثرا هو الوجود غير أنه لم يثبت للعبد استقلالا

(وقال) في قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أي لن نضيق عليه وكذلك فعل الله تعالى ففرج الله عنه بعد الضيق ليعلم قدر ما أنعم الله تعالى عليه ذوقا ولذلك سمي قوله لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين توحيد السر والتنفيس لانه تعالى نفس عن يونس بخروجه من بطن الحوت وكذلك عامل قومه بكشفه عنهم العذاب بعد ما رأوه نازلا بهم فآمنوا وأرضاه الله في أمته فنفعها ايمانها ولم يفعل ذلك مع أمة قبلها اذ كان غضبه لله ومن أجل الله فامد لهم في التمتع في مقابلة ما نالوه من الالم عند رؤية العذاب فخص الله أمته من أجله بما لم يخص به أمة قبلها قال الشيخ وقد اجتمعت بجماعة من قوم يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالاندلس حيث كنا فيه وقست أثر رجل واحد منهم في الارض فرأيت طول قدمه ثلاثة أشبار وثلثي شبر * وقال انما كنت أذهب الى تفضيل الملا الاعلى من الملائكة على خواص البشر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني الدليل على ذلك في واقعة وقعت لي وكنت قبل هذه الواقعة لا أذهب في هذه المسئلة الى مذهب جملة واحدة (قلت) وذكر الشيخ عبد الكريم الجيلي رحمه الله ان الشيخ رجع عن القول بتفضيل خواص الملائكة على خواص البشر قبل موته بسنة ووافق الجمهور من

أهل السنة انتهى وتقدم ذلك أيضا عنه في الباب الثالث والسبعين ولكن سيأتي في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة قوله بعد

بالايجاد مالم يستند الى سبب آخر ثم سلسل الاسباب في سلسلة الترقي الى الباري جل وعلا المستقل بالابداع من غير حاجة الى سبب وقال في بعض كتبه ان القدرة الحادثة مقدور القدرة القديمة لانها من أثرها * وقال في مدارك العقول العبد فاعل على الحقيقة وان قدرته مؤثرة في ايقاع الفعل ومقدمة عليه * وقال في موضع آخر منه نحن نقول بان قدرتنا الحادثة تؤثر في غير محلها على شرط الاتصال * وقال في النظامي ان القدرة الحادثة هي المؤثرة للفعل وشبهها بالعبد في بيع ماله باذن سيده في البيع قال الشيخ أبو طاهر وحاصل الامر أن أبا المعالي كان تارة يثبت أثر القدرة الحادثة وتارة ينفيه هذه نهاية مذاهب الائمة في هذه المسئلة العويصة المشكلة فمن تاملها وكرر النظر فيها علم غموض معانيها وصعوبة مراقيها وملخص الامر ان من زعم أن لا عمل للعبد أصلا فقد عاند وجحد ومن زعم أنه مستبد بالعمل فقد أشرك وابتدع وما بقي مورد التكليف الا ما يجده العبد في نفسه من الاختيار للفعل وعدمه فان العبد بين طرفي الاضطرار ومضطر على الاختيار والله تعالى أعلم هذا أحسن ما وجدته من كلام المتكلمين * وأما كلام الصوفية في هذه المسئلة فاكثر من أن يحصى ولكن نشير الى طرف صالح منه فلعل الله تعالى يوضح لنا بعض معانيها حتى ياتينا الكشف عن الحق تعالى فيها ويزول اللبس ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ الاكبر في الباب الثاني والعشرين من الفتوحات أن صورة مسئلة خلق الافعال صورة لام ألف في حروف الهجاء فان الرائي لا يدري أي الفخذين هو اللام حتى يكون الآخر هو الالف ويسمى هذا الحرف الذي هو لام ألف حرف الالتباس في الافعال فلم يتخلص الفعل الظاهر على يد المخلوق لمن هو ولكن ان قلت هو لله صدقت وان قلت للمخلوق مع الله صدقت ولولا ذلك ما صح خطاب الله تعالى للعبد بالتكليف ولا اضافة العمل اليه بنحو قوله اعملوا اه وقال الشيخ أيضا في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة انما أضاف تعالى الاعمال الينا لانها محل الثواب والعقاب وهي لله حقيقة ولكن لما شهدنا الاعمال بارزة على أيدينا وادعيناها لنا اضافها تعالى الينا بحسب دعوانا ابتلاء منه لاجل الدعوى ثم اذا كشف الله تعالى عن بصيرتنا رأينا الافعال كلها لله تعالى ولم تر الاحسنا فهو تعالى فاعل فينا ما نحن العاملون ثم مع هذا المشهد العظيم لابد من القيام بالادب فما كان من حسن شرعا أضفناه اليه مطلقا والينا محلا وما كان من سيئ أضفناه الينا باضافة الله تعالى فنكون حاكين قول الله تعالى وحينئذ يرينا الله عز وجل وجه الحكمة في ذلك المسمى سوأ فنراه حسنا من حيث الحكمة فيبدل الله سيآتنا حسنات تبديل حكم لا تبديل عين انتهى * وقال أيضا في الباب التاسع والسبعين ومائتين لولا النسبة بين الرب والمربوب يعني رابطة الاستمداد بالحق ما دل العبد على الرب ولا قبل التخلق باخلاقه قال وبتلك النسبة كان الحق تعالى مكلفا عباده بالامر والنهي وبها بعينها كان المخلوق مكلفا آمرا وناهيا قال فحقق ما نبهناك عليه فاني أظن انه ما طرق سمعك قط وان لم تكن كذلك فاتك أدب كثير * وقال في الباب السادس والتسعين ومائتين كنت لم أزل أنفي التجلي الالهي في الفعل تارة وأثبته أخرى بوجه يقتضيه ويطلبه التكليف اذ كان التكليف بالعمل من حكيم عليم ولا يصح أن يقول تعالى لمن يعلم انه لا يفعل افعل اذ لا قدرة له على الفعل وقد ثبت الامر الالهي للعبد بالعمل مثل أقيموا الصلاة فلابد أن يكون له في المنفعل عنه تعلق من حيث الفعل به يسمى قابلا واذا كان كذلك صحت نسبة وقوع التجلي في الفعل فبهذا الطريق كنت أثبته وهو طريق في غاية الوضوح يدل على ان القدرة الحادثة لها نسبة تعلق بما كلفت عمله لابد من ذلك وحاصله أن العبد ما صحت له نسبة الفعل الا من كون الحق تعالى جعله خليفة في الارض فلو جرد عنه الفعل بالكلية لما صح أن يكون خليفة ولما قبل التخلق بالاسماء قال وهذه الفائدة مما نبهني عليها التلميذي اسماعيل حفظه الله تعالى ولما أفادها لي لم يعرف أحد قدر ما دخل على من السرور انتهى * وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة اعلم انه لولا صحة النسب بكسر النون وتحقيق النسب الصوري بفتحها ما كان للاسباب عين ولا ظهر عندها أثر وأنت تعلم أن استناد العالم أكثره الى الاسباب فلولا ان الله تعالى حاضر عندها ما استند اليها مخلوق فانا لم نشاهد أثرا الا منها وما عقلناه الا عندها فمن الناس من

كلام طويل

وليس يدرك ما قلنا سوى رجل

قد جاوز الملا العلوي والرسلا

وهام فيما يظن الخلق أجمعه

تحصيله وسها عن نفسه وسلا

ذاك الرسول رسول الله أحمد ما

رب الوسيلة في اوصافه كملا

فصرح بان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة ومن سائر الرسل وسكت عما عداه وتقدم قوله في الباب الخامس والعشرين أخذ على الخضر العهد بالتسليم لمقالات الشيوخ فلعل ما ذكرناه عنه من التفضيل كان أولا ثم رجع عنه وكذلك تقدم قوله في الباب التاسع والستين ليس يصح لاحد منا دخول مقام الرسالة انما نراه من خارج كما نرى كواكب السماء ونحن في الارض فراجعه والله تعالى أعلم * وقال نجم الثريا سبعة أنجم والصرفة اثنان والذراع ثلاثة والبطين أربعة والجبهة خمسة والدبران ستة والنعائم تسعة قال ولم أر للثمانية صورة في نجوم المنازل ولهذا كان المولود اذا ولد في الشهر الثامن يموت ولا يعيش ويكون معلولا لا ينتفع بنفسه بخلافه اذا ولد في سبعة أو تسعة وذلك لان الثامن شهر يغلب على الجنين فيه البرد واليبس وهو طبع الموت

وأيضا فخذ ذلك * وقال العرش مستدير الشكل وكيف ما أحاط به فيه الاستدارة وانظر الى التشبيه النبوي بان الكرسي

قال

قالبهم اولابد من الناس من قال عندها ولابد من نحن ومن جرى مجرانا من أهل التحقيق يقولون عندها وبها أى عندها عقلا وبها شهودا وحسا فما طلب الحق تعالى من عباده الا ما لهم فيه تعمل فلابد من حقيقة تكون هنا تعطى صحة الاضافة فى العمل اليك مع كون عملك خلقا له والله خلقكم وما تعملون أى وخلق ما تعملون قال وبعض أهل الاشارة جعلوا ما ههنا نافية فالعمل للعبد والخلق لله تعالى وبين الخلق والعمل فرقان فى المعنى واللفظ فما أضافه تعالى اليك هو عين ما أضافه تعالى اليه لكن مع اختلاف المعنى وما فعل لك الا ليعلمك أن الامر الواحد له وجوه فمن حيثما هو عمل هو لك وتجزى به ومن حيثما هو خلق هو لله تعالى فلا تغفل عن معرفة هذا فانه لطيف خفى انتهى (قلت) ونظير ذلك قول عيسى عليه الصلاة والسلام تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك لان المعنى تعلم ما فى نفسى التى هى لك ملك ولا أعلم ما فى نفسك التى خلقتها ونفختها فى فالنفس فى الموضعين مضافة الى الله تعالى من وجهين خلقا واسنادا والى العبد اسنادا فقط والله تعالى أعلم

* قال الشيخ أيضا فى الباب التسعين وأربعمائة اعلم ان الحق تعالى ما أضاف الفعل الى العبد الا لكونه تعالى هو الفاعل حقيقة من خلف حجاب جسم العبد فلم يكن الفعل الا لله تعالى غير أن من عباد الله من أشهده ذلك ومنهم من لم يشهده ذلك قال تعالى فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فالقسم الذى هداه هو الذى حفظ من دعوى الفعل لنفسه حقيقة وأما القسم الذى لم تحق عليه الضلالة فهو الذى حار ولم يدر وهم القائلون بالكسب وأما من حقت عليه الضلالة فهم القائلون بخلق الافعال لهم اه وقال فى الباب الاحد وثمانين وأربعمائة اعلم ان مقام الاحسان هو العمل على شهود الحق تعالى فى حال العبادة وفى ذلك تنبيه عجيب فانه بتلك المشاهدة يبصر أن الفاعل هو الله تعالى لا هو فان العبد انما هو محل لظهور العمل لا غير * وقال فى الباب الثانى والعشرين وأربعمائة اعلم ان أعمالنا حقيقة لله وحده وانما أضافها الينا ابتلاء واختبارا لينظر تعالى وهو العالم بما يكون قبل أن يكون هل ندعيها لانفسنا فيقيم الحق تعالى بذلك علينا الحجة أو نضيفها له فنقف موقف الادب نظير قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم فانه تعالى انما قال ذلك لينظر هل نضيف اليه تعالى ما أضافه الى نفسه مع جهلنا بالكيف أم نرد ظاهر ذلك ونؤوله فنقع فى سوء الادب اه وقال فى الباب السابع عشر وثلثمائة ومن أراد أن يعرف حقيقة أن الله تعالى هو الفاعل من خلف حجاب الخلق فلينظر فى خيال الستارة وصورها ومن هو الناطق فى تلك الصور عند الصبيان الصغار الذين بعدوا عن حجاب الستارة المضروبة بينهم وبين اللاعب بتلك الصور والناطق فيها فالامر كذلك فى صور العالم كلهم والناس أكثرهم أولئك الصغار الذين فرضناهم فهناك يعرف من أين أتى عليهم فالصغار فى ذلك المجلس يفرحون ويطربون والغافلون يتخذون ذلك هزوا ولعبا والعلماء بالله يعتبرون ويعلمون أن الله تعالى ما نصب هذا الامثال لعباده ليعلموا أن هذا العالم مع الله تعالى مثل هذه الصور مع محركها وان هذه الستارة هى حجاب سر القدر الذى لا يجوز لاحد كشفه وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس عشر وأربعمائة مما يدلك على أن أفعال العبد لله حقيقة كونه جعل نفسه عين قوى العبد المحبوب فى حديث كنت سمعه وبصره ويده ورجله ومعلوم أن العمل ليس هو بجسم الانسان مما هو جسم حسا وانما العمل فيه لقواه فما تصرف فى باطن العبد الا الرب وهذا من أسرار المعرفة وقليل من عثر عليه ولذلك ادعى المعتزلة أنهم يخلقون أفعال نفوسهم لحجابهم عن شهودهم مقوى قواهم انتهى * وقال فى الباب التسعين وأربعمائة فى قوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون اعلم ان المقت درجات بعضها أكبر من بعض ومن قال قولا ولم يصدق مقت نفسه عند الله تعالى أكبر المقت اذا اطلع على ما حرمه من الخير بترك الفعل ولا سيما اذا رأى غيره قد عمل بما سمعه منه وأطال فى ذلك ثم قال ومعنى الآية بلسان الاشارة يا أيها الذين آمنوا من وراء حجاب لم تقولون ان الفعل لكم وما هو كذلك فانه لى فكيف تضيفون الى أنفسكم ما لا تفعلون حقيقة ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا أى يقاتلون فى سبيله من ينازع الحق فى اضافة الافعال الى نفسه ويقول ان الفعل لى كالمعتزلة حتى يرجع الى الحق ويترك النزاع فيضيف الافعال كلها الى الله تعالى * وقال فى الباب

فى جوف العرش كحلقة ملقاة فى أرض فلاة فشبهه بشكل مسند برؤية الحلقة وكذلك شبه السموات فى الكرسى كحلقة قال واعلم ان العرش يوصف تارة بالعظيم وتارة بالكريم وتارة بالمجيد فهو من حيث الاحاطة عظيم لانه أعظم الاجسام ومن حيث انه أعطى ما فى قوته لمن هو فى حيطته وقبضته فهو كريم ومن حيث نزاهته ان يحيط به غيره من الاجساد فهو مجيد لشرفه على سائر الاجسام قال فان قلت اذا كان العرش محيطا بجميع الكائنات فأين الخلاء الذى يكون فيه الحافون من حول العرش لان العرش قد عمر الخلاء فالجواب انه لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش وبين الاستواء على العرش فان من لا يقبل التحيز لا يقبل الاتصال والانفصال فعلم ان هذا العرش الذى تحف به الملائكة هو الذى يأتى الله فيه للفصل والقضاء يوم القيامة وليس هو الجسم الذى عمر الخلاء واستوى عليه الرحمن اما تراه تعالى يقول وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين عند الفراغ من القضاء وقال زيارة العبد لربه فى الجنة تكون على عدد صلاته فى دار الدنيا ورؤيته له على قدر حضوره فيها مع ربه * وقال ينبغى لقارئ القرآن اذا لم يكن من أهل الكشف ان يجثو بساحة علماء الشرع يفتش عن كل شئ ثبت عندهم انه كان قرآنا ونسخ فيحفظه ليزيده الله بذلك درجات فى الجنتين

الحادي والستين وثلثمائة اعلم ان الانسان مجبور فى عين اختياره عند كل ذى عقل سليم مع ان جميع ما يظهر عنا من الافعال يجوز أن يفعله الحق تعالى وحده لا بأيدينا ولكن ما وقع ذلك فى الشاهد ولا ظهر الا بايدينا اذ الاعمال اعراض والاعراض لا تظهر الا فى جسم وهذا وان كان صدقا فقد أنف أهل الله أن يصرحوا به وانما قالوا الاعمال لله خلقا وللعبد اسنادا مجازا انتهى * وسمعت أخى الشيخ زين العابدين المرصفى رحمه الله يقول مرارا اختيار العباد غير مفوض اليهم قطعا وأما قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فهو وعيد وليس بتفويض لقوله تعالى انا أعتدنا للظالمين نارا والله خلقكم وما تعملون لا يقال ان كان خالق أفعالهم وحده فكيف يعذبهم لانا نقول الثواب والعقاب انما هو على استعمال العبد الفعل المخلوق لا على أصل الخلق فيعاقب عليه اصرف الاستطاعة التى تصلح للطاعة الى المعصية لا على احداث الاستطاعة انتهى (وقال) الشيخ محيي الدين فى باب الوصايا أنت محل للعمل لا عامل ولكن لولاك لما ظهر للعمل صورة لانه عرض * وقال فى لواقح الانوار أيضا محال من الحكيم أن يقول امش يا مقعد أو افعل يا من لا يفعل فان الحكمة لا تقتضيه فبقى نسبة الفعل الى الفاعل ينبغى أن يعرف اه (وقال) فى الباب الثالث والعشرين وثلثمائة اعلم انه لا أثر لمخلوق فى الاعمال التى تظهر على يديه أبدا من حيث التكوين وانما له فيها حكم لا أثر وأكثر الناس لا يفرقون بين الحكم والاثر فان الله تعالى اذا أراد ايجاد حركة أو معنى من الامور التى لا يصح وجودها الا فى موادها لانها لا تقوم بنفسها فلا بد من وجود محل يظهر فيه تكوين هذا الامر لا يقوم بنفسه فللمحل حكم فى الايجاد لهذا الممكن وماله فيه أثر فهذا الفرق بين الحكم والاثر اذا تحققته علمت أنه لا أثر للعبد جملة واحدة فى الفعل فلماذا يقول فعلت كذا مع أنه لا أثر له ولذلك يمقت نفسه عند الله اذا انكشف حجابه وينكشف له يقينا ان ذلك الفعل الذى كان يدعيه ليس هو له حين انقضى زمان التكليف فليس المراد ان الله تعالى يمقت العبد على نسبة الفعل لنفسه فان الله قد أضافه اليه وانما المراد ان العبد يمقت نفسه ولو أنه فعل مستحضرا مشيئة الله تعالى فى ذلك الفعل لم يمقت نفسه عند الله تعالى قال تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله فشرع المشيئة ليدفع وقوع مقت العبد نفسه * وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائة اذا نزهت الحق تعالى عن الشريك فقيده بالشركة فى الملك دون الشركة فى الفعل لاجل صحة التكليف فانه لولا ان للعبد شركة فى الفعل ما صح تكليفه اذ لا بد من شركة العبد فى الفعل من خلف حجاب الاسباب فعلم ان من نزه به عن الشركة مطلقا فاته مقام الكمال * وقال فى الباب الثانى والسبعين حكم أفعال العبد مع الحق حكم آلة النجار أو الحائك ولله المثل الاعلى ونحوها فان الله يفعل بالواسطة وبلا واسطة قال وبهذا القدر الذى هو كانه آلة تعلق الجزاء والتكليف لوجود الاختيار من الآلة ولا دليل فى العقل يخرج العبد عن الفعل ولا جاء بذلك نص عن الشارع لا يحتمل التأويل فالافعال كلها من المخلوقين مقدورة لله تعالى ووجود أسبابها بالاصالة من الله تعالى وليس لمخلوق فيها مدخل الا من حيث كونه محلا لها اه * وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائة فى قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون أثبت الفعل للعبد بالضمير ونفاه بالفعل الذى هو خلق كما انتفى أبو بكر فلم يظهر له لفظ فى القرآن واثبته ضمير التثنية فى القرآن اه * وقال فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة على اسمه تعالى الواجد بالجيم اعلم انه تعالى لا يصعب عليه شئ طلب ايجاده فاذا طلب من العبد أمرا ولم يقع منه كان تعويقه من قبله تعالى بمشيئة لا لعجز عن تنفيذه مثاله طلب من أبى جهل أن يؤمن بالله ورسوله وبما جاء به من أحدية الخالق فلم يجبه الى ما طلبه منه فالظاهر من أبى جهل ان ابايته ما كانت الا من حيث كونه ليس بواجد لما طلب منه والمنع انما كان منه تعالى اذ لم يعطه التوفيق ولو شاء لهدا كم أجمعين فعلم انه تعالى لو قال للايمان كن فى محل أبى جهل أو خاطبه بالايمان بلا واسطة لكان الايمان فى محل المخاطب فكونه واجدا انما هو اذا تعلقت الارادة بكونه وما عدا كن فما هى حضرة الوجدان اه وقال فى هذا الباب أيضا فى الكلام على اسمه تعالى الخالق اعلم ان الخلق خلقان خلق بتقدم الامر الالهى كما فى قوله تعالى ألا له الخلق والامر فانه قدمه فى الذكر وخلق ايجاد وهو الذى يسابق الامر الالهى

فيكون

يقال له يوم القيامة اقرأ وارق قال وقد زعم بعض أهل الكشف انه سقط من مصحف عثمان كثير من المنسوخ قال ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الذى تولى جمع القرآن لوقفنا وقلنا هذا وحده هو الذى نتلوه يوم القيامة قال ولولا ما يسبق للقلوب الضعيفة ووضع الحكمة فى غير أهلها لبينت جميع ما سقط من مصحف عثمان رضى الله عنه قال وأما ما استقر فى مصحف عثمان فلم ينازع أحد فيه (قلت) ذكر الشيخ محيي الدين فى الفتوحات المصرية ان الذى يتعين اعتقاده انه لم يسقط من كلام الله تعالى شئ لانعقاد الاجماع على ذلك والله أعلم * وقال لا يعرف حقائق الحروف المقطعة أوائل السور الا أهل الكشف والوجود فانها ملائكة وأسماؤهم أسماء الحروف قال وقد اجتمعت بهم فى واقعة وما منهم ملك الا وافادنى علما لم يكن عندى فهم من جملة أشياخى من الملائكة فاذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه يقول القارئ الم فتقول هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول فيقول القارئ ما بعد هذه الحروف فيقولون صدقت ان كان خبرا ويقولون هذا مؤمن حقا نطق حقا وأخبر حقا فيستغفرون له وهكذا القول فى الف لام ميم صاد واخوانها وهم أربعة عشر مليكا آخرهم نون والقلم وقد ظهر وافى منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد مثل نون وصاد

فيكون عين قوله كن عين قبول الكائن التكون بل فيكون على الاثر فالفاء جواب الامر وهي فاء التعقيب وليس الجواب والتعقيب الا في الرتبة لا في الامر الباطن خلاف ما يتوهم من أنه لا يتكون الا عند الامر بقوله تعالى له كن ولولا هذا القول لم يكن والحق الذي نعتقده انه لا افتتاح للقول كما لا افتتاح لمعلوم علمه تعالى فما حدث الا ظهور المكون لعالم الشهادة بعد أن كان غيبا في علم الله تعالى والسلام * وقال في كتاب لواقح الانوار لا يصح لعبد قط عصيان الارادة الالهية وانما يعصي العبد الامر من خلف حجاب الداعين الى الله تعالى من الرسل وأتباعهم من العلماء قال تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فما وقع العبد في تخلفه عن امتثال أمر واجتناب نهي الا اذا كان الامر والنهي على لسان الوسائط من الخلق كما اذا قال لرسول أو نائبه للناس صلوا أو صوموا فقد يقع المأمور به من العبد المأمور وقد لا يقع وأما اذا قال الحق تعالى لعبده من غير واسطة كن مصليا أو صائما فانه يقع ولا بد وتأمل قوله تعالى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا الصلاة واصبروا وصابروا ورابطوا وجاهدوا ولا يقع من بعض الناس شيء من ذلك لتوقف امتثالهم على الارادة وهي لم ترد لهم امتثال الامر فكأنه تعالى قال لهم حينئذ اخلقوا بانفسكم من غير ارادتي وليس من قدرتهم ذلك فكان المتعلق بهم جسم كن لا روحها فكانت كالميتة يحرم عليهم استعمالها بخلاف ما اذا تعلق بهم كن الحية الذي هو الامر الالهي بلا واسطة فانه يوجد عين الجهاد والرباط والصلاة وغيرها من أعمال العباد في حين توجه الاذن لهم وليس من شأن الافعال ان تقوم بنفسها ولا كانت الصلاة تظهر في غير مصل والجهاد في غير مجاهد وذلك لا يصح فلا بد من ظهورها بمن ظهرت عنه فاذا ظهر ذلك فمن ظهرت عنه من المصلي أو المجاهد أو نحوهما نسب الفعل الى العبد وجازاه الحق تعالى عليه فضلا منه أو عدلا ولولا أن العمل نفسه كان محلا للتنعم أو التألم لكان هو أولى بالجزاء ولكن لما كان ليس محلا لذلك جعل الله تعالى الجزاء لاقرب نسبة اليه وهو العبد الذي هو الآلة قال ولولا هذه النسبة التي جعلها الحق تعالى للعبد لكان ذلك قدحا في الخطاب والتكليف ومناهاة الحسن وكان لا يوثق بالحسن في شيء وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب السادس والثمانين ومائتين وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول العبد محل ظهور الافعال كالباب الذي يخرج منه الناس فليس الناس متولدين من نفس الباب وانما ظهر بروزهم منه لا غير اذ الاعضاء الفعالة في الظاهر أبواب الحركات الربانية المستورة اذ الاكوان كلها ساترة وهو الفاعل من خلف حجاب بهذا الستر فقوم لا يشعرون بان الله تعالى هو الفاعل وهم المعتزلة وقوم يشهدون و يشعرون بذلك وهم الجبرية غلب عليهم شهود الفعل لله وحده ولم يتسع نظرهم حتى يضيفوه للعبد كما أضافه الحق تعالى اليه فأخطؤا الشريعة وقوم لا يشهدون و يشعرون وهم الاشعرية منعهم حجاب القول بالكسب عن الشهود وكل من هؤلاء الطوائف الثلاث على بصره غشاوة ولا تزول عنهم تلك الغشاوة الا بالكشف قال ولا ينبغي أن يقال العبد مجبور في عين اختياره وان كان ذلك القول صحيحا الا ان في ذلك سوء أدب و يرجع الى رائحة اقامة الحجة على الحق جل وعلا اهـ وسيأتي بسط ذلك في المبحث عقبه * وقال في باب الاسرار من الفتوحات ما طلب الحق تعالى من عباده أن يستعينوا به في عباداتهم وغيرها الا لينبههم على عجزهم عن الاستقلال بالافعال وكان الامام الجنيد رحمه الله تعالى يقول اياك أن تقف في حضرة شهود الفعل لله تعالى وحده دون عباده فتقع في مهواة من التلف ولا ترى للسمع ذلك قط ذنبا فتهلك مع الهالكين وفي ذلك هدم الشرائع كلها اهـ (فان قلت) فما منشأ الخلاف في مسألة خلق الافعال بين الفرق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والستين ان منشأ الخلاف بينهم كونهم لم يدروا لماذا يرجع ذلك التمكن الذي أعطاه الله تعالى للعبد ووجده من نفسه حال الفعل هل هو راجع الى كون القدرة الحادثة لها أثر في تلك العين الموجودة عن تمكننا أو عن الارادة المخلوقة فينا فيكون التمكن أثر الارادة لا أثر القدرة الحادثة فعلى ذلك ينبغي كون الانسان مكلفا لعين التمكين الذي يجد من نفسه ولا يحقق بعقله لماذا يرجع ذلك التمكين هل هو لكونه قادرا أو لكونه مختارا وان كان على قول بعضهم هو مجبور في اختياره ولكن

فان الايمان بضع وسبعون شعبة والبضع من واحد الى تسعة فقد استوفى غاية البضع فمن نظر في هذه الحروف بهذا الباب الذي فتحت له يرى عجائب وتكون هذه الارواح الملائكة التي هي الحروف أجسامها تحت تسخيره وبايديها من شعب الايمان تمده وتحفظ عليه ايمانه * وقال في قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء الصواعق أهوية محترقة اشتعلت فما تمر بشيء الا أثرت فيه ولولا الاثير الذي هو نار بين السماء والارض ما كان حيوان ولا نبات ولا معدن في الارض لشدة البرد الذي في السماء الدنيا فهو يسخن العالم لتسري فيه الحياة بتقدير العزيز العليم قال واعلم أن الاثير الذي هو ركن النار متصل بالهواء والهواء حار رطب فما في الهواء من الرطوبة اذا اتصل بهذا الاثير أثر فيه الحر كما اشتعالا في بعض أجزاء الهواء الرطبة فبدت الكواكب ذوات الاذناب لانها هواء محترق لا مشتعل وهي سريعة الاندفاع وان أردت تحقيق هذا فانظر الى شرر النار اذا ضرب الهواء النار بالمروحة يتطاير منها شرر مثل الخيوط في رأي العين ثم تنطفئ كذلك هذه الكواكب قد جعلها الله رجوما للشياطين الذين هم كفار الجن كما قال الله تعالى * قال واعلم

بذلك القدر من التمكن الذى يجده من نفسه صح أن يكون مكلفا ولهذا قال تعالى لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فقد أعطاها أمرا وجوديا ولا يقال أعطاها لا شئ * وقال فى الباب الاحد وتسعين وثلثمائة فى قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اعلم ان فى هذه الآية اثبات القتل والرمى لمن نفاه عنه ثم انه لم يثبت على الاثبات بل أعقب الاثبات نفيا كما أعقب النفى اثباتا بقوله ولكن الله قتلهم وبقوله ولكن الله رمى فما أسرع ما نفى وما أسرع ما أثبت فى عين واحدة وايضاح ذلك ان الله تعالى قال فاقتلوا المشركين فاظهر أمرا وآمرا ومامورا فى هذا الخطاب فلما وقع الامتثال وظهر القتل بالفعل من أعيان المحدثات قال ما أنتم الذين قتلتموهم بل أنا قتلتهم فانتم لنا بمنزلة السيف لكم أو أى آلة كانت للقتل كما ان القتل وقع فى المقتول بالآلة ولم تقتل فيها انما القاتلة بل الضارب هو القاتل فكذلك الضارب بالنسبة الينا ليس هو القاتل بل هو مثل السيف بالنسبة الينا فهو فافهم * وقال فى باب الاسرار ما أجهل من قال ان الله تعالى لا يفعل بالآلة وهو يقرأ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فتراه يكفر بما هو به مؤمن هذا هو العجب العجاب فالسيف آلة للعبد والعبد والسيف آلة لله تعالى اه وقال فى الباب الخمسين اعلم ان الحق تعالى ما كلفنا الا بعد ان جعل لنا قدرة نجد أثرها فى نفوسنا تعجز عنها العبارة واذا فقدت لم يكلفنا كما لم يكلف الزمن القيام فى الصلاة وهذه القدرة هى التى أظهرها النفخ الالهى فى الانسان بواسطة الملك فلولا هذه القدرة ما توجه علينا التكليف ولا قيل لاحدنا قل واياك نستعين فان فى الاستعانة اثبات جانب من الفعل للعبد فصدقت المعتزلة فى اضافتها الافعال الى العبد من وجه واحد بدليل شرعى وأخطأت فى اضافتها الافعال اليه بحكم الاستقلال وصدقت الاشعرية فى اضافتها الافعال الى الله خلقا والى العباد كسبا من الوجهين بدليل شرعى وعقلى اه وقال فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات اتفق النظار كلهم على أن خالق القدرة المقارنة للفعل من العبد لله وحده وانما ليست من كسب العبد ولا من خلقه فكل انسان معه اختيار لا انه من نفسه اختيار الاستقلال * وقال فى باب الاسرار ما أمر الله تعالى عباده بنصره الا وأعطاهم الاشتراك فى أمره فمن قال لا قدرة لى ويعنى الاقتدار فقد رد الاخبار وكان ممن نكث والحق تكليف الحق تعالى بالميت اه * وقال فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الخافض اعلم ان حضرة الخفض لا يتصرف الحق تعالى فيها تصرف المحدث الا اذا تنزل اليها فاذا تنزل اليها أضفنا اليه أحكام تلك الحضرة فليس سلطان حضرة الخفض الا فى الحدث الاتيان ولو كان قرآنا فانه حدث عندهم باتيانه ألا ترى حروف الخفض هى الخافضة للاسماء مع انها دونها فى الدرجة وعلو الاسماء فيها بقول العبد أعوذ بالله فالباء خافضة ومعمولها كلمة الله فهى التى تخفض الهاء من الكلمة فأثرت فيما هو أعلى منها الذى هو الاسماء فالعالم وان كان فى مقام الخفض فى الرتبة فبعضه لبعض كأدوات الخفض فى اللسان لا تخفض المتكلم الكلمة الا بها كذلك ما يفعله الحق تعالى بواسطة الاسماء الالهية لا بد من التنزل الى رتبة الخفض ليتصرف فى أدوات الخفض ثم ان حروف الخفض اذا دخل بعضها على بعض صار المدخول عليها منها أسماء وزال عنه حكم الحرفية فيرجع مخفوضا بالاضافة كسائر الاسماء وأبقوا عليه البناء حتى لا يتغير عن صورته لان الخافض اصالة لا يكون مخفوضا حقيقة فهو هنا مخفوض المعنى غير مخفوض الصورة بما هو عليه من البناء مثل قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد قال وهكذا يكون الامر فى الطريق التى نحن فيها اذ أثر المحدث فى المحدث لم يشركه أثر فيه غير أن يكون محدثا فالحدوث له بمنزلة البناء العرف والاثر فيه للمؤثر ولا مؤثر بالاجماع الا الله فهذا فعل الخلق ظهر بصورة فعل الحق تعالى فانفعل المنفعل بصورة الحق تعالى قال ومن هذه الحضرة قال تعالى كنت سمعه الذى يسمع به وقال فأجره حتى يسمع كلام الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله مع قوله ما على الرسول الا البلاغ اه وقال فى باب الاسرار ما فى الوجود الا فعله مع أنه حرم الفواحش فسلم ولا تناقش اه * وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه يقول فى قوله تعالى ما أصابك من

أجزاء العالم وهو به تسبيحه تجرى به الجوارى ويعلو به السراج وتشتعل النار وتتحرك المياه والأشجار ويموج البحر وتزلزل الارض وتزجى السحاب قال واعلم ان روح الماء من الهواء ولو سكن الهواء لهلك كل متنفس وكل شئ فى العالم متنفس وتأمل الانسان اذا حمى بدنه فى زمن الصيف يحرك الهواء بالمروحة ليبرد عنده ما يجده من الحرارة لما فى الهواء من برودة الماء فان صورة الهواء من الماء * وقال فى قوله تعالى ومن كل تأكلون لحما طريا اعلم ان الله تعالى ما جعل تكوين دواب البحر الملح الا فى العذب منه خاصة فان الله تعالى أجرى فى قعره عيونا وانهارا عذبة وجعل للارض نفسا من الهواء فيطرأ التعفين من ذلك فتتكون حيوانات البحر الملح فيه الماء العذب ولولا وجود الهواء فيه والماء العذب ما تكون فيه حيوان الا ترى البخار الصاعد من الانهار والبخار الصاعد من الارض ومن البحر كيف يخرج كما يخرج النفس من المتنفس فيطلب ركنه الاعظم فيستحيل منه ما يستحيل ويلحق بعنصره ما يلحق على قدر ما سبق فى علم الله من ذلك فهو دولاب دائر منه يخرج واليه يعود * وقال فى قوله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن اعلم أن طبقات الارض سبع كطبقات السموات فى كونها واحدة فوق واحدة قال صلى

جسمه

حسنة فمن الله أى ايجادا واسنادا وما أصابك من سيئة فمن نفسك يعنى اسناد الايجاد او تامل يا أخى قول السيد ابراهيم عليه الصلاة والسلام واذا مرضت فهو يشفين كيف لم يقل واذا أمرضنى بل أضاف المرض الى نفسه حيث كان مكروها للنفس وأضاف الشفاء الى الله لكونه محبوبا للنفس وكذلك تامل قول أيوب عليه الصلاة والسلام رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ولم يقل أمسستنى الضر فارحمنى بل حفظ أدب الخطاب وكذلك تامل قول الخضر عليه الصلاة والسلام فاردت أن أعيبها فاضاف العيب الى نفسه لما كان العيب مكروها وانظر كيف أضاف الامر المحبوب للنفس الى الله تعالى فى قوله تعالى فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما (فان قيل) فما الجواب عن قول الخضر عليه الصلاة والسلام فاردنا أن يبدلهما ربهما بنون الجمع الشاملة للعبد (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين من الفتوحات ان قوله أردنا تحته أمران أمر الى الخير وأمر الى غيره فى نظر موسى وفى مستقر العادة فما كان من خير فى هذا الفعل فهو لله من حيث ضمير النون وما كان فيه من نكر فى ظاهر الامر فى نظر موسى فى ذلك الوقت كان للخضر من حيث ضمير النون فعلم ان لنون الجمع هنا وجهين لما فيها من الجمع وجه الى الخير به أضاف الامر الى الله تعالى ووجه الى العيب به أضاف العيب الى نفسه ولو أن الخطيب الذى قال ومن يعصهما فقد غوى كان يعرف هذين الوجهين اللذين علمهما الخضر ما كان صلى الله عليه وسلم قال له بئس الخطيب أنت وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نفسه وبين ربه بضمير واحد فقال ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وما ينطق عن الهوى وكذلك جمع الحق تعالى نفسه مع الملائكة فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى فتأمل يا أخى فيما ذكرناه لك من آداب الانبياء تجدهم أكثر أدبا من سائر الخلق وقد قالوا لابى بكر رضى الله تعالى عنه لما مرض الا ندعو لك طبيبا فقال الطبيب أمرضنى فهو وان شهد الامر من الله تعالى لم يراع أدب اللفظ كما راعاه الخليل عليه الصلاة والسلام وأيوب انتهى (قلت) الذى نراه أن السيد أبا بكر رضى الله تعالى عنه لم يقل ما قال من اسناد المرض الى الله جهلا بمقام الادب مع الله وانما ذلك تنزل لعقل السائل له أن يدعو له طبيبا لما رأى من عدم شهوده مقام الخليل الاعظم عليه الصلاة والسلام والله أعلم * وقال فى الباب الاحد وعشرين ومائة اعلم يا أخى أن مسئلة خلق الافعال وتعقل وجه الكسب منها من أصعب المسائل قال وقد مكثت دهرى كله أستشكلها ولم يفتح لى بالحق فيها على ما هو الامر عليه الا ليلة تقييدى لهذا الباب فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وكنت قبل أن يفتح على بذلك بعسر على تصور الفرق بين الكسب الذى يقول به قوم وبين الخلق الذى يقول به قوم وما كنت اعتقد الا الجبر المحض والآن قد عرفت تحقيق هذه المسئلة على القطع الذى لا شك فيه وعرفت الفرق بين المذاهب الثلاث فيها وذلك أن الحق تعالى أوقفنى بكشف بصيرتى على المخلوق الاول الذى لم يتقدمه مخلوق اذ لم يكن ثم الا الله وحده وقال لى انظر هل هنا أمر يورث اللبس والحيرة قلت لا يارب فقال لى هكذا جميع ما تراه من المحدثات ما لاحد فيه أثر ولا شئ من الخلق فانا الذى أخلق الاشياء عند الاسباب لا بالاسباب فتتكون عن أمرى خلقت النفخ فى عيسى وخلقت التكوين فى الطائر قلت له يارب فنفسك اذن خاطبت بقولك افعل ولا تفعل فقال لى اذا اطلعتك بشئ من علمى فالزم الادب ولا تحاقق فان الحضرة لا تقبل المحاققة فقلت له يارب وهذا عين ما نحن فيه ومن يحاقق ومن يتأدب الا أنت خلقت الادب والمحاققة فان خلقت المحاققة فلا بد من وقوعها وان خلقت الادب فلا بد من وجوده قال هو ذاك فاسمع وأنصت قلت ذلك لك يارب اخلق السمع حتى أسمع والانصات حتى أنصت وما يخاطبك الآن سوى ما خلقت وحدك فقال لى ما أخلق الا ما علمت وما علمت الا ما هو المعلوم عليه حين تعلق به علمى فى الازل ولى الحجة البالغة اهـ وسيأتى ايضاح ذلك فى المبحث بعده ان شاء الله تعالى فتأمل يا أخى فى هذه النقول ولكن مع اجتناب جميع ما يسخط الله عز وجل فان القلب المظلم من لازمه الاستشكال فى الامور الواضحة فضلا عن مثل هذه المسئلة وقد قال الامام الغزالى رحمه الله هذه مسئلة لا يزول اشكالها فى الدنيا وهو معذور فى قوله والله تعالى أعلم *(خاتمة)* (ان قيل) ما المراد باضافة الخلق

الله عليه وسلم فيمن غصب شبرا من الارض طوقه من سبع أرضين وذلك انه اذا غصب شبرا من الارض كان ما تحت ذلك المغصوب مغصوبا الى منتهى الارض السابعة ولو لم تكن طباقا بعضها فوق بعض لبطل المعقول من هذا الخبر وكذلك الخبر الوارد فى سجود العبد على الارض من أن يطهر الله ذلك الموضع بسجداته الى سبع أرضين وقوله يتنزل الامر بينهن أى بين السموات والارضين ولو كانت أرضا واحدة لقال بينهما قال وهذا الذى قررناه هو الظاهر وهو الذى أعطاه كشفنا والله أعلم * وقال فى قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون اعلم ان العالم كله فى قبضة الحق لا يمكنه الانفكاك عن ذلك والانقباض فى المقبوض يبس بلا شك فهو يطلب بذاته لغلبة اليبس عليه ما يرطبه وقوله أفلا يؤمنون أفلا يصدقون بذلك الجواز حلافه عقلا الذى هو ضد الواقع فانه لو غلب عليه البرد والرطوبة هلك ولم يكن له شفاء بحياته الا الحرارة واليبس فكان يقال فى ذلك الحال وجعلنا من النار كل شئ حى ولو غلب عليه البرد واليبس لكانت حياته بالهواء فيقال فى تلك الحالة وجعلنا من الهواء كل شئ حى ولو افرطت عليه الحرارة والرطوبة لكانت حياته بالتراب وكان يقال فى هذه الحالة وجعلنا من التراب كل شئ حى وأطال فى ذلك * وقال حيثما أضيف الرزق الى الله تعالى فالمراد به الحلال الطيب من حيث الكسب وكل ما كان به حياة

الى عيسى عليه الصلاة والسلام مع ان عيسى في ذلك عبد مخلوق الذات ومن شأن المخلوق أن لا يخلق ولا يقدر على ذلك (فالجواب) قد صرح القرآن العظيم بأن خلق عيسى عليه الصلاة والسلام الطير انما كان باذن الله تعالى فكان عيسى في ذلك كالملك الذي يصور الجنين في الرحم باذن الله فكان خلقه عليه الصلاة والسلام للطير من جملة العبادة التي يتقرب بها الى الله تعالى لاذنه تعالى له في ذلك قال تعالى أفرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع والثلاثين وثلثمائة في تفسير هذه الآية اعلم ان لفظة ما عامة لانها لفظة تطلق على كل شئ ممن يعقل وممالا يعقل كذا قال سيبويه وهو المرجوع اليه في هذا الفن فان بعض المنتحلين للفن يقولون ان لفظة ما تختص بما لا يعقل ولفظة من تختص بمن يعقل وهو قول غير محرر فقد رأينا في كلام العرب جمع مالا يعقل جمع من يعقل واطلاق ما على ما يعقل كهذه الآية فدخل عيسى في هذا الخطاب وان كان يعقل لانه لا يقدر يخلق شيأ استقلالا قال وقول سيبويه أولى والسلام وتقدم قوله تعالى للشيخ قبيل الخاتمة خلقت النفخ في عيسى وخلقت التكوين في الطائر الى آخره وهذا أمر لا اشكال فيه والله تعالى أعلم (فان قيل) فاذا أعطى الحق تعالى بعض خواصه في هذه الدار حرف كن هل يتصرف بها أم الادب تركه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائة أن من أدب أهل الله تعالى اذا أعطاهم الله تعالى التصرف بلفظة كن في هذه الدار لا يتصرفون بها الا محلها الدار الآخرة ولكنهم جعلوا مكان لفظة كن بسم الله ليكون التكوين لله تعالى ظاهرا كما هو له تعالى باطنا (فان قيل) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر الخلق أدبا وقد استعملها في بعض الغزوات (فالجواب) انما استعملها صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك بحضرة أصحابه بيانا للجواز ولانه كان مأذونا له في اظهار المعجزات وهذه المسئلة من قبيلها فقال صلى الله عليه وسلم كن أباذر فكان أباذر وقال لعسيب النخل كن سيفا فكان سيفا (فان قلت) فهل يصح لاحد من الخلق انه يخلق انسانا باذن الله تعالى أم غاية أمر الخلق أن يخلقوا الطير كما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام في خلقه الخفاش (فالجواب) ان هذا السؤال أورده الشيخ محيي الدين في الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة ولفظه اذا خلق الانسان باذن الله تعالى انسانا لو فرض فهل هو انسان أو حيوان في صورة جسم انسان لان الله تعالى أعجز الخلق كلهم أن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فضلا عن صورة انسان التي هي أكمل الصور ولكن قد ذكر لنا في الفلاحة النبطية ان بعض العلماء بعلم الطبيعة كون من المني الانساني بتعفين خاص على وزن مخصوص من الزمان والمكان انسانا بالصورة الآدمية وأقام سنة يفتح عينه ويغلقها ولا يتكلم ولا يزيد على ما يتغذى به شيأ فعاش سنة ومات قال الشيخ فلا أدري أكان انسانا حكمه حكم أخرس أو كان حيوانا في صورة انسان انتهى والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والعشرون في بيان ان لله تعالى الحجة البالغة على العباد مع كونه خالقا لاعمالهم)

فلو قد رأن عبدا قال يارب كيف تؤاخذني بما قدرته على قبل أن أخلق لقال له الحق تعالى وهل تعلق علمي بك الا بما أنت عليه ولا افتتاح لعلمي ولا للمعلوم قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين فاتى بمثل هذه الآية لاقامة الحجة على عباده مع انه تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه لثبوت ذلك في علمه تعالى ولكن ما كل أحد يبلغ الى ذوق هذا العالم والحجج انما تقام في الاصل على المحجوبين لا على أهل الكشف لعدم نزاعهم للحق تعالى في شئ أضافه الحق تعالى اليه أو اليهم فيجب على العبد أن يقيم الحجة لله على نفسه ايمانا حتى يعرف ذلك يقينا وكشفا الا انه لا يجري على العبد الا ما كان هو عليه في العلم الالهي فما فعل تعالى بالعبد الا ما كان في علمه تعالى ورافق اقامة الحجة هو موضع لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (فان قيل) فما وجه كونهم يسئلون دونه تعالى (فالجواب) انما كانوا يسئلون لانه تعالى اذا أطلعهم عند السؤال على شهود الحالة التي كانوا عليها في علمه تعالى الذي لا افتتاح له تحققوا حينئذ أن علمه تعالى ما

العبد فهو رزق الله وليس فيه تحجير ومن هنا كان المضطر لا حجر عليه فعلم ان الحرام لا ينبغي اضافته الى الله تعالى أدبا (قلت) ومن هنا كان من أدب الفقراء أن لا يأكلوا الا عند الجوع لتخف الشبهة في الشبهات وليكونوا في حال أكلهم تحت أمر واجب أو مستحب بخلاف الاكل من غير جوع فافهم وأول مراتب الجوع اشتغال الامعاء بأكل بعضها بعضا لعدم الطبيعة التي بها غذاؤها والله أعلم *وقال في قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم الآية اعلم ان الله تعالى وصف الجن باللطافة وخلقهم من مارج من نار والمرج الاختلاط فهم من نار مركبة فيها رطوبة المواد ولهذا يظهر لها لهب واللهب نار رطب قال واعلم ان الشياطين من الجن هم الاشقياء البعداء من رحمة الله خاصة وأما السعداء فابقى عليهم اسم الجنس وهم الجان والجان خلق بين الملائكة والبشر الذي هو الانسان وهو عنصري ولهذا تكبر فلو كان طبيعيا خالصا من غير حكم العنصر ما تكبر وكان مثل الملائكة وهو برزخي النشأة له وجه الى الارواح النورية بلطافة النار منه فله الحجاب والتشكل وله وجه الينا أيضا به كان عنصريا ومارجا فاعطاه الاسم اللطيف ان يجري من ابن آدم مجرى الدم ولا يشعر به وأطال في ذلك ثم قال فالاسم اللطيف هو الذي جعل الجان يستتر عن أعين الناس فلا تدركهم

تعلق بهم الا بحسب ماهم عليه وانه تعالى ماحكم فيهم الا بما كانوا عليه مع انه تعالى خالق بالاختيار لا بالذات فافهم واياك والغلط وقد حكى عبد الله بن سلام شكا نبي من الانبياء بعض ما أصابه من المكروه الى الله تعالى فأوحى الله تعالى اليه كم تشكوني واست باهل ذم هكذا بدء شأنك في علم الغيب أفتريد أن أعيد الدنيا من أجلك وأبدل اللوح بسببك الى آخر ما ورد فعلم ان كل من أطلعه الله تعالى على هذا المشهد صار يعترف بحجة الله تعالى البالغة عليه من ذات نفسه ويقيم الحجة على نفسه كشفا ويقينا وقد أطال الشيخ محيي الدين في الجواب ثم قال وأكثر الناس لا يعلمون وجه هذه الحجة بل ياخذونها على وجه الايمان والتسليم ونحن وأمثالنا نأخذها عيانا ونعلم موقعها ومن اين أتى بها الحق تعالى واعلم أن من علامة من يأخذ الحجة على وجه الايمان ان لا يخذل الحجة عليه على وجهها بل لسان حاله يقول لو أن الحق تعالى مكنني من الاحتجاج حين يسالني عن ذلك لقلت له يارب أنت فعلت بي ذلك ولكنك لا تسئل عما تفعل ومثل هذا الكلام لا يقع الا من جاهل باحكام الله تعالى بل لله الحجة البالغة عليه مطلقا وكيف يليق بعبد أن يقول لسيده لا حجة لك على ولو بقلبه فتامل في ذلك وقد قال الشيخ في الباب السابع والخمسين وأربعمائة في تفسير قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة (فان قيل) ماوجه كون حجة الله تعالى على العبد بالغة (فالجواب) وجه ذلك كون العلم تابعا للمعلوم وتمييز الحق تعالى انما هو برتبة الفاعلية اذ الخلق كلهم مفعوله تعالى فما قال المعلوم شيأ من الامور الا وهو محكوم عليه بانه يقوله وكأن لسان الحق تعالى يقول للعبد المجادل ما تعلق علمي بك الا بحال عدمك الشخصي وأنت في عالم الغيب عن هذا العالم الاعلى ما أنت عليه فانى ما أبرزتك الى الوجود الا على قدر ما قبلته ذاتك فيعرف العبد حينئذ ان ذلك هو الحق وهنالك تندحض حجج الخلق أجمعين من جميع المنازعين ولا يخفى ان كل واحد لله تعالى عليه الحجة ماهى عين ما يقام على عبد آخر جملة واحدة وبتلك الحجة يظهر بها تعالى على عباده قال تعالى وهو القاهر يعني بالحجة فوق عباده وهو الحكيم الخبير أي حيث يظهر على كل صنف بما تقوم به الحجة لله تعالى عليه فلولا اطلاق التكليف ما كان خصما ولا علل انا معه مجلس حكم ولا ناظرنا تعالى وهذا من جملة انصاف الحق تعالى لعباده ليطلب منهم النصف انتهى فليتامل ويحرر ما فيه فانه منزع دقيق وقال في الباب الثامن والسبعين ومائة في قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة اعلم ان في هذه الآية دليلا على انه تعالى ما كلف عباده الا ما يطيقونه عادة فلم يكلفهم بنحو الصعود الى السماء بلا سبب ولا بشهود الجمع بين الضدين ولو انه تعالى كلفهم بذلك ما كان يقول فلله الحجة البالغة وانما كان يقول فله أن يفعل ما يريد كما قال لا يسئل عما يفعل يعني في أصل القسمة الازلية فهذا موضع لا يسئل عما يفعل لفقد من كان هنالك يسال الحق تعالى انتهى وسيأتي أوائل المبحث التاسع والعشرين نظم بديع لبعض اليهود في تصوير وجه مخالفة العبد للقدرة الالهية وان ذلك غير ممكن فراجعه وقال الشيخ في باب الاسرار من احتج عليك بما سبق في علم الحق فقد حاجك بالحق لكنها حجة لا تنفع صاحبها ولا تعصم جانبها ومع كونها ما نفعت سمعت وقيل بها وان عدل الشرع من مذهبها فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولكن أكثر الناس لا يشعرون ومثل هذه المسئلة لا يكون الاجهار او لا يتكلم بها الا اشعارا مع انه لو جهر بها لكانت علما ونفعت فهما وأورثت في الفؤاد كلما دونه تحز القمم لما تؤدي اليه من درس الطريق الاهم الذي عليه جميع الامم وان كان كل دابة هو آخذ بناصيتها فافهم فصح قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون وايضاح ذلك لا يذكر الا مشافهة لاهله فانه من علوم سر القدر والكتاب يقع في يد أهله وغير أهله والله تعالى أعلم وقال الشيخ في كتاب لواقح الانوار لو ان عبدا قال لربه يارب كيف تؤاخذني على أمر قدرته على قبل ان أخلق لقال له الحق تعالى أما أنت محل لجريان اقداري فلا يسعه الا أن يقول نعم يارب أنا محل لجريان اقدارك فاذا قال العبد ذلك قال له الحق فاذن قد ذهب اعتراضك على فان شئت جعلتك محلا للثواب وان شئت جعلتك محلا للعقاب والعذاب وان قال العبد مذهب المعتزلة قلنا له فحينئذ قام عليك ميزان العدل في قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت انتهى فقد قامت حجة الله تعالى على جميع الطوائف اه (قلت) وقد بلغنا أن ابليس قال يارب كيف تقدر على عدم السجود لآدم

الابصار الا ضد بن والله أعلم وقال في الباب الثاني ومائتين مانصه اعلم أن آداب الشريعة كلها ترجع الى مانذكره وهو ان لا يتعدى العبد في الحكم موضعه في جوهر كان أو في عرض أو في زمان أو مكان أو في وضع أو في اضافة أو في حال أو في مقدار أو عدد أو في مؤثر أو في مؤثر فيه فاما أدبه في الجوهر فهو أن يعلم العبد حكم الشرع في ذلك فيجري به فيه بحسبه وأما أدب العبد في الاعراض فهو ما يتعلق بافعال المكلفين من وجوب وحظر واباحة ومكروه وندب وأما أدبه في الزمان فلا يتعلق الا بأوقات العبادات المرتبطة بالاوقات فكل وقت له حكم في المكلف ومنه ما ضيق وقته ومنه ما يتسع وأما أدبه في المكان كمواضع العبادات مثل بيوت الله فيرفعها عن البيوت المنسوبة الى الخلق ويذكر فيها اسمه وأما أدبه في الوضع فلا يسمى الشيء بغير اسمه ليغير عليه حكم الشرع بتغيير اسمه فيحلل ما كان محرما ويحرم ما كان محللا كما في حديث سيأتي على أمتي زمان يظهر فيه أقوام يسمون الخمر بغير اسمها أي فتحا لباب استحلالها بالاسم وقد تفطن لما ذكرناه الامام مالك رحمه الله تعالى فسئل عن خنزير البحر فقال هو حرام فقيل له انه من جملة سمك البحر فقال أنتم سميتموه خنزيرا فانسحب عليه حكم التحريم لاجل الاسم كما سموا الخمر نبيذا أو تر بزا فاستحلوها بالاسم وقالوا انما حرم علينا ما كان اسمه خمرا وأما أدب الاضافة فهو مثل

ثم تؤاخذني به فقال جل وعلا متى علمت أني قدرت عليك الاباية عن السجود بعد وقوع الاباية منك أوقبلها فقال بعدها فقال له الحق تعالى وبذلك آخذتك فسر القدر حكمة محكمة مكيدة الفخ الذي ينصب للطير وهو اللولب المدفون في التراب وحكم اختيار العبد حكم الحبة الظاهرة على وجه الارض فترى الطير لا يرى المكيدة ولا يهتدي لها وانما يرى الحبة فقط فيلتقطها فيكون فيها هلاكه ولو انه عرف المكيدة ما التقط الحبة أبدا فهكذا ابن آدم لا يقع في معصية الا وهو غافل من شهود المكيدة والمؤاخذة ثم اذا وقع ندم واستغفر والله يحب التوابين وبالجملة فاذا كان نفس ابليس وقع ولم يدر بذلك الامر الذي كان فيه هلاكه الا بعد الوقوع فكيف بغيره * وكذلك بلغنا ان ابليس سال في الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن له صلى الله عليه وسلم بشرط أن يصدقه وحفت به الملائكة وهو في حال الذلة والصغار بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله خلقك للهداية وما بيدك منها شيء وخلقني للغواية وما بيدي من الغواية لنفسي ولا لغيري شيء وأنزل الله تصديق ذلك انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء والله تعالى أعلم * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول اياك أن تحتج بان ابليس أوقعك في المعصية من غير ميل منك سابق فان الله تعالى قد حكى عن ابليس انه يتبرأ في خطبته في النار ممن أطاعه في دار الدنيا وذلك موضع يصدق فيه الكذوب ويبين في تلك الخطابة جهل أهل المعاصي ويقول في آخرها فلا تلوموني ولوموا أنفسكم فاني ما أغويتكم بوسوستي الا بعد أن ملتم بنفوسكم الى فعل ما نهاكم الله تعالى عنه وما كان لي عليكم من سلطان قبل أن تميلوا فلا تلوموني ولوموا أنفسكم حيث ملتم قبل وسوستي فان نفسكم كلسان الميزان الذي في الفلك وأنا واقف تجاهكم على الدوام فما دام لسان الميزان في فلكها لم يخرج فانتم محفوظون مني فاذا خرج لسان الميزان الى جانب معصية جئت فنفذت ارادتكم بالوقوع فانا تبع لكم وهنالك تندحض حجة العبيد الذين أطاعوا ابليس لقيام حجته عليهم وتصديقهم له في ذلك الموضع ويتضح لهم ان ابليس لم يوقعهم في ذلك مستقلا وانما أوقعهم نفوسهم فيصيرون يقيمون الحجة لابليس عليهم كما أقاموا الحجة عليهم بالنظر للاقدار الالهية وأكثر من ذلك لا يقال * قلت فحاصل هذا المبحث ان العبد هو الذي ظلم نفسه تصديقا لقوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فانه تعالى لا يخبر الا بالواقع ولما علم أهل الله تعالى ذلك طلبوا وجها حقيقيا يقيمون به الحجة لله تعالى على أنفسهم فنظروا بالكشف الصحيح فرأوا جميع أفعالهم هي معلوم علم الله تعالى وكما لا افتتاح لعلم الله تعالى كذلك لا افتتاح لمعلومه واذا كان لا افتتاح لمعلومه فالحق تعالى لم يظلمنا شيأ ولعل المعتزلة لو اطلعوا على هذا الوجه الذي قررناه ما وقعوا في قولهم ان العبد يخلق أفعال نفسه فانهم رأوا بعقولهم أنهم اذا جعلوا الفعل لله وحده خلقا ثم عاقبهم عليه كان ذلك غير العدل فلما خافوا من اضافة ذلك الى الحق قالوا جعلنا أن العبد يخلق أفعال نفسه أخف من نسبة الظلم الى الحق من باب الاضافة والمجاز لا من باب الحقيقة فان مثل الامام الزمخشري لا يعتقد انه يخلق أفعال نفسه حقيقة أبدا بل اليهود نفسهم لا يعتقدون ذلك ثم ان القول في جزاء الاعمال يوم القيامة كالقول في الاعمال نفسها فلو قال قائل لله لم تعذبني على ما ليس من خلقي لقال له الحق تعالى وهل تعلق علمي بك الا معاقبا على أعمالك فلا يسع العبد الا أن يقول نعم ما تعلق علمك بي الا معاقبا وهنالك يقيم العبد الحجة على نفسه يقينا وكشفا وهذا المنزع الذي ذكرته لم أره لاحد من أهل عصري وغاية أمرهم ان أحدهم يقيم الحجة على نفسه أدبا فقط من باب قولهم يد لا تقدر أن تعضها قبلها فهو يقيم الحجة على ربه بقلبه كما هو مذهب الجبرية وربما استشهد بقول الشاعر

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له * اياك اياك ان تبتل بالماء

ومثل هذا البيت لا يجوز عندنا التفوه به لما فيه من رائحة اقامة الحجة على الله تعالى فعلم ان الجبرية وغيرهم ما وقعوا فيما وقعوا فيه الا من شهودهم وجه حدوث العبد وكونه مخلوقا ولو انهم شهدوا الوجه الآخر وهو كونه قديما في العلم الالهي لاقاموا الحجة لله على نفوسهم فليتامل فانه محل يتفلت من الذهن والله تعالى أعلم

قول الخضر فاردت أن أعيبها وقال فاردنا أن يبدلهما ربهما وذلك للاشتراك بين ما يحمد ويذم وقال فاراد ربك لتخليص المحمدة فيه فافاد أن الشيء الواحد يكتسب ذما بالنسبة الى جهة ويكتسب حمدا بالاضافة الى جهة أخرى وهو هو بعينه وانما تغير الحكم بالنسبة وأما أدب الاحوال كحال السفر في الطاعة وحال السفر في المعصية فيختلف الحكم بالحال وأما الادب في الاعداد فهو أن لا يزيد في أفعال الطهارة على أعضاء الوضوء ولا ينقص وكذا القول في أعداد الصلوات والزكوات ونحوها وكذلك لا يزيد في الغسل عن صاع والوضوء عن مد وأما أدبه في المؤثر فهو ان يضيف القتل أو الغصب مثلا الى فاعله ويقيم عليه الحدود وأما أدبه في المؤثر فيه كالمقتول قودا فينظر هل قتل بصفة ما قتل به أو بامر آخر وكالمغصوب اذا وجد بغير يد الذي باشر الغصب فهذه أقسام آداب الشريعة كلها * وقال في الباب الثالث ومائتين من راض نفسه ترقى لمقام رضا الله تعالى عنه وذلك لان الرياضة تذليل النفس شيأ بعد شيء حتى يلتحق بدرجة العبيد الخلص لله تعالى ولذلك سميت الارض ذلولا يطؤها البر والفاجر ولا تمييز عندها في ذلك بل تحمل البار حبا له وعليه من مراضي سيده وتحمل الفاجر حملا لله تعالى اياه بكونه يرزقه على كفره به وينعم ويجده اياها ونسيان شكر رب النعمة ونحو ذلك (قلت) فعلم ان كاما اتسعت

المبحث

(المبحث السادس والعشرون في بيان ان أحدا من الانس والجن لا يخرج عن التكليف مادام عقله ثابتا ولو بلغ أقصى درجات القرب على ماسيأتي بيانه)

اعلم يا أخي ان من المحال رفع التحجير عن كل عاقل مابقيت الدنيا ولولا ذلك لكان كل من ارتفع حجابه يرتفع عنه التحجير لانه حينئذ لا يرى فاعلا الا الحق وحده ولا قائل بذلك من أهل السنة والجماعة وقول بعض العارفين ان السالك يصل الى مقام يرتفع عنه التكاليف مراده بهذا التكاليف ذهاب كلفة العبادة فلا يصير عليه منها بل ربما تلذذ بفعل ما كانت نفسه تتصعب لفعله قبل ذلك وقد مكثت أنا في هذا المقام لا أتكلف لا شق العبادات ثم كشف لي عن نقص ذلك المقام لما يصاحبه من هوى النفس فتبت منه وصرت لا آتي بعبادة الا بمشقة وكلفة كأني حامل جبلا وذلك لما فيها من الآداب والمشاهد التي كافتنا بها فيها وكنت قبل ذلك لا أتكلف لها كما لا أتكلف لخروج النفس من أنفي ودخوله وذلك اني رأيت الله عز وجل يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم فاذا فرغت فانصب أي اذا فرغت من عمل متعب فانصب في عمل آخر أي متعب وهذا أمر لا يذوقه الا من سلك الطريق فاين الراحة من التكليف ونحن مطالبون بالاقبال على الله تعالى في كل نفس * واعلم يا أخي ان من عباد الله من لا يصلي الصلوات الخمس الا بمكة ومنهم من لا يصليها الا ببيت المقدس ومنهم من لا يصليها الا بالمدينة المشرفة ومنهم من لا يصليها الا بجبل (ق) ومنهم من لا يصليها الا في قبة أرين ومنهم من لا يصليها الا فوق سد اسكندر ومنهم من لا يصليها الا على الجبل المقطم المشرف على بحر السويس فربما لاث الناس بمثل ذلك الفقير ويقولون انه تارك للصلاة وهو خطأ ولاهل هذا المقام أمارات يتميزون بها على من يترك الصلاة تهاونا أو كسلا وقد قال لي مرة سيدي عبد القادر الدشطوطي ولم تقول أهل مصر عبد القادر ما يصلي شيأ ونحن والله لانقطع الصلاة ولكن لنا أماكن نصلي فيها فقلت ذلك لسيدي محمد بن عنان رضي الله عنه فقال صدق الشيخ عبد القادر له أماكن يصلي فيها (وأخبرني) الشيخ محمد أيضا ان سيدي ابراهيم المتبولي ما رىء قط يصلي الظهر في مصر أبدا حتى كان بعض الناس يقول كان الله لم يفرض الظهر على ابراهيم والحال انه كان يصليه في الجامع الابيض برملة لد (وكذلك) كان سيدي علي الخواص فكان يصلي في الجامع المذكور الظهر دائما وسمعت الشيخ بدر الدين المنشاوي رحمه الله يقول له ياشيخ الظهر فرض عليك فيسكت الشيخ (وأخبرني) الشيخ يوسف الكردي انه صلى مع سيدي ابراهيم الظهر في الجامع الابيض مرارا قال ورأيت الذي يؤم فيه وهو شاب أمرد نحيف البدن أصفر اللون كان لونه الزعفران انتهى وقد حضرت أنا صلاة الظهر عند سيدي عبد القادر الدشطوطي رحمه الله فلما سمع الاذان اضطجع وقال غطوني بالملاءة فغطيناه بها فلم نجد تحت الملاءة أحدا ثم جاء بعد نحو خمس عشرة درجة * وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يغلق باب حانوته عليه بعد اذان الظهر ساعة ثم يفتحه ففتحوا عليه مرة فلم يجدوه وبالجملة فارباب الاحوال ينبغي التسليم لهم وأما العارفون الذين هم قدوة للناس فيجب عليهم حفظ ظاهرهم والاعدم الناس بهم النفع نعلم ان الله تعالى لا يحرم شيأ أو يوجبه على ألسنة رسله ثم يبيحه لاحد من أولياته أبدا الا ان الله تعالى قد راعى شرعه الظاهر وجعله مردا للناس كلهم فلا ينسخ الشريعة الا من جاء بها من بعده من الرسل ونبينا آخر الرسل وليس لشرعنا ناسخ وقد ذكر الشيخ محيي الدين انه لا يجوز لولي قط المبادرة الى فعل معصية اطلع من طريق كشفه على تقديرها عليه كما انه لا يجوز لمن كشف له انه يمرض في اليوم الفلاني من رمضان ان يبادر للفطر في ذلك اليوم بل يجب عليه الصبر حتى يتلبس بالمرض لان الله تعالى ماشرع له الفطر الا مع التلبس بالمرض أو غيره من الاعذار قال وهذا مذهبنا ومذهب المحققين من أهل الله عز وجل (فان قيل) فاذا اطلع الولي على أن الله لا يؤاخذه على ذلك الذنب هل له الاقدام عليه (فالجواب) لا يجوز له على ان الاطلاع على عدم المؤاخذة ليس بواقع أصلا وان كان ذلك جائزا عقلا ذكره الشيخ في باب أسرار الصوم من الفتوحات ويؤيد ماذكرناه من بقاء اسم المعصية على جميع المكلفين قوله صلى الله عليه وسلم لعمر في قصة أهل بدر ومايدريك ان الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال افعلوا ماشئتم فقد غفرت لكم فانه لم يقل قد أبحت لكم وانما قال فقد غفرت لكم يعني ذلك

دائرة العبد في المعارف كلما طولب بتحمل الأذى من جميع العالم على اختلاف طبقاتهم وانه كلما علت درجة العبد كلما كثر عصيان اتباعه له لكثرة تخلقه بالحلم والرحمة وكانوا قبل ذلك سامعين مطيعين له لضيقه ولو أنهم عصوه أيام ضيق حاله لنفر ولم يصبر وتفسخ عزمه عن تربيتهم هذا مع أن أسباب المخالفات في زيادات لا تنفك حتى تقوم الساعة وكلما كثرت اتسعت دائرة الحلم والعارف متخلق باخلاق الحق في ذلك ويؤيد هذا الذي قررناه ان الحق تعالى حبس تسعة وتسعين جزأ من الرحمة عن أهل الدنيا ثم ينشر جميع أجزاء الرحمة في الآخرة فنحن كل قليل نقرب من نشر هذه الاجزاء علينا وما قارب الشيء أعطي حكمه فافهم والله أعلم * وقال في الباب السابع ومائتين اعلم أن معاصي الخواص ليست كمعاصي غيرهم حتى يقعوا في المعاصي بحكم الشهوة الطبيعية وانما تكون معاصي الخواص بالطاف التأويل وايضاح ذلك أن الحق تعالى اذا أراد ايقاع المخالفة من العارف بالله زين له الوقوع في ذلك العمل بتأويل لان معرفة العارف تمنعه من الوقوع في المخالفة دون تأويل يشهد فيه وجه الحق فان العارف لا يقع في انتهاك الحرمة أبدا ثم اذا وقع في ذلك المقدور بالتزيين والتأويل يظهر تعالى له فساد ذلك التأويل الذي أداه الى ذلك الفعل كما وقع لآدم عليه السلام فانه عصى بالتأويل فعند ذلك يحكم العارف.

الذنب فابقاه على تحريمه والمغفرة لا ترد الا على ذنب فافهم * وقد سئل أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه عن قوم يقولون باسقاط التكاليف ويزعمون ان التكاليف انما كانت وسيلة الى الوصول وقد وصلنا فقال رضي الله تعالى عنه صدقوا في الوصول ولكن الى سقر والذي يسرق ويزني خير ممن يعتقد ذلك ولو أني بقيت ألف عام ما نقصت من أوراد شيأ الا بعذر شرعي انتهى * وقال في الباب الثامن والسبعين ومائتين أول درجات خطاب الروح بالتكليف من حين التمييز الى حين يبلغ الحلم قال وقد اعتبر الحق تعالى فعل الصبي في غير زمان تكليفه فلو قتل أحدا لم يقم عليه حد وانما يحبس الى ان يبلغ ويقتل بما قتل في صباه الا ان يعفو ولي الدم فقد آخذه بما لم يفعله في زمان تكليفه وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان من حكم انفاذ الوعيد من حيث لا يشعر به الا الخواص وجود التكليف وهو أول العذاب فان به يقوم الخوف بنفس المكلف فقد عذب عذابا حسيا. ولما هو عليه بما جرى منه في الزمان الذي لم يكن فيه مكلفا من الافعال التي تطرأ بين الصبيان من الاذى والشتم والضرب على طريق التعدي وكل خير يفعله الصبي يكتب له حتى الحج ولوليه الذي حج به أجر المعونة التي لا يقدر الصبي على فعلها انتهى وقد سبق في مبحث اسمه تعالى المريد نفائس تتعلق بتكليف الصبي وانفاذ الوعيد في حق البريء فراجعه * وقال الشيخ في الكلام على صلاة التطوع من الفتوحات الذي أقول به ان من غلب عليه حال أو كان مجنونا أو صبيا فهو عمت خطاب الشارع خلافا لبعضهم وذلك لانه ما ثم حال ولا صفة في مكلف يخرج عن حكم الشرع بالكلية فان الشارع قد أباح للصبي والمجنون التصرف فيما حظر على غيرهما ولا حرج عليهما فكيف يقال زال عنهما حكم الشرع وهما قد حكم لهما بالاباحة وهي حكم شرعي فعلى هذا انما خرج عن حكم الشرع وأحكام الشرع مبنية على الاحوال لا على الاعيان انتهى (فان قلت) فما حكم البهاليل والمجاذيب (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والعشرين ومائتين ان كل من سلب عقله كالبهاليل والمجانين والمجاذيب لا يطالب بأدب من الآداب بخلاف ثابت العقل فانه يجب عليه معانقة الادب والفرق ان من سلب عقله من هؤلاء حكمه عند الله حكم من مات في حالة شهود ونعت استقامة لان ذهاب عقله انما هو من أمر طرأ عليه من قبل الحق تعالى وضعف عن حمله فذهب عقله مع الذاهبين وصار حكمه حكم الحيوان ينال جميع ما يطلبه حكم الحيوان ينال جميع ما يطلبه حكم طبيعته من أكل وشرب ونكاح وكلام من غير مؤاخذة ولا مطالبة بذلك عند الله تعالى مع وجود الكشف وبقائه عليه كما يكشف الحيوان أحوال الموتى على النعش وفي القبر انتهى (فان قلت) فلم سمي المجذوب مجذوبا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر ومائتين من الفتوحات انه انما سمي مجذوبا بالجذب الحق تعالى له وأخذه باعطافه ولولا انه كان متعشقا بحاله مستحسنا له ما جذبه الحق تعالى فكان سبب هذا الكشف تعشق أحواله الطبيعية ولولا الجذب العنيف ما ترك ما كان فيه من اللذة لكن من رحمة الله تعالى انه نقله الى ما هو أحلى وألذ فان أحوال المجاذيب في لذاتهم لا يعادلها لذة لكونها لذة معنوية في غير مادة محسوسة فلا تشبه حلاوة العسل ولا حلاوة الجماع بل هي أعلى وأجل (فان قلت) هل تدوم تلك اللذة مع المجذوب الى موته أم تزول (فالجواب) تدوم اللذة معه زمانا ثم يفقدها قال الشيخ محيي الدين وكل جذب لا يمنح صاحبه علما لم يكن عنده قبل الجذب فليس هو بجذب ولا تلك الحلاوة حلاوة فتح (فان قلت) فما الفرق بين المجاذيب والمجانين (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين ان الفرق بينهما هو ان المجانين سبب جنونهم فساد المزاج عن أمر كوني من غذاء أو جوع أو فزع ونحو ذلك وأما المجاذيب فسبب ذهاب عقولهم التجلي الالهي الذي جاءهم على بغتة فذهب بعقولهم فعقولهم محبوسة عند الحق تعالى منعمة بشهوده عاكفة في حضرته منزهة في جماله فهم أصحاب عقول بلا عقول وسمي هؤلاء عقلاء المجانين أي المستورين عن تدبير عقولهم قال والمجاذيب على ثلاثة أقسام (الاول) من يكون وارده من القوة التي يكون في نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون تحكمه بصرفه الحال ولا تدبير له في نفسه وكان أبو عقال المغربي من أهل هذا المقام (الثاني) من يمسك عليه عقله في حضرة الله تعالى ويبقى عليه عقل حواسه فيأكل ويشرب ويتصرفون

على نفسه بالعصيان كما حكم عليه بذلك لسان الشرع فهو وان كان قبل الوقوع غير عاص لاجل شبهة التاويل كما ان المجتهد في زمان فتواه بامر ما اعتقادا ان ذلك عين الحكم المشروع في المسئلة لا يوصف بخطا ثم في ثاني الحال اذا ظهر له بالدليل انه أخطا حكم عليه لسان الظاهر انه أخطا في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك فعلم انه لا يمكن لعبد ان يعصي ربه على الكشف من غير تاويل أو تزيين أو غفلة أو نسيان أبدا قال وأما قول أبي يزيد لما قيل له أيعصي العارف الذي هو من أهل الكشف فقال نعم وكان أمر الله قدرا مقدورا فلا ينافي ذلك أي لان من أدب العارفين مع ربهم ان لا يحكموا عليه بتقييد كانه يقول ان كان الحق تعالى قدر عليهم في سابق علمه بشيء فلا بد من وقوعه واذا وقع فلا بد لهم من حجاب أدناه التاويل والتزيين فاعلم ذلك *وقال في الباب الثامن ومائتين من مكر الله الخفي بابليس اشتغاله بالعارفين ليوقعهم في المخالفات وهو تعالى قد حفظهم من مطاوعته في ذلك فهو يعمل دائما في غير معمل فكلما وسوس لولي في شيء خالفه ذلك الولي فيرقى بتلك المخالفة من حيث لا يشعر ابليس فهو لعنه الله ساع في تنقيصهم ليلا ونهارا وذلك عين رفع درجاتهم ولو أنه شعر بذلك لرجع عنهم فافهم *وقال في الباب التاسع وماتتين انما أحال الحق تعالى موسى على الجبل حين سأل رؤية ربه لان من صفات الجبل الثبوت أي فان ثبت الجبل اذا

فهو

غير تدبير ولاروية ويتناول العيش الطبيعي كسائر الحيوانات (الثالث) من لم يدم له حكم ذلك الوارد بل زال عنه الحال ورجع الى نفسه بعقله فهو يدبر أمره ويعقل مايقول ويقال له ويتصرف عن روية وتدبير مثل كل انسان وذلك هو الكامل من الاولياء وأطال في ذلك ثم قال واعلم أن أكبر من جذبه الحق تعالى الى حضرته الرسل عليهم الصلاة والسلام ولولا أن الحق تعالى كلفهم بتبليغ الرسالة وسياسة الامة لذهب بعقولهم اعظيم ماشاهدوه من جلال الله وعظمته فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه الوحي ونزل به الروح الامين على قلبه يؤخذ عن حسه ويسجى بثوبه ويرغو كما يرغو البعير حتى ينفصل عنه وقد وعى ماجاء به الملك فيلقيه على الحاضرين ويبلغه للسامعين ومعلوم أن مواجيده صلى الله عليه وسلم التي كانت تطارقه من تجليات ربه على قلبه أعظم سطوة بيقين من نزول ملك أو وارد في الوقت الذي لم يكن يسعه فيه غير ربه فلذلك كان يؤخذ عن نفسه مع كونه كان مستعدا لذلك الهول فعلم أنه لولا أن الرسل مطالبون بهداية الخلق وجهادهم ماردالله عليهم عقولهم فلذلك اعطاهم التمكين ليقوموا بما كلفوا به بخلاف المجاذيب فان هنالك من يقوم بهداية الخلق غيرهم من العارفين في كل عصر فافهم * واعلم أيضا أنه مامن وارد يرد على قلب أحد من الخواص وقد غلط في ذلك بعض أهل الطريق حين تكلموا على الفرق بين الولي والنبي وقالوا النبي يصرف الاحوال عنه والولي تصرفه الاحوال فجعلوا الانبياء مالكين أحوالهم والاولياء مملوكين تحت أحوالهم والحق ماذكرناه من أن الرسل يؤخذون عن احساسهم عند واردات الحق تعالى بخلاف الولي صاحب الحال فقد يمكث دهره كله لايحس بجوع ولا عطش ولاحر ولابرد بل ربما ذهب عمره كله كلمحة بارق * واعلم أن سائر أيام جذب المجذوب تكون بحسب الحالة التي جذبه الحق تعالى عليها فان جذبه في حال قبض فعمره كله قبض وان جذبه في حال بسط فعمره كله بسط وضحك أو تبسم وان جذبه في حال كلام دنيوي فكذلك أو أخروي فكذلك حتى اني رأيت بعض القضاة جذب فكنت لاأزال أراه يقول لاحقا ولا استحقاقا ولادعوى ولاطلبا الى آخره ورأيت بعض النحاة جذب فكنت لاأزال أراه يقول باب النعت النعت تابع للمنعوت في نصبه وخفضه الى آخره فتأمل في هذا المبحث فانك لاتجده مجموعا في كتاب والله يتولى هداك

(المبحث السابع والعشرون في بيان أن أفعال الحق تعالى كلها عين الحكمة ولايقال انها بالحكمة)

لئلا تكون الحكمة موجبة له فيكون محكوما عليه تعالى وهو لايصح أن يكون محكوما عليه لانه تعالى أحكم الحاكمين فعلم انه لاينبغي أن يعلل أفعال الحق بالحكمة وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والستين وثلثمائة في قوله تعالى وماخلقنا السموات والارض ومابينهما الابالحق الباء في قوله بالحق بمعنى اللام أي للحق قال وهي عين اللام في قوله تعالى وماخلقت الجن والانس الاليعبدون فان الله تعالى لايخلق شيأ بشيء في الغالب وانما يخلق شيأ عند شيء وعلم أيضا أنه تعالى اذا أخبر أنه خلق شيأ بشيء فتلك اللام لام الحكمة فعين خلقه عين الحكمة اذ خلقه تعالى لايعلل بالحكمة فيكون معلولا لها انتهى وعلم أيضا أنه تعالى ان أنعم فنعم فذلك فضله وان أبلى فعذب فذلك عدله وقد أخرج تعالى العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين وقال هؤلاء للجنة ولاأبالي وهؤلاء للنار ولاأبالي ولم يعترض عليه معترض هنالك اذلا موجود كان ثم سواه (فان قيل) فمامعنى قوله تعالى في الحديث القدسي ولاأبالي (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين وثلثمائة ان معناه رحمتي سبقت غضبي في حق أهل الجنة وحقت كلمتي لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ويصح ان يكون سبق الرحمة أيضا في حق المشركين من حيث رحمة الايجاد من العدم اذهي سابقة على ظهور الغضب الواقع عليهم بعصيانهم أيام التكليف فلذلك كان تعالى لايبالي بالغير يقين واعلم أن الاسم الرب مع أهل الجنة لانها دار أنس وجمال وتنزل الهي لطيف والاسم الجبار مع أهل النار لانها دار جلال وجبروت وقهر فلا يزال هذان الاسمان مع أهل الدارين أبد الآبدين ودهر الداهرين (فان قلت) فهل يتجلى الحق لاهل النار بالجلال

العظام وايضاح ذلك ان الجبل ليس هو أكرم على الله تعالى من موسى وانما هو لكون خلق الارض التي الجبل منها أكبر من خلق موسى الذي هو من الناس كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس أي فاذا كان الجبل الذي هو الاقوى صار دكا عند التجلي فكيف يكون موسى من حيث جبليته الصغيرة يثبت لرؤيتي وأطال في ذلك * وقال في الباب العاشر ومائتين من أراد أن يعرف بغض الحق أو محبته له فلينظر الى حاله الذي هو عليه من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والائمة المهتدين بعده فان وجد نفسه على هديهم واخلاقهم من الزهد والورع وقيام الليل على الدوام وفعل جميع المأمورات الشرعية وترك جميع المنهيات كذلك حتى صار يفرح بالبلايا والمحن وضيق العيش وينشرح لتحويل الدنيا ومناصبها وشهواتها عنه فليعلم أن الله تعالى يحبه والافليحكم بان الله يبغضه والانسان على نفسه بصيرة * وقال في الباب الحادي عشر ومائتين في قوله تعالى لاتدركه الابصار يحتمل ذلك وجهين أحدهما انه نفي ان تدركه الابصار على طريق التنبيه على الحقائق أي على معنى ان المدرك له تعالى ليس

الصرف أم بالجلال الممزوج كما في دار الدنيا (فالجواب) لا يتجلى الحق تعالى لاهل النار الا بالجلال الصرف لفقد الرحمة لهم بخلاف الدنيا فانه يتجلى بجلال ممزوج بجمال وذلك حتى يطيقه الخلائق (فان قلت) فاذن ليس المراد بعدم المبالاة باهل النار ما يتبادر الى الافهام من عدم التهمم بامرهم (فالجواب) وهو كذلك خلاف ما فهمه من لا معرفة له بالحقائق لانه لولا المبالاة بامرهم ما آخذهم بالجرائم ولا وصف تعالى نفسه بالغضب السرمدي عليهم ولا كان بطشه الشديد حل بهم ولا كانت رحمته محرمة عليهم وهذا كله من المبالاة بهم والتهمم بامرهم ولولا المبالاة ما كان هذا الحكم فللامور والاحكام مواطن اذا عرفها أهلها لم يتعدوا بكل حكم موطنه (فان قلت) فاذا كانت رحمته سبقت غضبه فما معنى قول الامام أبي القاسم بن قسي لا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله (فالجواب) ان معناه ان كلا من النعتين ليس محلا لحكم الآخر كما تعطيه الحقائق ولكن قد علمنا من الله تعالى انه يتفضل بالمغفرة على طائفة من عباده قد عملوا الشرور ولا يقيم عليهم ميزان العدل ولا يؤاخذهم بالعدل وانما يحكم فيهم بفضله ولا يقال في هذا انه حكم فضله في عدله اذ محل حكم الصفة انما هو في المفضول عليه أو المعدول عنه فعلى هذا يجب تأويل كلام ابن قسي فانه هو اللائق بمقامه فانه كان من الراسخين والله تعالى اعلم

(المبحث الثامن والعشرون في بيان انه لا رازق الا الله تعالى)

خلافا للمعتزلة في قولهم من حصل له الرزق بتعب فهو الرازق نفسه ومن حصل له بغير تعب فالله هو الرازق له واحتجوا بحديث فكم ممن لا مطعم له ولا مؤوى وليس في ذلك دليل لهم لان المراد به انما هو عدم تسهيل الرزق لا منع الرزق مطلقا من باب يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه قال أهل السنة ورزق العبد هو ما ينتفع به في التغذي وغيره ولو كان حراما بغصب أو سرقة أو نحوهما وقالت المعتزلة ليس الحرام برزق حملا للرزق على الملك والجواب لا وجه للحمل عليه لان من الدواب ما لا يملك والله تعالى رازقها وعندهم أن العبد يقدر أن يأكل رزق غيره وعندهم أيضا أنه لا يكون رزق الله تعالى الا حلالا لاستناده الى الله تعالى في الجملة وما أسند اليه من حيث انتفاع عباده به يصح أن يكون حراما يعاقبون عليه وقال أهل السنة لا قبح بالنسبة اليه تعالى فانه تعالى فعال لما يريد وعقابهم على الحرام لسوء مباشرتهم أسبابه * قال أهل السنة ويلزم المعتزلة ان المتغذي بالحرام فقط طول عمره لم يرزقه الله تعالى أصلا وهو مخالف لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ولا يترك تعالى قط ما أخبرنا أنه عليه وان كان لا يجب عليه شئ لاطلاق حضرته وما أوجب الله تعالى على نفسه أشياء وحرم أشياء في نحو حديث انى حرمت الظلم على نفسي الا تأنيسا للعباد وتنزلا لعقولهم ليتخلقوا باخلاقه تعالى والا فالحق ان جميع ما أنعم به على عباده فضل منه ورحمة ولا يدخل تحت حد الواجب على عباده ومعنى قول المعتزلة السابق في الرزق لاستناده الى الله تعالى في الجملة أي لان الله تعالى هو خالق القدرة للعبد على تحصيل رزقه وفاقا منا ومن المعتزلة وهو بهذا الاعتبار مستند الى الله تعالى عندهم ذكره الشيخ كمال الدين بن أبي شريف وقال بعضهم الذي يظهر لي ان خطأ الفرق الاسلامية كله خطأ اضافي لا مطلق ويحتمل أن يكون أكابر المعتزلة ما نفوا اضافة رزق الحرام الى الله تعالى الا من باب ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ومن باب أنه لا يقال سبحان خالق الخنازير وان كان تعالى خالقها فالمعتزلة يعتقدون ان الله تعالى خالق رزق العبد كله بل اليهود والنصارى والمجوس يعتقدون ذلك فضلا عن مسلم موحد كالزمخشري وفي الحديث والخير كله في يديك والشر ليس اليك أي لا يضاف اليك على وجه التشريف و يضاف اليك بحكم الخلق والقسمة وعليه يحمل حديث اللهم اغنني بحلالك عن حرامك قال وكثيرا ما ينصب العلماء الخلاف بينهم بلازم المذهب لا سيما المقلدون ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح فعلم أن المعتزلة ان أرادوا بقولهم الحرام ليس برزق الله الادب اللفظي فلا بأس به وان أرادوا غير ذلك فهم مخطئون باجماع اهـ وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها اعلم أن الحق تعالى يوصل لكل مخلوق

هو الابصار وانما يدركه المبصرون بالابصار * والوجه الثاني لا تدركه الابصار المقيدة بالجارحة لضعفها عن مقابلة النور الالهي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نوراني أراه لمن سأله هل رأيت ربك يعني بالبصر المقيد بالجارحة فعلم ان الابصار اذا لم تتقيد بالجارحة أدركته تعالى بنوره الذي وقع فيه التشبيه بالمصباح لا بنورها المقيد الذي يقبل التشبيه وأطال في ذلك * وقال في الباب الثالث عشر ومائتين ماذكر الله تعالى قط أحد عن غفلة بجوارحه كلها لان اللسان الذي هو المترجم قد ذكر وانما الغفلة عن شعور الذاكر بانه ذاكر فالذاكر باللسان أجر ذكر اللسان فهو أفضل من ترك الذكر جملة * وقال في الباب السادس عشر ومائتين من ارتفع حجابه رأى من ورائه كما يرى من امامه بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقد ذقنا هذا المقام ولله الحمد * وقال في الباب التاسع عشر ومائتين في قوله تعالى أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون انما قال سبحانه وتعالى أأنتم تخلقونه ولم يقل أأنتم تخلقون منه أو فيه لانه تعالى أراد عين ايجاده منيا خاصة والاسم المصور هو الذي يتولى فتح الصورة فيه أية صورة شاء من الجنس أو غيره وهو قوله تعالى في أي صورة ما شاء ركبك يعني شاء الاسم المصور * وقال في الباب الخامس والعشرين ومائتين في قول الله عز وجل حكاية عن ابراهيم عليه السلام رب أرني كيف تحيي الموتى

رزقه الذي قسمه له وليس ذلك من اهانته عليه ولا كرامته فانه تعالى يرزق البر والفاجر والمكلف وغير المكلف ولكن من اعتنائه بالعبد أن يرزقه حلالا لا شبهة فيه ويستخرجه له من بين الحرام والشبهات كما يستخرج اللبن من بين فرث ودم قال تعالى بقيت الله خير لكم وهي ما أحل للخلق تناوله من جميع الاشياء التي تقوم بهم على طاعة ربهم قال وليس رزق العبد الا ما تقوم به نشأته وتدوم به قوته وحياته لا ما جمعه وادخره فقد يكون ذلك لغيره وحسابه على جامعه اهـ وقال أيضا في الباب الثامن والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى اعلم ان رزق ربك هو ما أعطاك مما أنت عليه في وقتك وما لم يعطك فان كان لك فلا بد من وصوله اليك وما ليس لك فلا يصل اليك قط فلا تتعب نفسك في غير مطمع ومرادنا بقولنا ان كان لك انك تأخذه على الحد المشروع فان ما أخذ من حرام لا ينبغي اضافته الى الله تعالى أدبا وانما يضاف الى الطبع كما أضاف الخليل عليه الصلاة والسلام المرض الى نفسه حيث كان مكروها والشفاء الى الله تعالى حيث كان محبوبا وكما قال أيوب عليه الصلاة والسلام رب اني مسني الضر اهـ * وقال أيضا في الباب الثامن والتسعين ومائة حيثما أضيف الرزق الى الله تعالى فالمراد به الحلال الطيب من حيث الكسب وكل ما كان به حياة العبد فهو رزق الله تعالى وليس فيه تحجير ومن هنا أبيح الحرام للمضطر لكن لا ينبغي اضافة الحرام الى الله تعالى أدبا وما ورد في حديث أغنني بحلالك عن حرامك السابق فانما هو بيان للجواز

(خاتمة) في بيان أن الاكتساب لا ينافي التوكل ولا ينبغي نصب خلاف في أن السعي أفضل من التوكل على هذا الان الحق تعالى جعل الرزق على حالين فما سبق في علم الله أنه يأتيك محمولا بلا سعي لا يقال فيه ان السعي أفضل وما سبق في علم الله انه لا يأتيك الا بالسعي في تحصيله لا يقال فيه ترك السعي أفضل فان الرزق في طلب صاحبه دائر والمرزوق في طلب رزقه سائر وبسكون أحدهما يتحرك الآخر ولكن هذا الحال يحتاج الى كشف ومن لا كشف عنده فهو مخير بين السعي وعدمه وغالب الخلق يقولون كل شيء رأيناه يحتمل أن يكون قسم لنا فتراهم يتجاذبونه وكل من غلب صاحبه تبين أنه له كالزقاق الذي يدخله الجاهل فان رآه ينفذ خرج منه وان رآه مسدودا رجع ثم ما قررناه أولا هو على مذهب المحققين من الصوفية وأما على مذهب المتكلمين فرجح قوم التوكل مطلقا وآخرون الاكتساب مطلقا قال ابن السبكي والمختار ان ذلك يختلف باختلاف الناس فمن كان في توكله خاليا عن التسخط اذا ضاق رزقه ولا تتطلع نفسه الى ما في أيدي الناس فالتوكل في حقه أرجح لما فيه من الصبر والمجاهدة للنفس ومن كان في توكله على خلاف ما ذكرنا فالاكتساب في حقه أرجح من التسخط والتطلع وقد سئل الحسن البصري رضي الله تعالى عنه عن شخص يريد أن يجلس في بيته تاركا للحرفة ولا يخرج ويقول أنا متوكل على الله تعالى فقال ان كان له يقين كيقين ابراهيم عليه الصلاة والسلام فليفعل والا فليخرج الى الحرفة لئلا يصير يأكل بدينه وزهده ويصطادبهما الدنيا اهـ * وقال الشيخ محيي الدين في باب الجنائز من الفتوحات اعلم ان اضطراب قلب المؤمن في أمر رزقه لا يقدح في أصل ايمانه وانما يقدح في كماله فقط وذلك لان هذا الاضطراب ما هو عن تهمة في حق الله تعالى في ان الله لا يرزقه وانما هو اضطراب البشرية لعدم الصبر والاحساس بألم الفقد فان العبد يعلم بالايمان ان الله يرزقه ولا بد من حيث كونه حيوانا ولكن لم يعلمه الحق تعالى متى يرزقه انما أعلمه أنه لا يموت حتى يستكمل رزقه فما يدري عند فقد السبب الجالب للرزق هل فرغ وجاء أجله فيكون فزعه من الموت أم رزقه لم يفرغ في علم الله فيكون اضطرابه لجهله بوقت حصول الرزق بانقطاع السبب فيخاف من ألم الجزع المتوقع أو من دوامه ان كان وقع فهذا سبب الاضطراب اهـ وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول قد يدعي بعض الناس التوكل ويسعى كل السعي وان لامه أحد على ذلك يقول سعيي لاجل العيال لا لاجل نفسي فمثل هذا يجب عليه أن يمتحن نفسه بان يفرق جميع ما يكتسبه على العيال أولا فأولا ولا يدخر لنفسه منه شيأ وينظر فان وجد في نفسه رائحة اضطراب فليعلم انه غير متوكل على الله وانما هو مدع كذاب فان القوم ما سعوا في الرزق الا امتثالا لامر الله تعالى حتى لا تتعطل الاسباب فهمتهم امتثال الامر لا الاعتماد على الاسباب اهـ

قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي أي بل آمنت ولكن لوجود الاحياء (١٣٩) وجوه كثيرة كما كان وجود الخلق فمن الخلق من أوجدته يا رب عن كن ومنهم من أوجدته بيدك ومنهم من أوجدته بيديك ومنهم من أوجدته ابتداء ومنهم من أوجدته عن خلق آخر فطلبت العلم بكيفية الامر فان كان واحدا فأي واحد من هذه الامور والانواع فاذا أعلمتني به اطمأن قلبي وسكن بحصول ذلك الوجه والزيادة من العلم مما أمرتنا به فأحال سبحانه وتعالى ابراهيم على الكيفية بالطيور الاربعة التي هي مثال الطبائع الاربعة اخبارا بان وجود الآخرة طبيعي يعني فتحشر الاجسام الطبيعية اذ كان ثم من يقول لا تحشر الاجسام وانما الحشر حشر النفوس بالموت الى النفس الكلية مجردة عن الهيا كل الطبيعية فأخبر الله تعالى ابراهيم أن الامر ليس هو كما زعم هؤلاء فأحاله على أمر موجود عنده تصرف فيه اعلاما بان الطبائع لو لم تكن معلومة مشهودة متميزة عند الله لم تتميز فما أوجد العالم الطبيعي الا من شيء معلوم عنده مشهود له نافذ التصرف فيه فجمع بعضها الى بعض فظهر الجسم على هذا الشكل الخاص وبان لابراهيم باحالته على الاطيار الاربعة وجود الامر الذي فعله الحق تعالى في ايجاد الاجسام الطبيعية والعنصرية فأجسام أهل السعادة طبيعية وأجسام أهل النار عنصرية ولذلك لا تفتح لهم

أبواب السماء اذا فتحت لعروج اعن العناصر بالترقي فافهم هداك الله تعالى * وقال في الباب الحادي والثلاثين ومائتين من

والله تعالى أعلم *(انتهت مباحث الالوهية وتوابعها)* فلنشرع في مباحث النبوة والرسالة فنقول وبالله التوفيق

(المبحث التاسع والعشرون في بيان معجزات الرسل والفرق بينها وبين السحر ونحوه كالشعبذة والكهانة وبيان استحالة المعجزة على يد الكاذب كالمسيح الدجال وذكر نقول المتكلمين من الصوفية وغيرهم وتحرير مسئلة ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي)

اعلم ان الحق تعالى ما أرسل الرسل الا ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم وذلك انه ما بعث رسولا الا في زمن حيرة وتردد بين التنزيه والتشبيه بعد ولهم فمن الله تعالى عليهم بان أقام الحق تعالى لهم شخصا ذكر انه جاء اليهم من عند الله تعالى برسالة تزيل بها حيرتهم فنظروا بالقوة المفكرة فرأوا ان الامر جائز ممكن فلم يعزموا على تكذيبه ولا رأوا علامة تدل على صدقه فوقفوا وسألوه هل جئت بعلامة من الله تعالى يعرف بها صدقك في رسالتك فانه لا فرق بيننا وبينك الا بذلك فجاءهم بالمعجزة فمن الناس من آمن ومنهم من كفر * فعلم ان كل نبي لم يظهر له شيء من الآيات الا بقدر اقامة الحجة على قومه لا غير فان جميع الآيات انما وقعت على يدي الرسول من كونه رسولا رفقا بالمؤمنين من أمته وحجة على الكافر ألا ترى الى قصة الاسراء لما خرج الى الناس صباح تلك الليلة وذكر لاصحابه ما جرى له في اسرائه وما وقع له مع ربه كيف أنكر عليه بعض الناس لكونهم ما رأوا ذلك أترى في الظاهر انما زادهم حكما في التكليف وانظر الى موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء من عند ربه كساه الله نورا على وجهه يعرف به صدق ما ادعاه فما رآه أحد الا عمي فكان يمسح وجهه الرائي له بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره من شدة نوره ولذلك كان يتبرقع حتى لا يتأذى الناظرون اليه اذا رأوه وقال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة وكان شيخنا أبو يعزى المغربي موسوي المقام وكان له هذه الكرامة فكان لا يراه أحد الا عمي وممن رأى وجهه فعمي شيخنا أبو مدين لما رحل اليه فمسح أبو مدين عينيه بثوب أبي يعزى فرد الله عليه بصره قال الشيخ محيي الدين وكان أبو يعزى هذا في زماني ولكن لم أجتمع به لما كنت عليه من الشغل وكان غيره من الاولياء المحمديين ممن هو أكبر منه في الحال والعلم والقرب الالهي لا يعرفه أبو يعزى ولا غيره قال الشيخ من جعل الله كرامته في قلبه فقد ملأ يديه من الخير وكان ممن اصطنعهم الحق تعالى لنفسه فلم تعرفه الابصار في الدنيا ومن جعل الله كرامته في الآفاق وخرق العوائد اشتهر ضرورة بين الناس وخيف عليه الفتنة اه * فقد بان لك أن الله تعالى ما أيد جميع رسله بالمعجزات الباهرات الا تأسيسا لانقياد قومهم لهم اذ من شأن البشر أن لا ينقاد بعضه لبعض الا بظهور برهان وقد حد جمهور الاصوليين المعجزة بانها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة من المرسل اليهم بان لا يظهر بينهم ذلك الخارق كما سيأتي بيانه في المبحث بعده والمراد بالتحدي هو الدعوى للرسالة وفيما قلناه تنبيه على انه ليس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الاتيان بالمثل الذي هو المعنى الحقيقي للتحدي وانما المراد انه يكفي دعواه الرسالة فكل من قيل له ان كنت رسولا فائتنا بمعجزة فاظهر الله تعالى على يديه معجزا كان ظهور ذلك دليلا على صدقه نازلا بمنزلة التصريح بالتحدي قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف وأصل التحدي أنه تفعل من الحداء أي تكلف الحداء على وجه يباري فيها الحادي شخصا آخر اه * وخرج بقولنا مقرون بالتحدي الخارق المتقدم على التحدي وذلك يتناول ما وجد من النبي قبل النبوة وهو المسمى عند علماء أصول الدين ارهاصا أي تأسيسا للنبوة من أرهصت الحائط اذا أسسته وخرج بالخارق للعادة غير الخارق كطلوع الشمس كل يوم وكذلك خرج أيضا الخارق من غير تحد ككرامات الاولياء وخرج أيضا المتأخر عنه بما يخرجه عن المقارنة العرفية وخرج أيضا السحر والشعبذة من المرسل اليهم اذ لا معارضة بذلك فعلم ان مرادهم بالخارق للعادة أن يظهر على خلافها كاحياء ميت واعدام جبل وانفجار ماء من بين الاصابع ونحو ذلك (فان قلت) فما القول فيما يظهر على يد المسيح الدجال من دعواه الالوهية

أعظم المكر بالعبد أن يرزق العلم الذي يطلب العمل ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الاخلاص فيه فاذا رأيت يا أخي هذا من نفسك أو علمته من غيرك فاعلم أن المتصف به ممكور به * وقال في الباب الرابع والثلاثين ومائتين من النكت الجليلة التي ينبغي التنبيه عليها ان تعلم يا أخي ان المؤمن لا يأتي قط معصية توعد الله عليها بالعقوبة الا ويجد في نفسه عند الفراغ منها الندم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقد قام به الندم فهو تائب فاذا قبله الحق سقطت عنه العقوبة فانه لا بد للمؤمن أن يكره المخالفة ولا يرضى بها في حال عمله لها فهو من كونه كارها لها مؤمنا بانها معصية ونادما عليها ذو عمل صالح وهو من كونه فاعلا لها ذو عمل سيئ فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله واجبة الوقوع فلابد له من التوبة وحاصل الامر أنه ذو عمل صالح من ثلاثة وجوه وذو عمل سيئ من وجه واحد كما مر * وقال في قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره لم يتعرض سبحانه في هذه الآية للمؤاخذة به ولكن لا بد من رؤيته لكل ما عمله فان كان ممن غفر له فانه يرى عظيم ما جنى وعظيم نعمة الله عليه بالمغفرة والكريم

واحياه

واحياء الموتى وامطار السماء ونحو ذلك وجعله ذلك دليلا على صدقه في دعواه الالوهية في غاية الاشكال وهو من أكبر القوادح فيما قرره أهل الاصول في العلم بالنبوات من استحالة المعجزة على يد الكاذب وذلك لانه يبطل بهذه الفتنة كل دليل قرروه وأي فتنة أعظم من فتنة تقدح في الدليل الذي أوجب السعادة للعباد (فالجواب) جميع ما يقع على يد الدجال ليس هو بأمور حقيقية وانما هي أمور متخيلة يفتن بها ضعفاء العقول بخلاف ما يقع على يد الانبياء فانها أمور حقيقية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ تشريعا لامته من فتنة المسيح الدجال فان الدجل هو التمويه باظهار الباطل في صورة حق وما كل أحد يخرق بصره حتى يدرك الامور المموهة ويميزها عن غيرها انما ذلك للانبياء وكمل ورثتهم فان العقول السليمة اذا شاهدت المعجزات لم يبق عندها شك في ان ما جاء به ذلك الرسول حق من عند ربه عز وجل وأما العقول الضعيفة فلم تستجب لذلك الرسول ولم تؤمن به ولهذا قال الشيخ محيي الدين في لواقح الانوار نحن لا نشترط المعجزة عليه عليه الصلاة والسلام لانها ما خرجت عن كونها ممكنة والقدرة لا تتعلق الا بايجاد الممكنات واذا أتى الرسول بالممكن فانما يكون المعجز في ذلك عدم الاتيان ممن أرسل اليهم بمثل ذلك الذي تحدى به الرسول مع كون ذلك ممكنا ووقوعه في نفس الامر ثم اذا نظرنا الى الذين انساقوا بالمعجزة الى الايمان فرأينا ذلك انما كان لاستقرار الايمان عندهم فتوقفت استجابتهم على المعجزة لضعف ايمانهم وأما غيرهم فما احتاج الى ظهور ذلك بل آمن بأول وهلة بما جاء به رسوله لقوة نصيبه من الايمان فاستجاب بأيسر سبب وأما من ليس له نصيب في الايمان فلم يستجب بالمعجزات ولا بغيرها قال تعالى ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء انتهى وقد نظم بعض اليهود بالشام أبياتا وأرسلها للشيخ صدر الدين القونوي وطلب الجواب عنها فاجابه الشيخ رحمه الله وهي

أيا علماء الدين ذمي دينكم * تحير دلوه بأوضح حجة
اذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم * ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
دعاني وسد الباب دوني فهل الى الدخول سبيل بينوا لي قضيتي
قضى بضلالي ثم قال ارض بالقضا * فها أنا راض بالذي فيه شقوتي
فان كنت بالمقضي يا قوم راضيا * فربي لا يرضى بشؤم بليتي
وهل لي رضا بما ليس يرضاه سيدي * وقد حرت دلوني على كشف حيرتي
اذا شاء ربي الكفر مني مشيئة * فها أنا راض باتباع المشيئة
وهل لي اختيار أن أخالف حكمه * فبالله فاشفوا بالبراهين غلتي

فأجابه الشيخ رحمه الله بقوله

صدقت قضى الرب الحكيم بكل ما * يكون وما قد كان وفق المشيئة
وهذا اذا حققته متأملا * فليس يسد الباب من بعد دعوة
لان من المعلوم ان قضاءه * بأمر على تعليقه بشريطة
يجوز ولا يأباه عقل كاترى * حدوث أمور بعد أخرى تأدت
كالري بعد الشرب والشبع الذي * يكون عقيب الاكل في كل مرة
فليس ببدع أن يكون معلقا * قضاه اله الحق رب البرية
بكفرك مهما كنت بالكفر راضيا * تعاطي أسباب الهدى مع مكنة
فمن جملة الاسباب عما رفضته * مع الامن والايمان لفظا الشهادة
فانت كمن لا يأكل الدهر قائلا * أموت بجوعي اذ قضى لي بجوعة

انتهى فليتأمل الجواب ومن فتح الله عليه بجواب أوضح منه فليلحقه بهذا الموضع وقد تقدم في مبحث خلق الافعال ان هذه المسألة من أشكل الامور فراجعه والله أعلم * ورأيت في كتاب سراج العقول للشيخ

اذا توعد تجاوز وعفا والله أولى بهذه الصفة من الكرام من عبيده وأطال في ذلك والله أعلم * وقال في الباب الخامس والثلاثين ومائتين لايجوز لاحد التواجد الا باشارة شيخ مرشد عارف بامراض الباطن (قلت) قال في الباب السادس والثلاثين ومائتين من شرط أهل الله في السماع أن يكونوا على قلب رجل واحد وان لا يكون فيهم من ليس من جنسهم أو غير مؤمن بطريقهم لان حضور مثل هؤلاء يشوش * وقال في الباب السابع والاربعين ومائتين استغفار الانبياء لا يكون عن ذنب حقيقة كذنوبنا وانما هو عن أمور تدق عن عقولنا لانه لاذوق لنا في مقامهم فلا يجوز حمل ذنوبهم على ما نتعقله نحن من الذنب (قلت) ويصح حمل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر على نسبة الذنب اليه من حيث ان شريعته هي التي حكمت بانه ذنب فلولا أوحى به اليه ما كان ذنبا فجميع ذنوب أمته تضاف اليه والى شريعته بهذا التقدير وكذلك ذنب كل نبي ذكره الله وقد قالوا لم يعص آدم وانما عصى بنوه الذين كانوا في ظهره فما كان قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الا تطمينا له صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قد غفر جميع ذنوب أمته التي جاءت بها شريعته ولو بعد عقوبة باقامة الحدود عليهم في دار الدنيا كما وقع لماعز ومن الواجب على كل مؤمن انتحال الاجوبة الاكابر جهده فوق ذلك مما يحبه الله عز وجل ويحبه من أجبناء نهسم

أبي طاهر القزويني رحمهما الله ما نصه اعلم أن البرهان القاطع على ثبوت نبوة الانبياء هو المعجزات وهي فعل يخلقه الله خارقا للعادة على يد مدعى النبوة معترفا بدعواه وذلك الفعل يقوم مقام قول الله عز وجل له أنت رسولي تصديقا لما ادعاه مثاله قام الانسان في ملأ من الناس بحضرة ملك مطاع فقال يا معشر الحاضرين اني رسول هذا الملك وان آية صدقي أن الملك يقوم و يرفع التاج عن رأسه فيقوم الملك في الحال و يرفع التاج عن رأسه عقب دعوى هذا المدعى أليس ذلك الفعل منه يتنزل منزلة قوله صدقت أنت رسولي قال وانما راعى في ذلك ثلاثة أمور الفعل الخارق للعادة واقترانه بالدعوى وسلامته عن المعارضة اذ لو رفع التاج بقول غيره أو بعد ذلك بمدة لا يكون حجة لهذا المدعى فهذه الثلاثة بمجموعها برهان قاطع على دعوى المدعى للرسالة نازل منزلة التصديق بالقول وهو مثل حصول العلم لسائر الاشياء من شواهد المقال وقرائن الحال (فان قلت) اقتران المعجزة بدعواه لا ينهض دليلا على صدقه لان نفس الاقتران بالاضافة الى دعواه والى غيره دعواه من طريق الاقوال والافعال بمثابة واحدة (فالجواب) ان سبيل تعريف الله تعالى عباده صدق الرسل بالمعجزات كسبيل تعريفه تعالى الوهيته بالآيات الدالة عليها وذلك قد يكون مرة بالقول ومرة بالفعل فتصديقه بالقول كقوله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وتصديقه بالفعل كما علم آدم الاسماء كلها ثم قال للملائكة أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وعلم محمدا القرآن ثم قال فأتوا بسورة من مثله فكما عجزت الملائكة عن معارضة آدم عليه الصلاة والسلام كذلك عجزت العرب عن معارضة محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن فدلت الاسماء هنالك والقرآن هنا على صدق النبي الذي هو أول الانبياء وعلى صدق النبي الذي هو آخر الانبياء فعلى هذه الصفة صح أن المقترن بدعواه له تأثير وينهض دليلا بخلاف الاقتران بما لا معجزة للخلق عنه اه كلام الشيخ أبي طاهر رحمه الله * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول تعرف نبوة النبي بامور منها أن يدعو الى طاعة الله و ينهى عن معاصيه * ومنها أن لا يخالف ما يدعو الناس اليه و يعرف هو نبوة نفسه * ومنها أن يخلق الله له علما ضروريا فيعرف أنه رسول * ومنها أن يظهر الله له آيات وكرامات فيضطر الى العلم انه من عند الله وان البشر يعجزون عن مثله * ومنها أن يخبره الله بما في قلبه وصدره فيضطر النبي الى معرفة كلامه اذ الغيب لا يعلمه الا الله تعالى * واعلم يا أخي ان خرق العوائد يكون على وجوه كثيرة وليس مرادنا هنا الا خرق العادة على من ثبتت استقامته على الشرع المحمدي والا فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر صاحبه وقد ذكر الشيخ في الباب السادس والثمانين ومائة أن من الخوارق ما يكون عن قوى نفسية وذلك أن اجرام العالم تنفعل للهمم النفسية هكذا جعل الله الامر فيها وقد تكون أيضا عن حيل طبيعية معلومة كالقلفطيريات ونحوها وبابها معلوم عند العلماء بها وقد يكون عن نظم حروف بطوالع وذلك لاهل الرصد وقد يكون باسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة في ناظر عين الرائين لا في نفس الامر وأطال في ذلك ثم قال وهذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله تعالى قال ولا يكون خرق العادة على وجه الكرامة الا لمن خرق العادة من نفسها باخراجها عن مألوفها الطبيعي الى الانقياد للشرع في كل حركة وسكون قال وليس خرق العادة الا أول مرة فاذا عاد ثانيا صار عادة وفي الحقيقة الامر جديدا بدا وما ثم ما يعود فما ثم خرق عادة وانما هو أمر يظهر زى مثله لا عينه فلم يعد فما هو عادة فلو عاد لكان عادة وقد انحجب الناس عن هذه الحقيقة بل ما رأيت أحدا اطلع عليها من أهل عصري وقد نبهتك على ما هو الامر عليه ان كنت تعقل ما أقول فان الله تعالى اذا كان خلاقا على الدوام فاين التكرار انتهى (فان قيل) فكم الاعجاز على ضرب (فالجواب) هو على ضربين كما قاله الشيخ في الباب السابع والثمانين ومائة * الاول أن يمكن صرفه فيدعى في ذلك أن الذي هو مقدور لكم في العادة اذا أتيت به دليل على صدق دعواي فان الذي أرسلني يصرفكم عنه فلا تقدرون على معارضته وكل من كان في قدرته ذلك يجد العجز في ذلك الوقت فلا يقدر على اتيانه بما كان قبل هذه الدعوى يقدر عليه وهذا أنفع للنفس من الصرف * الضرب الثاني أن يأتي بامر لا يكون في مقدور البشر ولا يقدر عليه الا الله كاحياء الموتى ولكن الوصول اليه على

فافهم هذا اعتقادنا الذي نلقى الله تعالى عليه ان شاء الله تعالى * وقال في الباب الثامن والاربعين ومائتين لابد لطالب طريق الله تعالى من رمي ما بيده من الدنيا ان كان بلا عائلة ولا شيخ وان كان تحت تربية شيخ معتبر رماها بين يدي الشيخ وخرج عنها بالكلية ظاهرا و باطنا ولا يبقي له قط ملكا قال ولا ينبغي له ان ينتظر رحالة ينشرح لاخراج ما بيده من الدنيا بل يرميه ولو كان في باطنه محبة له قال وهكذا كان خروجنا عما بأيدينا من المال اذ لم يكن لنا اذ ذاك شيخ نحكمه في ذلك قال ثم اني لم أسأل ما جرى لذلك المال الى يومي هذا وأطال في الاستدلال على ذلك * وقال في الباب الاحد والخمسين ومائتين في قوله تعالى وقل رب زدني علما اعلم ان كل من طلب الزيادة من شيء فما ارتوى منه ولذلك لم يأمر الحق سبحانه وتعالى بطلب العلم الى وقت معين ولا حد محدود بل أطلق طلب الزيادة والعطاء دنيا وآخرة فلا يزال طالب العلم عطشان لا يروى أبدا لانه كلما نال علما أعطاه ذلك العلم الاستعداد لعلم آخر كوني أو الهي فما قال بالري الا من جهل ما يخلق فيه على الدوام والاستمرار ومن لا علم له بنفسه فلا علم له بربه واذا كان الحق تعالى لم يزل خلاقا الى غير نهاية فينا فالعلوم الى غير نهاية وأطال في ذلك * وقال في الباب الثاني والستين ومائتين اعلم ان الشريعة تسمى حقيقة لانها حق كلها والحاكم بالشريعة على حق وهدى من الله وان كان

المحكوم له على باطل والمحكوم عليه على حق لكن هل هو عند الله كما حكم هذا الحاكم أو كما هو في نفس الامر قال بكل جماعة قال

طريق العلم انه حق في نفس الامر عزيز لا يدركه الا أهل الكشف منافانا رأينا عصا موسى حية وعصي السحرة
حيات ولم يفرق العامة بين الحيتين فلهذا كان الوصول الى علم ذلك عزيزا جدا اه (فان قلت) فما المراد بتلقف
عصا موسى لما صنعوا (فالجواب) ان المراد به كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر والباب الاربعين من
الفتوحات انكشاف ذلك للسحرة والناس يظنون ان تلك الحيات حبال وعصي لا حيات حين ظهرت حجة
موسى عليهم لان الحبال والعصي انعدمت اذ لو انعدمت لدخل عليهم اللبس في عصا موسى فكانت الشبهة
تدخل عليهم في عصا موسى كذا وايضاح ذلك ان عصا موسى انما تلقفت صور الحيات من حبال السحرة
وعصيهم فقط فبدت للناس حبالا وعصيا كما هي في نفس الامر هذا تلقفها وذلك كما يبطل الخصم بالحق حجة
خصمه ويظهر بطلانها ولو انه كان المراد بتلقفها انعدام الحبال والعصي كما توهمه بعض المفسرين لدخل على
السحرة الشبهة في عصا موسى والتبس عليهم الامر فكانوا لم يؤمنوا فتنبه يا أخي لذلك فان الله تعالى يقول تلقف
ما صنعوا وما صنعوا الحبال والعصي بسحرهم وانما صنعوا في أعين الناظرين صور الحيات من الحبال والعصي
وعلى ما توهمه بعضهم يكون المعنى الذي جاء به موسى من قبيل ما جاءت به السحرة الا أن سحره أقوى من
سحرهم (فان قلت) فما سبب خوف موسى من عصاه حين ظهرت في صورة حية (فالجواب) انما خاف موسى من
عصاه ليعلم السحرة ان ذلك ليس هو بسحر منه فان أحدا لا يخاف من فعل نفسه لانه يعلم انه لا حقيقة له في
نفس الامر (فان قلت) فما وجه من قال ان من سحر غيره كفر (فالجواب) ان في ضمن السحر الكفر لان
الارواح الكافرة التي هي المعينة له على السحر انما تجيبه اذا خرج عن دين الاسلام (فان قلت) فلم سمي السحر
سحرا (فالجواب) لانه مأخوذ من السحر الذي هو الزمان وهو اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه
من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس وكذلك هذا الذي يسمى سحرا بسكون الحاء ما هو باطل
محقق فيكون عدما فان العين أدركت أمرا لا تشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه فانه ليس
هو في نفس الامر كما تشهده العين ويظنه الرائي والله أعلم فعلم ان معجزة كل نبي انما تكون بحسب ما هو غالب
على قومه كما أتى موسى عليه الصلاة والسلام بما يبطل السحر لما كان السحر غالبا على قومه وكما أتى عيسى
بابراء الاكمه والابرص لما كان الطب غالبا على قومه وكما أتى محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم المعجز
بفصاحته كل بليغ وفصيح لما غلب على قريش التفاخر بالفصاحة والبلاغة (فان قلت) قد شرطتم في المعجزة
أن تكون فعلا كما مر ثم ادعيتم ان القرآن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان القرآن كلام الله
والكلام عندكم صفة من صفات الذات كالعلم والقدرة فلو جاز أن تكون صفة الكلام معجزة لجاز أن تكون
صفة العلم والقدرة معجزة (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله انه لا يخفى ان المعجز حقيقة
انما هو الله تعالى فانه خالق العجز والقدرة وانما سمي الفعل الخارق للعادة معجزة على طريق التوسع والمجاز
لا على الحقيقة كمن نظر الى صاعقة تقع من السماء فيقول انظروا الى قدرة الله تعالى وانما هي من آثار قدرته
وذلك ان العجز انما يكون عن مقدور عليه وليس احياء الميت مثلا من مقدور البشر حتى يقال ان فلانا عجز عن
احياء الموتى والانسان قد يحس من نفسه عدم القدرة على ذلك وعدم القدرة ليس بعجز كما ان عدم العلم ليس
بجهل اذ الجدار مثلا عادم العلم وليس بجاهل لانه فاقد شرط العلم والجهل معا الذي هو الحياة والعامة يعبرون
عن عدم القدرة بالعجز وهو وهم وتخييل لان العجز لا بد أن يقارن المقدور وعليه فعلم مما قررناه ان مرادهم
بقولهم القرآن معجزة أن نظمه وتأليفه على هذه الهيئة الغريبة والاساليب العجيبة هو فعل الله تعالى وذلك
معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس مرادهم ان كلام الله الذي هو صفته القائمة بذاته معجزة وقد
أعجز الله تعالى جميع الخلق عن الاتيان بمثله كل ذلك دلالة على صدقه صلى الله عليه وسلم ولفظ القرآن في
العربية يطلق على القراءة والمقروء كما قدمناه في مبحث اسمه تعالى المتكلم والله تعالى أعلم * ثم اعلم ان جمهور
العلماء قائلون بان ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي وخالف في ذلك المعتزلة والشيخ أبو اسحق
الاسفرايني فقالوا لا يجوز أن يكون ما ظهر معجزة لنبي أن يكون مثله كرامة لولي من سائر الخوارق وانما مبالغ

والمسئلة تحتاج الى سبر أدلة وتحقيق نظر فان العقوبة قد أوقعها الله في الرامين المحصنات وان صدقوا اذا لم يأتوا بأربعة شهداء وقال في قضية خاصة في ذلك كان الرامي كاذبا فيها لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء كافر في الحكم فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون فقوله أولئك هل يريد بهذه الاشارة هذه القضية الخاصة أو يريد عموم الحكم في ذلك فان جلد الرامي انما كان لرميه ولكونه ما جاء بأربعة شهداء وقد تكون الشهداء شهود زور في نفس الامر وتحصل العقوبة بشهادتهم في المرمي فيقتل وله الاجر التام في الآخرة مع ثبوت الحكم عليه في الدنيا وعلى شهود الزور والمفتري العقوبة في الاخرى وان حكم الحق في الدنيا بقوله وبشهادة شهود الزور فيه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انما أنا بشر مثلكم وانكم تختصمون الي ولعل أحدكم يكون ألحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار فقد قضى له بما هو حق لاخيه وجعله له حقا مع كونه معاقبا عليه في الآخرة كما يعاقب الانسان على الغيبة والنميمة مع كونه صادقا

فما كل صدق في الشرع تقترن به السعادة وأطال في ذلك * ثم قال في الباب الثالث والستين وما تبين فيه ان الشريعة عين الحقيقة والشريعة

الكرامة اجابة دعوة أو موافاة ماء في بادية لاماء فيها عادة ونحو ذلك مما ينحط عن خرق العادات قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع والثمانين بعد المائة من الفتوحات وهذا الذي قاله الاستاذ هو الصحيح عندنا الا اني أشرط شرطا آخر لم يذكره الاستاذ وهو أنا نقول لا يجوز أن تكون المعجزة كرامة لولي الا أن يقوم ذلك الولي بذلك الامر المعجز على وجه التصديق لذلك النبي دون أن يقوم به على وجه الكرامة لنفسه فلا يمتنع ذلك كما هو مشهود بين الاولياء اللهم الا أن يقول ذلك الرسول في وقت تحديه بمنع وقوعها في ذلك الوقت خاصة أو في مدة حياته خاصة فانه جائز أن يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذي اشترطه وأما ان اطلق ذلك النبي ولم يقيد فلا سبيل الى ما قاله الاستاذ انتهى * قال اليافعي اليمني رحمه الله ولا يرد على قولهم ما جاز أن يكون معجزة لنبي الى آخره القرآن العظيم للزوم التحدي فلا يجوز وقوع مثله لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف الكرامة (فان قلت) ما الفرق بين الكرامة والمعجزة (فالجواب) الفرق بينهما ظاهر وذلك انه اذا توقفت الاجابة على المعجزة يجب على النبي أن يتحدى بها أو يظهرها بخلاف الكرامة لا يجب على الولي اظهارها الا انه انما يدعو بحكم التبع بشرع نبيه الثابت عنده فلا يحتاج الى دليل على صحة طريقه ودعواه بخلاف النبي وكان اليافعي رحمه الله يقول يجب على الولي اخفاء الكرامة الا عن ضرورة او اذن أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار ولا تعمل أو يكون لتقوية يقين بعض المريدين كالذي غرف عسلا من الهواء ووضعه بين يدي مريده انتهى * وقد فرق الائمة بين المعجزة والكرامة بفروق كثيرة غير ما ذكرناه فقال بعضهم من الفرق بينهما المعجزة تقع عند قصد النبي صلى الله عليه وسلم وتحديه وأما الكرامة فقد تقع من غير قصد الولي وقال بعضهم يجوز أن تقع الكرامة أيضا بقصد الولي وانما الفرق الصحيح بينهما أن المعجزة تقع مع التحدي والكرامة لا يتحدى بها الولي وقال بعضهم يجوز للولي أيضا أن يتحدى بالكرامة على ولايته اذا رأى في ذلك مصلحة ونصيحة للخلق حتى يهديهم الى الحق وانما الفرق الصحيح بينهما هو ان المعجزة لا تكون الا بعد دعوى له ولا تكون مع السكوت معجزة والكرامة يجوز أن تقع مع كلامه ومع سكوته معا وهذا القدر من الفروق كاف وحقيقة ذلك ان الولي اذا ادعى بفعل خارق للعادة انه ولي فان ذلك لا يقدح في معجزة النبي بخلاف ما اذا ادعى بمثل ذلك الفعل الآن على انه نبي فانه يكذب في دعواه والكاذب لا يكون وليا لله تعالى فلا يصح أن يظهر على يديه ما يظهر على أيدي الانبياء والاولياء قال الشيخ أبو طاهر وهو فرق ظاهر وهو معنى قول المشايخ المعجزات علامات صدق حيث وجدت فلا تظهر على أيدي الاولياء عند دعواهم النبوة لانها لو وجدت عند ذلك لانقلب الصدق كذبا وهو محال اه (فان قلت) هذا الفرق بين المعجزة والكرامة فما الفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر رحمه الله أن الفرق بين المعجزة والسحر ونحوه أن المعجزة تبقى هي أو أثرها بعد النبي زمانا والسحر سريع الزوال وأما الفرق بين المعجزة والشعبذة فهو ان المعجزة يظهرها النبي على رؤس الاشهاد وعظماء البلاد والشعبذة انما يروج أمرها على الصغار وضعفاء العقول وجهلة الناس قال القزويني رحمه الله وقد اختلف الناس في السحر وأثره فقيل انه يمكن به تبديل الصورة فيقلب الانسان كلبا أو تمساحا أو حمارا قال والظاهر ان أمثال هذه خرافات العوام واسمار النسوة وأطال في ذكر النيرنجيات والقلفطيريات في كتابه سراج العقول قال والسحر في اللغة اراءة الباطل في صورة الحق ومنه وقت السحر للفجر الكاذب وأما الشعبذة فهي منسوبة الى رجل اسمه شعبان وهو معرب وأصله خفة اليد في تقليب الاشياء والسحر عندنا حق على معنى انه ثابت واقع وأنكره المعتزلة والروافض والدهرية السحر والدليل على صحته اجماع الامم سلفا وخلفا واجماع أهل الكتاب كلهم من الهند والروم والفرس وآيات القرآن ناطقة بذلك وقال الشيخ محيي الدين في الباب الاحد والسبعين ومائتين في قوله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اعلم ان الله تعالى انما كره التفريق وذم فاعله ندبا الى الالفة وانتظام الشمل ولما علم الله تعالى أن الافتراق لا بد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة تخفيف شرع الطلاق رحمة بعباده ليكونوا تحت الاذن في جميع أفعالهم محمودين غير مذمومين

نحق ولكل حق حقيقة فحق الشريعة وجود عينها وحقيقتها ما ينزل منزلة الشهود البصري والوجد وذا الحسي النافي الشك جملة اذا الحقيقة تطلب الحق لا تخالفه وما ثم حقيقة تخالف شريعة أبدا فان الشريعة من جملة الحقائق ولكن لما كان الاطلاع على الحقائق عزيز المنال لا يعرفه كل أحد فرق الناس بينهما انتهى فليتأمل ويحرر هذا النقل والله تعالى * وقال في الباب الرابع والستين ومائتين في قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه اعلم انه لا بد لجميع بني آدم من العقوبة والآلام شيئا بعد شيء الى دخولهم الجنة فاول الالم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته صارخا لما يجده عند مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بالم البرد فيبكي فان مات فقد أخذ حظه من البلاء وان عاش فلا بد له في الحياة الدنيا من الالم اذ الحيوان مجبول على ذلك فاذا انتقل الى البرزخ فلا بد له من ألم أدناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلا بد له من ألم الخوف على نفسه أو على غيره فاذا دخل الجنة ارتفع عنه حكم الآلام وصحبه النعيم أبد الآبدين * وقال في الباب الثامن والستين ومائتين في قوله تعالى ويسئلونك عن الروح أي من اين ظهر فقيل له قل الروح من أمر ربي فما كان ذلك سؤالا عن الماهية كما فهمه بعضهم فانهم ما قالوا ما الروح وان كان السؤال بهذه الصيغة محتملا ولكن قوي الوجه الذي ذهبنا اليه ما جاء في

ارغاما للشيطان ومع هذا فقد ورد أبغض الحلال الى الله الطلاق وذلك لانه رجوع الى العدم اذ بائتلاف الطبائع أظهر وجود التركيب وبعدم الائتلاف كان العدم وكان تعطيل الاسماء الالهية عن التأثير في أهل حضراتها فلاجل هذه الرائحة كره التفريق بين الزوجين لعدم الاجتماع اهـ (فان قلت) فما الفرق بين المعجزة والكهانة (فالجواب) أن الفرق بينهما هو أن المعجزة فعل خارق للعادة مقرون بالتحدي يقوم مقام تصديق الله تعالى النبي بالقول كما مر وأما الكهانة فهي كلمات تجري على لسان الكاهن ربما توافق وربما تخالف والنبي لا يكون قط الا كامل الخلق والخلق وأما الكاهن فيكون مختل العقل ناقص الخلق مزورا فان ادعى النبوة بكهانته فربما قابله بدعواها كاهن آخر فلا يوجد الفرق بينهما البتة بخلاف النبوة فان النبي اذا تحدى بالمعجزة وقابله مدع كاذب لا يجوز أن يظهر له معجزة مثل معجزة الصادق وقد قدمنا ان المعجزة تصديق الله للصادق فكيف تكون تصديقا للكاذب والله تعالى لا يصدق الكاذب والله تعالى أعلم (فان قلت) فما وجه استحالة المعجزة على يد الكاذب (فالجواب) وجهه ذلك ان الناس قد أشبعوا القول في استحالة المعجزة على يد الكاذب وكان ذلك كالاجماع على استحالتها (فان قيل) اذا جوزتم اضلال الله تعالى الخلق واغواءهم فما يشعركم انه تعالى يظهر الآيات على أيدي الكاذبين اضلالا واغواء ومعلوم أن ساحة ربوبيته تعالى بريئة من وجوب اضلال الخلق وهدايتهم (فالجواب) اننا انما جوزنا الاضلال لنصوص القرآن مثل قوله يضل به كثيرا وقوله ويضل الله الظالمين وغيرهما من الآيات وانما نجوزه فيما لا يؤدي الى المحال فان كل ما أدى الى المحال فهو محال والمحال لا يكون مقدورا البتة وذلك من وجوه اما أن يقع على خلاف المعلوم واما أن يتناقض الدليل والمدلول فيه واما ان يلتبس الدليل بالمدلول واما أن يؤدي الى تعجيز القدرة وتكذيب الحق تعالى فهذه أربعة أوجه تؤدي الى المحال فلا تتعلق القدرة بها والمعجزة على يد الكاذب من جملتها لان المعجزة مقرونة بالتحدي نازلة منزلة قول الحق تعالى لذلك الرسول صدقت وأنت رسولي كما مر وتصديق الكاذب من المحال لذاته وعينه اذ كل من قال له أنت رسولي صار رسولا وخرج عن كونه كاذبا والجمع بين كونه كاذبا ورسولا صادقا محال والله أعلم وقد ذكر الشيخ أبو طاهر ان بعض الائمة قال اظهار المعجزة على يد الكاذب من المقدورات بناء على ان ما علم الله انه سيكون لا يخرج عن كونه مقدورا وخلاف المعلوم لا يكون مقدورا ثم الذي نقول به ان ذلك ولو كان مقدورا فلا يقع ذلك قطعا كما لا ينقلب العلم جهلا وأطال في ذلك في كتاب سراج العقول فراجعه ان شئت وحاصله ان شرط المعجز أن يكون ناقضا للعادة لان الفعل المعتاد يوجد مع الصادق والكاذب وأن يكون في أيام التكليف لان الذي يظهر في القيامة من انفطار السماء وتكوير الشمس أفعال ناقضة للعادة وليست بمعجزة لان الآخرة ليست بدار تكليف وأن يكون مقرونا بالتحدي لانه قد يحصل أحيانا أفعال ناقضة كالزلازل والصواعق وليست بمعجزة لانها لم تكن مقرونة بذلك وأن يكون على وجه الابتلاء لانه لو تلقن انسان سورة من القرآن ثم مضى الى قبيلة بعيدة لم تبلغهم الدعوة وتنبأ هناك لم تكن معجزة والله سبحانه وتعالى أعلم فتأمل في هذا المبحث فانه نفيس والله أعلم

(المبحث الثلاثون في بيان حكمة بعثة الرسل في كل زمان وقع فيه ارسال عليهم الصلاة والسلام)

اعلم ان الاصل في هذا المبحث قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فما عاند بعد ارسال الرسل الا من لم ينصح نفسه ممن حقت عليه كلمة العذاب والشقاء الابدي قال الشيخ محيي الدين رحمه الله واعلم أن جميع الحدود التي حدها الله أي قدرها الرب سبحانه وتعالى في هذه الدار لا تخرج عن قسمين قسم يسمى سياسة حكمية بكسر الحاء وقسم يسمى شريعة وكلاهما انما جاء لمصلحة بقاء أعيان الممكنات في هذه الدار وسلامتها من الفساد فاما القسم الاول فطريقه الالقاء بمثابة الالهام عندنا وذلك لعدم وجود شريعة بين أظهر أهل ذلك الزمان فكان الحق تعالى يلقي في نظر نفوس الاكابر من الناس الحكمة فيحدون الحدود ويضعون

الجواب من قوله من أمر ربي ولم يقل هو كذا كما قال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر

* وقال في الباب التاسع والستين ومائتين في قوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين الآية اعلم ان علم اليقين هو ما اعطاه الدليل الذي لا يقبل الدخل ولا الشبهة وعين اليقين هو ما أعطاه المكاشفة والشهود وحق اليقين هو ما حصل في القلب من العلم بما أريد له ذلك المشهود مثال علم اليقين الذي لا يدخله شبهة ولا يقدح في دليله دخل علمنا بان لله تعالى بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة يحج الناس اليه في كل سنة ويطوفون به ثم انه عند الوصول اليه شهود فهذا عين اليقين الذي كان قبل هذا الشهود علم يقين فانه قد حصل في النفس برؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا ثم لما فتح الله عين بصيرة هذا المشاهد في كون ذلك البيت مضافا الى الله مقصودا دون غيره من البيوت المضافة الى الله فعلم علة ذلك ونسبته باعلام الله لا بنظره واجتهاده فكان علمه بذلك حقا يقينيا مقررا عنده لا يتزلزل فما كل حق له قرار ولا كل علم ولا كل عين كذلك فلذلك صحت الاضافة ولو كان علم اليقين وعينه وحقه نفس اليقين ما صحت الاضافة لان الشيء الواحد لا يضاف الى نفسه اذ الاضافة لا تكون الا بين مضاف ومضاف اليه فطالب الكثرة حتى يصح وجودها وأطال في بيان الفرق بين هذه المراتب

النواميس في كل مدينة وجهة واقليم بحسب المزاج الذي تقتضيه طباع تلك الناحية فانحفظت بذلك أموال الناس ودماؤهم وأهلوهم وأرحامهم وأنسابهم وسموها نواميس ومعناها أسباب خير لان الناموس في الاصطلاح هو الذي يأتي بخير عكس الجاسوس فهذه هي النواميس الحكمية وضعها العقلاء عن الالهام من الله تعالى من حيث لا يشعرون لاجل مصالح العالم ونظمه وارتباطه اهـ * وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة اعلم أنه انما يتعين استعمال النواميس الوضعية والقوانين السلطانية في أيام الفترات وذلك ليجمع الله تعالى باستعمالها شمل العالم قال وما حرم الله تعالى كل من وضع ذلك أجرا من باب ان الله لا يضيع أجر المحسنين * قال وأما استعمال النواميس والقوانين في زمن الشرائع فلا ينبغي استعمالها لان وافقت الشرائع لانه يحرم على كل حاكم أن يتعدى شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون * وقال أيضا في الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة اعلم أن الشرع شرعان شرع منزل الهي وشرع حكمي سياسي عند فقد هذا الشرع فلا تخلو أمة عن نذير يقوم بسياستها ابقاء المصلحة في حقها سواء كان ذلك الشرع الهيا أو سياسيا (فان قلت) فهل كان لواضعي هذه النواميس علم بانها مقربة الى الله تعالى أم لا (فالجواب) أنه لم يكن لهم علم بذلك كما أنه لم يكن لهم علم بانه ثم بعث ولا حشر ولا نشر ولا ميزان ولا حساب ولا صراط ولا جنة ولا نار ولا شئ من أحوال الآخرة جملة لان ذلك ممكن وعدمه أيضا ممكن ولا دليل لهم في أحد الممكنين بل رهبانية ابتدعوها فلهذا كان مبنى نواميس الحكماء في كل زمان على ابقاء الصلاح في هذه الدار لا غير وغاية علمهم انهم انفردوا في نفوسهم بالعلوم الالهية من توحيد الله تعالى وما ينبغي لجلاله من التعظيم والتقديس وعدم المثل والشبيه وصاروا يحرضون الناس على النظر الصحيح فكان جل أشغالهم في ذلك فلما عرفوا ذلك شرعوا في البحث عن حقائق نفوسهم حين رأوا ان الصورة الجسدية اذا ماتت ما نقص من أعضائها شئ فعلموا أن المدرك والمحرك لهذا الجسم أمر آخر زائد عليه فبحثوا عن ذلك الامر الزائد فعرفوا نفوسهم وما حده لهم عقلهم لا غير فاورثهم ذلك ترددا بين التنزيه والتشبيه وحيرة من اثبات المعرفة ونفيها في حق العالم فلما أورثهم ذلك ما ذكر رحمهم الله تعالى بارسال الرسل وأطال الشيخ في ذلك في الباب التاسع وثلاثين وثلثمائة فراجعه والله تعالى أعلم

* وأما القسم الثاني المسمى بشريعة حقيقة هو ما جاء على لسان الصادق المصدوق من سائر الاحكام التي ليس للعقل فيها مدخل الا من حيث قبولها والايمان بها لا غير كما مر في مبحث المعجزات اذ لو استقلت العقول بامور سعادتها لكان وجود الرسل عبثا ومعلوم قطعا أن كل انسان منا يجهل بالضرورة مآله والى أين ينتقل كما يجهل أيضا أسباب سعادته ان سعد أو شقاوته ان شقي وذلك لجهله بعلم الله السابق منه وبما يريده به ولماذا خلقه فهو مفتقر بالضرورة الى التعريف الالهي له بذلك ولولا ارسال الرسل ما عرفنا الفرق بين الطاعة والمعصية ولا تميز أحد من أهل القبضتين عن الآخر * فعلم أن بارسال الرسل قامت حجة الله تعالى على عباده وظهرت وما سعد من سعد الا بالقسمة الالهية وما شقي من شقي الا بها وليس للرسل عليهم الصلاة والسلام أثر في ذلك ان عليك الا البلاغ انك لا تهدي من أحببت وكذلك ليس لابليس أثر في الاضلال انما هو موسوس للناس أن يفعلوا ما قدره الله عليهم وسوف يخطب في النار و يقول ما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم وذلك مكان يصدق فيه الكذوب وكذلك اذا أمر الرسول أمته بفعل شئ مثلا فلسان حالهم يقول هل نفعل ما قسمه الحق تعالى لنا أم لم يقسمه فلا يسع الرسول الا أن يقول افعلوا ما قسمه لكم فاذا قالوا هل نفعله في الوقت الذي قسم لنا الحق تعالى فعله فيه أو قبله يقول لهم الرسول في الوقت الذي قسم لكم أن تفعلوه فيه ولكن سلطان الامر الالهي متوجه عليكم أن تفعلوا ذلك في الوقت المضروب لكم شرعا لا وقت ارادة نفوسكم وهنا تدحض حجتهم (فان قلت) فهل للحيوانات رسل منهم كالجن والانس كما قيل (فالجواب) ليس للحيوانات رسل منهم وانما ذلك خاص بالجن والانس وقد أفتى المالكية بكفر من قال ان في كل جنس من الحيوانات نذيرا منها اليها (فان قلت) فما تقولون في قوله تعالى

فليتأمل فانه نفيس * وقال في الباب الاحد والسبعين ومائتين في قوله تعالى الطلاق مرتان الآية اعلم ان الشارع انما كره الطلاق وقال أبغض الحلال الى الله الطلاق ندبا الى الالفة وانتظام الشمل ولما علم الله تعالى ان الافتراق لا بد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة خفيت عن أكثر الناس شرع الطلاق رحمة لعباده ليكونوا ماجورين في أفعالهم محمودين غير مذمومين ارغاما للشيطان فانهم في ذلك تحت اذن الهي قال وانما كان الطلاق أبغض الحلال الى الله لانه رجوع الى العدم اذ بائتلاف الطبائع ظهر وجود التركيب وبعدم الائتلاف كان العدم فمن أجل هذه الرائحة كرهت الفرقة بين الزوجين لعدم عين الاجتماع * وقال في الباب الثاني والسبعين ومائتين في قوله تعالى قل هو الله أحد انما لم يقل واحد لان الاحد هو الذي لا يشارك في أحديته قال وأما الواحد فانا نظرنا في القرآن هل أطلقه على غيره كما أطلق الاحدية فلم أجده وما أنا منه على يقين في هذا الوقت فان كان لم يطلقه فهو أخص من الاحدية و يكون اسما للذات علما لا صفة كالاحدية فان الصفة محل الاشتراك ولهذا أطلقت الاحدية على كل ما سوى الله في القرآن في نحو قوله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وان كان مذهبنا اختصاص الاحدية بالله تعالى دون خلقه وأطال في ذلك * وقال في الباب الرابع والسبعين ومائتين في قوله

تعالى وان من أمة الاخلا فيها نذير وفي قوله الأمم أمثالكم (فالجواب) ان هذا عام مخصوص بالجن والانس فانه قد ورد في الكلاب انها أمة من الامم وكذلك النمل والغيران ولم يرد لنا دليل قاطع بان لها نذيرا منها فاياك والغلط (فان قلت) فتى ينقطع حكم التكليف في حق الامة (فالجواب) ينقطع التكليف في حق أهل الجنة وأهل النار بالموت ماعدا أهل الاعراف الى أن يخروا ساجدين يوم القيامة فترجح ميزانهم بتلك السجدة ثم يدخلون الجنة فانه لولا أن تكليفهم باق الى ذلك الوقت ما نفعتهم تلك السجدة ولا رجحت ميزانهم بها (فان قلت) فما أول وقت كان فيه تكليف الروح (فالجواب) هي مكلفة من يوم ألست بربكم فلولا أن تكليفها وفعلها موجود ذلك اليوم ما خوطبت ولا أجابت وعلى ما ورد في الحديث من الامتحان للاطفال والمجانين وأصحاب الفترات على لسان رسول يوم القيامة يرسل اليهم فيقوم بعث ذلك الرسول في ذلك اليوم مقام بعث الرسول اليهم في دار الدنيا فمن أطاعه نجا ودخل الجنة ومن عصاه وخالف أمره هلك ودخل النار لقوم العدل من الله تعالى في عباده بعد اقامة الحجة والله أعلم * وقد رأيت في كتاب سراج العقول للامام أبي طاهر القزويني في الباب الخامس والثلاثين منه ما نصه اعلم ان الله تعالى قد خلق جميع الكائنات من فضله وكرمه بعد أن لم يكن للمكون أثر ولا للمكون خبر ثم انه تعالى لما خلقهم من فضله لم يتركهم سدى هملا غافلين عما يرجع الى مصالحهم في الامور الدينية والدنيوية ولما كان الجليل جل جلاله منزها عن المجيء اليهم والنزول عليهم ولم يكن كلامه بحرف ولا صوت حتى يسمعوا كلامه كفاحا بعث اليهم منهم رسلا مبشرين ومنذرين ليبلغوا الى أسماع عباده كلامه وقد ألم بعض الشعراء بهذا المعنى فقال

ولما تعذر أن نلتقي * وزاد النزاع وجد القدم

سعيت اليك برجل الرسول * وناجاك عني لسان القلم

قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ثم ان الحق تعالى من جملة فضله علينا ارسال الرسل الينا كما انه خلقنا بفضله من العدم اذ لا يجب عليه تعالى شيء البتة (فان قلت) فما حقيقة النبوة (فالجواب) هو خطاب الله تعالى شخصا بقوله أنت رسولي واصطفيتك لنفسي كما مر في المبحث قبله والله أعلم حيث يجعل رسالاته (فان قلت) فهل النبوة مكتسبة أو موهوبة (فالجواب) ليست النبوة مكتسبة حتى يتوصل اليها بالنسك والرياضات كما ظنه جماعة من الحمقى فان الله تعالى حكى عن الرسل بقوله قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا فالنبوة اذن محض فضل الله تعالى كما مر خلافا للمعتزلة ومن تابعهم من قولهم بوجوب النبوة عقلا من جهة اللطف والحق انها جائزة عقلا واجبة تواترا ونقلا ينتهي الى المعاينة وهي من فضل الله ورحمته وتدبيره في الملك والملكوت باوامره ونواهيه على من يشاء كيف يشاء وعلى هذا فالنبوة صفة راجعة الى اصطفاء الله شخصا بخطابه ولو بواسطة الملك ولا ترجع الى نفس ذلك الشخص الذي هو النبي حتى انه يقال استحق النبوة لذاته واذا كانت كذلك فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة ومن قال ان النبوة مأخوذة من النبأ وهو الخبر اذ هو مخبر عن الله تعالى ومن مات لا يخبر نقول له حكم النبوة باق عليه أبدا حيا وميتا كما أن حكم نكاحه كذلك * وفي الحديث و جاني في الدنيا و جاني في الآخرة وفي الحديث أيضا الانبياء أحياء في قبورهم يصلون وقد أفتى المالكية وغيرهم بكفر من قال ان النبوة مكتسبة والله أعلم (فان قيل) هلا أرسل الله تعالى الملائكة فانهم كانوا بهيئتهم الملكية أدعى الى الحق والاستجابة لهم وكانت الكفرة لا تقول أبشرا منا واحدا نتبعه (فالجواب) أن هذا السؤال قد سبق من كفار مكة وأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وقال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون والمعنى في ذلك ان في الرسالة امتحانا واختبارا فينظر تعالى وهو العالم بما يكون قبل أن يكون هل يقوم بهم داء الحسد فلا يطيعون ذلك الرسول أو يطيعونه وذلك ان الحسد موضوعه أن يكون بين الجنس الواحد فليس بين البشر والملك حسد

وهو المعبر عنه بالبعث ولذلك قال تعالى ثم أنتم تمترون يعني فيه فان الموت لا يمترون فيه فانه مشهود لهم في كل حيوان مع الانفاس وانما وقعت المرية في البعث وهو الاجل المسمى المذكور وانما لم يجعل أجل الموت مسمى لانه اذا نفخ في الصور صعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فاستثنى طائفة لا يصعقون فلا يموتون وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والسبعين ومائتين في قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم المراد باقامة التوراة وما بعدها عدم تأويلها فمن أول كلام الله فقد أضجعه بعد ما كان قائما ومن نزهه عن التأويل والتعمل فيه بفكره فقد أقامه اذ الفكر غير معصوم من الغلط في حق كل أحد قال والمراد بقوله لاكلوا من فوقهم هو العلم الموهوب ومن تحت أرجلهم يعني العلم المكتسب وأطال في ذلك * وقال في الباب الاحد والثمانين ومائتين في قوله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكانما وتر أهله وماله أي فقد أهله وماله اعلم ان سبب تخصيص صلاة العصر بالتشبيه المذكور دون غيرها من الصلوات أن سائر أوقات الصلوات محدودة الا العصر فهي غير محدودة وان قاربت الحد فان المغرب محدودة بغروب

ولذلك طلب كفار مكة أن يكون الرسول اليهم ملكا لعدم الحسد بينهم و بين الملك بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأيضا فان عامة البشر لا تطيق أن ترى الملائكة باعيانهم وصفاتهم فى صورهم فضلا عن أخذ الكلام عنهم وانما يستأنس الجنس بالجنس ولا عجب من أن يفزع الآدمى من صورة الملك الذى يسد الخافقين بنشر جناح واحد * ولقد بلغنا ان الله تعالى خلق عجائب فى أعالى الهند وأقاصى بلاد الصين وجزائرها أناسا اذ أبصروا أحدا منا خروا على وجوههم ميتين ولو أبصر منا واحد صورة أحدهم لانشقت مرارته خيفة منه وفى القصر المشيد خلق لا يقع بصر أحد منا عليهم الا تراءى عليهم فمات لوقته ولقد بطوا انسانا بحبل الوثيقة وقالوا له أنظر ونحن نمسك فنظر اليهم فتمزع من الحبال ونزل اليهم قطعا قطعا * وحديث بدء الوحى مشهور فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوته وشهامته لما رأى الملك أولا بحراء قاعدا على كرسى بين السماء والارض وله صوت هائل امتلأ منه رعبا وهوى من الجبل الى الارض وجاء الى بيت خديجة وهو يقول زملونى فعلى هذا لو بعث الله تعالى ملائكة رسلا الى عباده لفروا منهم ولم يطيقوا سماع كلامهم بل ربما صعقوا من هيبتهم وماتوا كما قال تعالى ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون أى لماتوا من هيبته فى الحال فقد بان لك فائدة كون الرسول من جنس المرسل اليهم وهو تمكنهم من الاخذ عنه لاستئناسهم بحكم الجنسية كما قال تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم وقال تعالى أيضا وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم (فان قلت) فما التحقيق فى قوله أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم هل جميع ما جاءت به الرسل مخالف لهوى النفس من كل وجه أم بعضه موافق لهواها (فالجواب) كما قال الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن والتسعين ومائتين ان الشرع لم يجئ لنا الا بمساعدة الطبع فلا ندرى من أين جاء الانسان المشقة والكلفة وايضاح ذلك ان الصفات التى جبل عليها الانسان لا تتبدل فانها ذاتية له فى هذه النشأة الدنيوية والمزاج الخاص فلا يكاد يفارق الجبن والبخل والشح والحسد والتكبر والغلظة وطلب القهر وأمثال ذلك ثم لما سبق فى علم الحق تعالى أن هذه الصفات لم تكن تتبدل جعل الله تعالى لها مصارف وأمر بصرفها اليها حكما مشروعا فان تبعت النفس تلك المصارف سعدت ونالت الدرجات العلى فاذا شحت عن اتيان المحارم لما تتوقعه من المضرة لها دنيا وأخرى وشحت كذلك بدينها ان تقع فى شئ ينقصه وحسدت من أنفق المال ابتغاء مرضاة الله وطلب العلم على وجه الاخلاص وحرصت على الخير أيضا وتكبرت وتعززت بالله على من تكبر عن أمر الله وأغلظت القول والفعل فى المواطن التى أمرها الله تعالى بها وطلبت القهر والغلبة لمن ناوى الحق وعاداه فقد بان لك ان صفات النفس لم تتغير فى حد ذاتها وانما صرفت تلك الصفات فى المصارف التى ندب الحق تعالى اليها لحمدها ربها وملائكته و رسله و بيان ذلك أيضا ان الحق تعالى لم يحجر على العبد ما يقتضيه طبعه بالكلية وانما حجر عليه البعض وما أهلك الناس الا سلطان الاغراض فانه الذى أدخل الالم عليهم والمكروه ولو انهم كانوا صرفوا أغراضهم الى ما أراده لهم خالقهم واختاره لهم لاستراحوا وأطال الشيخ فى ذلك (فان قلت) قوله تعالى نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء هل هو نور العقل مع نور الشرع أو غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين ان المراد بهذين النورين نور الشرع مع نور التوفيق والهداية فلولا اجتماع هذين النورين ما كمل حال المكلف وذلك لان النور الواحد وحده لا يظهر له ضوء ولا شك أن نور الشرع قد ظهر كظهور نور الشمس من حين ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ولكن الاعمى لا يبصر ذلك كما لا يبصر الخفاش شيا فى ضوء النهار ولذلك من أعمى الله تعالى بصيرته لا يؤمن به لعدم ادراكه ذلك النور ولو كان نور البصيرة موجودا ولم يظهر للشرع نور لم يدر صاحب نور البصيرة أين يسلك ولا كيف يسلك لان الطريق مجهولة لا يعرف ما فيها ولا ما تنتهى اليه * فعلم ان الماشى فى هذه الطريق ان لم يحفظ سراجه من الاهواء والا هبت عليه رياح زعازع أطفأته وأذهبت نوره ومرادنا بالزعازع كل شئ يؤثر فى نور توحيده وايمانه فان هبت ريح لينة أمالت سراجه ولسانه يعنى السراج حتى يحار فى الطريق فتلك الريح كتبعات الهوى فى فروع الشريعة وهى المعاصى التى لا يكفر بها الانسان ولا تقدح فى توحيده وايمانه انتهى (فان قلت) فهل يشترط فى

الشمس وهو محقق محسوس والعشاء محدودة أولها بمغيب الشفق من أولها وهو محقق محسوس أى شفق كان على الخلاف فى ذلك والفجر محدود أوله بالبياض المعترض فى الافق المستطيل وهو محقق محسوس والظهر محدود بزوال الشمس والظل ظهور وهو محقق محسوس ولم يات مثل هذه الحدود فى العصر فتنزهت عن الحدود المحققة لانه صلى الله عليه وسلم قد جعل وقتها أن تكون الشمس مرتفعة بيضاء نقية فليس حدها ظاهرا مثل حد غيرها وأما جعل ظل الشاخص طوله غير ظل الزوال فليس ذلك فى كل زمان فلم يتعلق الحد على التحقيق بها كتعلقه بسائر اخواتها فلذلك عظمها النبى صلى الله عليه وسلم للمناسبة التى فيها الصفات الحق من حيث نفى الحدود وقد أنشد

صلاة العصر ليس لها شبيه * لنظام الشمل فيها بالحبيب

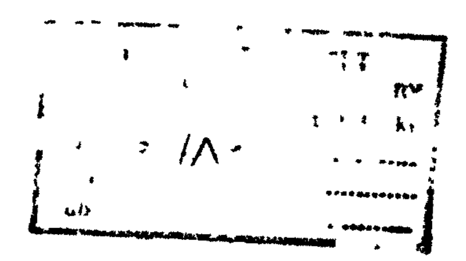
أى لان العصر حقيقة ضم شئ الى آخر لاستخراج مطلوب ما وهو هنا ضم ذات عبد مطلق فى عبودية لا يشوبها ربوبية بوجه من الوجوه الى ذات حق مطلق لا يشوبها عبودية أصلا بوجه من الاسماء التى تطلب السكون كالرحيم والغفار ونحوهما فلما تقابلت الذاتان بمثل هذه المقابلة كان المعتصر عين الكمال لكل ذات بما يليق بها قال وهذا هو المطلوب الذى له وجد العصر وقد ألقيت بك على مدرجة الكمال انتهى وهو كلام نفيس * وقال فيه لا حرج على العبد المريض فى شكواه لاخيه

وقوع العذاب على من خالف الرسل ثبوت رسالتهم عنده (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والسبعين وثلثمائة ثم يشترط ثبوت رسالتهم عنده وذلك حتى يبنى عليه وجوب امتثال أمره واجتناب نهيه (فان قلت) فما صورة ثبوت الرسالة (فالجواب) ان تقوم الدلالة الظاهرة عند كل شخص ممن بعث اليهم سواء كانت بواسطة التواتر أو باشراق نور فى القلب فرب آية يكون فيها غموض أو احتمال بحيث لا يدرك معناها بعض الناس ولا يعرف وجه دلالتها فلابد أن يكون الدليل على صحة الرسالة واضحا فى غاية الوضوح عند كل من قام له حتى يثبت عنده انه رسول وحينئذ ان جحد بعدما تبين وتيقن تعينت مؤاخذته ولذلك قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولم يقل نبعث شخصا لانه لابد أن تثبت رسالة المبعوث عنده من وجه اليه كما مر وفى هذه الآية رحمة عظيمة للامة لما انطوى عليه من اختلاف الفطر المؤدى ذلك الى اختلاف النظر وما فعل الله ذلك الا ليفتح باب الرحمة على من يريد ان يرحمه من عباده (فان قلت) فما السبب الذى منع العبد من العمل بما سمعه من الدعاة الى الله تعالى مما يجب عليه العمل به وهل حكمه حكم من لم يسمع فيكون الحق تعالى قد تفضل عليه وعفا عنه أو حكمه حكم من علم فلم يعمل فعاقبه الله تعالى على ذلك عدلا منه فانه تعالى قال ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أى فانهم سمعوا اذ ذاك حقيقة وفهموه لانه بلسانهم ثم قال تعالى وهم لا يسمعون أى حكمهم حكم من لم يسمع مع كونهم سمعوا (فالجواب) ان قرائن الاحوال تشهد بالعقوبة لمن يسمع ولم يعمل بما سمع ولكن الامكان لا يرتفع فى نفس الامر فى حق الموحدين لما يعرف من سعة رحمة الله وتجاوزه عن سيآت جميع الموحدين الا من شاء الله ولم يخبرنا الحق بحكم من قالوا سمعنا وهم لا يسمعون هل يعاقبهم أم لا (فان قلت) فهل الاولى دعاء الرسول بالالحاح للمدعو أو من غير الحاح (فالجواب) أن من شروط الداعى الى الله تعالى نفوذ البصر الى باطن المدعو وان رأى المدعو يمكنه الاجابة دعاه بالالحاح والا دعا بغير الحاح لاقامة الحجة عليه خاصة ولذلك لم تبعث الانبياء بالامر بالتوحيد الا للمشركين فقط كما ذكره الشيخ فى آخر الباب الثانى والسبعين من الفتوحات قال وذلك لانهم أبعد الخلق عن الله تعالى فبعثوا اليهم بالتوحيد ليهدوهم الى طريق الهدى وهذا هو سر اهداء رسول الله صلى الله عليه وسلم البدن الى الكعبة مع ذكره فيها انها شياطين ليثبت عند العقلاء العالمين بذلك أن مقامه صلى الله عليه وسلم رد البعداء عن حضرة الله وانما أشعرها فى صفحة سنامها الايمن الذى هو أرفع ما فيها لينبه على كبرياء المشركين التى كانوا عليها فى نفوسهم وأيضا فان الصفحة مشتقة من الصفح فكان فى ذلك اشعار من الله تعالى أن يصفح عن هذه صفته اذا أراد التقريب من حضرة الله تعالى وانما جعل فى رقابها النعال اشارة الى زوال الكبرياء والشيطنة التى كانت فى البدن اذ لا يصفع بالنعال الا أخو الهون والذلة ومن كان بهذه المثابة فما بقى عنده كبرياء تظهر واهدى صلى الله عليه وسلم مرة غنما وهى من الحيوان الطاهر من الشيطنة فكان ذلك اشارة منه الى تقريب الموحدين فى ترقيهم فى مقامات التوحيد فقد علمت أن من حكمة بعثة الرسل أن يردوا الشاردين عن حضرة الله اليها ويرقوا أهلها فى درجاتها والله أعلم * (خاتمة) * فى آثار بعثة الرسل اعلم ان من آثارها وجود القرينين اللذين هما الملك والشيطان فمن كان من أهل الفترات فلا قرين له بل هو يتصرف بحكم طبعه لان ناصيته بيد ربه خاصة فكل ما تعنى فى ذلك الزمان من أحوال الموحدين فهو فيه على صراط مستقيم وأما من كان فى أمة بعث فيها رسول أو خلق فى أمة بعث فيها رسول فان القرينين يلزمانه من حين ولادته لاجل وجود الشرع (فان قلت) ان المولود غير مكلف حتى يبلغ الحنث فلماذا يقترن به هذان القرينان وهو لم يكلف (فالجواب) أن الله تعالى ما جعل هذين القرينين فى حق المولود نفسه وانما ذلك من أجل تربية والديه أو من كان فيهم فيهمزه القرين الشيطانى فيبكى أو يلعب بيده فيفسد شيأ مما يكره والداه فساده أو غيرهما فتكون تلك الحركة الموجودة من المولود الغير المكلف شيأ مثيرا فى الغير ضجرا أو سخطا كراهية لفعل الله وتقديره فيتعلق به الاثم فلهذا قرن بالصغير الشيطان لا لاجل نفسه فانه ليس له حركة نفسية ولا ربانية حتى يبلغ الحلم (فان قلت) فاذا كان المولود فى زمن لا شرع فيه فهل يقال ان حركته نفسية أم لا (فالجواب) اذا لم يكن المولود فى

نابه من المرض كما يستعين بالحمية واذا انفرد الانسان بهمه عظم عليه واذا وجد من يقاسمه فيه ولو بالتوجع خف عليه التألم واستراح * وقال فى الباب الثانى والثمانين ومائتين فى قوله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس الآية اعلم ان ورود الموت على النفوس لا يكون الا عن حياة سابقة اذ الموت لا يرد الا على حى والتفرق لا يكون الا عن اجتماع وكذا الحكم فى موت النفس بعد العلم فان قيل ان العلم بالله طارئ الذى هو حياة النفوس والجهل ثابت لها قبل وجود العلم فكيف يوصف الجاهل بالموت وما تقدم علم بحيايه قلنا العلم بالله سبق الى كل نفس فى الاخذ الميثاقى حين أشهدهم على أنفسهم فلما عمرت الانفس الاجسام الطبيعية فى الدنيا فارقها العلم بتوحيد الله فبقيت النفوس ميتة بالجهل بتوحيد الله ثم بعد ذلك أحيا الله بعض النفوس بتوحيده وأحياها كلها بالعلم بوجود الله اذ كان من ضرورة العقل العلم بوجود الله فلهذا سميناه ميتا فلما رد اليه علمه حيي به كما ترد الارواح الى أجسامها فى الدار الآخرة يوم البعث وقوله كمن مثله فى الظلمات يريد مقابلة النور الذى يمشى به فى الناس وما هو عين الحياة اذ الحياة الاقرار بوجود الله والنور المجعول بتوحيد الله والموت الجهل بوجود الله والظلمات الجهل بتوحيد الله ولهذا لم يذكر الحق تعالى فى الاخذ الميثاقى الا الاقرار بوجود الله لا بتوحيده مما تعرض للتوحيد فقال ألست

أمة لها شرع فحركته كلها نفسية من حال ولادته الى أن يموت مالم يرسل اليه رسول أو يدخل هو فى دين الهى يتعبد به أى دين كان مشروعا من الله أو غير مشروع وحينئذ يوكل به القرينان اذ لم يكن للعقل وحده ان يشرع القربات (فان قلت) فما حكم من يكون على مكارم الاخلاق المعتادة فى العرف المحبوبة بالطبع المدركة بالعقل (فالجواب) مثل هذا لا يحكم عليه بحكم يقطع به على الله تعالى فان العقل لا يدرك ان ثم آخرة ولا جنة ولا نارا ولا حشرا بعد الموت ولا يعرف هذا المدبر لبدنه ما هو وانما يدرك ذلك من جهة اخبار الشارع عن الله عز وجل كما مر فى مبحث المعجزات (فان قلت) فهل القرينان خاصان بالجن والانس فى دار التكليف أم يكونان لهما ولغيرهما حتى فى الجنة (فالجواب) ان القرينين خاصان بالجن والانس فى دار التكليف فقط فان كل مخلوق سوى الانس والجن مفطور على تعظيم الله والتسبيح بحمده لا يعصى الله ما أمره وكذلك أعضاء جسد الانسان وجسد الجنى ولكن تسبيح هؤلاء الاعضاء لا على جهة التقريب وابتغاء المنزلة العظمى بل يتنعشون بذلك كالانفاس الداخلة والخارجة وكما يسبح الجن والانس فى الجنة والنار فانه لا على طريق القربة المكلف بها ولا تنتج لهم قربة لانقضاء زمن التكليف فكل واحد من الخلق هناك على مقام معلوم فى تسبيحه وتحميده لكون العادة صارت هناك طبيعية تقتضيها حقيقة كل أحد وترتفع التكاليف والوقوع فى المخالفات ولا يصير القرين يجد شيأ يكتبه والله تعالى أعلم

(تم الجزء الاول من كتاب اليواقيت والجواهر ويليه الجزء الثانى أوله المبحث الحادى والثلاثون)



وبكم قالوا بلى فاقروا له بالربوبية التى هى السيادة وأطال فى ذلك * وقال فى قوله تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر اعلم ان شهود الكثرة توجب للعبد الجهل بنفسه وذلك لان الروح لا يعقل نفسه الا مع هذا الجسم محل الكم والكثرة ولم يشهد نفسه فقط وحده مع كونه فى نفسه واحدا ولا تعرف انسانيته الا مع وجود هذا الجسم ولا تعقل أحديته فى ذاته أبدا وانما تعقل أحدية الجنس لا الاحدية الحقيقية والذى يحصل له بالاكتساب انه واحد فى عينه علم دليل فكرى لا علم ذوق شهودى كشفى وأطال فى ذلك * ثم قال واعلم ان الزيارة مأخوذة من الزور وهو الميل فمن زار قوما فقد مال اليهم بنفسه فان زارهم بمعناه فقد مال اليهم بقلبه وشهادة الزور هى الميل الى الباطل عن الحق وزيارة الموتى هى الميل اليهم تعشقا لصفة الموت أن تحل به فان الميت لا حكم له فى نفسه وانما هو فى حكم من يتصرف فيه ولا يتصور من الميت منع ولا اباية ولا حمد ولا ذم ولا اعتراض بل هو مسلم فمن وفى هذا المقام حقه فهو من رجال الله قال وجملة الامر أن يكون حيا فى أفعاله الظاهرة والباطنة التى يتعلق بها التكليف ويكون ميتا بالتسليم لموارد القضاء عليه فى كل شئ لا المقضى والله أعلم

(فهرست الجزء الاول من كتاب اليواقيت والجواهر لقطب الواصلين وامام العارفين العالم الصمدانى سيدى عبد الوهاب الشعرانى وهو شرح لما أغلق من الفتوحات المكية وبيان مافيها من العلوم الربانية للقطب الغوث الشيخ الاكبر الامام ابن العربى نفعنا الله تعالى بعلومه والمسلمين آمين)

صحيفة

صحيفة

(تمت)